نوادر المخطوطات

١ - ٤



شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
٣٠٢

نوادر المخطوطات

١

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الأولى

١ — الرسالة المصرية ، لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٨

٢ — كتاب المردفات من قريش ، لأبى الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥

٣ — كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ، صنعة محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥

٤ — تحفة الأبيه ، فيمن نسب إلى غير أبيه ، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧

الطبعة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

هـذه المكتبة العربيـة التى كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا ، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا ، وتتغلغل تغلغلا عميقاً فى زوايا الحضارات على شتى أصولها . هذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية ، ولا ماتستحق من خدمة واجبة . وكنت وما أزال أتحدث بجهد إخواننا فى العلم المستشرقين ، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز ،فكان لهم بذلك فضل التنبيه .

وكان مما صنع الله لهـذه الكنوز أن قيّض لإثارتها ، ونفضِ غبارها ، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل المجهد الشاق ، يبغون بذلك الإسهامَ فى نشر العلم ، وفى بيان أمجاد الغابرين من الأجداد ، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة . وأذكر فى طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقرى المرحوم «السيد محمد أمين الخانجى» ، الذى أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التى لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة فى النسيان . وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له «أحمد زكى باشا» ، وهو أول عربى أشاعَ أساليب النشر الحديثة، ونُظم الطبع الجديدة، فى كتبنا هذه العربية ؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ماقدما من فضل عظيم .

وإنه لمما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة ، إذ توجههم إلى أن يتقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بالصلة إلى موضوع الرسالة . وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها .

وكان مما صنع لىَ الله أن ألفيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه والسلاح ضعيف ، فما أزال أجمع سلاحًا إلى سلاح ، وأقتحم الصعاب إثر

الصعاب ، وأنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدنى بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أنى قد رويت غلة النفس زاد مابى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ماتتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم ما يملأ أبصارهم ، وما يروعهم بجسامته وعِظَمه ، ورب أسد مَزير فى أثواب رجل نحيف !

فصحّ منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وسيتكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع فى نحو خمسمائة صفحة ، تنتهى بفهرس عام لما فيها من الرسائل .

هذا . وليس يفوتنى أن أذكر أن هذا العمل قد لقى منذ اللحظة الأولى فى التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحةَ معاونةٍ جميلة من الأصدقاء الغُيُر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكىّ فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو : « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمىّ . وسيظهر إن شاء الله فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإنى إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى ـ لمرتقب أن أجد لهذا العمل التعاونى صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

والله أسأل العونَ ، ولزام الصواب ، وصالحَ التوفيق .

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

الرسالة المصرية

لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى

٤٧٠ — ٥٢٨

مقـــدمة

نزح كثيرون من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه، أو رغبة في أداء فريضة الحج، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمَعَ إلى الأدب الحكمة، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضةَ، والبراعة في علم الحِيَل. هذا الرجل هو أبو الصَّلْت أُمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، المولود في مدينة دانية، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ.

قدِمَ أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أُمّه ـ فيما يروى ابن خَلِّكان ـ سنة ٤٨٧، أي في أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله؛ ووزيرُه إذ ذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني.

وكان يأمُل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطةً في العيش، وثَرَاءً من المال، كما أشار إلى ذلك في صدر رسالته. ويبدو أنه ظل دهراً خاملا يتحيَّن الفرص، إلى أن أُتيح له أن يتّصل بأحد المقرَّبين إلى الوزير الأفضل[1]، في أيام الخليفة الآمر[2]، وذلك الرجل هو تاج المعالي مختار[3]، فخدمه بصناعَتَي الطبّ

---

(١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمي سنة ٤٨٧ بعد وفاة أبيه بدر الجمالي، ثم وزر للمستعلي بالله أحمد سنة ٤٨٨، ثم للآمر بأحكام الله سنة ٤٩٦. وقد استبد بهؤلاء الخلفاء جميعاً إلى أن تمكن منه الآمر ودبر مقتله، فقتل سنة ٥١٥. النجوم الزاهرة (٥ : ٢٢٢).

(٢) هو الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله. ولد في سنة ٤٩٠ واستخلف وله خمس سنين، وقيل سنة ٥٢٤. انظر النجوم الزاهرة (٥ : ١٧) والخطط المقريزية عند ذكر «الجامع الأقمر».

(٣) معجم الأدباء (٧ : ٥٤).

والتنجيم، فأعجب به، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه، وكان كاتبُ الأفضل ينفَس عليه ذلك، ويخشى بأس تاج المعالى، وحدث أن تتابعت من تاج المعالى السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله، فيجد كاتب الأفضل الفرصة سانحة للقضاء على أبى الصلت، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقى به فى سجن المعونة[1] بمصر، مدة ثلاث سنين وشهر[2]، بعد الذى دبّج فيه من المدائح والشعر[3].

ويروى ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء، أن دخول أبى الصلت إلى مصر كان فى حدود سنة ٥١٠ هـ، وأنه حبس فى الإسكندرية فى خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل[4]. فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً فى أن أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة ولى نعمته أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس[5] المتوفى سنة ٥٠٩، وهى سنة خروجه من مصر.

---

(١) ذكر المقريزى هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية المنسوبة إلى المأمون البطائحى. قال: «وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة» ثم قال: «ولم يزل هذا الموضع سجناً مدة الدولة الفاطمية، ومدة دولة بنى أيوب، إلى أن عمره الملك منصور قلاوون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ٦٨٠». وقال: «وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرباب الجرائم ... وأما الأمراء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود». والدار المأمونية هى المعروفة بالمدرسة السيوفية.

(٢) وقد روى المقرى فى نفح الطيب (١ : ٥٣٠ ليدن) رواية عجيبة: أن عمر أبى الصلت ٦٠ سنة، منها ٢٠ فى أشبيلية، و ٢٠ فى أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين، و ٢٠ فى مصر محبوساً فى خزانة الكتب.

(٣) انظر بعضها عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٣، ٥٦).

(٤) ذكر ابن أبى أصيبعة سبب حبسه فى الإسكندرية: أن الأفضل طلب إليه أن يعمل الحيلة فى رفع مركب غارق فى البحر، فاجتهد أبو الصلت، ولكنه حينما قارب النجاح خانه جده، فهبط المركب إلى قعر البحر، بعد ما كبد الدولة خسائر فادحة، فحبسه الأفضل لذلك.

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم، المغرب سنة ٥٠١ واستقر فى ملكه إلى أن توفى سنة ٥٠٩. انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون (ص ٣٩ — ٤٠).

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، وما لقى فيها من الخيبة والعنت . قال القفطى[1] :

« ودخل مصر فى أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنّيل فلم يجد لديه نوالا » . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب فى سنة ٥٠٦ ، واستمداد صلته بحضرة أبى الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذى وضع له هـذه « الرسالة المصرية » يصف له فيها ما عاينه فى مصر وما عاناه ، وتناول فى هذه الرسالة القيمة :

١ ـ الوصف البلدانى للديار المصرية ونيلها .

٢ ـ ثم أخذ فى تصوير جمال ربوعها ومغانيها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .

٣ ـ وعقّب على ذلك بالكلام فى سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم، وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .

٤ ـ وتحدث بعد ذلك فيما تحتويه من الآثار العجيبة ، كالهرمين والبرابى .

٥ ـ وذكر عواصم مصر فى القديم والحديث .

٦ ـ وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى ندرة من لقيه بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .

٧ ـ وعجب من جهل من لقى بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء البارعين .

٨ ـ وتحدث فى ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، وأورد فى ذلك نوادر وطرائف .

٩ ـ ثم عرّج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .

فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى ، وتعدّ اليوم كما عدت

---

(١) انظر أخبار العلماء للقفطى (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها البلدانى ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعى ، والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

* * *

هذه الرسالة الصغيرةُ الحجم العظيمة القدر كانت متعارَفة متداوَلةً بين كبار العلماء والمؤرِّخين ، ثم أضحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكّن المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا ــ طيب الله ثراه ــ من اقتنائها فى مكتبته الخاصة ، وهى برقم ٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة فى العالم ــ كما يتّضح من مراجعة فهارس بروكلمان(١) ــ أعتمدُ فى نشر هذه الرسالة الفريدة ، التى أورد طرفاً منها ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، والعماد فى « الخريدة » ، والقفطى فى « إخبار العلماء » ، وابن أبى أُصيبعة فى « عيون الأنباء » ، والأسعد بن مماتى فى « قوانين الدولة » ، والمقَّرى فى « نَفح الطيب » ، والمقريزى فى « الخطط » ، والأدفوى فى « الطالع السعيد » ، والسُّيوطى فى « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند تحقيق نصوصها .

ولأبى الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للثعالبى ، وقد نقل منه العماد فى « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية المفردة » وهو محفوظ فى مكتبة بودليان ؛ و « رسالة فى العمل بالأسطرلاب » فى برلين وليدن وبودليان ، و « تقويم الذهن » فى المنطق ، بمكتبة الإسكريال ، و « أوراق من كتاب فى الفلك » بالإسكريال ، و « كتاب فى المعانى المختلفة للفظة نقطة » فى مكتبة ليدن ، و « قصيدة » بمكتبة برلين .

---

(١) انظر بروكلمان (١ : ٤٨٦ — ٤٨٧) وملحقه الأول (ص ٨٨٩) . على أنى عثرت فيما بعد على قطعة من الرسالة المصرية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٥٤ تاريخ ، سأنبه على موضع بدئها ونهايتها فى الحواشى .

وقد صنف معظم هـذه الـكتب وهو فى اعتقال الأفضل بمصر ، كما نص ابن خلـكان .

* * *

انتهت أيام أبى الصلت فى المهدية ، وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨ [(١)] .

وإليك الرسالة :

---

(١) انظر ترجمته عند ياقوت (٧ : ٥٢) وابن خلـكان (١ : ٨٠) والقفطى (٥٧) والمقرى (١ : ٥٢٠) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصّلت رحمه الله تعالى :

كنت إبانَ عصرُ الشباب مونقٌ، وغصن الصّبا مورق .

إذْ لِمّتي مســـودةٌ ولمـاء وجهي رونق(1)

ممن سامحه الدهرُ بغفلة من غفلاته ، وتجافَى له عن غفوةٍ من غفَواته ، فعاش آمِنَ السِّرْب، سائِغَ الشِّرب ، لا يتفرّغ من أدبٍ يرود رياضه ، ويرِدُ حِياضَه ، إلا إلى طربٍ يعمُرَ نَيدانَه ، ويسحب ذيولَه وأردانه . ثم تلوّن فقلب لي ظهر مِجَنِّه ، وسقاني دُرْدِيّ دنِّه ، فتدارك ما أغفلَه، واستردّ ما بذلَه ، واضطُرِرْتُ إلى مفارقة الوطن ، والخروج عن العطن ، فتماسكت إشـفاقا من مفارقة أولِ أرضٍ مسّ جلدي ترابها ، وشُدَّتْ عليّ التمائم بها(2) . وجاءت أمورٌ لاتطاقُ كِبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبقَ إلا الفِرار ، قلت : ليس لي إلا أن أرمىَ بنفسي كلّ مرمًى ، وأطرحَها كلّ مَطْرَح .

لأُبلِـغ عُذراً أو أنالَ رغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجِحِ(3)

وسكنت إلى البيت المشهور :

---

(1) اقتبسه من قول أبي الطيب المتنبي وتصرف فيه :

ولقد بـكيت على الشباب ولمتي مسودة ولمـاء وجهي رونق

(2) اقتباس من قول رقاع بن قيس الأسدي :

بلاد بهـا نيطت على تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

اللسان (نوط) وأمالي القالي (١ : ٨٣) .

(٣) اقتبسه كذلك من قول عروة بن الورد ، ورواه أبو تمام في الحماسة (١ : ١٨٨) :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عـذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

تلقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان[1]

وإن كان يقول العامّة : ليس بين بلد وبلد نسب ، فخير البـلاد ماحملك ، فجعلت أستقرِى البـلادَ لأتيمّمَ أوفقَها للمُقام ، وأعونَها على مقارَعة الأيام ، فكانت مصرُ مما وقع عليـه اختيارى ، وصدَّقَتْ حسنَ ظنى قبل اختبارى ، وسرتُ قاصداً إليها أعتسِف المجاهل والتنائف ، وأخوضُ المهالكَ والمتالف ، فطوراً أمتطى كلَّ حالكة الإهاب[2] ، مسودَّة الجلباب ، ثابتةٍ كصبغة الشباب ، قد فُسِح ميدانُها ، ووُضع براحة الرِّيح عنانُها ، فجرت جرىَ الطِّرف الجموح ، وفاتت مدى الطَّرف الطموح ؛ وطوراً كلَّ نقِبِ الأياطل ، كالهياطل[3] ، سَبْط المشافر جعد الأشـمار ، أحتذى العقيقَ ، أو الصِّنو الشقيق ، إن علا قلتَ ظليمٌ خاضب ، وإنْ هوَى قلت شهابٌ ثاقب ، يصـل الذَّميل بالوِخاد[4] ، ويلتهم التهائم والنِّجاد . فكم جِزْعِ وادٍ جزَعتُه ، وجلبابِ ليـل ادَّرعته ، وكم برٍّ خرقت مخارمه وفجاجَه ، وبحرٍ شققت غواربَه وأمواجه ، وليس لى غيرَ مصر مقصدٌ ، ولا وراءها مذهَب ، ولا دونها للغنى متطلَّب .

وكم فى الأرض من بلدٍ ولـكن عليكِ لشقوتى وَقَع اختيارى

فلما تغمَّرتْ ركابى من النـيل ، واستذْرَت بظلِّ المقطم ، ألقيتُ عصا التَّسيار ، واستقرّت بى النَّوى ، وخفّت ظهورهن من الرِّحال ، وأرحتُهنَّ من الحِلِّ والتَّرحال ، وقلت : ضالّتى المنشودة ، وبُغيتى المقصودة ، هاهنا ألبثُ وأقيم ،

---

(١) البيت من أبيات فى الحماسة (١ : ٩٨) . وقبله :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس الى أهل وأوطان

(٢) يعنى السفينة .

(٣) إنما نقبت أياطله من إدمان السـير . والنقب ، هنا : تنفط الجلد . والهياطل : جمع هيطل ، وهو الذئب ؛ يشبه به الفرس فى شدة العدو . وفى الأصل : « نقب الأياطيل كهياطيل » .

(٤) المسموع فى مصدر وخد هو الوخد والوخدان .

فلا أبرح ولا أريم، « بلدةٌ طيِّبة وربٌّ غفور » . وحيث التفتَّ فروْضةٌ وغدير، وخورنقٌ وسدير، وظِلٌّ ظليل، ونسيم عليل .

وكم تمنّيت أن ألقى بها أحداً   يُسلِى من الهم أو يُعدِى على النُّوَب (١)
فما وجدتُ سوى قوم إذا صدقوا   كانت مواعيدهم كالآل فى الكذب (٢)
وكان لى سببٌ قد كنت أحسَبنى   أحظَى به فإذا دائى من السَّبب
فما مقلِّمُ أظفارى سوى قلمى   ولا كتائبُ أعدائى سوى كتبى (٣)

ولم تطُلْ مدة اللُّبث حتى تبيَّنْتُ بما شاهدتُه أنى فيها مبخوسُ البضاعة، موكوس الصناعة، مخصوصٌ بالإهانة والإضاعة؛ وأنّ عيشَها الرغدَ، مقصورٌ على الوغد، وعقابَها المرّ، موقوف على الُحرّ، فلو تقدّمتُ فملت ذلك لخفّ عنها مركَبى (٤) وصرفت إلى سواها وجهَ مطلبى، ولكان لى فى الأرض مرمًى شاسع، ومُنتابٌ واسع، بل نشَّبطت، حتى تورّطت، حتى عومِلت بما يُعامَل به ذوو الجرائر والذنوب، وجرّعت من المذلة بأوفى ذَنوب . هـذا مع ما حبَّرته من المِدَح التى اشتهرت شهرةَ الصبّاح، وهبّت هبوبَ الرياح، ولهِج بها الحادى والملاّح (٥) .

فسار بها من لا يسير مشمِّراً   وغنَّى بها من لا يغـنِّى مغردَا

إلاّ أنَّ الله جلت آلاؤه، وقدّست أسماؤه، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة بالمِنْحة، ونسخ تلك النقمة بالنعمة، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، الذى لم تَزل حضرته مَصَاد

---

(١) فى الأصل : « من النوب »، صوابه فى ياقوت (٧ : ٨٠) والقفطى (٥٧) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٦٠) . وقد اقتبس هذه الأبيات من شعر له قديم ، كما يفهم من رواية ابن أبى أصيبعة .

(٢) فى الأصل : « كالألف » ، صوابه فى ياقوت والقفطى وابن أبى أصيبعة .

(٣) فى الأصل « كتائب أعوانى » ، والصواب من المراجع .

(٤) فى الأصل : « لخف » .

(٥) انظر مديحه للأفضل فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٦) .

العُناة(١)، ومَراد العُفاة، ومجتمَع الفضائل، ومنتجَع الأفاضـل، ومشرَع الجود، ومشعَر الوفود. فلما استترت بجناحه، واستظهرت باستماحه، أعذب لى بسماحة الدهر جناه، واعتـذر لى مما جناه، فكفَّ دونى كفَّه، وصرف عنى صَرفه.

كريم رفضت الناس لما بلغته كأنهـمُ ما خفَّ من زاد قادم

فكنت فيما مضيت عليه، وآلت حالى إليه، من إشراقها بعـد الأفول، وإبراقها بعد الذبول، كنصل أهمَلَ أمرَه، من جهل قدره، ولما وقع إلى الخبير به صان صفحتَه وحدَّه، وحلَّى حمائله وغِمدَه، ثم ادَّخره فيما يدّخر وأعدَّه، فإن انتضاه، يوماً ارتضاه، وإن جرَّده، أَحمَدَه، وإن هزَّه، سرَّه فى الضريبة حزُّه. ولـكن أبى الله أن يكون الفضل إلا لمن نشأ فى مغارسه، ونجم فى منابته، ورَبِىَ فى حجره، وغُذِىَ بدَرِّه.

فلم أستسِغْ إلاَّ نَداه فلم يكن ليمذِلَ عندى ذا الجنابَ جنابُ
فما كلُّ إنعام يخفُّ احتمالُه وإن هَطلت منه علىَّ رباب(٢)
ولـكن أجلُّ الصنع ما جلَّ ربُّه ولم يأتِ بابٌ دونه وحِجاب
وما شئت إلا أن أدُلَّ عواذلى على أنَّ رأيى فى هواكَ صواب(٣)
وأُعلِمَ قوماً خالفونى فشرَّقوا وغرَّبتُ أنى قد ظفرت وخابوا

والأَولى أن أَضربَ عمّا سلف، وأَتركَ ما فَرَط، وآخذَ فيما أَجريت إليه وقصدته، ونحوته واعتمدته، ممّا آثرت به الحضرة الساميَة(٤) ـ أدام الله

(١) المصاد: موضع الصيد. والعناة: جمع عان، وهو الأسير.
(٢) الرباب: سحاب يركب بعضه بعضاً، الواحدة ربابة. وفى الأصل: « لدى ولا منه على »، صوابه من ياقوت (٧: ٥٩)، وقافيته فيه « سحاب ».
(٣) البيت وتاليه للمتنبي فى ديوانه (١: ١٢٧) برواية العكبرى.
(٤) فى الأصل: « الشامية ».

سموّها ـ من وصف ما عانيتُه من أرض مصر وعاينته ، والاقتصارِ على الذى رأيته دون مارويته ، فليس من يقول : علمتُ هذا من طريق العلم والسماع ، كمن يقول : تحققتُه بالمشاهدة والاطلاع ، فإنّ ذا اللب الأمينَ لا ينخدع بمحال ، ولا يرضى بانتحال .

* * *

وأنا أبتدئ بذكر هـذه البلاد وموقعها فى المعمورة ومجرى النـيل منها ، وغَنائه فيها ، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم ، وسيَرهم وعاداتهم ، وما يتصل بذلك وينْجرّ معه ، ويجىء بسببه ، ويدخل فى تضاعيفه . وهأنذا آخذ فى ذلك ، وبالله أستعين ، وعليه التوكل .

* * *

(١) أرض مصر بأسرها واقعةٌ من المعمورة فى قسمى الإقليم الثانى والإقليم الثالث ، ومعظمها فى الثالث .

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول (٢) من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى ، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين . ومسافة ذلك قريبٌ من أربعين يوما .

قالوا: وحدُّها فى العرض من مدينـة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة ، إلى رشيد (٣) وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً . ويكتنفها من مبدئها فى العرض إلى منتهاها جبلان [أحدهما فى الضـفة الشرقية من النيل ، وهو المقطم ، والآخر فى الضـفة الغربية منه . والنيل منسرب فيما بينهما . وهما (٤)] أجردان غير شامخين ، يتقاربان

(١) الـكلام من هنا إلى كلمة « الاستقامة » نقله المقريزى فى (١ : ١٥ ـ ١٦) .
(٢) هذا تسجيل تاريخى بلدانى لما كانت عليه حدود مصر فى عهده .
(٣) فى الأصل : « لأرض الشام ورشيد » ، صوابه من الخطط .
(٤) التـكملة من الخطط .

جدًّا فى وضعيهما ، من لدنْ مدينة أسوان إلى أن ينتهى إلى الفسطاط، فثَمَّ تتسع مسافةُ ما بينهما وتنفرج قليلا، ويأخذالمقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وِراب فى أخذيهما(١) وتفريج(٢) فى مسلكيهما ، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومىالذى عليه الفرماء(٣) وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية، وهناك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة [مابين] أوغلها فى الجنوب و [أوغلها] فى الغرب والشمال . وإذا مامُسحت بالطريق البرهانية فىطريق هذه المسافة [من الأميال(٤)] لم تبلغ ثلاثين ميلا(٥) ، بل تنتقص عنها نقصاً ماله قدر ، وذلك لأن فضل ما بين عرض أسوان التى هى أوغلها فى الجنوب وعرض مدينة تنيس التى هى أوغلها فى الشمال ، تسعة أجزاء ونحو سدس جزء من الأجزاء التى بها تحيط الدائرة العظمى ، [وهى(٦)] ثلثمائة وستون جزءا . وليس بين طوليهما فضلٌ يقع بسببه فى هذا الحساب مالَه قدرٌ يعتدّ به . فإذا ضاعفنا هذا العدد بمايخصُّ الدرجةَ الواحدة من محاذاة ذلك من الأميال ، وذلك ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على مادل عليه البرهان ، كان ذلك(٧) نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب ، وذلك مسافة سير عشرين يومًا أوقريب من ذلك(٨) . وفى هذه المدة من الزمان يقطع السُّفَّار أبدا مابين هذين البلدين بالسير المعتدل فى أكثَرَ من ذلك قليلا ، لما فى الطريق من التعريج وعدم الاستقامة(٩) .

---

(١) فى الخطط : « مأخذيهما » .
(٢) فى الأصل : « وتعريج » ، صوابه فى الخطط .
(٣) فى الأصل : « الهرمان » ، وتصحيحه من الخطط .
(٤) هذه التكملة والتى قبلها من الخطط .
(٥) فى الأصل : « يوماً » ، ووجهه ما أثبت من الخطط .
(٦) ليست فى الأصل .
(٧) فى الأصل : « من ذلك » .
(٨) نقل عنه فى النجوم الزاهرة (١ : ٣٦) أنها ثلاثون يوما
(٩) إلى هنا ينتهى نقل المقريزى .

وليس تشتمل أرضُ مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسىُّ الدولة، على مدائنَ لها قدرٌ فى كثرتها ولا فخامتها ، لكن أجلُّ مدائنها وأفخرها أما فى الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط ، وأما فى الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط . فهذه صفة أرض مصر على الجملة .

* * *

(١)وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمَر ، فإنه يبتدئُ بالتزيُّد فى شهر أبيب(٢) ، الذى هو بالرومية يولية(٣) . والمصريون يقولون : « إذا دخل أبيب ، كان الماء دبيب » . وعند ابتدائه فى التزيد(٤) تتغير جميعُ كيفياته وتفسُد ، والسّبب الموجب لذلك مُرورُه بنقائع مياهِ آجنة(٥) يخالطها فيجتلبها ، ويستخرجها معه ويستصحبها ، إلى غير ذلك مما يحتمل(٦) . فتصير مثل الحال التى وصفه بها الأمير تميم بن المعز لدين الله :

أما ترى الرعدَ بكى فاشتكى والبرقَ قد أومض فاستضحكا(٧)
فاشربْ على غيمٍ كصِبْغ الدُّجى أضحكَ وجهَ الأرضِ لمّا بكى(٨)
[وقد حكى العودُ أنينَ الهوى لكنّه جوَّدَ فيما حكى](٩)

---

(١) من هنا يبتدئُ نقل آخر للمقريزى فى (١ : ٥٩) .
(٢) فى الخطط : « التزايد » . والتزيد والتزايد بمعنى .
(٣) ما بعد « أبيب » ليس فى الخطط . وفى الأصل : « قوليه » .
(٤) فى الخطط : « التزايد » .
(٥) فى الأصل : « بنقاء مع مياه آجنة » ، والصواب فى الخطط .
(٦) الكلام والشعر بعد هذا لم يورده المقريزى .
(٧) فى الأصل: «الجو من إظلامه قد اشتكى»، ولا يستقيم به الوزن، إذ هو من السريع. وأثبت ما فى ديوان تميم الورقة (١٢٠) من مصورة دار الكتب ذات الرقم (١٦٠٢٥ ز) ، وهذه الرواية هى التى ذكرها الثعالبى فى يتيمة الدهر (١ : ٣٤٩) الطبعة الأولى .
(٨) فى الأصل : « يشبه التحقيق كصبح» تحريف، وأثبت ما فى الديوان ويتيمة الدهر .
(٩) إثبات هذا البيت من ديوان تميم .

وانظرْ لماء النيل فى مدّه كأنما صُندل أو مسّكا

أو كما قال غيره من أهل العصر ، من قصيدةٍ يصف فيها أرض مصر :

ولله مجرى النيل منها إذا الصَّبا أرتنا به فى مرّها عسكرًا مَجْرا(١)
فشَطٌّ يهزُّ السمهريّةَ ذُبَّلا وموجٌ يهزُّ البيضَ هنديّةً بترا
إذا مَدَّحا كى الورد غَضًّا وإن صفا حكى ماءه لونا ولم يَعدُه نشرا(٢)

وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سريّة لنفسه :

راقنى النهرُ صفاءً بعد شوقى لصفائه
كانَ مثل الورد غَضًّا ثم قد صار كمائه

ولأبى بكر الصَّنَوبرىّ(٣) فى مثل هذا المعنى :

ولقد طربتُ إلى الفُرا تِ بكلِّ ذى كرمٍ ومجدِ
والشمسُ عند غروبها صفراءُ مذهبةُ الفِرِند
والماء حاشيتاه خضراوانِ من آسٍ ورَند(٤)
تحبوه أيدى الريح إن هبّت على قرب وبُعد
بطرائفٍ من فضة وطرائفٍ من لازَوَرد
والسفن كالطير انبرت فى الجوّ من مَثْنَى وفرد
حتّى إذا جزَرَ الفرا تُ مضى وأعقبه بمدّ(٥)

(١) يقال للجيش العظام : مجر ، لثقله وضخمه .

(٢) حكى ماءه ، أى أشبه ماء الورد فى لونه . وفى الأصل : «حكى ماؤه نافلم» تحريف .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المرار، المعروف بالصنوبرى الحلبى . قال السمعانى فى الورقة (٣٥٥) : نسبة إلى الصنوبر . وانظر تعليلا آخر فى مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦) . ووفاته سنة ٣٣٤ هـ . كما فى شذرات الذهب . وانظر فوات الوفيات (١ : ٧٧) .

(٤) الرند : شجر من أشجار البادية طيب الرائحة ، ويقال للآس « رند » . وفى الأصل : « وورد » ، ولا وجه له .

(٥) فى الأصل : « بورد » ، ووجهه ما أثبت .

أبصرتَه وكأنه ملقًى عليه رداءُ وردِ
متململاً كالصبّ أو ذِنَ من أحبّته بصَدّ
وكأنّما بِحَشاه ما بحشايَ من قلقٍ ووَجد

وقال تميم المعز، وأحسن التشبيه(١) :

يوم لنا بالنيل مختصَرُ وبكلِّ يومِ مسرةٍ قِصَرُ
والسُّفْنُ تصعدُ كالخيول بنا فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
فَكأنّما أمواجُه غُرف وكأنما داراته سُرر

وقال محمد بن الحسن :

النهر مكسوٌّ من الأزهار بردًا أنيقًا مثل ثوب . . .
. . . . يجرى بمسك أو بذوب نضار(٢)
وإذا استقام رأيت صفحة مُنْصُل وإذا استدارَ رأيت عَطف سِوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير، فى تدرُّج زيادة الماء إصبعًا إصبعًا، ومنفعةِ ذلك التدرُّج :

أرى أبدًا كثيرًا مِن قليل وبدرًا فى الحقيقة مِن هِلال
فلا تعجبْ فكلُّ قليلِ ماءٍ بمصرَ مسبِّب لخليج مالِ
زيادةُ إصبعٍ فى كلّ يوم زيادةُ أذرع فى حُسن حال

فإذا كان فى الخامسَ عشرَ ذراعًا وزاد من السادسَ عشر إصبعًا واحدة كُسِر الخليج(٣) .

ولكسره يوم معدود، ومَقام مشهود، ومُجتمَع غاصٌّ، يحضُره العامّ والخاص . وإذا كُسِر فتحت التُّرع ـ وهى فوّهات الخلجان ـ ففاض الماء

(١) الأبيات التالية لم أجدها فى ديوان تميم .
(٢) فى الأصل : « يجرى لسك ذوب نضار » .
(٣) فى الأصل : « نفعت نفعاً عظيما » ، وأثبت ما عند المقريزى فى (١ : ٥٩) .

وساح، وعم الغيطانَ والبطاح[١]، وانضمّ الناسُ إلى أعلى مساكنهم من الضِّياع والمنازل، وهى على آكام وربًى لاينتهى إليها الماء، ولا يتسلط السيل عليها، فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بحرًا غامرًا لما بين جبليها المكتنفين لها. وتثبت على هذه الحالِ ريثما يبلغ الحدَّ المحدود، فى مشيئة الرب المعبود. وأكثر ذلك يحوم حول ثمانيةَ عشرَ ذراعًا، ثم يأخذ عائدًا فى منصبه، إلى مجرى النيل [ومسربه، فينضب أوّلاً عما كان[٢]] من الأرض مشرفًا عاليًا، ويصير فيما كان منها متطامنًا[٣]، فيترك كلَّ قرارة كالدرهم، ويغادر كلَّ تلعة كالبُرد المسهَّم. وفى هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شىء منظرًا، ولا سيما متنزَّهاتها المشهورة، ودياراتها المطروقة، كالجزيرة، وبركة الحبَش[٤] وماجرى مجراها من المواضع التى يطرقها أهل الخلاعة، ويتتابها ذوو الأدب والطرب.

واتّفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمانِ إلى بركة الحبَش، فافترشْنا من زهرها أحسنَ بساط، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق، وطلعت علينا من زُجاجات الأقداح شموسٌ فى خِلَع البدور، ونجومٌ[٥] بالصفاء تنور، إلى أن جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء، ونشِبت نار الشفق بفَحمة الظلماء، فقال فى ذلك بعضُنا[٦]

---

(١) فى الخطط: « وغمر القيعان والبطاح ».

(٢) مكان هذه التكملة التى أثبتها من الخطط بياض فى الأصل.

(٣) بدل هذه الجملة فى الأصل « ... متحفظ ... نسطاميا»، ولا كماله وصوابه من الخطط.

(٤) كانت فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل. وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى، ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها. وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين، وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لقرية البساتين. انظر الخطط (٢ : ١٥٢) والنجوم الزاهرة (٥ : ١٤).

(٥) فى الأصل: « وجوم ».

(٦) يعنى نفسه. وجاء فى الخطط (٢ : ١٥٥): « وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: « وخرجت مرة حبث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى عفا الله عنه ». وأنشد الأبيات التالية. وجاء فى (٢ : ١٦٠) : « بئر أبى سلامة وتعرف ببئر الغنم، وهى من قبلى النوبية، وموضعها أحسن موضع فى البركة، وهى التى عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله ». وأنشد الأبيات، ورواها ياقوت فى ترجمة أمية منسوبة إليه.

لله يومى ببركة الحبشِ والأفق بين الضياء والغبَشِ
والنيلُ تحت الرياح مضطربٌ كصارم فى يمينِ مرتعشِ
قد نسجتها يدُ الغمام لنا فنحن من نَسجها على فُرُش
ونحن فى روضة مفوّفة دُبِّج بالنَّور عِطفها ووُشى[(١)]
فعاطِنى الراحَ، إنّ تاركها من سورة الهم غير منتعش
وسقِّنى بالكبارِ مترعةً فهنّ أروى لشدّة العطش[(٢)]
فأثقلُ الناس كلِّهم رجلٌ دعاه داعى الصبا فلم يَطِش[(٣)]

وقال أيضاً :

علِّلْ فؤادَك باللذات والطَّربِ وباكِرِ الرّاحَ بالنايات والنُّخَب
أما تَرى البِركة الغنّاء لابسةً وشياً من النَّور حاكته يد السُّحُب
وأصبحَتْ من جديد النَّبْت فى حُلَل قد أبرز القَطرُ منها كلَّ محتجِب
من سَوسنٍ شرِقٍ بالطَّلّ محجِرُه وأقحوانٍ شهىِّ الظَّلْم والشنَبِ
وانظر إلى الورد يحكى خدّ محتشمٍ من نَرجس ظلّ يُبدى لحظَ مرتقِب
والياسمينَ وقد أربَى على درر والراح من دُرَر تطفو على ذهب
كم مرّة قد شفينا فيه غُلّتنا بجاحمٍ من فم الإبريق ملتهِب[(٤)]
شمسٌ من الراح حيّانا بها قمرٌ موفٍ على غصُن يهتزّ فى كُثُب
أرخى ذوائبه، وانهزّ منعطفاً كصَعدة الرمح،فى مسودّة العَذَب
فاطربْ ودونكها فاشربْ فقد نعبت على التصابى دواعى اللهو والطرب

ومما يتعلّق بوصف النيل من أبياتٍ له كتبها إلى الأفضل ليلة المهرجان :

(١) فى الأصل : « ذبح بالقطر » ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .
(٢) فى الأصل : « لعل أروى » . وفى معجم الأدباء : « فهن أشفى » .
(٣) فى الأصل : « يدعوه داعى الصبا » ، وأثبت ما فى الخطط ومعجم الأدباء .
(٤) فى الأصل : « علتنا » بالمهملة .

أبدعتَ للناس منظرًا عجبًا لا زلت تُحيي السرورَ والطربا
ألفت بين الضِّدَّين مقتدرًا فمن رأى الماءَ خالطَ اللهبا
كأنما النيل والشموعُ به أفقُ سماء تألقت شهبا
قد كانَ من فضَّةٍ فصار سمًا وتحسبُ النارَ فوقه ذهبا

وقد تعاور الشعراء . . . . . شعاع على صبح . ومن مليح ما قيل في ذلك قول بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن على بن أبي البشر الكاتب :

شربْنا معْ غروبِ الشمس شمساً مشعشعةً إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع فوق النيل باد كأطراف الأسنة في الدُّروع

وأنشد أبو منصور الثعالبي (في يتيمة الدهر) لمنصور بن كيغلغ[1] :

قام الغلامُ يديرها في كفه فحسبتُ بدر التمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للأفول كأنه قد سَلَّ فوق الشطِّ سيفًا مذهبًا[2]

وأنشد فيه[3] للقاضي أبي القاسم على بن إبراهيم بن أبي الفهم التنوخي :

أحسِنْ بدجلةَ والدُّجى متصوِّبُ والبدر في أفق السماء مغرِّبُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طراز مُذهبُ[4]

وقال ابن وكيع التِّنِّيسى :

غدير يدرِّج أمواجَه هبوبُ الشمال ومَرّ الصَّبا
إذا الشمسُ من فوقه أشرقَتْ توهّمتَه جَوشنًا مُذهَبا

---

(١) في الجزء الأول من يتيمة الدهر (ص ٦٥) . وقبل البيتين :
عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ياصاحبي فسقياني واشربا
كم ليلة سامرت فيه بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

(٢) في الأصل : «فوق اللحظ» ، وفي اليتيمة : « فوق الماء » . وانظر ماسيأتي في شعر ابن التمار الواسطي .

(٣) أي في هذا المعنى أو في كتاب يتيمة الدهر . انظر اليتيمة (١ : ٦٥) .

(٤) في الأصل : « وكأنه فيه طراز » ، والوجه ما أثبت من اليتيمة .

وقال بعض أهل العصر من قصيدة :

باطى نهر كان الر وهو اللجين به ذوبا[1]
إذا حمشته الصبا رأيته كأنه زردًا مذهبا

وقال أبو عُبادة البحتريّ يصف بِركة :

إذا علتها الصبا أبدت بها حُبُكا مثلَ الجواشنِ مصقولاً حواشيها[2]
إذا النجومُ تراءت فى جوانبها ليلاً حسبتَ سماءً رُكِّبت فيها

وقد أحسن عبدُ الله بن المعتز فى قوله :

وتبدّى لهن بالنجف الأقـ ـفر ماءٌ صافى الجِمام غرىّ[3]
فإذا قابلته دُرّةُ شمس خلتَه كسّرت عليه الحلىّ[4]

وقال ابن التمّار الواسطى يصف ضوء القمر على دجلة :

قفْ فانتصف من صروف الدهر والنُّوَبِ واجمعْ بكأسك شملَ اللهوِ والطَّربِ
أمَا ترَى الليلَ قد ولّتْ عساكرُه مهزومةً وجيوشَ اللهو فى الطلب
والبدرُ فى الأفق الغربىِّ تحسبه قد مدَّ جسراً على الشطَّين من ذهب

وقال محمد بن عبد الله السّلامى :

ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيه مِراحَ الخيل فى رَهَج الغبار
إذا اصفرّت عليه الشمس خِلْنا نميرَ الماء يُمزج بالعُقار

* * *

وأمّا سكّان أرضِ مصرَ فأخلاطٌ من الناس مختلفةُ الأصناف[5] : من قِبط وروم وعَرَب وبربر وأكرادٍ ودَيلم وحُبشان وأرمن[6] ، وغيرِ ذلك من

(١) كذا ورد البيتان على ما بهما من تحريف .
(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويصف بركته . الديوان ٣١٩ .
(٣) الغرى : البارد ، يقال غرى الغدير : برد ماؤه .
(٤) فى ديوان ابن المعتز ٦١ : « فإذا ضاحكته » .
(٥) فى الخطط (١ : ٤٨): « مختلفو الأصناف » .
(٦) هذه الكلمة ليست فى الخطط .

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم، وقالوا: إن السبب فى اختلافهم، والموجب لاختلاطهم، اختلاطُ المالكين لها، والمتغلّبين عليها، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم، فلهذا اختلطت أنسابُهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم[1]، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم.

وحكى جماعةٌ من المؤرّخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عُبّادَ أصنام، ومدبرى هياكل، إلى أن ظهر دينُ النّصرانية وغَلب على أرض مصر فتنصّروا، وبقُوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأسلم بعضُهم وبقى بعضٌ على دين النصرانية، ومذهبهم مذهب اليعاقبة.

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتّباع الشهوات، والانهماكُ فى اللذات، والاشتغال بالتُّرّهات، والتصديقُ بالمحالات، وضعفُ المرائر والعزَمات، إلى غير ذلك مما حكاه أبو الحسين على بن رضوان فى ذلك واقتصّه، وأورده من الأمور الطبيعية وموجبه[2]، وكفى به حَكَماً منصفاً، وشاهدًا عدلاً.

وحكى الوصيفيُّ فى كتابه الذى ألّفه فى أخبار مصر أنّ أهلَها فى الزمن السابق كانوا يعتقدون أنّ هذا العالم، الذى هو عالمُ الكون والفساد أقام برهةً من الدهر خالياً من نوع الإنسان، عامرًا بأنواع أُخَر غير الإنسان، وأن تلك الأنواعَ مختلفةٌ على خِلق فاذّة[3]، وهيئات شاذّة، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازَعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها، وأفنى أكثَرَها قتلاً، وشرّد مابقى منها إلى القفار، وأن تلك المشرّدة هى الغيلان والسّعالى وغير ذلك، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة، وتصوّراتهم الفاسدة، وتوهّماتهم النافرة. إلا أنه يظهر من

(١) فى المخطوط: «على الإشارة إلى مواضعهم».
(٢) كذا وردت هذه الكلمة.
(٣) الفاذة: المنفردة. وفى الحديث: «هذه الآية الفاذة»، أى المنفردة فى معناها.

أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم[(١)] . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشغال[(٢)] البديعة المعجزة ، كالأهرام والبَرابِىّ، فإنها من الآثار التى حيَّرت الأذهان[(٣)] [الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة] ، وتركت لها شغلاً بالتعجُّب منها، والتفكُّر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى فى قصيدته التى يرثى بها أباه[(٤)] :

تضلُّ العقولُ الهِبْرِزِيّاتُ رشدَها ولا يسلمُ الرأى القويم من الأفْنِ
وقد كان أربابُ الفصاحة كلّما رأوا حَسَناً عدُّوه من صَنعة الجِنّ

وأىُّ شىء أعجبُ وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم [جَسِيم[(٥)]] من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع ونحو سبعةَ عشر ذراعاً[(٦)] يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كلِّ ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا[(٧)] وهو مع هذا العِظَم[(٨)] ، من إحكام الصَّنعة وإتقانها[(٩)] ، فى غايةٍ من حسن التقدير بحيث لم يتأثّر[(١٠)] إلى هلمّ جرّا[(١١)] بعصف الرياح وهَطْل السحاب ،

---

(١) فى الخطط (١ : ١١٨) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم » .
(٢) فى الخطط : « من الصنائع » .
(٣) فى الأصل : « الآثار البعيدة من الأذهان»، صوابه من الخطط .
(٤) فى سقط الزند (١ : ١٩٦) بشرح التنوير .
(٥) هذه من الخطط .
(٦) فى الخطط : « تسعة عشر ذراعا » . والذراع يذكر ويؤنث .
(٧) فى النجوم الزاهرة (١ : ٩٨) نقلا عن أبى الصلت : « وسبعون ذراعاً » .
(٨) فى الأصل : « مع هذا الطول منه » وكتب إزاءه : « فى العظم » بدلا من « الطول منه » . وأثبت ما فى الخطط .
(٩) بدله فى الخطط : « وإتقان الهندام » .
(١٠) فى الأصل : « وهو لايتأثر » ، وأثبت ما فى الخطط .
(١١) كذا ورد فى الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلم جرا » .

وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كلّ واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربى ، على ما شاهدناه منهما[1] .

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : «وما على وجه الأرض بَنِيَّة إلا وأنا أرثى لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإنى أرثى لليل والنهار منهما » .

وهذان الهرمان[2] لهما إشرافٌ على أرض مصر وإطلالٌ [على] بطائحها، وإصعادٌ على ذُراها . وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبى بقوله :

أين الذى الهرمانِ من بُنيانه ما قومُه ، ما يومُه ، ما المصرع[3]
كنا نظنُّ ديارَه مملوءةً ذهبًا فمات وكلُّ دار بلقعُ[4]
تتخلَّف الآثارُ عن أربابها حيناً ويُدركها الخراب فتَتْبع[5]

واتّفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثُر تعجبنا منهما ، فتعاطينا القولَ فيهما ، فقال بعضنا[6] :

بعيشك هل أبصرتَ أعجَبَ منظراً على طُول ما أبصرتَ من هرمَىْ مصر[7]
[أنافا عِناناً للسماء وأشرفَا على الجوِّ إشرافَ السِّماك أو النَّسرِ[8]

---

(١) فى الأصل : « منها » ، والصواب فى الخطط .

(٢) فى الأصل : « أرثى لليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها . » وأثبت الصواب من الخطط .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه (١ : ٤٠٥) بشرح العكبرى، يرثى بها أباشجاع فاتكا .

(٤) هـذا البيت لم يورده المقريزى ، وهو هنا فى غير موضعه الطبيعى . وموضعه فى الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنـا ؛ لأن ضمير « دياره » عائد إلى أبى شجاع فى البيت المشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبى شـجاع مبلغ قبـل الممات ولم يسعه موضع

(٥) فى الخطط : « عن سكانها » . وفى الديوان : « عن أصحابها » .

(٦) فى بدائع البدائه ١٣٦ أن الذى قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .

(٧) بعد هذا فى الأصل بياض بقدر صفحتين ، وقد وفقت لسد هذا الفراغ بما نقله المقريزى فى الخطط (١ : ١١٨ — ١١٩) : ووضعت هـذا السقط بين معقفى التكملة : [ ] .

(٨) فى بدائع البداائه : « أنافا بأكناف السماء » .

وقد وافيا نشزاً من الأرض عالياً كأنهما نَهْدانِ قاما على صـدر[١]

وزعم قومٌ أن الأهرام قبور ملوكٍ عظام ، آثروا أن يتميَّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميّزوا عنهم فى حياتهم ، وتوخَّوا أن يبقى ذكرُهم بسببها على تطاول الدهور ، وتراخى العُصور .

ولما وصل الخليفة المأمونُ إلى مصرَ[٢] أمر بنقْبها ، فنُقب أحدُ الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جُهد شديد ، وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوِىَ ومراقىَ يهول أمرها ، ويعسُر السلوك فيها ، ووجدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً ، طول كل من أضلاعه نحوٌ من ثمانية أذرع ، وفى وسطه حَوْض رُخام مطبَق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غيرَ رِمّة بالية ، قد أتت عليها العصور الخالية ، فعند ذلك أمر المأمون بالكفّ عن نقب ماسواه . ويقال : إن النفقة على نقبه كانت عظيمة ، والمؤونةَ شديدة .

ومن الناس مَن زعم أن هرمس الأوّل ، المدعو بالمثلّث بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ـ وهو إدريس عليه السلام ـ استدلّ من أحوال الكواكب على كَون الطُّوفان يعمُّ الأرض ، فأكثَرَ من بُنيان الأهرام ، وإيداعِها الأموال وصحائف العلوم ، وما يُشفِق عليه من الذَّهاب والدُّروس ، حفظاً لها ، واحتياطاً عليها . ويقال : إنّ الذى بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق . وقال آخرون : إن الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شدّاد بن عاد ، لرؤيا رآها . والقِبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر ،

---

(١) بعده فى بدائع البدائه : « وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر بينهما دموع وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهرسجن يوسف مثل صب تخلف فهو محزون كئيب »

(٢) كان ذلك فى سنة ٢١٧ كما فى كتب التاريخ .

وتحقّق أن بانيهما سوريد[١] ، لرؤيا رآها ، وهي أنّ آفة تنزل من السماء ، وهي الطوفان . وقالوا إنه بناهما في مدة ستة أشهر ، وغشّاهما بالديباج الملون ، وكتب عليهما :

« قد بنيناهما في ستة أشهر ، قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة » . فالهدم أيسر من البنيان ، وكسوناهما الديباج الملون فليكسُهُما حصراً ، فالحصر أهون من الديباج » .

ورأينا سطوحَ كلٍّ واحد من هذين الهرمين مخطوطةً من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية ، مِن كتابةِ بانيها ، لا تُعرف اليومَ أحرفُها ، ولا تُفهَم معانيها . وبالجملة الأمر فيها عجيب ، حتى إنّ غاية الوصف لها والإغراق في العبارة عن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله علي[٢] [بن العباس الرومي ، وإن تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، إذ يقول :

إذا ما وصفتَ امرأً لامرئٍ فلا تغلُ في وصفه واقصدِ
فإنّك إن تغلُ تغلُ الظنو نُ فيه إلى الغَرض الأبعدِ
فيصغر من حيث عظّمته لفضل المغيب على المشهدِ

وكذلك أمر البرابي ، كبربا إخميم ، وبربا سمنود[٣] ، وبربا دندرا[٤] ، فإن فيها من الإحكام وجَودة الشكل وحسن التصوير ، ما يدلّ على أن عُمّارها

(١) في النجوم الزاهرة : « سوريد وقيل سويد » .

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهنا عليه في الحاشية ٧ من صفحة ٢٦ .

(٣) في الأصل : « سمندو » ، صوابه من المقريزي عند ذكر البرابي ، وقال ياقوت : « كورة السمنودية كان فيها بربا وكانت إحدى العجائب . قال القضاعي : ذكر عن أبي عمرو الكندي أنه قال : رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً ، فرأيت الجمل إذا دنا من بابه وأراد أن يدخله سقط كل دبيب في القرظ ، ولم يدخل منه شيء إلى البربا . ثم خرب عند الخمسين وثلثمائة » .

(٤) في الأصل : « ديدار » وإنما هي « دندرا » ، أو دندرة ، أو « أندرا » كما في معجم البلدان . وفي بربا دندرة يقول المقريزي : وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها ، ثم تكر راجعة إلى موضع بدئها » . وأنشد ياقوت في مطلع أبيات :

إن قاس بدندرا قال بيتين سطرا

ذوو عقول راجحة ، وأنّه قد كانت لهم بالحكمة عناية بالغة ، لا سيما بصناعتى الهندسة والنجوم .

وقال بعضُ أهلِ العناية بأخبار الأمم وتواريخهم : كان بمصرَ بعد الطُّوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم الرياضيّة والطبيعية و لإلهيّة ، ومتحقِّقون بعلم المَرَايا المحرِقة ، وبالطِّلَّسمات والنِّيرنجيات وغير ذلك .

والمُلك بمصرَ من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . ولما بنى الإسكندرُ مدينةَ (الإسكندرية) منذ نحو ألفِ سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رَغِبَ الناسُ فى عمارتها[١] ، وكانت دارَ العلم ، وَمقرَّ الحكمة ، إلى أن تغلَّبَ عليها المسلمون فى خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، رضوان الله عليه ، واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة (بالفسطاط) فانسرب أهلُ مصرَ وغيرُهم من العرب والعجم إلى سكناها ، فصارت قاعدةَ ديارِ مصر ومركزَها إلى وقتنا هذا .

فيقال إنّ من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث[٢] ، وكان فيلسوفًا جوّالا فى البلاد ، طوّافًا فى المدائن ، عالمًا بنُصبتها[٣] ، وطوالعها وطبائع أهلها ، وله تصانيف جليلة مفيدة فى فنون من الحكمة .

ومنهم ديوفنطس[٤] صاحب المقالات الموضوعة فى علم العدد وخواصه على طريق الجبر والمقابلة .

---

(١) فى الأصل : « وأعجب فى عمارتها » ، صوابه من المقريزى (١ : ١٣٥) .

(٢) فى الأصل : « هرمس الثانى » ، والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٧) حيث ذكر الهرامسة الثلاثة ، وقال فى هرمس هذا : « وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان » . وأما هرمس الثانى فهو كلدانى من أهل بابل . وهرمس الأول مصرى كان قبل الطوفان ، وهو عند العرب إدريس عليه السلام .

(٣) فى الأصل : « بنصبها » ، وفى عيون الأنباء : « عالماً بنصبة المدائن وطبائعها » .

(٤) ذكره ابن أبى أصيبعة فى (١ : ٢٤٥) فى أثناء ترجمة «قسطا بن لوقا» ، قال : « كتاب فى ترجمة ديوفنطس فى الجبر والمقابلة » : وذكره أيضاً عرضاً فى ترجمة ابن الهيثم (٢ : ٩٨) .

ومنهم الإسكندرانى[١] صنف كتاب الأفلاك ، وكتاب القانون فى تقويم الكواكب .

ومنهم روسم[٢] صاحب التصانيف فى الكيميا .

ومنهم أنقلاؤس الإسكندرى[٣] وأصحابه، الذين اختصروا كتب جالينوس فى صناعة الطب ، وألفوها على طريق المسألة والجواب ، يدلُّ حسن اختصارهم لها على وفور علمهم ، وفَضل معرفتهم .

ومنهم واليس[٤] صاحب الكتاب المعروف بالبريدج الرومى ، المصنّف فى المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . ويقال إنه الذى استخرج بطول التحرّى[٥] ومواصلة العَناء ، جدودَ المصريين .

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر فى ذلك الزمان . وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علم وامّحى رسْمُه ، وجُهل اسمه ، ولم يبق إلاّ رَعاع وغُثاء وجَهَلة دهماء ، وعامّة عمياء ، وجُلُّهم أهلُ رعانة[٦] ولهم خبرةٌ بالكيد والمكر ،

---

(١) لعله « أقطيمن الإسكندرانى » . قال القفطى فى أخبار الحكماء (٥٠) : « كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاد خبيراً بعمل آلاتها » . اجتمع هو وميطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ، ورصدا وأثبتا ما تحققاه ، وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوذى الراصد بالإسكندرية . « وكان زمنهما قبل زمانه بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة » .

(٢) ذكره القفطى فى ص ١٢٧ ، بلفظ « روشم » قال : « روشم المصرى ، هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام ، وهو قيم بعلوم الكيمياء وأصولها وتفصيلها وإحكام أمر تركيبها ... وله فى ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا النوع يتنافسون فى تحصيلها والظفر بها » .

(٣) ترجم له القفطى فى (٥١ — ٥٢) وابن أبى أصيبعة فى (٥ : ١٠٣ — ١٠٤) .

(٤) ذكره القفطى فى (١٧٢) قال : « فاليس المصرى ، وربما قيل واليس الرومى ، كان حكيما فاضلا فى الزمن الأول بعلوم الرياضة وأحكام النجوم . وله فى ذلك المؤلفات الجميلة المشتملة من هذا النوع على المقاصد الجليلة . وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة ، المسمى بالبريدج الرومى » .

(٥) فى الأصل : « التجربة » .

(٦) المعروف فى هذا المصدر : الرعن ، والرعونة .

وفيهم بالفطرة قوةٌ عليه وتلطُّف فيه وهدايةٌ إليه ، لِمَا فى أخلاقهم من الملَق والسياسة(١) التى أربَوا فيها على كلِّ مَن تقدَّم وتأخَّر ، وخُصُّوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم ، حتّى صار أمرهم فى ذلك مشهوراً ، والمثلُ بهم مضروبا .

وفى خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس(٢) :

مَحَضتكمُ يا أهل مصرَ نصيحتى ... ألاَ فخُذُوا من ناصحٍ بنصيب(٣)
رَما كم أميرُ المؤمنين بحيّـةٍ ... أكولٍ لحيّات البلاد شَروب
[ولا تثِبوا وثبَ السَّفاة فتركبوا ... على حدٍّ] حامى الظهر غيرِ ركوب(٤)
فإن يك باقى إفك فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

* * *

وأما حالُ المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذاكرمنها ما وقفت عليه ، وكشفت بالمحنة عنه . كنت فى أول جلوسى بها شديدَ العناية بكتب جالينوس وبقراط ، باحثاً عن مُشكلها ، فاحصاً عن مستغلِقها ، فحرَصت كلَّ الحرص ، وجَهدت كلَّ الجهد على أن أجدَ من أهل هذه الصناعة مَن أستفيد منه وأستزيد بمذاكرته وأقدح خاطرى بمفاوضته ، فلم أجدْ غيرَ قومٍ طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارَهم ، وطمس أفهامَهم ، وحال بين الحكمة وبينهم ، فكانوا وإيّاىَ ، كما قال الشاعر:

قومٌ إذا جالستُهمْ ... صدئتْ بقربهم العقولْ
لا يُفهمونى قولهم ... ويدقّ عنهم ما أقول
فهمُ كثيرٌ بى كما ... أنّى بجمعهم قليل

(١) فى الخطط (١ : ٤٩) : « الملق والبشاعة » .
(٢) الأبيات الأربعة فى ديوانه (١٠٣ — ١٠٤) يمدح بها الخصيب أمير مصر .
(٣) فى الديوان : « منحتكم يا أهل مصر » .
(٤) التكملة من الديوان (١٠٣) ، وموضعها بياض فى الأصل . حامى الظهر : هو البعير الذى حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشىء ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وفى الأصل : « حانى الظهر » صوابه من الديوان . والبيت لم يرد فى الخطط .

وقد تخلَّقوا بكثرة الخلاف، وقلة الإنصاف، ولزموا البُهْتَ والمعاندة، والشغَب والمكابرة، وجهلهم بصناعة الكتب وخلوّهم من أداتها، وعدمَهم لمددها وآلاتها، وإهمالَهم لشرائطها، وإغفالَهم للوازمها، وقصورَ أذهانهم عن إدراك دقائقها، وبُعدَ عقولهم عن تصوُّر حقائقها، ولم يعلموا أنَّ الطبيبَ محتاج إلى أشياءَ تعينُه فى صناعته، وتفتح له مغالقَها، وتوضّح مُشكلها، وتشرح مشتبِهها، وتبيّن له مستعجَمها، وتذيقه بردَ اليقين[١]، وتجلو عن عين بصيرته ظُلَم الشكوك والظنون، وهى العلوم الطبيعية التى تعرّفه مبادئَها وأوائلها، وتعطيه استُقُصّاتها وعناصرَها[٢]، والقوانينُ القياسية التى تسدِّد ذهنَه نحوَ الصواب فيما يلتمس علمَه، ويتطلَّب فهمَه، وتعرّفه كيف يُحيل[٣] مطلوباتها إليه، ويبنى قياساته عليها، وكيف يتطرّق من جليّها إلى خفيّها، ويستدلّ بظاهرها على غائبها، ويأمن الزّلَل، ووقوعَ الخطل والخلل، ويحقّق الأسباب والعلل.

ولا بدَّ لمن أراد أن يكون طبيبا كاملا، وحكيما فاضلا، من النظر فى العلوم الرياضية، ولا سيما النجوميَّة منها والموسيقاويّة. وأُولى الناس بأن يكون على هذه الصّفة أطباء الملِك التُّبّعى الألمعىّ، الذى إنما يستعمل الطبيب والمنجّم على جهة الاستظهار، لا على جهة الافتقار والاضطرار. وكيف ونظرُه الأعلى، وقِدحُه المعلَّى، وسهمُه الأسدُّ، وباعه الأمَدّ. ومن كان مثلَه ــ ولا مثلَ له فى تطبيق المفاصل، وإصابة الشواكل ــ لخليقٌ به أن يَختار، ولا يُختار، ويستبدّ، ولا يستمدّ.

---

(١) فى الأصل: «برد النفس»، والوجه ما أثبت.

(٢) الأستقس، ويقال الأسطقس، هو الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب: كالحجارة والقراميد والجذوع التى يتركب منها القصر، وكالحروف التى منها يتركب الكلام، وكالواحد الذى يتركب منه العدد. والأسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض. انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى (٨٢).

(٣) فى الأصل: «يحلل».

هيهاتَ أن يأتِي الزمانُ بمثله   إنَّ الزمان بمثـــله لبخيلُ

فلمَّا [لم] يأخذوا نفوسَهم بالإتقان لما قد سَلَف تعديدُه ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليـه ، ورأوا أنَّ غرضَهم من صناعة الطب الذى هو عندهم بحسب رأيهم ، التكسُّبُ بما يتهيَّأ لهم بأقربَ ممَّا شَرَطه الأوائل متناوَلاً ، وأسهلَ مراما ، لم يحفظوا(١) غيرَ أسماءِ أدويةٍ قليلة العـدد يصرِّفونها فى مداواة كلِّ مرض دونَ إعمالِ فـكرِهم فى حقيقة نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجِبِه .

وقد ذمَّ جالينوسُ من فِرَق الطبِّ الثلاثِ الفرقةَ الجُبْتايةَ(٢) ، لحذْفِها جميعَ لوازم الصناعة الطبية ، واقتصارِها فى المداواة على النَّظر فى المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالإمساك ، أو من جنس الإمساك فيقابل بالاستفراغ ، دون الفحص عن أمر المِزاج والسنّ والسجيَّة ، والبلد والعادة والماهيَّة . فما ظنك بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاء الذين لا يثْبُتون على نِحلة ، ولا ينتسبون إلى فرقة ، فإن برئ على أيديهم عليلٌ فبُرؤُه على جهـة الاتِّفاق ، وإن هلَك فبالواجب والاستحقاق ، وهم كما قال الشاعر فى مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّبٍ ما له با   لُنجح فى كلِّ مايجرب عادهْ
مرَّ يومًا على عليلٍ فقلنا   قَرَّ عيناً فقد رُزِقتَ الشَّهاده

وكما قال الآخر فى بعض حكمائنا المشهورين عند العوامّ بالحذق والتقدم :

قل للوَبَا أنت وابنُ زُهر   قد جُزتُما الحدَّ والنهايهْ
ترفَّقا بالورَى قليـــلا   فى واحدٍ منكما كفايهْ

أو كما قال بعضُ أهل العصر أيضاً فيهم :

وطبيبٍ مُشـــعبذٍ   يمزُج الطبَّ بالرُّقَى

---

(١) فى الأصل : « فلم يحفظوا » .
(٢) فى الأصل : « الفرق الجبلية » .

ما رأيناه قط طبَّ عليلاً فوُفِّقا
بل عَدِم الصِّحّةَ فى الجسمِ والقلبِ والبقا
ذو صفاتٍ تُغادِر الجسمَ مما به لَقِى
عادمًا للحَراك والحسِّ والخِفّة والنقا(١)
قد سقاه بها الحِمامَ ولم يَدرِ ما سَقى

وقال آخر :

ما خَطَرَ النبضُ على باله يومًا ولا يَعرف ما الماء(٢)
بل ظنَّ أن الطبَّ دُرّاعةٌ ولحيةٌ كالقطن بيضاء(٣)

* * *

ومن ظَريف ماسمعتُه أنَّه كان بمصرَ منذُ عهدٍ قريب رجلٌ ملازمٌ للمارَستان يُستدعَى للمرضى كما تستدعَى الأطبّاء ، فيدخلُ على المريض فيحكى له حكاياتٍ مضحكة ، وخُرافاتٍ مسلِّية ، ويُخرج له وجوهاً مضحكة ، وكان مع ذلك لطيفاً فى إضحاكه وبه خبيراً ، وعليه قديراً ؛ فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه قوّتُه تركه وانصرف ، فإن احتاجَ إلى معاودة المريض عاده إلى أن يبرأ ، أو يكون منه ما شاء الله .

فليت أطبّاء عصرنا هذا بأسرِهم قدَروا على مثل هذا العلاج الذى لامضَرّة فيه ولا غائلةَ له ، بل أمرُه على العليل هيِّن ، ونفعُه ظاهر بيِّن ؛ كيف لا وهو ينشّط النفس ويبسط الحرارةَ الغريزية ، ويقوِّى القوى الطبيعية ، ويقوِّى البدن على دفع الأخلاط الرديّة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

وأكثر أطبائها المبرزين(٤) نصارى ويهود ، وفى ذلك يقول بعضهم :

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل .
(٢) يعنى اختبار ماء المريض ، وهو بوله .
(٣) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .
(٤) فى الأصل : « المزبرقين » .

أقول المسلمين طرًّا تبغُون فى طبّنا[1] اشتهارا
هيهـــاتَ حاولتمُ محالا كونوا إذاً هوداً أونصارى

وأشبَهُ[2] مَن رأيتُه منهم وأدخلُهُ فى عِداد الأطباء، رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامةَ بن رَحمون ، فإنّه لقى أبا الوفاء[3] المبشِّر بن فاتك[4] ، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصَّص به وتميَّزَ عن أضرابه ، وأدرك أبا كثير بن الزفان[5] تلميذ أبى الحسن على بن رِضوان[6] ، وقرأعليه بعضَ كتبِ جالينوس، ثم نصبَ نفسَه لتدريس جميعِ كتب المنطق ، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية ، وشرح بزعمه وفسّر ولخص ، ولم يكن بذاك[7] فى تحصيله وتحقيقه ، واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يَكثُر[8] كلامُه فيضلّ ، ويُسرع جوابُه فيَزِلّ . ولقد سألتُه فى أول لقائى واجتماعى به ، عن مسائلَ استقبحت مباحثته[9] بها مما يمكن أن يفهمها مَن لم يمتدَّ بعد فى العلم باعُه، ولم يكثر تبحُّره واتساعُه، فأجاب عنها بما أبانَ عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعربَ عن سوء

---

(١) فى الأصل : « طبها » .
(٢) النص التالى نقله القفطى فى إخبار العلماء (١٤٢ ـ ١٤٣) ، وكذلك ابن أبى أصيبعة (٢ : ١٠٦) .
(٣) بعدهذه تبتدئ القطعة المحفوظة بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ من الرسالة المصرية وسأشير إليها فى التعليقات برمز « ق » .
(٤) ترجم له القفطى (١٧٦ ـ ١٧٧) وقال : « هـذا رجل أصله من دمشق وموطنه مصر،وهو من الحكماء الأماثل فى علم الأوائل ... وكانت له ابنة عمرت بعده وروت بالإسكندرية أحاديث نبوية . وكان فى آخر المائة الخامسة للهجرة » .
(٥) عند القفطى : « الكثير البرقانى » ، تحريف . وأبو كثير كنية له واسمه أفرائيم ابن الزفان ، قال ابن أبى أصيبعة فى (٢ : ١٠٥) : « إسرائيلى المذهب ، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر » . وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من كتبه ، كان قد ساوم عليها بعض العراقيين .
(٦) انظر ترجمته عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٩٩) .
(٧) ق وابن أبى أصيبعة : « ولم يكن هناك » . وعند القفطى: «ولم يكن هنالك » .
(٨) فى الأصل : « تراه يكثر » ، وأثبتها فى سائر المصادر .
(٩) فى الأصل : « استقبحت مباحثه بها » ، صوابه فى سائر المصادر .

تصوّره وفهمه . وكانَ مثَله فى عِظَمِ دعاويه، وقصورِه عن أيسر ماهو متعاطيه(١) كقول الشاعر :

يشمّر لِلُّجّ عن ســـاقه ويغمره الموجُ فى السّاحلِ

أو كما قال آخر :

تمنيتمُ مائتَىْ فارس فردّكمُ فارسٌ واحدُ(٢)

وكان(٣) بمصر طبيب من أهل أنطاكية يســمى « جرجس » ، ويلقب بالفيلسوف ، على نحو ما قيل فى الغراب : أبو البيضاء ، وفى اللديغ : سليم ، وقد تفرغ للتولّع [بأبى الخير سلامة بن رحمون اليهودى الطبيب المصرى(٤)] والإزراء عليه، وكان يزوّر فصولا طبّية وفلسفية يُبرزها فى مَعارض ألفاظ القوم ، وهى مُحالٌ لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفِذها(٥) إلى مَن يسأله عن معانيها، ويستوضحُه أغراضَها ، فيتكلّم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ(٦) و[لا(٧)] تحفظ، بل باسترسالٍ واستعجال ، وقلةِ اكتراثٍ وسوء اهتبال، فيُؤخذ منه(٨) ما يُضحِكُ منه ويشرح الصّدر .

[وأنشدت(٩)] لجرجسَ هذا فيه ، وهو من أحسنِ ما سمعته فى هجو طبيب مشؤوم(١٠)، وأنا متّهم له فيه :

---

(١) فى الأصل : « نشر ما هومتعاطيه » ، صوابه فى سائر المصادر .

(٢) إلى هنا ينتهى نقل القفطى فى ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر البيان (١ : ٢٤٩) .

(٣) النص التالى نقله القفطى فى ١٠٩ وابن أبى أصيبعة فى (٢ : ١٠٦ — ١٠٧) .

(٤) التكملة من القفطى، وبدلها عند ابن أبى أصيبعة : « بابن رحمون » .

(٥) ق فقط : « ثم ينفذبها » .

(٦) ق فقط : « تيقن » .

(٧) هذه من القفطى وابن أبى أصيبعة .

(٨) القفطى وابن أبى أصيبعة : « فيوجد فيها عنه » .

(٩) هذه من ق والقفطى وابن أبى أصيبعة .

(١٠) كلمة « مشؤوم » ومابعدها ساقط من ق . وفى نسخة الأصل : « ومن أحسن ماقيل فى ذم الطبيب الجاهل » .

إنَّ أبا الخير على جهله   يخفُّ فى كِفّته الفاضلُ
عليله المسكينُ من شُومه   فى بَحرِ هُلْكٍ ماله ساحلُ
ثلاثةٌ تدخل فى دفعة   طلعتُه والنعشُ والغاسل

ولبعضهم :

لأبى الخير فى العلا   ج يدٌ ما تقصِّرُ
كلُّ من يستطبُّه   بعد يومين يُقبَرُ
والذى غاب عنكمُ   وشهدناهُ أكثر[1]

ومما قيل فيه :

جنونُ أبى الخير الُجنونُ بعينه   وكلُّ جنونٍ عندَه غايةُ العقلِ
خُذوه فغُلّوهُ وشُدُّوا وَثاقَه   فما عاقلٌ من يستهين بمختلٍّ
وقد كان يؤذى الناسَ بالقول وحدَه   فقد صار يؤذى الناسَ بالقول والفعل

وأما المنجِّمون الآن بمصر فهم وأطباؤهم كما قُدَّ الشِّراكُ من الجلد ، بل كما حُذِيت النّعلُ بالنعل ، لا يتعلّق أَمثلُهم من علم النجوم بأكثَرَ من زايجة يرسُمها[2] ومراكِزَ يقوِّمها . فأما الإمعان والتبحُّر فى معرفة الأسباب والعلل[3] ، والمبادى

(١) فى نسخة الأصل : « وسمعنا بوصفه » . وأثبت ما فى ق وابن أبى أصيبعة . ولم يرو القفطى هذه الأبيات .

(٢) جاء فى « مفاتيح العلوم » للخوارزمى ١٢٧ : « الزايجة هى صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب فى الفلك لينظر فيها عند الحكم لمولد أو غيره . واشتقاقه بالفارسية من زائش ، أى المولد ، ثم أعربت الكلمة فاستعملت فى المولد وغيره » . وجاء فى معجم استينجاس (٦٠٨) : « زايجة astronomical tables » أى الجداول الفلكية . وفى نسخة الأصل : « زايرجة »، وأثبت ما فى ق . والزايرجة ، هى — كما ذكر ابن خلدون فى المقدمة — فرع من فروع علم السيميا ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين الكلمات . فمن الزايرجة المنظومة يستطاع معرفة الأجوبة بطرق خاصة، وحساب معين يدخل فيه الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهى الزيج، وتجمع على أزياج. والزيج: صناعة حسابية بقوانين عددية يمكن بها معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية والمستقبلة ، وهو الدستور لما يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(٣) هذا ما فى ق . وفى نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأَوَل، فليس منهم مَن يرقَى إلى هذه الدرجة، ويسمُو إلى هذه المرتَبة، ولا يحلِّق في هذا الجوّ، ويستضيء بهذا الضوء[1] إلا أبو الحسن علي بن النضر[2] المعروف بالأديب، رضي الله عنه، من أهل صعيدِ مصرَ الأعلى، فإنه كان من الأفاضل [الأعيان[3]]، المعدودين من حسنات هذا الزّمان[4]. وسنذكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى.

* * *

وأما الطائفة المقلِّدة التي حظُّها من المعارف القُشور دون اللبوب[5]، والظواهر دون البواطن، والأشباح دون الأرواح، فأَمْثَلُ مَن بها منهم الآنَ رجلٌ يعرف برزقِ الله النحاس[6]، فإنّ له في فروع هـذه الصناعة بعضَ دُرْبة وتجربة، وبتجريباتها[7] بعض خبرة، وهو أكبر المنجِّمين بها وكبيرهم الذي علمهم، وأميرهم الذي يلوذون به[8]، فجميعُهم إليه منسوب، وفي جريدته مكتوب، وبفضله معترِف، ومن بحره[9] مغترِف، وهو شيخ مطبوع يتطايَب ويتخالع[10].

ومن حكاياته الظريفة عن نفسه قال: سألتني امرأةٌ مصريّة أن أنظرَ لها في مسألة جُمَّلِيَّة تخصُّها، فأخذتُ ارتفاعَ الشمس للوقت، وحقّقت درجة الطالع والبيوتَ الاثني عشر ومركزَ الكواكب، ورسمتُ ذلك كلَّه بين يديّ

(١) في الأصل: «ولا يحلق» و«لايستضيء»، وأثبت ما في ق.
(٢) في الأصل: «ابن النصر» بالصاد المهملة. وأثبت ما في ق.
(٣) هذه من ق.
(٤) ق: «من حسنات الزمان».
(٥) في اللسان: «ولب الجوز واللوز ونحوهما: ما في جوفه، والجمع اللبوب». ق: «اللباب»، وما أثبت من الأصل أوفق.
(٦) في الأصل: «بن النحاس»، وصوابه في ق والقفطي ١٢٧.
(٧) في الأصل: «وبجزئياتها»، وأثبت ما في ق. وعند القفطي: «وبتجرباتها».
(٨) ق: «الذي نوه بهم وقدمهم». وعند القفطي: «وكبيرهم الذي علمهم السحر» فقط.
(٩) في الأصل: «ومن علمه»، وأثبت ما في ق.
(١٠) يتخالع: يظهر الخلاعة. وفي الأصل: «يتخالق»، صوابه في ق

في تخت الحساب[١]، وجعلت أتكلّم على بيتٍ بيت منها على العادة، وأنا في خلال ذلك أتحسَّس أمرَها[٢] وهي ساكتة لا تنبس، فوجمتُ لذلك وأدركتْني فترةٌ عظيمة، وألقتْ إليّ درهما[٣]. قال: فعاودتُ الكلام وقلت: أرى عليكِ قطعاً في بيت مالِك[٤] فاحتفظي واحترزي! فقالت: الآن أصبتَ وصدقتَ، قد كان والله ما ذكرت. قلت: وهل ضاع لك شيء؟ قالت: نعم، الدرهمُ الذي ألقيتُه إليك! وتركتْني وانصرفت.

* * *

والمصريُّون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها وتعويلا عليها، وشغفاً بها وسكوناً إليها، حتّى إنه قد بلغَ من زيادة أمرهم في ذلك إلى أن لا يتحرّكَ واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التي لا تُحصَر فنونُها ولا تحصَّل أجزاؤها وأنحاؤها، ولا تُضبط جهاتها، ولا تقيَّد غاياتها[٥]، ولا تعدُّ ضروبها إلا في طوالعَ يختارونها، [ونُصب يعتمدونها[٦]].

ولقد شهدتُ يوما رجلاً من الوقّادين في أتُّون الحمّام[٧]، يسأل رزق الله المذكور عن ساعةٍ حميدة لقصِّ أظفاره، فتعجّبت من سموّ همّته على خساسة قدره[٨] ووضاعة مِهنته.

ومن الحكايات العجيبة في فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها،

(١) هذا ما في ق، وفي الأصل: « في التخت ».
(٢) ق: « أتحسس لها ».
(٣) القفطي: « وكانت قد ألقت إلى درهما ».
(٤) هذا ما في ق والقفطي، وفي الأصل: « ضياع بيت مالك »،
(٥) ق: « ولا تقدر أساليبها ».
(٦) هذه من ق.
(٧) ق: « أتون حمام ».
(٨) ق: « مع خساسة قدره ».

ما شهدتُ بالصعيد الأعلى . وذلك أنَّ بعضَ الولاة حبس رجلاً من [بعض[1]] أهل تلك الناحية كان ينظرُ فى علم النجوم ، وشَفَعَ[2] إليه فيه مَن يكرُم عليه، فشفّعه فيـه ، وأمر بإطلاقه وكان من الحبس فى عذابٍ واصب ، وجَهد ناصب ، فلما أتَوْه وقالوا له : انطلِقْ لشأنك[3] ، أخرَجَ من كُمِّه أصطُرلاباً فنظر فيـه ثم أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانَه[4] إلى أن يتّفِق وقتٌ يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الوالى فأخبروه بخبره[5] ، فضحِك منه وتعجّب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وترَكه على حاله ، وأطال مدَّه اعتقاله .

وفيما أوردْته من أخبار الأطباء والمنجمين الآن بمصرَ كفايةٌ وبلاغ ، إلى أن أنتصبَ له انتصاباً ثانياً ، فأقول فيه قولا شافياً .

* * *

وأما الآن فإنى ذاكرٌ على الشرط من لقيتُه من أدبائها وظرفائها، وفضلائها فى الأدب وعلمائها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضى أبو الحسن على ابن النضر[6] » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعلم الواسع ، والفضل البارع . وله فى سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولى . وقد كان ورد الفسطاط يلتمس من وزيرها الملقب الأفضل تصرفاً وخدمة نخاب فيـه أمله ،

---

(١) هذه من ق .

(٢) ق : « فشفع » .

(٣) ق : « لسبيلك » .

(٤) فى الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما فى ق .

(٥) فى الأصل : « خبره » ، وأثبت ما فى ق .

(٦) فى الأصل : « النصر » بالمهملة ، تحريف صوابه فى ق والخريدة (٢ : ١٩٥) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٩٨ ز) والطالع السعيد للأدفوى . حيث ذكر أنه كان أحد عمال الديار المصرية فى زمن الأفضل شاهنشاه .

وضَاع رجاؤه ، وأخفق سعيُه ، فقال من قصيدةٍ يعاتب فيها الزمان ، ويشكو الخَيْبة والحِرْمان :

بيْن التعزُّزِ والتـذلُّلِ مسلكٌ ... بادى المَنار لعينِ كلِّ موفَّقِ
فاسلُـكه فى كلِّ المواطن واجتنبْ ... كِبرَ الأبىِّ وذِلَّةَ المتملِّق
ولقـد جلبتُ من البضائع خيرَها ... لأجَلِّ مختارٍ وأكرم مُتَّقِ[1]
ورجوتُ خَفضَ العيش تحت رِواقه ... لا بدّ إن نفقَت وإن لم تنفُق[2]
ظنًّا شبيهًا باليقــين ولم أخَلْ ... أنَّ الزمان بمـا ســقانى مُشْرِق
ولِعائبى بالحـــرص قول بيِّن ... لو كنتَ شِمتَ سحابهُ لم تطرق[3]
ما ارتَدْتُ إلاّ خيرَ مرتادٍ ولم ... أصِلِ الرجاء بحبل غير الأوثَق[4]
وإذا أبَى الرزقَ القضاءُ على امرئٍ ... لم تُغنِ فيــه حيلةُ المسترزق
ولَعَمرُ عاديةِ الخطوب وإنْ رمت ... شملى بسهم تشـتُّتٍ وتفرُّق[5]
لأقارعنّ الدّهرَ دون مروءتى ... وحُرِمتُ عزَّ النصرِ إن لم أصدُق[6]

وله فى سَفرته هذه[7] وقد قوى يأسُه من بلوغ أمله ونيل بُغيته ، وعَزَم على الصَّدَر[8] عن الفُسطاط إلى مستقرِّه ، يحضُّ على الزَّهادة ، ويحرِّض على القَناعة

---

(١) فى الأصل :
ولقد جلبت من البضائم جلها ... من كل مختار وأكرم ما انتق
[وأثبت ما فى ق والخريدة والطالع السعيد . بيدأن الكلمة الأخيرة فى الطالع السعيد: «موثق».
(٢) ق : « ووجدت ». وكلمة « رواقه » هى فى الأصل : « ظلاله » ، وأثبت ما فى ق والخريدة . وفى الطالع السعيد : « تحت ردائه » ، تحريف .
(٣) فى الأصل : « ولعائنى » صوابه فى ق . وفى الخريدة : « ولعاتبى ».
(٤) ق : « بغير حبل الأوثق » ، وفى الخريدة : «بحبل غير موثق » .
(٥) فى الأصل : « رمت حظى »، صوابه فى ق والخريدة .
(٦) فى الأصل : « لأصبرن اليأس » ، صوابه فى ق والخريدة .
(٧) فى الأصل : « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٨) ق : « الصدور » ، وهما صحيحان ، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً .

ويذمّ الضّراعة ، ويتأسّف على إذالة خدّه ، وإراقة ماء وجهه :

لَهفى لملك قنـــاعةٍ لو أنّنى   متّعت فيه بعزّة المتملّكِ
ولِكنزِ يأسٍ كنتُ قد أحرزته   لو لم تَعِثْ فيه الخطوبُ وتَفتِكِ
آليتُ أجملُ ماء وجهى بعده   كدمٍ يُهالُ به الحجيجُ بمَنْسِكِ
وأخٍ من الصبر الجميل قطعتُه   فى طاعة الأمَل الذى لم يُدرَكِ
يا قاتَلَ الله الضرورة حالةً   أىّ المسالكِ بالفَتى لم تَسلُكِ[(١)]
كم بات مشكوٌّ إليه [تحيفت   حلقاته قرعا] براحةِ ممسكِ[(٢)]
وفمٍ على قدم رمت ، ونواظر   كُحِلت محاجرُها بموطئ سُنْبُكِ[(٣)]
ومُسربَلٍ بالصبر والتقوى دعت   فأجابها فى معرَض المتنَسِّكِ[(٤)]
ظلّت تصرِّفه كتصريف العصا   رأسَ البعير لمبرك عن مَبركِ

وله إلى رئيس كان يكلّفه زيارته ويقعد عن ذلك تعاظما وتكبراً :

أكبرتَ نفسَك أن تسمى مصادفةً   وسُمتَنيه لقد كلّفتنى شَطَطا[(٥)]
لا تكذبنَّ فما كنّا لنُوجِب مِن   حقٍّ وأنت تراه عنك قد سقطا
لو بِعتَك النفس بَيعًا كنتَ تملكُها   به لكان عليك العَدل مشتَرَطا[(٦)]
فهل سبيلٌ إلى أن لا تواصلنى   ولا تكلِّف مثلى هذه الخططا[(٧)]
عسى صحيفةُ ما بينى وبينك أن   تُطوَى وما ضُمِّنتْ غيرَ الذى فرطا[(٨)]

---

(١) هذا ما فى ق والخريدة ، وفى الأصل :
يا قاتل الله الضرورة إنها   سلكت مهالك بالفتى لم تسلك
(٢) فى الأصل : « لم يأت » ، وصواب البيت وتكملته من ق والخريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من الأصل .
(٤) فى الأصل : « ومسربل بالنصر » ،صوابه فى ق والخريدة .
(٥) فى الأصل والخريدة : « مصارفة » بالراء ، وأثبت ما فى ق .
(٦) ق والخريدة : « به على لكان العدل » .
(٧) فى الأصل : « ولا تكلف مثلى الطرق والخططا » ،صوابه فى ق والخريدة .
(٨) فى الأصل : « وما قد من أمرنا فرطا »، صوابه فى ق والخريدة .

وله[1] فى صدر رسالة :

أتى كتابك عن سخط فآنسنى ... بما تضمّن أنس العين بالوسن[2]

قرأته فجرت فى كلّ جارحة ... منّى معانيه جرىَ الماء فى الغُصُن[3]

فما أقول بعثتَ الروح فيه إلى ... قلبى ولكنْ بعثتَ الروح فى بدنى

وله فى شدّة أصابته :

يا مستجيبَ دعاء المستجير به ... ويا مفرِّج ليلِ الكُربة الداجى

قد أُرتجت دوننا الأبوابُ وامتنعت ... وجَلّ بابُك عن منعٍ وإرتاج

تخافُ عدلَك أن يجرى القضاء به ... ونرتجيك فكنْ للخائف الراجى[4]

ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[5] ، وهو شاعر كثير التصرّف ، قليل التكلّف ، مفتَنٌّ فى وشْي[6] جِدِّ القريض وهزله، وضارب بسهم فى رقيقه وجزله . وكان فى رَيعان شبيبته، وعُنفوان حداثته ، يعشق غلاماً من أبناء عسكريّة المصريين ، يدعى عز الدولة فائق ، وهو الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين . ولم يزلْ مقيما على عِشقه له، وغرامه به إلى أن محا محاسنه الشَّعر، وغيَّر معالمَه الدّهر . ولم يزل مُعزُّ الدولة[7] هذا متعهِّداً له محسناً إليه ، مشتملا عليه ، إلى أن فرّق الدهر بينهما . وكان فى أيام أمير الجيوش بدر الجمالى منقطعاً إلى عاملٍ من النصارى يعرف بأبى مليح ،

---

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل بياض بقدر صفحتين من الأصل ، وقد أمكننى سد هذه الثلمة من ق والخريدة . والقدر المشترك بين ق والخريدة ينتهى إلى كلمة « الراجى » ختام الأبيات الجيمية التالية ، ثم تنفرد « ق » بإتمام النقص الذى سأنبه على نهايته .

(٢) فى الخريدة : « فأبأسنى » ، تحريف صوابه فى ق والطالع السعيد . وصدره فى الطالع السعيد (٢٢٢) : « وافى كتابك » .

(٣) فى الطالع السعيد : « نفخت الروح » .

(٤) إلى هنا ينتهى القدر المشترك من التكملة بين ق والخريدة ، ثم تنفرد « ق » .

(٥) ترجم له ابن شاكر فى الفوات (١ : ٢٦) وقال: « توفى فى حدود الخمسمائة » .

(٦) فى الأصل : «وعى» .

(٧) سبق قريباً بلفظ « عز الدولة فائق » وهكذا وردا بالأصل .

وأكثرُ أشعاره فيه، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرّض لامتداحه، فلم يقبله ولم يقبل عليه، وكان سبب حرمانه ماسبق لأبى مليح ومراثيه ميتاً، لاسيما قوله :

طُوِيت سماء المكرما تِ وكُوِّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنّكس الدنى يّ من الرجال ولا الشحيح
كفَر النصارى بعد ما عَقَدوا به دين المسيح

وكَفَله عزُّ الدولة بن فائق، وقام بحاله إلى أن مات .

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهلِ مَعرّة النعمان[1] يدعى أبا الحسن على بن جعفر بن النون[2] فإنه أفاض عليه سحائبَ إحسانه، وأدرّ له حَلوبةَ إنعامه، ولقّبه بأمين [الملك[3]] وأدناه واستخلصه، ولم يكن شعرُه هناك[4] بل كان متكلّفاً متعسّفاً، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد يَروِى له بيتاً واحداً فما فوقَه، لمنافرة الطّباع كلامَه، ونُبوِّ الأسماع عن طريقته . وقد كان أمرَه الأفضلُ يوما أن يصف مجلساً عُبِّيَت فيه فواكه ورياحين، فقال من مزدوجته[5] يصف الأترجَّ المصبّع :

كأنّما أترُجُّه المصبَّعُ أيدى جُناةٍ من زُنُودٍ تقطَعُ

فغلِط ولم يفطَن، وأساء أدبه ولم يشعر؛ لأنه قصد مدحَ الأترجّ فقزّز نفس الملك منه وصرفها عنه، ولو قصد ذمه لما زاد على ما وصف به من الأيدى المقطوعة من زنودها .

والبليغ الحاذقُ من إذا وصَفَ شيئاً أعطاه حقّه، ووفّاه شرطَه، ووصفه بما

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى أول الصفحة السابقة .
(٢) ق : « النوين » .
(٣) هذه من ق .
(٤) فى الأصل : « هناك بالجيد » صوابه، فى ق، وكلمة « بالجيد » مقحمة .
(٥) فى الأصل : « مزدوجات » صوابه فى ق .

يناسبه فى حالتَىْ مدحه وذمّه ، ووضع كلّ شىء فى مكانه فى نثره ونظمه[١] .

فأين هذا الشاعر فى أدبه وحذقه بالصناعة[٢] وفطنته ، من أبى على الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعزّ بن باديس أن يصف أترجّة [مصبّعة[٣]] كانت بين يديه[٤] ، فقال مرتجلاً على البديهة :

أترجّة سَبطة الأطرافِ ناعمةٌ ... تَلقى العيونَ بحُسنٍ غيرِ مبخوسِ[٥]

كأنّها بَسطت كفًّا لخالقها ... تدعو بطول بقاء لابن باديس

ولو أنّ ابن الرومىّ قصد مَدح الوَرد بقوله :

يا مادحَ الوردِ ماينفكّ من غَلطِه[٦] ... أما تأمّلتَه فى كفّ ملتقطِه

كأنّه سُرم بغلٍ حين يُبرِزُه ... عندالخراء وباقى الرَّوث فى وسطه

لكان غالطا أو جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمّه وأراد تخسيسه . فانظر هذا التشبيهَ الذى لم يُسمع أعجبُ منه . فلعن الله شيطانه[٧] !

وكذلك عبد الله بن المعتز فى قوله يصف القمرَ من أبيات :

وباتَ كما سرّ حُسّادَه ... إذا رام قُرباً من النوم شذّ[٨]

تفزِّزُهُ سروات البَعوضِ ... فى قمر مثل ظهر الجُرَذْ[٩]

وقول ابن المعتز فى القمر من أبيات :

ياسارقَ الأنوارِ من شمس الضحى ... يامُثْكلى طيبَ الكرى ومُنَغِّصى

(١) ق : « من نثره ونظمه » .
(٢) ق : « ومعرفته بالصناعة » .
(٣) هذه من ق .
(٤) فى الأصل : « كانت فى يده » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) مبخوس : منقوص . وفى الأصل « منحوس » ، صوابه فى ق .
(٦) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « من غلط » .
(٧) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « فلعن الله ذلك » .
(٨) فى ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعداءه » .
(٩) فى الأصل : « فمن قمر » ، صوابه من الديوان .

أمّا ضياء الشمس فيك فناقصٌ   وأرى حرارة نارها لم تنقُص
لم يظفر التشبيهُ فيك بطائل   متسلّخاً بَهَقاً كجلد الأبرص[١]

وهـذا بابٌ لو استقصيناه لطال واتسع[٢] ، فلنتركْه ولنصلْ من حبلنا ما انقطع[٣] .

* * *

وقال إسماعيل بن مكنسة[٤] من قصيدة :

أعاذلُ ما هبّت رياحُ ملامةٍ   بنار هوًى إلا وزادت تضرُّما
فـكلني إلى عين إذا جفّ ماؤها   رأتْ من حقوق الحبّ أن تذرِف الدّما
فـكم عَبرةٍ أعطت غرامى زِمامَها   عشـيّةَ أعملنَ المطىَّ المزمَّما
وعَين حماها أنْ يُلِمَّ بها الكرى   أحاديثُ أيام تقضَّين بالحمى
ولله قلبٌ قارعتْه همومُه   فلم يبق حَدٌّ منه إلا تثلما[٥]

وله من أخرى :

دقّت مَعاقد خصرِه فـكأنّها   مشتقّة من عهده وتجلُّدى[٦]
وتجعّدَتْ أصداغُه فـكأنّها   مسروقة من خَلقه المتجعِّدِ[٧]

[ومنها[٨]] :

---

(١) فى الديوان : « منك بطائل » . وفى الأصل : « بتسلخ » ، صوابه فى ق . وفى الديوان : « مسلخ » .

(٢) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « لو استقصيته لاتسع » .

(٣) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « من غرضنا ما انقطع » .

(٤) ق : « أبو الطاهر بن مكنسة » ، وكلاهما صحيح .

(٥) فى الأصل : « مثلما » ، وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .

(٦) فى الأصل : « من قده » ، صوابه فى ق وفى الخريدة (٢ : ٢٩٩) « من تيهه » ، وليست بشىء .

(٧) فى الأصل : « من شعره » ، وأثبت ما فى ق والخريدة ،

(٨) هذه من ق .

ما بالُه يجفو وقد زَعَم الورى ... أنّ الندى يختصّ بالوجه الندِى(١)
لا يخدعنّك وجنــــةٌ محمرّة ... رقّت ففى الياقوت طبع الجلمدِ

وله من قصيدة :

وعَسكرىٍّ أبداً حيثما ... تلقاه يلقاكَ بكلّ السّلاحْ
حاجبُه قوس وأجفانُه ... نَبلٌ وعِطفاه تثنّى الرّماح
[راح وفعلُ الراح فيه كما ... يفعل بالغصن نسيمُ الرياح(٢)

أغار فى هذا البيت الأخير على خالدٍ الكاتب فى قوله :

رأتْ منه عينى منظرينِ كما رأت ... من الشّمس والبدر المنيرِ على الأرضِ(٣)
عشيّةَ حَيّـــانى بوردٍ كأنه ... خدودٌ أُضيفَت بعضُهن إلى بعض(٤)
[وناولنى كأساً كأنّ مزاجها ... دموعىَ لما صدّ عن مقلتى الغمض(٥)]

* * *

وراحَ وفعلُ الرّاح فى حركاته ... كفعل نسيم الرّيح فى الغصن الغضّ

وأما البيت الذى قبله(٦) فقد تداولَه الشعراء . ومن مليح ما وقع فيه قولُ بعضِ أهل العصر :

بى مِن بنى الأصفر ريمٌ رمى ... قلبى بسهم الحوَر الصائب
سهمٌ من اللحظ رمتنى به ... من كَثَب قوسٌ من الحاجب
كأنما مقلتــــه فى الحشى ... سيفُ علىّ بن أبى طالب

وله فى ورق كاغد أهدى إليه :

---

(١) كلمة « يجفو » ساقطة من الأصل . وإثباتها من ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من الأصل ، وإثباته من ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٣) فى الأصل : « كأنما هو الشمس » ، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « على بعض » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) هذا من الخريدة فقط .
(٦) يعنى قوله :
حاجبه قوس وأجفانه ... نبل وعطفاه تثنى الرماح

أهدى لنـــا ورقًا أرَ   قَّ من الشراب المستحيلِ
خَلَقًا تمـــزقه الخطو   ط كأنه عِرضُ البخيل
لا بالصَّبيغ ولا الصَّقيـ   ـل ولا العريض ولا الطويل
إلاّ بياضًـــا خلتَه   وضَحًا على جسم نحيل(١)

وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذكر رزْمة كاغد أخرجت إليه من خزانة السلطان، تستعمل فى ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتاب الديوان يسرق الكاغد ، فسَلِمت تلك الرِّزمةُ منه لدمامتها وخِسّة ثمنها :

وكاغدٍ يشبه حالاتِنـا   فى كلِّ معنى ويحا كيها
جُنِّس للخطِّ به صورة   لا شىء فى القبح يدانيها(٢)
ينفُذ فى صفحته كلُّ ما   ترسُمه أقلامُنا فيهـــا
نُودِعهُ مكنونَ أسرارِنا   وهو إلى الألحاظ يُفشيها
مختلفُ الأجزاء مستخشَنٌ   تلمَسهُ الـكفُّ فيُدميها
كجِلدة الأبرصِ فى لونه   وصفًا على الحق وتشبيها
لو كان خُلقًا كان مستبشَعًا   أو كان خَلقًا كان تشويها
يعثِّر الأقلامَ حتَّى تُرى   مفلولةً فيهِ مواضيها(٣)
يتركها تشـبهُ أعجازُها   فى عدم البَرْى هَواديها(٤)
من بعد ما ضاهَى بأطرافها   أطرافَ سُمر الخطِّ باريها(٥)

(١) هذا البيت ساقط من ق .
(٢) فى الأصل : « فيهاما يدانيها » ، صوابه من ق
(٣) يقال أعثره إعثاراً وعثّره تعثيراً . وفى الأصل : « يغير الأقلام » وأثبت ما فى ق.
(٤) الـكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » ونصف الـكلمة التى بعدها ، وإتمامه من ق . وفى ق : « فى قدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل . وهواديها بمعنى أوائلها ، أى رءوسها .
(٥) ورد البيت فى الأصل مبتوراً ، منتهياً بـكلمة « أطراف » وإتمامه من ق .

وتفعل الأنملُ في جريها كالـــبرْق . . . يها[١]
وكم غدَا يسلُبها جاهداً مَن كان بالنفس يفدِّيها
يقول مَن يبصر أطباقَه شَلّت يدٌ بانت تعبِّيها
قد عَبِث السوسُ بأوساطها وقَرّض الفأرُ حواشيها[٢]
لو عُرِضت رِزمتُهُ لم تجد مشتريًا في الخَلْق يشريها
لو بَذَل الفَلسَ بها غالطًا أُوسِـعَ تضييعًا وتسفيها[٣]
لا يرزأ السارقُ منها ولا يغتالها مِن حيلة فيها[٤]
تُحْصِي الحصى مستوفيًا عدّه من قبل أن تُحصَى مساويها[٥]
من ذمٍّ ذا نقصٍ وذا خسّةٍ فهو بذاك الذمِّ يمديها[٦]

وقال أبو الطاهر[٧] :

قلتُ إذ عقربَ الدلا لُ على خده الشَّعَرْ
هـــذه آيةٌ بها ظهر الحسنُ وانتشر
ما رُئِي قبلَ صُدغه عقربٌ حلّت القمر[٨]

هذا معنًى مليح ولـكنّه سرقه من بيتين أنشدَنيهما بمصر رجل يسمى أبا محمد التـكريتيّ ، من تلاميذ أبي حامد الغزالي، لأبي حامد ، ولم أسمعهما من غيره :

(١) كذا جاء البيت في الأصل ، وهو ساقط من ق .
(٢) في الأصل : « بأطرافها » ، والوجه ما أثبت من ق .
(٣) تضييعا كذا وردت .
(٤) في الأصل: «نعبا لها» صوابه في ق. و «من حيلة» هي في الأصل و ق: «في حيلة» .
(٥) مستوفياً عده ، مكانها بياض في الأصل ، وإثباتها من ق .
(٦) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض في الأصل ، وإثباتها من ق .
(٧) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه في ص ٤٣ .
(٨) في الخريدة (٢ : ٣٠٢) : « ما رئي قط قبل ذا » .

حلّت عقاربُ صُدغه في خدّه ... قمراً فجلّ بها عن التشبيه[(١)]
ولقد عهدناه يحـلُّ ببُرجها ... فمن العجائب كيف حلّت فيه

وقال أبو الطاهر أيضا من قصيدة وقد عزم عليه بعضُ الأمراء في الخروج[(٢)] معه إلى الشام لقتال الغُزّ[(٣)] ، أوّلها :

غير عاصٍ عليكِ تقويمُ عُودى ... فانقُصى من ملامتى أو فزيدى[(٤)]
قل لمولاى إذ دعانى لأمر ... قمتُ فيـــه له مقامَ العبيد
ضعفَتْ حيلتى وقلَّ غنَائى ... ودنت غايتى ورَثَّ جديدى[(٥)]
أنا مالى وللشـــآم وإنى ... لأرى نار حربها فى وَقود
بلدٌ جِنُّـــهُ عفاريةُ الغُـ ... ـزِّ وأرضٌ وحوشُها من أُسود[(٦)]
والجِفار التى تقول إذا ما ... قيل هَلاَّ امتلأتِ: هل من مزيد[(٧)]
وكأنْ بى على بعـيرٍ ترانى ... آخرَ الناس فى لفيف الحُشود[(٨)]
أسودَ الوجـه ناظراً فى أمور ... معضِلاتٍ من الحوادث سُودِ

---

(١) وكذا روى فى وفيات الأعيان ، فى ترجمة أبى حامد الغزالى . وفى الخريدة وق : « ويجل به عن التشبه » . قال ابن خلكان : « ورأيت هذين البيتين فى موضع آخر لغيره » .

(٢) ق : « فى المسير » .   (٣) فى اللسان والقاموس أن « الغز » جنس من الترك . وانظر ابن الأثير (٩ : ١٤١ – ١٤٧) .

(٤) فى الأصل : « غير عاض » صوابه من الخريدة (٢ : ٣٠٨) . وفى ق : «عاس» يقال عسا إذا اشتد .

(٥) الغناء ، بالفتح : النفع . وفى الأصل: « عنائى»صوابه فى ق والخريدة (٢: ٣٠٨).

(٦) فى الأصل : « حنة » صوابها فى ق والخريدة . والعفارية بياء قبل الآخر : جمع عفرية ، وهو العفريت . وفى الأصل : « عفاربه » وفى ق والخريدة : « عفارته » صوابهما ما أثبت . انظر اللسان (عفر ٢٦٣) .

(٧) الجفار : جمع جفرة بالضم ، وهى الحفرة الواسعة المستديرة . وفى الأصل و ق : « الذى يقول » صوابه فى الخريدة . وفى الخريدة : « قيل امتلأت هل مزيد » ، وفى ق : « قال هل امتلأت » ولا يستقيم الوزن بأحدها . والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « وكأنى على » ، وأثبت ما فى ق والخريدة .

وإذا قيل فى غدٍ يلتقى النا   سُ فلا تنسَ فهو بيت القصيد
حيثُ لا ناظرى تراه حديداً   حينَ يبدو له بريقُ الحديد
حيثُ لا يُتَّقى لسانى ولا يَثْ   نِى عنانَ المغير عنِّى نشيدى(١)
إنّ رأيى إذا يُسدَّد نحوى   سهمُ رامٍ لغير رأيٍ سديد(٢)
فإذا ما قُتِلتُ كنت خليقاً   بدخولى جهنّماً وخلودى
فأقلنِى عثارَها وابقَ للمجـ   ـد وكبتِ العدى وغَيظِ الحسود(٣)

وقال من قصيدة فى طريقة أبى الشَّمَقْمق(٤) :

أنا الذى حَدَّثكم عنه أبو الشَّمقمقِ
وقال عنِّى إننى كنتُ نديمُ المتّقى
وكنت كنت كنت كنـ   ـتُ مِن رماة البُندق
حتّى متى ألقَى كذا   تيساً طويلَ العنق(٥)
بلحيةٍ سبابلة   وشارب محلَّق(٦)
[يا ليتَها قد خُلِقت   من وجه شيخٍ حَلَقى(٧)]

وقال(٨) مِن أخرى :

عشتُ خمسين بل تزيـ   ـدُ رقيعاً كما ترى

(١) ق : « رأس البعير عنى » ، وفى الخريدة : «زمام البعير» .
(٢) ق والخريدة : «إذا تسدد نحوى» ، يقال سدده فتسدد .
(٣) ق والخريدة : « وابق للحمد » .
(٤) ق : «أبو الرقعمق» ، وهو شاعر آخر وليس مراداً . أما أبو الشمقمق فهو مروان ابن محمد وكان معاصراً لبشار وأبى نواس . وترجمته فى « تاريخ بغداد » ٧١٢٨ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد . ولم يفرد له ترجمة . وأما أبو الرقعمق فهو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى ، وترجم له الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢٣٨) وابن خلكان فى الوفيات (١ : ٤١) .
(٥) ق والخريدة : « حتى متى أبقى » .
(٦) فى اللسان : « يقال سبل سابل » . وفى الخريدة : « بلحية مسبلة » .
(٧) البيت من ق والخريدة . والحلقى : المأبون ، وجاءت فى أصلها : « حاق » محرفة.
(٨) فى الأصل : « وقوله » ، صوابه فى ق .

أحسبُ المُقْـــل بندقاً وكذا الملحَ سكّرا[١]
وأظنُّ الطويل من كل شيء مدوّرا
قد كبِرٌ بِرٌ بِبِرٌ بِبِرٍ تُ وعقلى إلى ورا
عجباً كيفَ كلُّ شيءٍ أراه تَغَـــيّرا
لا أرى البَيض صار بُؤ كل إلاّ مقشَّـــرا
وإذا دقّ بالحـــجا ر زجاجٌ تكسرا
وإذا مات ميِّت لا يشـــمّنّ عنبرا[٢]

* * *

ومن شعراء المصريِّين زماننا هـذا من يقول ـ وهو أبو مشرف الدجرجاوى[٣] ، وهو منسوب إلى دجرجا ، وهى ضيعة[٤] بالصعيد الأعلى :

قاضٍ إذا انفصل الخصمان ردَّهما إلى الخِصام بحكمٍ غيرِ منفصلِ
يبدِى الزّهادةَ فى الدنيا وزُخرفِها جَهراً ويَقبل سراً بَعرَةَ الجمل

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن علىّ بن البرقى ، من أهل قُوص :

رمانى الدهرُ منه بكلِّ سهمٍ وفاجأنى ببينٍ بعـدَ بين[٥]
وجمّع فى فؤادى كلَّ حُزنٍ وفرّق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارةُ كلِّ قلب وفى عينى مدامعُ كلِّ عين

وله من أبيات :

ولى سَنَةٌ لم أدر ماسِنَةُ الكرى كأنّ جفونى مسمعى والكرى العذلُ[٦]

---

(١) المقل : ثمر الدوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ق والخريدة : « المصل » والوجه ما أثبت . وفى الأصل : « سكرا . وأحسب الملح سكرا » ، صوابه فى ق والخريدة .

(٢) البيت ساقط من ق والخريدة . وفى الأصل : « لايسمن »، تحريف .

(٣) قال ياقوت ، عند الكلام على دجرجا: «قدخرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يقال له (أبو) المشرف. وله شعر جيد » وفى الأصل: « الدجرجراى » صوابه فى ق والخريدة .

(٤) فى الأصل : « إلى ضيعته دجرجرا وهى » ، صوابه فى ق .

(٥) فى ق ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصار بيتاً واحدا. وكذا جاء فى الطالع السعيد للأدفوى ٢١٩

(٦) فى الأصل : « وبين جفونى » صوابه فى ق والخريدة والطالع السعيد . والكلمة الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإثباتها من النسخ الثلاث .

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقَصَ . أُنشِدتُهما لأبى الحسن [على بن[1]] الصوفى الحنبلى[2] :

قَصُرت أخادعُه وغاض قذالُه   فكأنه متوقِّع أن يُصفَعا[3]

وكأنه قد ذاق أوّل دِرّة   وأحسّ ثانية لها فتجمّعا

ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب :

تعسَّفها الحادى وقد هَجَر الفلا   ومرّ عليها الِخمْسُ يتبعه العِشْر[4]

وأنحلها لفحُ الهجير كأنه   هوًى وهو قلبٌ قد أضرَّ به الهجر

ومنهم من يقول ، ولا أتحقَّق اسمه ، فى رجل يلقب بالرشيد[5] :

شتّان ما بين الرشـ   ـيد وبين هارونَ الرشيد

هـــــذا يعزَّر بالجلو   د وذا يعزِّز بالجنود[6]

ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندرى[7] كاتب القاضى ابن حديد ، فى طبيبٍ أعلَمَ مشوّه الخلق :

صدِيقنا المستطِبُّ نادرة   قد أخذت منه أعينُ الناس[8]

أنيابُ غول ومِشفرا جملٍ   ورأسُ بغل وذَقن نِسناس

ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر ظافر بن قاسم المعروف بالحداد[9] من أهل الإسكندرية ، وكتب إلىّ بها فى رسالة :

---

(١) هذه من ق .   (٢) ق : « الجبلى » .

(٣) فى الأصل : « وغاب قذاله » ، وأثبت ما فى ق .

(٤) فى الأصل : « تعشقها » ، صوابه ما فى ق .

(٥) فى الأصل: « يسمى هارون الرشيد » ، وأثبت ما فى ق .

(٦) التعزير : ضرب للتأديب دون الحد . وهــذا هو الوضع الصحيح للبيت كما فى الأصل . وجاء على العكس فى ق وليس بشىء :

هــذا يعزز بالجنو   د وذا يعزز بالجلود

(٧) ق : «الإسكندرانى » .

(٨) فى الأصل : « قد أخذتها من أعين الناس » ، صوابه فى ق والخريدة .

(٩) ترجم له ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ، وياقوت فى « إرشاد الأريب » وذكر أنه توفى سنة ٥٢٩ .

وما طائرٌ قصّ الزمانُ جَناحَه فأعدَمَه وكراً وأفقَدَه إلفا
تذَكّر زُغباً بين أفنانِ أيكةٍ خوافى الخوافى ما يطرن بها ضعفا
إذا التحف الظلماء ناجى همومَه بترجيع لحنٍ كاد من رِقّة يخفى(١)
بأشوقَ منى إذ أطاعت بكَ النوى هوائيةٌ مائية تسبق الطرفا
تولّت وفيها منك ما لو أقِيسُه بما هى فيه كان فى نفضه أوفى(٢)

وقال أيضاً :

رَحَلوا فلولا أنّنى أرجو اللّقا لقضَيتُ نحبى(٣)
والله ما فارقتُكم لكنّنى فارقتُ قلبى(٤)

ومنهم من يقول ، وهو أبو القاسم بن رشد(٥) المصرى :

وكم قائلٍ لىَ سافِرْ إلى بلادِ العراق تقعْ فى الرّخاء(٦)
لعمرى لقد صدقوا قد وقعـ ـتُ وسط الرخاء بتقديم خاء

ومنهم من يقول — وهو الناجى المصرى — يهجو حمّاما :

إنّ حمامنا الذى نحنُ فيه هو فى حاجةٍ إلى حَمّامِ
قد دَخلنا ونحن أولاد سامٍ وخرجنا ونحن أولاد حامِ

وقال بعضُ أهل العصر فى هذا المعنى :

حمّامنا هذا أشدُّ ضرورةً ممن يحلُّ به إلى حمّامِ
تبيضُّ ألوان الورى فى غيرِه ويُعيرها هذا ثيابَ سُخام
قد كنتُ من سامٍ فحين دخلته لَشقاء جَدّى ردّنى من حام(٧)

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن مروان بن عثمان :

تمكّنَ منى السُّقم حتّى كأننى توهُّم معنًى فى خفىِّ سؤالِ

---

(١) ق : « من دقة » . (٢) ق : « كان فى وصفه وفى » .
(٣) ق : « أرجو الإياب قضيت نحبى » . (٤) ق : « والله ما فارقتهم » .
(٥) فى الأصل : « بن زبيد » وأثبت ما فى ق .
(٦) ق : « الرخا » بالقصر ، وكذا « خا » بالقصر فى البيت التالى .
(٧) فى الأصل: « دخلتها » ، صوابه فى ق والخريدة (٢ : ٣٠٥) .

[ولو سامحت عيناه عينىّ فى الكرى   لأشكلَ من طيف الخيال خيالى(١)]
سمحتُ بروحى وهى عندى عزيزةٌ   وجُدت بقلبى وهو عندىَ غالى
وقد خفتُ أن تقضى علىّ منيَّتى   ولم أقضِ أوطارى بيوم وصال(٢)
وهوَّنَ ما ألقى من الوَجد أنّه   صدودُ دلالٍ لا صدودُ مَلال
فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالةً   شددت عن الدنيا مطىَّ رحالى(٣)

هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكَّنَ لوعتى   أملى رضاك وزرتُ غير(٤)[مراقب
لكن صددتِ فلم تكنْ لىَ حيلةٌ   صدُّ المَلول خلاف صَدّ العاتب

ولمروان :

ما بالِ قلبك يستكينْ   أبه غرام أم جنونْ(٥)
برّحَ الخفاء بما تُجِـ   نُّ ، فأذهب الشكَّ اليقين
حتّى متى بين الجوا   نح والضلوع هوًى دفين
وإلى متى قلبُ المتـ   يم فى يد البلوى رهين
يا ماطلى بديونِ قلـ   بى آنَ أن تُقضَى الديون
شخَصت له فيك العيو   نُ وقسّمت فيك الظنون
وسلبتَ ألبابَ الورى   بلواحظٍ فيها فتُون
وقَوامِ أغصـان الريا   ض وأين تدرِكُكَ الغصون
الحسنُ فى الأغصان فـنٌّ   وهو فى هذا فنون

---

(١) البيت من الخريدة (٢ : ٢٠٣) .
(٢) فى الأصل : « منية »، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من ق .
(٤) بعد هـذا بياض فى الأصل بقدر نحو صفحتين ، وقد أكملته من ق والخريدة (٢ : ٢٠٤) ،والقدر المشترك بينهما فى التكملة هو السطر الأخير فقط مما وضع بين معكفين ، وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط .   (٥) يجوز فى رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان ذا … ك الغُنْجُ والسحر المبين

أم ذلك الورد الجنِـ … ـيّ بخدّه والياسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن الأشعث] :

إذا حلّ محمودٌ بأرضٍ فإنه … يفجِّر فيها من نَدَى كفِّه عينا(١)

فتُنبت نوراً مشبهاً لِهِباته … يُرى وَرَقًا بعضٌ وبعضٌ يُرى عينا(٢)

وله فى غلامٍ مليح أسمر :

يا ذا الذى يُنفق أموالَه … فى حبِّ هذا الرشأ الفائق(٣)

ما الذهب الصامتُ مستكثراً … إذهابُه فى الذَّهب الناطق(٤)

ومنهم من يقول فى معشوقٍ له تمتام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدِّمياطى :

تمتمةٌ تمَّ غرامى بها … وعارضٌ عرّضنى للسَّقام

ووَفرةٌ همِّى بها وافر … وحاجبٌ حجَّب عنِّى المنام(٥)

وله من أبيات يصف الخمر :

وبتُّ ليلى أرى النار التى سجدت … لها المجوسُ من الإبريق تسجد لى

هذا ـ أطال الله بقاء الحضرة السامية ـ ما أملاه الخَلَد ، على اليد ، فى مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة ما بين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت الفائت(٦) واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة عام ١٠٩١ بأدرنة .

---

(١) فى الأصل : « غيثاً »، صوابه فى ق والخريدة . والعين فى هذا : الينبوع الجارى .

(٢) فى الأصل « غيثا »، صوابه فى ق والخريدة . والورق : الفضة ، تقال بفتح الراء وكسرها ، وفتح الراء هنا أوفق للصناعة . والعين فى هذا البيت بمعنى الذهب . وفى ق والخريدة: « يرى ورقا بعضا وبعضا يرى » وتقرأ : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .

(٣) ق : « الأسمر الفائق » .

(٤) فى الخريدة : « مستنكرا » ، وفى الأصل : « ذهابه »، وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٢٠٥) .

(٥) فى الأصل: «الملام»، صوابه فى ق. (٦) فى الأصل: «الفائق »، صوابه فى ق.

كتاب المُردفات من قريش

لأبي الحسن على بن محمد المدائني

١٣٥ — ٢٢٥

رواية أبي الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفي ، عن أبي القاسم
عبد الله بن محمد ، عن أبي جعفر أحمد بن الحارث ، عن المدائني

مقـــــدمة

هذه الرسالة القيِّمة الطريفة فى موضوعها ـ وهو موضوعٌ حيوى اجتماعى فيه الإفصاح عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية فى الصدر الأول من الإسلام ـ صنعها راويةٌ جليـل من رواة الأخبار ، يعـدُّ فى الصدر من رجالات التأليف فى العصر العباسى ، هو أبو الحسن المدائنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف .

وأبو الحسن هذا بصرى سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولًى لعبد الرحمن بن سَمُرة القرشى ، وهذا يكشِف لنا القناع عن سرٍّ تأليفه لهذه الرسالة يتناول فيها أخبارَ النساء المردِفات من قريش .

وكان أبو الحسن ميّالا إلى التأليف فى أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالمًا بالفتوح والمغازى ، وكان لما أنعم الله به عليه من عمر مديدٍ جاوز التسعين ، أثرٌ عظيم فى ضخامة مكتبته التى أخرجها للناس ، وتناولها ابنُ النديم فى الفهرست بالسرد ، فأربت على (مائتين وأربعين مصنفًا) يلمح القارئُ فى عنواناتها جلالَ علم هذا الرجل ، واتساعَ معارفه ، وتبحُّرَه فى فنون التأليف والرواية .

ولد أبو الحسن سـنة ١٣٥ وترعرع فى كنف مولاه عبد الرحمن بن سمرة القرشى ، وعندما انتقل إلى بغداد وصَلَ حبلَه بإسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان لا يفارق منزلَه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن أغمض إغماضته الأخيرة فى منزل صاحبه إسحاق الموصلى فى سنة ٢٢٥ ، وكان إسحاق يبر أبا الحسن برًّا ظاهرًا ، ويروى أن يحيى بن معين سأله مرة وقد جاز عليه وهو على حمار فاره : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهمَ . يعنى إسحاق الموصلى .

هـذه المكتبة المدائنية التى ابتلعتها أحداث التاريخ فيما طوت من كنوز

الثقافة العربية، يقف الباحثُ من بعدها موقف الحسرة والأسى، وهو إنما يستروح بشىء من العزاء حينما يلمح بعض هـذه الآثار فى مقتبسات المؤلفين الذين رووا من تلك الكتب أطرافًا ، وفى طليعتهم أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى . واليوم نظفر بعزاء جديد حين ننشر على هذا الملأ من المتأدبين والعلماء قطرة من نبع آثار المدائنى ، هى تلك الرسالة التى تزدان بها المكتبة التيمورية التى حفظ فيهـا المغفور له العلّامة أحمـد تيمور باشا كثيراً من نفائس الإنتاج العربى ، وهى فى صحبة مجموعة تشتمل على ١١ رسالة رقمها ٨٠ مجاميع ، وعليها خط المغفور له الشيخ طاهر الجزائرى . وقد جعل عنوان هذه الرسالة : « رسالة المتزوجات من قريش » .

وهذا العنوان موضع نظر ، فإن «المتزوجات» من قريش لايحصيهنّ العدّ، وليس يخطر ببال مصنِّف أن يضع فى ذلك كتابا ، فإن الزواج أمر عام جدًّا ليس له طابَع من الغرابة يسترعى النظر والاهتمام ، فهذه الكلمة محرفة لاريب . وحين ننظر إلى موضوع الكتاب نجد أنه يتناول النساء القرشيات اللاتى أردفن زوجا بعـد زوج ولم يكتفين بزوج واحد ، لظروف متباينة ساقتهن إلى ذلك أو ساقت ذلك إليهن .

ثم نعود بعـد ذلك إلى ثَبَت كتب المدائنى فنجد بين كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء كتاب « المردفات من قريش » ، فكلمة « المردفات » التى يراد بها اللائى أردفن زوجا بعـد زوج ، هى الكلمة التى تصحح كلمة « المتزوجات» وهى الكلمة التى تنطبق على موضوع الكتاب أتمّ الانطباق .

وتبدأ سلسلة رواية هذه النسخة بأبى الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفى صاحب ثعلب المولود سنة ٢٥٤ والمتوفى سنة ٣٤٨، وتنتهى بتلميذ المدائنى وراويته أحمد بن الحارث بن المبارك الخراز المتوفى سنة ٢٥٧ . وهذه هى الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز، قال: أنبأنا أبو الحسن المدائني عليّ بن محمد، قال :

١ — تزوّج أمَّ كلثوم بنت على بن أبى طالب عليهما السلام، عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه، وقُتِل عنها فخطبها سعيدُ بن العاص فقالت : إن مثلى لا تزوّج نفسى، فائت أهلى . فأتى الحسنَ بن على عليهما السلام فخطبها فقاربه . فبعث إليها سعيدٌ بمائة ألف، وكلم الحسنُ الحسينَ فأبى . وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً، فأتاه سعيدٌ وحده فقال : أين أبو عبد الله ؟ قال الحسن : لم يحضرْ ولن يخالفنى إذا فعلت . فقال سعيد : إنى أكره أن أدخل بينكم بشىء تكرهونه . فرجع ولم يرجع فى المال ولم يطلبه . ثم تزوّجها عونُ بن جعفر، ثم تزوّجها محمد بن جعفر . وقد ولدت لعمرَ زيداً ورقيّة، فتزوّج رقيّة إبراهيم بن نعيم النَّحَّام[1]، وماتت هى وابنها زيد فى يوم واحد .

٢ — حدثنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

أمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعيط تزوّجها زيد بن حارثة، ثم خَلَف عليها الزبير بن العوّام فحملت . وكان الزبير شديداً على النساء، فأقام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة، وقالت له حين ضربها المَخَاض : طيِّبْ نفسى بتطليقة . فطلّقها وخرج إلى الصلاة، فلحقه رجلٌ فقال : قد ولدت أمُّ كلثوم . فقال : خدعَتْنى خدَعَها الله ! ولم يكن له عليها رَجعة . وخطبها فأبت أن تزوّجه . ويقال : أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره فقال : «قد مضى فيه القرآن، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها» . قال : لا ترجع إلىّ أبداً .

وابنتها من الزبير زينب . ثم تزوّجها عبد الرحمن بن عوف بعد زيد ثم

---

(١) انظر خبر زواج إبراهيم بن نعيم النحام فى الأغانى (٤ : ١٤٦) والمعارف ص ٨٠.

الزبير . فولدت لعبد الرحمن محمداً وإبراهيم وحميداً وإسماعيل ، ثم تزوّجها عمرو ابن العاص فأخرجها معه إلى مصر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجها معه فى بعض مغازيه تُداوى الجرحى وضَرَب لها بسهم ، فقالت يوما لخبّاز عمرو(١) : لاتهيّئ له اليوم طعاما فإنى قد هيأت له غَداءه . ودعا عمرو بالغداء ، فقال الخبّاز : أرسلت إلىّ أمّ كلثوم : لا تَكلّفْ شيئاً فقد هيأت له غداءه . قال : فغدِّنا فتغدّى ، فلما فرغوا وخرج مَن حضر قال لأم كلثوم : لا تعودى فإنى لم أتزوجك لتطعميني ، وإنما تزَوّجتُك لأطعمك . فماتت عنده .

٣ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : كانت هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة أمُّ معاوية ، عنـد الفاكه بن المغيرة ، فقتل عنها بالغُمَيصاء(٢) فى الجاهلية ، ثم خَلَف عليها حفصُ بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها أبوسفيان بن حرب .

٤ — عاتكة ابنـة زيد بن عمرو بن نُفَيل ، أنبأنا أبوالحسن عن جويرِيَةَ ابن أسماء وعامر بن حفص قالا :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، أمها ميمونة بنت الحضرمى بن الصعبة(٣) كانت عنـد عبد الله بن أبى بكر بن أبى قحافة فأحبها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة ، فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها وقال : قد فتَنَتك عن دينك ، وشغَلَتْك عن معيشتك . فطلّقْها . فطلّقها ، وقال :

ولم أر مِثلى طلّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها فى غير جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلقٌ سمحٌ ورأىٌ ومَنصِبٌ وخَلقٌ سَوِىٌّ فى الحياء ومَصْدَقُ(٤)

---

(١) يطلق الخباز على من كان يشرف على إعداد الطعام وطهيه . انظر التحقيق فى حواشى الحيوان (٥ : ٤٥٧) .

(٢) الغميصاء : موضع فى البادية بالقرب من مكة .

(٣) فى الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء ، أن أمها أم كريز بنت عبدالله بن عمار بن مالك الحضرمية .

(٤) المصدق : الصدق . وفى الأصل : « فى الحياة » ، وفى الأغانى (١٦ : ١٢٨) : « فى حياء » .

أعاتكُ لا أنساكِ ما هبّت الصَّبَا   وما ناح قُمْرِىُّ الحمامِ المطوّقُ
أعاتكُ لا أنساكِ ما حجَّ راكبٌ   وما لاح نجمٌ فى السماء محلِّقُ
أعاتكُ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ   إليكِ بما تُخفِى النّفوسُ معلَّقُ
ولولا اتِّقاءُ اللهِ فى حقِّ والدٍ   وطاعَتُه ما كان منّا التفرّقُ

فبلغ أبا بكر شعرُه فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم فى حصار الطائف فانتقض به جُرحه فمات ، فقال لعاتكة حين احتُضِر : لكِ حديقة من مالى ولا تزوّجى . ففعلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعاتكُ قد طُلِّقتِ عنى بغُصَّةٍ   وراجَعْتِ للأمر الذى هو كائنُ(١)
كذلكِ أمرُ الله غادٍ ورائحٌ   على النَّاس فيـه أُلفةٌ وتباينُ
وقد كان قلبى للتفرُّق طائراً   وقلبى لما قد قرّب اللهُ ساكنُ
أعاتكُ إنِّى لا أرى فيك سَقْطةً   وإنك قد حلَّت عليك المحاسنُ(٢)
وإنّك ممن زيّن اللهُ أمْرَهُ   وليس لما قد زيَّن الله شائنُ(٣)

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبرُ ابنى على سبع كَيَّاتٍ(٤) . فلما مات عبد الله قالت عاتكة :

فُجعتُ بخير النَّاس بعد نبيِّهم   وبعد أبى بكر وما كان قَصَّرا
فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً   عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبَرا
مَدَى الدهر ماغنّت حمامةُ أيكةٍ   وما طرَدَ الليلُ الصَّبَاحَ المنوِّرا
فلله عينا مَن رأى مثلَه فتىً   أكرَّ وأحْمَى فى الجهاد وأصبرا
إذا شَرَعتْ فيه الأسنّةُ خاضَها   إلى الموت حتّى يترك الرُّمحَ أحمرا

---

(١) فى الأغانى : « فى غير ريبة * وروجعت » .
(٢) فى الأغانى : « سخطة * وإنك قد تمت » .
(٣) فى الأغانى : « وجهه * وليس لوجه زانه الله » .
(٤) يعنى بذلك جزاءه على ما اكتنز من الدنانير . (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم).

فخطبها عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنّى قد جعلت على نفسي مالا أقدر [معه] على التزويج . فقال : استفتى ابنَ أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال : ردّى عليهم ما أخذتِه منهم وتزوَّجى . فردّت الحديقة، فتزوّجها عمر رضي الله عنه، فلما دخل بها أوْلَمَ ، فدنا علىٌّ رضى الله عنه من خِدرها وقال :

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا !

فبكت ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تُفسد علينا أهلنا(١) . ويقال قال هذه المقالةَ لها عبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قتل عمر قالت :

فَجّعنى فيروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ بأبيضَ تالٍ للقُرآنِ مُنيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غَليظٍ على العدى أخي ثقةٍ فى النَّائباتِ نجيبِ
متى ما يقُلْ لا يُكذِّبِ القولَ فِعْلُه سريعٍ إلى الخيرات غيرِ قَطُوبِ

وقالت :

عينُ جُودِى بعــبرةٍ ونحيبِ لا تملِّى على الإمام النَّجيبِ
فجّعتْنى المنونُ بالفارس المُقْـ ـدِم يومَ الهِياج والتذبيبِ(٢)
عِصمةِ النّاس والمعينِ على الدّهـ ـر وغيثُ المنتاب والمحروبِ
قل لأهل الضَّرّاء والبأس مُوتُوا قد سقَتْه المنونُ كأسَ شَعُوبِ

فخطبها طلحة بن عُبيد الله ، فمشى فى أمرها هَبّار بن الأسود فأفسد عليه ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد فقالت : أتنهانى عن الخروج إلى الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : «لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . فأعرض عن ذلك أياماً ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عجيزتَها بيده ـ وكانت عظيمةَ العجيزة جميلة ـ فرجعتْ إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة ، إنا لله . وتركت الخروج ، فقال لها الزبير : مالكِ تركت

(١) فى الأصل : « أهلها » .
(٢) التذبيب: إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى : « التلبيب » .

الصلاة فى المسجد ؟ قالت : قد فسد الناسُ أبا عبد الله ! فقتل عنها فقالت :

غدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهمَةٍ   يوم اللِّقاء وكان غير معرِّد
يا عمرُو لو نبّهتَه لوجدتَه   لا طائشاً رَعِشَ الجَنان ولا اليدِ
شلّتْ يمينُك إن قتلت لمسلماً   حلّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ[1]
كم غمرةٍ قد خاضَها لم ينهه   عنها طرادُك يا ابن فَقْعِ القَرْدَدِ

ثم خطبها على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالت : إنِّى أشفق عليك من القتل، لم أتزوّج رجلا إلا قتل . فتزوّجها محمد بن أبى بكر فخرجت معه إلى مصر فقُتل ومُثِل به ، فقالت :

إن تقتلوا أو تَمثُلوا بمحمّد   فما كان من شأنِ النِّساء ولا الخمرِ[2]

فتزوجها عمرو بن العاص .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن أبى مقرر ، عن محمد بن عمرو ، أن ابن أمية بن خلف[3] رأى رؤيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافة أبى بكر فقصها فقال : رأيت أن هذا الرجل قد هلك ، وأنت مكانه ، فبعثتَ إلى هذه المرأة فتزوجتها ـ يعنى عاتكة بنت زيد ـ فدخلتُ عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر . فقال عمر : بل يُبقى الله خليفة رسول الله . فلما توفى أبو بكر أرسلَ إليها فخطبها .

٥ ــ سكينة ابنة الحسين عليه السلام ، أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[4] تزوجها عبد الله بن الحسن وهو أبو عُذرتها ، فمات ـ ويقال قتل مع الحسين ـ فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنةً ، فأرسل إليها : سمِّيها زَبراء

(١) انظر خزانة الأدب (٤ : ٣٤٨ ـ ٣٥٢) فى الكلام على هذا البيت .

(٢) يقال مثل به يمثل مثلا مثل قتل يقتل قتلا ، ومثل به تمثيلا ، إذا نكل به .

(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف ، كما فى طبقات ابن سعد ٨ : ١٩٤ . وانظر خبر ربيعة هذا فى الأغانى ١٣ : ١٠٧ .

(٤) انظر خبر تزويج الرباب للحسين بن على فى الإصابة ٤٨٤ ، قسم النساء.

قالت : أسمِّيها باسم إحدى أمهاتى . فسمَّتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب وهى صغيرة ، فحملها مُصعبٌ إلى العراق فقتل عنها .

وقال ابن قيس الرقيّات حين تزوّج مصعبٌ سكينة ـ ويقال قالها الحارث ابن خالد المخزومى حين خرج مصعب بعائشة بنت طلحة :

رحل الأميرُ بأحسن الخلق   وغدا بلبِّكَ مطلعَ الشَّرْقِ[1]
وبدَتْ لنــا من تحت كِلَّتها   كالشَّمس أو كغمامة البَرْقِ
وتَنُو فتُثْقِلهـــا عجيزتُها   مَشْىَ النَّزِيف ينوء بالوَسْقِ[2]
فظلِلْتَ كالمقمورِ خُلعتَه   هذا الجنونُ وليسَ بالعِشْقِ[3]
ماصبّحتْ زوجًا بغُرّتها   إلا غدَا بكوا كب الطَّلْقِ

وتروى هذه الأبيات لرجل من ثقيف قالها فى امرأةٍ من ثقيف .

وخطب سُكينةَ عبدالملك بن مرْوان فقالت أمها : والله لاأزوجهامنه أبدًا وقد قتل ابنَ أختى ـ تعنى مصعبا[4] ـ فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ـ وأم عبد الله بن عثمان رملةُ ابنة الزبير بن العوّام ـ فولدت له سكينةُ ابنًا يقال له قُرَين ، وحكيما ، وابنة ويقال ابنتين . فمات عنها فتزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، فأصدقها صداقا كثيراً ، فقال

---

(١) فى الأصل : « بليل » ، صوابه من ديوان ابن قيس الرقيات ١٠١ . وفى الأغانى (٣ : ١٠٣) : « وغدوا بلبك » .

(٢) الديوان ١٠٣ : «نهض الضعيف» . والوسق ، ستون صاعا ، أو حمل بعير .

(٣) الخلعة ، بضم الخاء وكسرها : خيار المال ، لأنه يخلم قلب الناظر إليه . وفى الأغانى: « مهجته » .

(٤) هو مصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك قد سار إلى العراق ، فالتقى مع مصعب بمسكن ، من أرض العراق ، فقتل مصعب سنه ٧٢ . وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إن الرزية يوم مسـ   ـكن والمصيبة والفجيعه
بين الحــوارى الذى   لم يعده يوم الوقيعه

عبد الملك : إنا تزوجْنا أحسابنا فلمَ نغرِقُ فى الصداق ، طلِّقْها . فطلقها ، فقال أيمن بن خُرَيم :

نكحت سُكينةُ فى الحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ
إنَّ البَقيعَ إذا تتابعَ زرعُه خابَ البقيعُ وخابَ فيه الزارعُ[1]

٥ فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان ـ وأمه أم ولد ـ فأصدقها صداقاً كثيراً ، واشترطتْ عليه أن لا يعصى لها أمراً ولا يُغيِّرَها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل عليها ، وأن يقيمها حيث خَلَّتْها أمُّ منظور[2] . فتزوّجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيدَ بنَ عمرو ، إنك شرطت لسكينة أن لا تطأ جارية ، وعندك أمثالُ المها ، وأنا أعلم أنك لا تصبر وأنك قد وطئت

١٠ بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع أن تفيَ بها ، وقد حرمت عليك سكينة . فطلَّقَها زيد فتزوّجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضَوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام ، فقال له : انطلقْ فادخل على أهلك ، فإن حالَ بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشرّ ، فجاء فى رجال من بنى زُهرة ، فأعانه قوم من قريش ، وجاء بنو

١٥ هاشم وبنو أميّة وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان مواليَه وغلمانه فى السلاح ، فقيل للوالى : إن لم تمنعهم تقاتلوا . فأرسل فردّ الفريقين ، وكتب إلى هشام فكتب إليه هشام : خيِّروها ، فإن اختارته فاحملها إليه . فاختارت نفسها ، وأتى الخبرُ إبراهيمَ فأتاها فقال : أنا خيرُ الناس لكِ . قالت : ماتقول، يا بأبى؟! فعلم أنها تهزأ به ، فانصرف فخيَّروها فاختارت نفسها ، فجاء علىٌّ بن حسين بن

٢٠ حسين عليهم السلام فحملها .

وكانت سكينة تقول لزوجها زيد بن عمرو بن عثمان : اخرج إلى مكة وأخرج

---

(١) البقيع : الأرض الواسعة ، ولا تسمى بقيعاً إلا وفيها شجر .
(٢) فى الأصل : «أن يقفها حيث جلتها أم منظور» ، صوابه من الأغانى (١٤ : ١٦٣).

معك أشعب . فيُخرجه ويخرجُ من أرادت ، فإذا قضوا حجهم ورجعوا فكانوا فى نصف الطريق قالت : يا ابنَ عثمان، ارجع إلى مكة . فيقول : نعم . فإذا صَرفوا الإبل إلى مكة قال لها : ياسكينة ما أستطيع أن أخالفك وقد انصرف الناس ، فإن رأيتِ أن تمضى معهم . فتقول : نعم فتمضى معهم يومهم ذلك ، ثم تقول : يا ابن عثمان ، ارجعْ ! فيقول : نعم . فتفعل ذلك مراراً ، ومع هذا مواتاةٌ منها وقرّةُ عينٍ وشفقةٌ ونصيحة ، وإنما كان ذلك كله منها مزاحاً لتسرَّه ثم ترجع إلى مايريد . فعتب عليها يوما فى بعض الأمر فصارمَها وخرج إلى قصرله فى ماله .

قال أشعبُ : فدعتنى ليلة بعد العشاء فقالت : ويلك ، هل لك أن تأتىَ ابن عثمان فتعلم لى علمَهُ أيةً خرج وأخذ . قلتُ : لا أستطيع أن أذهب هذه الساعة . قالت : فإنى أعطيك ثلاثين ديناراً . قلت : ادفعيها إلىّ . فأعطتنى ثم مضيتُ فانتهيتُ إلى القصر بعد ما هزيعٍ من الليل، وليس على باب القصر أحد، فدخلت الدار فإذا هو بين يديه مصباح ، قد نزل عن فُرُشه وهو ينكتُ فى الأرض ، فسمع حِسّى أو رأى خيالى فقال : إن فى الدار إنساناً فانظروا من هو . فجاؤونى فرأوْنى فقالوا : شعيب[1] . فدعا بى فقال : ويلك يا شعيب ما قصتُك ؟ قلت : أرسلتنى سُكينة . قال : ولم ؟ قلت : ذكرتْ منك ماذكرتَ منها فأرسلتنى أعلمُ لها علمك . قال: ويحك،غننى فإن جئتنى بما فى نفسى فلك حلتى الطبرّية[2] فقد أخذتها بثلثمائة[3] . فغنيته :

عُلِّقَ القلبُ بعضَ ما قد شجاه   من حبيبٍ أمسى هواناً هَواهُ

---

(١) يعنون أشعب ، وهو ترخيم ، كما قالوا فى أحمد: حميد ، لغير نداء.

(٢) الطبرية : نسبة إلى طبرستان . وفى الأصل : « الصبرية » بالصاد ، تحريف . وجاء فى كتاب (التبصر بالتجارة) للجاحظ ٢٢ بتحقيق العلامة حسن حسنى عبدالوهاب باشا: «وخير الطيالسة الرويانية الطبرية» . وفى الحيوان (٣ : ٢٧) : « قالت لأحمد بن رياح : اشتريت كساء أبيض طبريا بأربعمائة درهم » .

(٣) أى ثلاثمائة درهم . انظر ما سبق .

ماضِرارى نفسى بهجرانِ من لَيْـ ... سَ مسيئاً ولا بعيداً نَوَاه

قال : ماعدوتَ ما فى نفسى . وأعطانى حلته ، فرجعت إلى سُكينة وهى جالسة تنتظر رجوعى ، فأخبرتها عنه وعن حاله التى رأيت عليها وما قلت وما صنع . قالت : فأين الحُلة ؟ قلت : معى . قالت : أفتريد ياشعيب أن تلبس حُلة قد لبسها ابن عثمان وتسلبه إياها ، لا ولا كرامة . قلت : والله لألبسنها . قالت : فأنا أشتريها منك . فاشترتها بمائة دينار ، ويقال بثلاثين ديناراً .

وكان تزويجُ إبراهيم بن عبد الرحمن بها أنها مكثت حيناً بعد زيدٍ لا تخطب، فقالت لها مولاة لها : جعلت فداك، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . قالت : أما والله لأجعلنّ لهم حديثاً . فأرسلت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان شرساً كثير الشر ، فقالت له : كيف أنت إن تزوّجتك ؟ قال : تجديني خير الناس .

وكانت ظريفة فقيل لها : ياسُكينة ، أختك ناسكة وأنت مزّاحة . قالت : إنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، وسميتمونى باسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام[١] .

ويقال إنها لما زُفت إلى زيد مُخملت ، قالت لمولى لها كان يمشى مع دابتها يقال له بحة : ويلك ما لَك . وقالت لرجل : قوّم هذا الأديم .

وذكرَ الفرزدق سكينة وشبّب بها وعمرُ بن عبد العزيز على المدينة ، فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير فى ذلك :

نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيز ... بحقّك تُنفَى من المسجدِ[٢]

---

(١) أختها فاطمة بنت الحسين بن على ، سميت باسم جدتها فاطمة بنت الرسول زوج على ابن أبى طالب . ومما هوجدير بالذكر أن اسم سكينة بنت الحسين ، هو آمنة ، وأما سكينة فلقب لها . وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم الرسول صلوات الله عليه . انظر الأغانى (١٤ : ١٥٨) .

(٢) وكذا رواية النقائض ٧٩٨ . وفى الأغانى (١٩ : ٥٢) : « ومثلك ينفى » .

وطافت سكينة بنت حسينٍ رضى الله عنه، فلما انتهت إلى الركن اليمانى أعيتْ فى أول طواف، ونظر إليها العرْجىُّ فقال :

يقعُدنَ فى التَّطوافِ آونةً ويطُفْنَ أحياناً على فَتْرِ
حتى استلَمْنَ الركنَ فى أُنُفٍ من ليلهنَّ يطأْن فى الأزْرِ
ففرَغْنَ فى سبعٍ وقد جُهِدَتْ أحشاؤهن موَائلَ الخُمْرِ

فسمعت شعرهُ امرأةٌ ووصفته لها، فحفظت الشعر فأخبرتها، قالت : « لو أن الجمال طُفْن سبعاً لجهدت أحشاؤهن » .

وقال أبو دَهْبَل يمدح عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ـ وهو زوج سكينة، ولدت منه قُريناً، وحكيما، وابنة. وأمُّ عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم رملة ابنة الزبير ـ فقال :

أكرم بنسلٍ منكَ بين محمدٍ وبين عَلِيٍّ فاسمعنَّ كلامى
وبين حكيمٍ والزُّبير فلا أرى لهم شبهاً فى مُنْجِدٍ وتِهامِ
تمطَّتْ به بيضاء فرعُ نجيبةٍ حَصَانٌ وبعض الوالدِينَ عُرامُ(١)

٦ ــ أخبرنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أمُّ إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فولدت له طلحة، فلما حضرته الوفاة أمر أخاه الحسين بن علىٍّ أن يتزوَّجها، فتزوَّجها فولدت له فاطمة بنت الحسين. فقُتل الحسين فتزوَّجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، فولدت له آمنة .

٧ ــ أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة ابنة عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر، كانت عند عبد العزيز بن الوليد، فولدت له عبد الملك، وعتيقاً، ثم خلف عليها محمد بن الوليد، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك .

---

(١) العرام : الأذى . وفى البيت إقواء .

٨ — عائشة ابنة طلحة . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص قال : تزوّج عائشة ابنة طلحة عبدُ الرحمن بن أبى بكر، وهو أبو عُذْرتها، فولدت له أولاداً ، فابنها طلحة الذى يقول له الشاعر :

يا طَلْحَ إن كنتَ أعطيتنى جُماليّةً تستخفُّ الضِّفارا[1]
فما كان نفعُك لى مرّةً ولا مرّتين ولكنْ مِرارا
أبوكَ الذى بايعَ المصطفى وسارَ مع المهتدِى حيث سارا

قال أبو الحسن : عن سحيم، صارمت عائشة زوجها، وكان فى خُلُقها زَعارة، خرجت وهى مصارِمَةٌ له فى مِاحفة فمرّت فى المسجد حتى دخلت حُجرة عائشة، فرآها أبو هريرة رضى الله عنه فسبّح وقال : كأنها من الحور . فمكثت عند عائشة قريباً من أربعة أشهر ، فأرسلت عائشة إلى ابن أخيها : إنى أخاف عليك الإيلاء إن تمّت أربعة أشهر ، فضُمَّها إليك . وكان يلقى منها البلاء، فقيل له طلقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها ، وأصبِحَ ثاويا مقيما عليك الهمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنَّ فراقى أهلَ بيتٍ أودُّهم لهم زُلفةٌ عندى لإحدى العظائمِ
فكيف بِصَفوِ العيشِ من بعدِ بَينِهم وسُخْطُهُمُ يوما على الأنفِ خاطِمِى

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو علىّ كظهر أمى . ثم سألت أهل المدينة فقالوا : أعتقى رقبة وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنس بن أبى أنس بن زُنيم :

بُضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتبيتُ ساداتُ الجنود جياعا
لوْ لأبى حفصٍ أقولُ مَقالتى وأبثُّه ما قد رأى لارتاعا[2]

---

(١) الضفار ، بالفتح : مايشد به البعير من شعر مضفور .
(٢) فى الأصل : « لولا أبو حفص » ، تحريف .

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدّم خيره ، وأخّر أيره . وبلغ الكلامُ عبد الملك بن مروان فقال : لكن عبد الله قدّم أيره وأخّر خيره .

أحمد قال : قال أبو الحسن : قال الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟ قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبها، وكانت خطبة جميلة من امرأة فى أذنها عِظَم، وفى ساقها حموشة(١) وقال قوم : فى قدمها عِظَم . فأغارها مصعب يوماً فسمّته .

أنبأنا أحمد قال : قال أبو الحسن : عن علىّ بن مجاهد عن الشعبي قال : قال الشّعبى : أخذ بيدى مصعب فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده فى يدى فرفع ستراً فإذا عائشة ، فإذا أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاّنى ودخل ، فرجعت ثم رحت إليه بالعشىّ وهو جالس فأشار إلىّ بيده فقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التى يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلَى لَدُنْ طَرَّ شاربى ... إلى اليوم أُخفِى حبَّها فأُبايِنُ(٢)
وأحملُ فى ليلى لقلبى ضَغينةً ... وتُحمَلُ فى ليلى علىّ الضغائنُ

ياشعبىُّ رأيتَ عائشة وما بدٌّ لك إذ رأيتها من صلة . ثم قال لابن أبى فروة : أعط الشعبىَّ عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب فخطبها بشر ابن مروان . وقدِم عمرُ بن عبيد الله بن مَعْمر من الشام فنزل إلى الكوفة ، فبلغه أن بشراً خطب عائشة فأرسل إليها : « أنا خير لك من هذا المبْسور(٣) ، وأنا ابن عمّك وأحقّ بك، وإن تزوّجت بك ملأت بيتك خيراً ، وملأت حِرَكِ أيرا » . فبنى بها بالحيرة فمهدت له فرُشاً سعة عرضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنائها عن

(١) الحموشة : الدقة ، وفى الأصل : « جوسة » ، محرفة .
(٢) البيتان لكثير عزة كما فى الأغانى (٢ : ١٣٣) . وروايته : « وأداجن » .
(٣) المبسور : من به الباسور .

تسعة(1). وكان عمر غايظاً أحمر يحتجم كل سبعة أيام، فأخرجها معه إلى فديك(2).
ولها يقول الشاعر:

انعَمْ بِعَيْشَةَ عيشاً غير ذى رَنَقٍ   وانبِذْ برَمْلَةَ نبْذَ الجوربِ الخَلَقِ

وقال آخر:

من يجعَل الدِّيباج عِدْلاً للزِّيقْ
ـ أراد الريح، وهو ريح الخميس(3) ـ
بين الحَوارِىِّ وَبين الصِّدِّيقْ

فمات عنها فبكته، فعلموا أنها لا تزَوّج.

أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن، عن سحيم بن حفص قال: قالت رملة بنت طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى لمولاة عائشة: أريني عائشة متجردة، ولك ألفا درهم. فقالت لمولاتها: إنّ رملة جعلت لى ألفى درهم إن رأتك متجردة. قالت: فإنى أتجرد لها فأعلميها. وتجردت وجعلت تغتسل مدبرة ومقبلة، ورملة تنظر إليها، ثم لبست ثيابها فأعطت رملةُ مولاتَها ألفى درهم ثم قالت: وددتُ أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرَها.

قال أبو الحسن: عن أبى عمرو طارق بن المبارك قال: قال عمر بن ربيعة لعائشة بنت طلحة يشبّب بها:

أصبح القلبُ فى الحبال رهيناً   مُقْصَداً يوم فارق الظّاعنينا
لم يرُعنى إلا الفتاةُ وإلا   دمعُها فى الرّداء سَحًّا سَنينا(4)
عَجّلت حُمّةُ الفراق علينا   برحيلٍ ولم تخف أن تبينا
أنتِ أهْوَى العِبادِ قُرْباً وَوُدًّا   لو تُواتِينَ عاشقاً محزُونا

(1) الذراع يذكر ويؤنث.
(2) فديك، بالتصغير: موضع، ولم يعينه ياقوت ولا صاحب القاموس.
(3) كذا وردت هذه العبارة محرفة. والخميس: ضرب من ضروب اليمن.
(4) السنين، بفتح السين: المسنون المصبوب.

قادهُ الطرفُ يوم مرَّ إلى الحيـ　　　ـن جهاراً ولم يخف أن يَحينا
وجلا بُرْدُ بِرْكةٍ جَنَديٌّ　　　ضوء وجهٍ يُضيء للنّاظرينا[١]
فإذا ظبيةٌ تراعِي نعاجاً　　　ومهاً بَهَّجَ المناظِرِ عِينا
قلت: من أنتمُ فصدّتْ وقالت:　　　أمُبِدٌّ سؤالُكَ العالمينا[٢]
قالتْ: باللهِ ذي الجلالة لَمّا　　　إذ تبلتِ الفُؤاد أنْ تصدُقينا[٣]
أيُّ مَنْ تجمعُ المواسمُ أنتمْ　　　فأبيني لنا ولا تَكذِبينا
نحن من ساكني العراق وكُنّا　　　قبلها قاطنين مَكّةَ حِينا
قد صدقناكِ إنْ سألتِ فمن أنـ　　　ـتِ،عسى أن يجُرَّ شأنٌ شؤونا[٤]
قد نرى أننا عرفناكِ بالنّعـ　　　ـت بظنٍّ وما قتلْنا يقينا[٥]
بسواد الثَّنيَّتين ونغرٍ　　　قد نَراهُ لناظرٍ مُسْتَبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلت له هذا وما كلمته قط.

أنبأنا أحمد قال أنبأنا أبوالحسن عبد الله بن فائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبدالملك فحدثته وقالت يا أميرالمؤمنين، مُر لى بأعوان. فصيَّر إليها قوماً يكونون معها، فحجت ومعهاستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل، فقال عروة بن الزبير:

عائشَ يا ذاتَ البغال السِّتّينْ　　　أكلَّ عامٍ هكذا تحجّين[٦]

٩ — ابنة محمدبن عروة بن الزبير. أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أبوالحسن قال:

---

(١) البركة، بالكسر. ضرب من برود اليمن. والجندى: نسبة إلى الجند بالتحريك، وهو موضع باليمن. والبيت لم يرو فى ديوان عمر. انظر ص ٦٩.

(٢) لما، هنا بمعنى إلا. (٣) قال ابن‌الأعرابى: يبدهم: يفرق‌القول فيهم. وأنشد:

بلغ بى عجب وبلغ مأربا　　　قولا يبدهم وقولا يجمع

انظر اللسان (٤: ٥٤). وفى الأصل: «مبذ»، وهو على الصواب فى الديوان.

(٤) فى الأصل: «قد سألناك إذ سألت»، والوجه ما أثبت من الديوان.

(٥) هو من قول الله: «وما قتلوه يقينا». وفى الأصل والديوان: «وما قرانا يقينا».

(٦) انظر الأغانى (١١: ٦٠).

ابنة محمد بن عروة بن الزبير كانت عند الحكم بن يحيى بن عروة ، وعند أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوجها محمد بن عمران بن طلحة ، ثم راجعها الحكم ابن يحيى بن عروة ، ثم طلقها ـ وكان قاضياً على المدينة ـ واشترطت عليه أن عطاءه ما عاشت وغلة أرضه وبُضع بناته إليها ، تزوجهنّ من شاءت ، ولا يغير عليها ، فإن فعل فأمرها بيدها .

١٠ ـــ أحمد قال : انبأنا أبو الحسن : أم سلمة ابنة عبد الرحمن بن سهيل ابن عمرو ، كانت عند الحجاج بن يوسف ، فطلقها فتزوجها الوليد بن عبدالملك ، فأجلها سليمان وعليها درع فأدخله من وراء الثوب ، ثم طلقها فتزوجها هشام ابن عبد الملك

١١ ـــ أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال : ربيحة بنت محمد بن على بن عبدالله ابن جعفر ، تزوجها يزيد بن عبدالملك ، ثم تزوجها أبو بكر بن عبدالملك ، فقتله عبدالله بن على وتزوجها صالح بن على ، فطلقها فتزوجها إسحاق بن إبراهيم بن حسن ابن حسن بن على عليهم السلام . وقوم ينكرون تزويج يزيد بن عبدالملك ربيحة .

١٢ ـــ أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال: سحيقة[1] ابنة محمد بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، تزوّجها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله ، فولدت له ابنة ، ففارقها فتزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن عبدالله بن جعفر ، فتوفى عنها ، فراجعها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

١٣ ـــ أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم إسحاق بنت طلحة بن عبدالله كانت عند الحسن بن على ، فولدت له طلحة بن الحسن ، فمات عنها وأوصى الحسين بتزوجها ، فتزوجها الحسين ، فولدت له فاطمة بنت حسين ، فقُتل عنها ،

(١) اشتقاق اسمها من السحيقة ، وهى المطرة العظيمة .

فتزوجها ابن أبى عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر - فولدت له آمنة . ويقال تزوجها قبل ابن أبى عتيق تمام بن العباس بن عبدالمطلب فهلك عنها فتزوجها ابن أبى عتيق .

١٤ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة بنت عبد الرحمن ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، كانت عند عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك ، فولدت له عبد الملك وعتيقاً . وكان عبد الملك من رجالهم ، فمات فرثاه بعض الشعراء من كلب ، فقال :

إنّى رأيتُ بَنِى أمِّ البنينَ لهُمْ مجدٌ طويلٌ وفى أعمارهم قِصَرُ(١)
ماتَ الهمامُ أبو مَرْوانَ فاختشعَتْ كلْبٌ لذاك وذلّتْ بعدَهُ مُضَرُ

ولعتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غيرَ جودِ عتيـقِ ابن عبد العزيز مِنْ ميمونه
بنتِ قَرْمٍ قد مُهِّدتْ من قريشٍ وأبىَ اللهُ أن تكونَ هجينَهْ

ثم تزوجها محمد بن الوليد ، ثم تزوجها سليمان بن عبد الملك ، ثم تزوجها هشام بن عبد الملك . ويقال : لم يتزوجها سليمان .

١٥ — أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال: حفصة بنت عمران بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أبو عُذْرِها ، ثم خلف عليها هشام بن عبدالملك ، وكان القاسم شديد الغيرة ، فسمع يوماً كلامها ، أو رآها مشرفة ، فدخل عليها فضربها ، فأثر السوط بها ،

---

(١) أم البنين هذه هى بنت عبد العزيز بن مروان ، وهى كذلك زوجة الوليد بن عبد الملك . انظر الأغانى (٤ : ١٥٦ ساسى) . وأشهر من سمى بهذا الاسم من نساء العرب أم البنين زوج مالك بن جعفر بن كلاب . وفيها يقول لبيد :

* نحن بنو أم البنين الأربعه *

انظر المعارف ٤٠ مصر . ومنهن أم البنين زوج على بن أبى طالب ، ولدت العباس وجعفراً وعبد الله . انظر المعارف ٣٩ .

فطلقها فتزوجها هشام ، فقالت له أم حكيم[1] : قل لها تريك ظهرها . فقال لها فأبت وقالت : ما تريد من ظهرى ، كنت عند رجل كريم غيور خير منك أمّاً وأباً وبيتاً ، غار فضربنى ضربة فصار فى ظهرى أثر . فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم تزوجها عثمان بن عُروة بن الزبير .

١٦ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر ، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب ، فولدت له فاطمة ، ثم تزوجها الجرّاح أو الحجاج[2] ، فولدت له ابنة ، فطلقها ، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان .

١٧ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أم القاسم ابنة الحسن بن الحسن بن علىّ ، تزوجها مروان بن عثمان بن عفان ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها على بن حسين بن حسن بن على ، ثم تزوجها الحسن بن عبدالله بن عبيدالله ابن العباس .

١٨ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : رملة ابنة محمد بن جعفر بن أبى طالب تزوجها سليمان بن هشام ، فطلقها فتزوجها أبو القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، فقتله عبدالله بن على فتزوجها إسماعيل بن على أو صالح .

١٩ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : قُريبةُ بنت أبى أمية بن المغيرة[3] . كانت عند عمر بن الخطاب ، فرجعت إلى الكفار ، فلما أسلمت تزوّجها معاوية

(١) هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية . وهى زوج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . الأغانى (١٥ : ٤٦ — ٤٧) وسيفرد لها المدائنى حديثاً فى رقم ٢٥ .

(٢) ذكر أبوالفرج فى (١٠ : ١٠٥) خبر خطبة الحجاج بن يوسف لها . وأما الجراح فلعله الجراح بن حصين والى وادى القرى من قبل عبدالله بن الزبير ، وكان قد أنهب تمر الوادى فجعل عبد الله يخفقه بالدرة ويقول : « أكلت تمرى وعصيت أمرى » . انظر الاشتقاق ٢٤٣ .

(٣) قريبة بفتح أوله ويقال بالتصغير . وهى أخت أم سلمة زوج الرسول الكريم . واسم أبيها حذيفة وقيل سهيل ، وكان يلقب « زادالركب » : كان إذا سافر لايتزود معه أحد بجوده وكرمه . انظر الإصابة ٨٨٧ ، ١٣٠٢ من قسم النساء .

ابن أبي سفيان ، فقال له أبوه : أتزوّج ظعينةَ أميرالمؤمنين ؟ انزل عن ثَقَله[١]. فطلقها فتزوجها عبدالرحمن بن أبي بكر ، فولدت له محمداً . فكانت عائشة عمته ، وأم حبيبة خالته ، فكان يدخل عليهما .

٢٠ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أسماء بنت عميس ، كانت عند جعفر بن أبي طالب[٢] ، فولدت له عبد الله ، ومحمداً ، وعونا ، فتزوجها أبو بكر ، فولدت له محمداً ، فتزوجها عليٌّ عليه السلام ، فولدت له يحيى[٣] ، فقال لها علي : احكمي بين بنيك . فقالت : أما بنو جعفر فبنو الطيار في الجنة[٤] ، وأما ابن أبي بكر فابن الصديق ، وإنَّ ثلاثة أنت أخسُّها لخيارٌ . فقال علي لابنه : يا بُنيّ قد فَسْكلَتْ أباك[٥] .

٢١ — قال : وكانت عائشة بنت طلحة عند عمر بن عبد الله بن عبد الله ابن معمر ثماني سنين ، ومات سنة اثنتين وثمانين ، فبكته قائمةً . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص ، قال : أتاها مصعب وهي نائمة متصبحة[٦] ، ومعه ثماني حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت : « نومتي كانت أحب إليَّ من هذا اللؤلؤ ! » . وولدت عائشة لعبد الله بن عبد الرحمن أولاداً . وجمع مصعب بينها وبين سكينة ، ومات مصعب عن سكينة وعائشة وأم حبيب بنت عبد الله بن عامر[٧] .

---

(١) العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . والثقل أيضاً : المتاع والحشم .

(٢) وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك أولاده ، وقد تزوجت أبا بكر بعد ما قتل عنها جعفر . الإصابة ٥١ من قسم النساء .

(٣) في الإصابة أنها ولدت له عوناً ويحيى .

(٤) الطيار لقب جعفر. انظر تعليل هذا اللقب في الإصابة ١١٦٢ والحيوان (٣: ٢٣٣).

(٥) فسكلته ، بفتح الفاء والكاف وسكون السين : أي أخرته وجعلته كالفسكل بالكسر ، وهو الفرس الذي يجيء في آخر خيل السباق .

(٦) المتصبحة : التي تنام الصبحة ، وهي نومة الغداة .

(٧) هذه الفقرة من أولها إلى هنا ، هي في الأصل بعد الفقرة رقم ٢٤ وقد أعدتها إلى موضعها .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن أبى إسحاق بن ربيعة قال : قال سَلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة فى المسجد ، فسلمتُ عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله المصعب . فأرادت النهوض فأخذت امرأتان بيديها – وعندها نسوة – فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل [حتى] خذَلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنا بك لمتعبات . وكانت مديدة الجسم كثيرة اللحم .

٢٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله كانت عند الحسن بن الحسن بن على ، فكان يقول له : إنها[1] حملت وولدت وهى ما تكلمنى وإنها لمصارِمة لى .

٢٣ — امرأة [من] آل أبى بكر : أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : تزوج موسى بنُ عبد الله بن الحسن امرأة من ولد أبى بكر فغضبت يوماً فأمرت جوارىَ فأمسكنه وضربنه ، فأفلت وخرج ، فلقيه أخوه إبراهيم فقال : مالك ؟ قال : ضربتْنى ابنة أبى بكر . قال : خذ السوط فوالله لئن لم تضربها لا كلمتك . فدخل وقام إبراهيم على الباب وقال للجوارى : يافواسق ، والله لئن منعته واحدة منكن لأدخلن عليكن . وقال لموسى : اضرب وأوجعها . فقال موسى لامرأته :

إنّى زعيم أن أجئَ بضرّةٍ ... مقابَلَةِ الأجداد، طيِّبَةِ النَّشْرِ[2]
إذا انتسبت فى آل شيبان فى الذُّرى ... وتَغْلِبَ لم نُقْرِرْ بفَضْل أبى بكرِ
تحكَّمُ أحياناً علينا وتارةً ... تبَدَّى كَقَرْنِ الشمس أو صورةِ البَدْرِ[3]

---

(١) فى الأصل : « بها حملت » . ولم تذكر النسخة شيئاً عن تزوجها بغير الحسن كما ترى .

(٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه جميعاً .

(٣) قرن الشمس : أولها عند الطلوع . وفى الأصل : « لقرن الشمس » .

٢٤ — امرأة من تيم . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : وكانت عند يحيي بن عبد الله بن الحسن امرأة من بني تيم ، فخاصمته إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقضى عليها وقال : اذهب بها حيث شئت .

٢٥ — قال: وكانت أم حكيم ابنة يحيي بن الحكم عند سليمان بن عبد الملك، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك[١] .

٢٦ — قال : وتزوّج عبد العزيز بن الوليد أم خالد بنت عبد الله بن أسيد، فغلبته على أمره كله ، وكان يقال : عبد العزيز بن الوليد سيد الناس ، إلا أن أم خالد قد غلبته على أمره . فأمره الوليد فطلقها .

٢٧ — أم عمرو ابنة عبد الله بن خالد . قال : أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد ، كانت عند سليمان عبد الملك ، فقدم خالد وعبد الله ، فوصل خالداً وفضله على عبد الله ، فقالت أم عمرو : عبد الله أكرم من خالد وفضلته عليه ! فقال : ويحك، إني أعرف أن عبدالله أسنهما ولكن خالداً كان خاصتي، وكان له عندي يد وأنا صعلوك ، فإنما فضلته لذلك .

٢٨ — قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت دجاجة ابنة أسماء بن الصلت السلمي عند عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له عبد الله بن عامر[٢] . ثم تزوّجها عمير الليثي فولدت عبيد بن عمير الفقيه المحدث[٣] ، ثم تزوّجها الأسود فولدت له عبد الله بن الأسود . فكان يقال لها أم العبادلة[٤] .

* * *

---

(١) وقد تزوجت أيضاً عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، كما في الأغاني (١٥ : ٤٧) .

(٢) في الإصابة ٣٩٢ من قسم النساء « أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عند عمير خمس نسوة ، فطلق منهن دجاجة بنت أسماء ، فخلف عليها عامر بن كريز ، فولدت له عبد الله ابن عامر » .

(٣) في الأصل : « عبيد الله بن عمير » ، والصواب « عبيد » كما أثبت . انظر الإصابة ٦٢٣٨ وتهذيب التهذيب ، والمعارف ٣١ ، ١٩٢ . وأبوه عمير بن قتادة الليثي . كان عبيد قاضي أهل مكة ، وتوفي سنة ٦٨ .

(٤) هذا على التغليب ، وإلا فإن ولد عمير الليثي هو عبيد بن عمير كما مضى في التنبيه السابق. والفقرة التالية صلة للفقرة ٣١ .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص[1] قال : كان مصعب ابن الزبير لا يصل إلى عائشة إلا بشدة ، ولا يقدر عليها إلا بإبلاء حتى يخرق ثيابها ويضربها ، فشكا ذلك إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، فقال له : أفتأذن لي في الحيلة ؟ قال : نعم ، اصنع ما شئت فإنها أفضل ما نلت من الدنيا . فأتاها ليلا فاستأذن عليها ، فقالت له : هذه الساعة ! قال : نعم ، ففزعت ــ ومعه أسودان ــ فقالت له مولاة لها : ما شأنك ؟ قال : شؤم مولاتك ، قالت : وما لها ؟ قال : أمرني هذا الفاسق الفاجر ، أسفكُ مَن خلق الله لدمٍ حرام وأقتلُه للناس ، أن أحتفر بئراً وأدفنها فيه حية . وقد والله حرَصت أن يُعفيني من هذا ، فأمر بقتلي . قالت : فأنظرني أذهب إليه . قال : لا سبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفرا . فبكت عائشة ورأت الجد ، وقالت : يا ابن أبي فروة ، إنك لتقتلني ! قال : ما منه بد ، وإني لأعلم أن الله سيخزيه ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : فأي شيء أغضبه ؟ قال : في امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وأنك تَتَطَلَّعين إلى غيره ، فقد جنَّ . فقالت : أذكِّرك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن يقتلني . فبكت وجواريها فقال : قد رققت وأنا أغرر بنفسي فما أقول ؟ قالت : اضمن عني أني لا أعود أبداً[2] . قال : فأعطيني مواثيق . فأعطته ، فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره ، فقال : استوثق منها بالأيمان . فأتاها فقال : هـذا الفاسق قد سكن بعض السكون وسكن شيطانه ، فاحلفي لي أن لا تخالفيه ، فوثقت له ، وصلحت لمصعب .

نجز الكتاب والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو أبو اليقظان عامر بن حفص ، وسحيم لقبه ، وبلقبه هـذا يذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من البيان ، والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٤٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه . وتوفي سنة ١٩٠ . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٥ س ٩) .

(٢) أي لا تعود إلى ما كان منها من التأبي والنشوز .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب

٠٠٠ — ٢٤٥

مقـــــدمة

يضم هذا الكتاب النفيس طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبهم إلى أمهاتهم ، وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إمام من أئمة الأخبار والأنساب ورواية الشعر ، هو محمد بن حبيب بن جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب، ثقة مؤدِّب ، ولا يعرف أبوه، وحبيب أمه . روى كتب الكلبي وقطرب، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر . ثم روى عن عبد العزيز الهاشمي قال : كان محمد بن حبيب مولى لنا - يعني لبني العباس بن محمد . وكانت أمه حبيب مولاة لنا . روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان، وله مصنفات أشهرها نقائض جرير والفرزدق، توفي بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث .

ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية : إحداها برقم ٦ مجاميع ش ، رمزت إليها بحرف (ا) ، والثانية برقم ٧٥ ش أدب ، وهي نسخة (ب) .

وقد قمت بنشر هذا الكتاب من قبل في مجلة المقتطف (مايو سنة ١٩٤٥) ونشره من قبلي المستشرق الكبير الأستاذ (ج . ليفي دِلّا فيدا) الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بالعدد ٦٢ ص ١٥٦ — ١٧١ سنة ١٩٤٢ ، ولم أكن قد علمت بأنه سبقني في النشر ، وتكرّم ، حفظه الله ، فأرسل إليّ في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٠ مستخرجا من نسخته مع خطاب رقيق ينوّه فيه في تواضع العالم بأن نسختي تعدّ ممتازة من كافة النواحي، حتى إنه ليشعر بأن عمله غير متكافئ مع عملي في نسختي التي أخرجتها (Votre édition du Mannusiba ... est excellent sous tous les rapports, et rend la mienne à peu prés inutile.)

وإني لأسجل مجاملته هذه تذكاراً لتواضعه ، وإجلالاً لخلقه العلمي الرصين .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه، من رواية عثمان بن جنى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

قرأت على أخى محمد قال: سمعته يُقرأ على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال: قرأت على ثعلب[2] قال: قال أبو جعفر محمد بن حبيب:

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء:

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من بنى خزاعة، واسمه عمرو بن سُمَىّ ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُوَيرة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة. وهو الذى يقول:

ما ذا بالقليب قَليب بدرٍ   من القَينات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ   من الشِّيزى تُكَلَّلُ بالسَّنامِ
تحيِّ بالسلامة أمُّ بكرٍ   ومالى بعد قومى من سَلامِ
يخبِّرنا النبىُّ بأن سنحيا   وكيف حياة أصداء وهامِ

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليم بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة العتكى الأزدى الواسطى؛ أبو عبد الله الملقب نفطويه. كان عالما بالعربية واللغة والحديث، أخذ عن ثعلب والمبرد، وكان فقيها على مذهب داود الظاهرى رأساً فيه، وكان بينه وبين ابن دريد منافرة، وهو القائل فيه:

ابن دريد بقره   وفيه عى وشره

وله من التصانيف: إعراب القرآن. المقنع فى النحو. الأمثال. المصادر. أمثال القرآن وغيرها. ولد سنة ٢٤٤ وتوفى سنة ٣٢٣. انظر إرشاد الأريب، وبغية الوعاة، وابن النديم ٧٨.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى البغدادى، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين فى النحو واللغة، لازم ابن الأعرابى بضع عشرة سنة، وسمع من محمد بن سلام الجمحى، وسلمة ابن عاصم، وخلف، وروى عنه اليزيدى، والأخفش الأصغر، ونفطويه، وأبو عمر الزاهد وكان بينه وبين المبرد منافرات. وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح. ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٩١. انظر بغية الوعاة، وابن النديم ١١٠ — ١١١.

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أمّ حَولىّ) من بنى الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بنى يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بنى الحارث قد آيسنا　　لا يُؤخذُ النهبُ الذى حوينا
أبالصِّياح عوّلوا علينا　　إنا إذا صيح بنا أبَيْنا
لا نجعلُ الطّعْنَ بنَقْدٍ دَيْنا

٣ — و (عَطّاف بن بَشّة[1] الشيبانى) ، قال لخاله عدىّ بن ضبّ :

عدىَّ بن ضبٍّ من تكن أنتَ خالَهُ　　أخا أمّه تُدلجْ بلُومٍ ركائبُه

وقال :

وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونَه　　وماسَبَقَ وترٍ أدركَ اليومَ أوغَدَا

وقال :

أنا ابن الذى لم يُخزِنى فى حياته　　ولم يُخزِه عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيبانى ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه «طوعة» ، أَمَة أو أخيذة من آل ذى الجدّين ، قال[3] :

تعطفَ اللوم على عَطّافِ　　بين بنى الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) السكندى[4] شاعرٌ حليف بنى شيبان ، وأمه غزالة ، قال :

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٩٩ : « نشة » بالنون .

(٢) فى المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيبانى من آل ذى الجدين . وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزارى ، ونسب هذا الفزارى نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نشة الشيبانى كما فى المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدى بن أشرس ابن شبيب بن السكون ، شاعر جاهلى أدرك الإسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكونى » بفتح السين نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندة . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٠ والإصابة ٢٧٢٧ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأنى إذ وضعت الرحل فيهم   بمكة حيث حَلّ بها هشامُ[1]

٦ — (وابن حَجلة الأسدى) وهى أمه، واسمه عبد بن مُعَرّض، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن دُودان من بنى أسد، شاعر، وهو الذى يقول:

مَنَ أخطتُه ولادتنا فإنا   ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (السِّندرىّ بن عَيْساء[3] الجعفرى)، وهى أمه، أَمَة لشريح بن الأحوص بن جعفر[4]. وهو الذى يقول:

هل فيكم يوم كيوم جبله   يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
والمِلكان والقطينُ أزفلَه[5]   نعلوهم بقُضُبٍ منتخله
لم تعْدُ أن أفرشَ عنها الصّقله[6]

وقال:

أنا لمن يسأل عنى السِّندَرِى   أنا الغلام الأحوصىُّ الجعفرى

٨ — و (حبيب بن خُدرة الهلالى) خارجى[7]، كان مع شبيب، وذُكر أنه أدرك الحكمين، وبقى حتى أدرك الضحاك الذى أُخذ بالكوفة. وقال:

نهيتُ بنى فِهر غداة لقيتهمْ   وحَىّ نُصيب والظنون تطاعُ

---

(١) ا: «بها شآم»، تحريف.

(٢) أخطته، هى أخطأته، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل فحذف الألف للجازم ب: «أخطأته» تحريف، صوابه فى ا. وانظر ص ٧٩ س ٧.

(٣) عيساء، مؤنث الاعيس، وأصله فى الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة، وبه سميت المرأة، وفى ا: «عبساء» بالموحدة، تحريف، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب، المحفوظ فى دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦. انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغانى (١٥ : ٥٣).

(٤) فى المؤتلف ١٢٥ أنه السندرى بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. وهو ينسب أيضاً «الكلابى». وفى الأغانى أن «عيساء» اسم جدته.

(٥) الأزفلة: الجماعة من الناس.

(٦) أى لم تجاوز أن أقلم عنها الصقلة. والرجز منسوب فى اللسان (٨ : ٢٢١) إلى يزيد بن عمرو بن الصعق، وفى معجم البلدان إلى رجل من بنى عامر.

(٧) فى القاموس: «حبيب بن خدرة تابعى».

فقلت لهم إن الجريبَ وراكماً بها نعمٌ يرعى المُرارَ رتاعُ[١]
ولـكن فيه السم إن ريعَ أهله وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال :

تفرقتم أن تذكوا الحىَّ بيضـة فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أشنع[٢]

وقال :

أصاح ترى برَيقاً هبَّ وهنا يؤرِّقنى وأصحـابى هجودُ

٩ — و (ابن عَيزارة الهذَلى) ، وهو قيس بن خويلد[٣] ، شاعر . قال :

لعمرك أَنسَى روعتى يوم أقْتُدٍ وهل تتركَنْ نفسَ الأسيرِ الروائعُ

وقال :

يا حار إنى يا ابن أمّ عبيدُ كمدٌ كأنى فى الفؤاد لهيدُ

١٠ — و (قُطبة بن الزّبَعرى) ، وهى أمّه . وهو قطبة بن زيد بن سعد ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن كنانة بن [القين بن] جسر ، شاعر . قال :

حميتُ القوم قد علمت معـدٌّ ومَن للقوم ِ من مولًى وجارِ
حبوتُ بها قضاعة إنّ مثلى حقيقٌ أن يذبّ عن الذمارِ
ولستُ كمن يغـمّز جانباه كغمز التّين تجنيه الجوارى

وكان قطبة سيِّد قضاعة فى الجاهلية وأوّل الإسلام .

١١ — و (قيس بن الحُدَادية[٤]) وهى أمه ، من محارب ، حضرمية ، وله

---

(١) الجريب : واد كانت به وقعة لبنى سعد بن ثعلبة . وفى الأصل : « الحريب» بالحاء تحريف ، وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الكندى . وعجزه عنده : « به إبل يرعى المرار » .

(٢) صدر البيت محرف ، وموضع كلمة : « تذكوا » بياض فى ب .

(٣) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أخذته فهم وأخذ تأبط شرا سلاحه ، ثم أفلت قيس، وأنشد أبياتاً رواها المرزبانى فى المعجم ٣٢٦ . وأولها هذا البيت الذى رواه ابن حبيب .

(٤) هو شاعر جاهلى فاتك صعلوك خليع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه . وهوقيس =

شعر . قال ابن الأعرابي : حُداد من كنانة . وهو الذى يقول[1] :

أنا الذى أطرَدَه مواليه   وكلُّهم بعد الصفاء قاليه

١٢ — و (عمرو بن الصماء الخزاعى) له شعر ، قال فى حرب بينهم وبين كنانة :

إلاّ تعاجلنى المنية أستقد   مقاد جيادى من عُميرٍ ومعبد
ولو أدركتْ خيلى عُميراً ومعبدا   ونُعمان ما آبوا بناقلةٍ بعدى
لكانوا لأطراف القنا أو لنازعوا   إلى الحىّ أعناق المطىّ المعضَّدِ[2]

١٣ — و (عياض بن أم شهمة[3] الخزاعى) إسلامى ، قال :

هاجتك أطلالٌ ومُبتَرَكٌ قفرُ   خلا منذ أجلى أهلَها حِجَجٌ عشرُ[4]

١٤ — و (العريان بن أم سهلة النبهانى) وهو من طيِّئٍ . قال :

لمن الديار غشيتها برماح   فعمايتين فجانب السِّرداحِ
فجنوب فيحان كأن رسومها   حُللٌ يمانيةٌ على ألواحِ

١٥ — و (ابن السَّجراء) من حُرقة جهينة . قال : وحُرقة هم بنو خميس ابن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحُصين بن الحُمام السهمىّ من بنى سهم بن مرة ، وبَشامة بن الغدير السهمى . قال ابن سجراء يوم دارة موضوع :

= ابن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول . انظر الأغانى (١٣ : ٢ — ٨) . وبنو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٧ ، وقد نسبه « قيس بن عمرو بن منقذ » . وفى ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩ .

(١) قاله فى الوقعة التى قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خلع قومه إياه .

(٢) ب : « كأطراف القنا » . وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها صحيحا بين ضربين مقبوضين .

(٣) فى معجم المرزبانى ٢٦٩ : « عياض بن أم سهمة » بالسين المهملة .

(٤) فى الأصل : « حاجتك » ، محرف . وفى المرزبانى : « ومنزلة قفر » .

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت ... كتائب خرس بينهنّ زفيفُ
فلما عَلَت دعوى خميس بن عامر ... وقد كلّ مولانا وكاد يحيفُ
هممنا به ثم ارعوينا حفيظة ... فذلّ بنا غاشٍ وعزّ حليفُ

١٦ — و (حميد بن طاعة السَّكُونيّ[١]) قال :

ولما استقلّ الحىّ فى رونق الضحى ... قبضنَ الوصايا والحديث المجمجما
وكان لُوحٌ من خَصَاص ورِقْبةٌ ... مخافةَ أعداء وطَرفاً مقسَّما
ولما لحقنا لم يقل ذو لُبانةٍ ... لهم ولا ذو حاجة ما تيمما
من البيض مِكسال إذا ما تلبَّست ... بعقل امرئٍ لم ينجُ منها مسلّما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيّةٌ ... وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره ... وخيرٌ لمن كانت معائشه الخَيِرْ[٢]

وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطابْ ... أبرّ بالدين وبالأحسابْ
بعد النبي صاحب الكتاب

١٧ — و (ابن الدُّمَينة الخثعمى)، واسمه عبد الله، وله شعر كثير[٣] .

١٨ — و (يزيد بن ضَبَّة) أمه ضَبَّة[٤]، وأبوه مِقْسَم، وهو كثير الشعر، وهو مولى لثقيف، وهو الذى يقول :

---

(١) جعله الآمدى فى ص ١٤٩ : « الشكوى » ، نسبة إلى « شكو » بفتح الشين وسكون الكاف ، وهو أبو بطن .

(٢) ا : « معائيشه ». معائيش : جمع معيشة ، وفيها شذوذان : همز الياء الأولى ، وإلحاق الياء الثانية ، وإلحاقها مذهب للكوفيين يجيزونه . وأثبت ما فى ب .

(٣) ديوانه مطبوع . وانظر الأغانى (١٥ : ١٤٤ — ١٥٠) .

(٤) فى ا : « ضنة » ، بالنون، وفى ب : « ضنة » لكن أصلحت فى النسخة فجعلت : « ضبة » بالباء .

مشىُ البرىّ مع المقارف تهمة   ويُرَى البرىّ مع السقيم فيُلطخُ

وهو الذى يقول :

صـبا قلبى إلى هند   وهنـد مثلها يصبى

١٩ — و (ابن الطَّثْرية[١]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[٢] ، وهو الذى يقول :

ألا عتبت علىّ وصرّمتْنى   وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ

فإنى يا أبنةَ السعدىِّ أربِى   على فعل الوَضىّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن فسوة) وهو عتيبة بن مرداس الكعبى[٣] . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فَسوة ، فكان يعيَّر به ، فقال له مرداس : أنا أشترى منك هـذا الاسم بكبش . فاشتراه ، فقال : [أخو[٤]] عتيبة :

حوّل مولانا عليـنا اسم أمه   ألا رُبَّ مولًى ناقص غير زائدِ

٢١ — و (ابن الهيجُمانة العبسى) لم نعرفه ، وذُكر أن الهيجمانة بنت العنبر ابن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبدى) ، وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة بن مالك بن عامر

---

(١) الطثرية : أمه ، من بنى الطثر ، بالفتح ، وهم حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الإسكان كما جاءت مضبوطة به فى نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد فى النسختين ، وهذا النسب يخالف ما فى كتب التراجم ، فلعل فى الكلام سقطاً .

(٣) فى الأغانى (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ — ١٢٩ « عيينة » . ويدل على صواب ماهنا قول ابن قتيبة فى الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

ابن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القدس . وله شعر كثير .

٢٣ — و (عمرو بن مبردة) ، عبدى[1] .

٢٤ — و (ابن الذيبة) وهى أمه ، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الذيبة قِلابة ، فلقبت الذيبة ، وهو الذى يقول :

إنى لمن أنكرنى ابن الذيبه كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[2]) ، وهى أمه . وهو شبيب بن زيد بن جمرة[3] بن عوف بن أبى حارثة ، وأمه القِرضابة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علّفَةَ[4] . وهو الذى يقول :

قامت وأعلَى خلقها فى ثيابها قضيبٌ وما تحت الإزار كثيبُ

وقال :

لا خير فى العيدان إلاّ صلابها ولا ناهضات الطير إلاّ صقورُها

تبيّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — وبعض (بنى أم قرفة) . وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .. وهو إسلامى ، أنشد عبد الملك بن مروان لما استبق بنوه فسبق مسلمة — وكان ابن أمة — :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدركوا »

(٢) قال ابن دريد : « كان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها » ، فقال: إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجدها برصاً » . وسماها ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٣) ويقال : « حمزة » ويقال : « خمرة » . انظر حواشى الاشتقاق ١٧٦ ، وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « حيوة » .

(٤) فى الأصل : علقمة » ، وهو تحريف . انظر حواشى الاشتقاق .

٢٧ — و(ابن ميادة المرى) من بنى غيظ بن مرة، واسمه الرماح بن الأبرد ابن ثَوبان(١). كثير الشعر. وهو الذى يقول:

اعرنزمي ميَّـــاد للقوافى واستسمِعيهنَّ ولا تخافى(٢)

وقال:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليـلة بحرَّة ليـلَى حيثُ ربَّتَنى أهـلى
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هَجمةٍ تطالع من هَجل قريب إلى هجل(٣)

يقال ربيْتُ الصبي أربه ربا فأنا رابٌّ وهو مربوب، وربَّيته أربِّيه تربية فأنا مربٍّ وهو مربًّى، وربّتُّه أربّته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربَّت. ويقال رَبيت فى بنى فلان، وربوت فيهم، وتربيت، وتربّت، كله فصيح مقبول.

٢٨ — و(بَشَامة بن الغدير) وهى أمه، وهو بشامة بن عمرو بن هلال(٤) ابن واثلة بن سهم بن مرة. كثير الشعر، وهو الذى يقول:

فإنكم وعطـــايا الرها ن إذ جرّت الحرب جُلاًّ جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به فسدّ على السالكين السبيلا(٥)

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر، وهو خال أبى سلمى(٦) زهير ابن أبى سلمى الشاعر.

---

(١) فى الأغانى: «أبرد بن ثوبان»، وفى المؤتلف: «أبرد بن ثريان»، وفى معجم البلدان: «والرماح ابن يزيد وقيل ابن الأبرد». وفى ألقاب الشعراء ١٣٢: «الرماح بن الأبرد بن مرداس».

(٢) الاعرنزام: الاجتماع والتقبض. وفى الأصل: «اعز ترحى»، والصواب فيما أثبت كما صححت بذلك فى ب. وفى ا: «واستسمعهن»، محرفة.

(٣) فى معجم البلدان (٣ : ٢٦٠): «من هجل خصيب». وروى ياقوت هذين البيتين فى خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه.

(٤) فى الأصل: «ملاك»، والصواب ما أثبت. وانظر المؤتلف ٦٦، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف):

(٥) انظر شرح البيتين فى المفضليات (١ : ٥٨).

(٦) أبو سلمى كنية زهير بن أبى سلمى، كما فى كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٣٢ من مصورة دار الكتب. وقد زاد الشنقيطى كلمة: «أبى» قبل «زهير» فلم ينتبه إلى ما ذكرت.

٣٠ — و (زُميل بن أم دينار) أبوه أُبَيْر بن عبد مناف ، من مازن ابن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن يربوع . هو دارة القمر، سمي دارة، شبه بدارة القمر لحسنه، وهو من بنى عبدالله بن غطفان . وزميل الذى يقول :

أبلغ فزارة أنى قد شَرَيت لهم ... مجد الحياة بسيفى بيع ذى الخلقِ

وقال :

أنا زميـل قاتل ابن داره ... وكاشف المخزاة عن فزاره

ثم جعلت عقـله البكاره

٣١ — و (قَعْنَب بن أم صاحب الفزاري[١]) ، وهو الذى يقول :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبنى ... سَعْىُ الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذى هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليـــد وأنفاً له ... كَـثِيلِ البعير أبى أن يبولا

٣٢ — و (ابن أم حزنة[٢]) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة[٣] بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار ابن عمرو بن] وديعة بن لكيز بن أفصى . شاعر ، وهو الذى يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرهان فتُدرَكوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبي) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة[٤] . وهو الذى يقول فى يوم ذى قار، وكان مع الفرس :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بنى سحيم بن عمرو بن خديج بن عوف بن ثعلبة بن بهثة كما فى ألقاب الشعراء ص ١٣٣ . وقيل : أحـد بنى عبد الله بن غطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبدالملك . انظر شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٤) .

(٢) هذا تكرار لما سبق فى رقم ٢٢ .

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم . وفى الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين .

(٤) انظر المؤتلف ٦٠ . وضبطت « شلوة » فى الأصل هنا بالفتح . وقال ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٦ : «أخو بنى مالك بن بكر بن حبيب » .

لما سمعت نداء مُرَّة قد علا وابنَىْ ربيعة فى الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية[١] السدوسى) ينسب إلى أمّ من أمهاته، وهو عبد الله بن عبدالعزى كليب[٢] بن الحارث بن سدوس، شاعر. قال:

أتانى عن أبى بكر ألوكٌ يخب بها المبيِّن والنذيرُ

وقال:

ألمّ خيالُ العامرية موهناً خيال بأعلى حضرموت غريبُ
أرى المرء أمسى للحوادث غاية نوائبه تغتاله فتصوبُ

وقال يهجو ابن عَنَمة الضبى[٣]:

إن الشاعر الضبىَّ عبد كزائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح الحوفزان[٤]:

لمن الديار بجانب الغمر آياتهنّ كواضح السطرِ
يا حارِ أعطاك الإله كما أثنى عليك أخو بنى جسرِ
فلأنت أكسبهم إذا افتقروا ولأنت أجودهم إذا تثرى

٣٥ — و (ابن دغماء العجلى) أمه دغماء بنت مرة، أخت جَعْونة بن مرة، وهو الذى يقول لسويد بن حطان، وكان سويد الضبعى نزل فى بنى عجل

(١) فى الأصل: «الرافقية» تحريف، وهى بالواو نسبة إلى بنى واقف، وهم بطن من الأنصار، وواقف لقب مالك بن امرىء القيس. انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٦. وانظر ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠.

(٢) كذا فى الأصل. ولعله: «من بنى كليب بن الحارث بن سدوس».

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة. «وعنمة» بفتح العين المهملة والنون والميم. وفى ا: «غنمة» محرف. قال البغدادى: «الظاهر أنه من المخضرمين». الخزانة (٣: ٥٨).

(٤) الحوفزان لقب له، واسمه الحارث بن شريك بن مطر، قالوا: «وإنما سمى الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح. وكل ما قلعته من موضعه فقد حفزته». الاشتقاق ٢١٥.

فانتسب إلى مرة أبي جعونة(١) فقال : أنا سويد بن حِطّان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل سويد بن حِطّان يمتّ وما أدرى
سوى أنكم دُرِّبتم لجُريتم على دُرْبة والضب يُختَل بالتمرِ(٢)
فما أنتم منا ولا نحن منكم دعاوة كذب أنتمُ آخرَ الدهر

فغضب جعونة خال ابن دغماء ، فقال :

إن ابن دغماء الذى حُدِّثته بيض الدجاج لا يحسُّ له أب
إلاّ الرماد فإنها اعتركت به بين الرماد وبين أمك تنسب(٣)

٣٦ — و (عبد المسيح بن عَسَلة الشيبانى) ، أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون(٤) وهو شاعر ، قال :

يا كعب إنك لو قصرت على حسن النِّدام وقلة الجرمِ
لصحوت والنمرى يحسبها عم السماك وخالة النجمِ(٥)

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) ، قال له المنذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبي شمر . فقال :

ألم تر أنى بافت المشيـ ـب فى دار قومى عفًّا كسوبا(٦)

(١) فى الأصل : « مرة بن أبي جعونة » ، وكلمة « بن » مقحمة .

(٢) رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٦٢):« يحبل بالتمر »،وقال: « فجعل صيده بالتمر كصيده بالحبالة » . والضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً .

(٣) مما يزعم العرب أن بيض الطير يتولد حيناً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ فى الحيوان : (٣ : ١٧١) . « والبيض الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو فى الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والإوز » .

(٤) أما أبوه فهو حكيم بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق فى المفضليات (٢ : ٧٨ طبع المعارف) .

(٥) انظر لفهم هذا البيت ما ورد فى جو المفضليات . وفى الأصل : « والنمرى يحسبه * عم السماك وخاله النجم » ، وهو تحريف .

(٦) رواية الخزانة (٤ : ٢٣) : « بلغت المشيبا * وفى دار قومى » .

وأنّ الإلٰه تنصّفته *** بألاّ أعقّ وألاّ أحوبا
وألاّ أكافر ذا نعمةٍ *** وألاّ أخيّبه مستثيبا
وغسّان حيّ همُ والدى *** فهل ينسينّهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك *** فإنّ لها من معدّ كليبا

فانبرى عمارة بن العيّف العبدىّ[1] من سُليمة بن عبد القيس، وهم حلفاء في بني شيبان في بني سعد، فقال:

لاهُمّ إنّ الحارث بن جبله *** عقّ أباه ظالما وقتله
وأىّ فعلٍ سيِّئٍ لا فعله[2]

٣٨ — و (عِتبان بن وَصيلة) وهى أمه[3]. وهو عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين بن أبي عمرو بن عوف بن مرة بن ذُهل ابن شيبان.

٣٩ — و (عمرو بن الإطنابة) وهى أمه[4]، وهو الذى يقول:

---

(١) ينسب الرجز أيضا إلى «شهاب بن العيف»، وفي نسخة البغدادى من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء: «عامر بن العيف». (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١).

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه في الخزانة.

(٣) عتبان، بكسر العين، ووصيلة بفتح الواو. انظر الاشتقاق ٢١٦. وفي معجم المرزبانى ٢٦٦: «عتبان بن أصيلة، ويقال وصيلة، الشيبانى. وأصيلة أمه، وهى من بنى محلم». وأورد من شعره قوله لعبد الملك بن مروان:

فبلغ أمير المؤمنين رسالة *** وذو النصح لو يرعى إليه قريب
بانك إلا ترض بكر بن وائل *** يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه *** وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب *** ومنا أمير المؤمنين شبيب

وللبيت الأخير قصة يتداولها الرواة.

(٤) عمرو بن الإطنابة شاعر جاهلى. وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان، من بنى القين ابن جسر، وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. انظر المرزبانى ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩. وأصل الإطنابة سير يشد في وتر القوس العربية لتحزق به. الاشتقاق ٢٦٨.

قرت أحسابُنا كرمًا فأبدت لنا الضراء عن أدُمٍ صحاحِ
ولم يُظهر لنا عثرات سوء جودُ القطر أو بكْء اللقاحِ

فى ختام نسخة (١) نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جنى ، وصححها رضى الدين الشاطبى رحمهما الله . هـ

وفى نسخة (ب) : « قال فى أصل هذا : نجز الكتاب ... الخ » ، وزاد : ونجزت هذه النسخة فى يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنوّرة . رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين .

تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

٧٢٩ — ٨١٧

مقـــــدمة

هذا الكتاب يشبه فى موضوعه الكتاب السابق لهذا، ويمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب؛ بل هو عام فى ذلك. ومؤلفه فى غنًى عن التعريف، فهو صاحب أكثر المعجمات العربية تداولا، وهو القاموس المحيط، وهو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى، نسبة إلى فيروزاباذ، قرية بفارس[1]، منها والده وجده. وأما هو فقد ولد بكارزين من بلاد فارس سنة ٧٢٩، ثم أخذ عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند، ثم دخل زبيد سنة ٧٩٦ فتلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل، وولاه قضاء اليمن كله، واستمر بزبيد عشرين سنة، وتوفى بها سنة ٨١٧. وانظر ترجمته فى (الشقائق النعمانية ١: ٩٢ وبغية الوعاة ١١٧ وروضات الجنات ٤: ٢٠٧ ومفتاح السعادة ١: ١٠٣).

وأصل هذه النسخة التى ننشرها نسخة الشنقيطى التى كتبها بقلمه سنة ١٣٠٤ وهى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨ أدب ش). ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة الجزائر برقم ٤٦.

ويقارب هذا الكتاب فى تسميته وموضوعه كتاب آخر محفوظ بالخزانة التيمورية برقم ١٤٠٧ تاريخ تيمور، وهو (تذكرة الطالب النبيه بمن نسب إلى أمه دون أبيه) لأحمد بن خليل اللبودى، وهو تهذيب كتاب آخر، لجلال الدين ابن خطيب داريا. وتقع هذه التذكرة فى ٨٩ صفحة، وقد وجدت معظم ما به من الأسماء قد تكفل به ابن حبيب ومجد الدين الفيروزابادى.

---

(١) هى بكسر الفاء وآخرها ذال معجمة، كما فى معجم البلدان، قال البشارى: «ومعنى فيروزاباذ أتم دولة».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عددَ خلقِه وزنةَ عرشِه ورضى نفسِه ومدادَ كلماته، والصّلاة والسّلام على أشرف مخلوقاته، ملءَ أرضه وملءَ سماواته، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذُرّياته.

وبعدُ يقول محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذى نَعَشه الله من عثراته، وحجز بحفظِه وكِلاءته بينه وبين زَلّاته: هذا كتابٌ وضعتُه فى ذكر من نُسِب إلى اثنين من آبائه وأمّهاته، أو إلى غير أبيه ثم جدّاته، [أو] أجنبىّ ممن رباه أو تبنّاه أو غير ذلك من حالاته، وذلك لمّا رأيت قراء الحديث تَزِلُّ مفاصلهم(١) فيلحنون فى ذلك وأخواته، فأفردته فى جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بَحْتاً لرَوْمِ مَرْضاته(٢)، وأسميته «تحفة الأَبيه(٣) فيمن نُسب إلى غير أبيه»، ورتّبته على الهجاء المشرقىّ لصَفَاء أضاتِه(٤)، وقدّمتُ ذكرَ سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمدٍ عليه أفضل صلواتِ الله وأشرفُ تسليماته، تشريفاً للتأليف، ولئلاّ يندرجَ اسمُه الشريفُ بين الكتاب حيث يقتضيه ترتيبُ كلماتِه:

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم، خاتم النبيّين وأشرف المخلوقين، ورسولُ ربِّ العالمين، صلى الله تعالى عليه وسلم أبد الآبدين. قيل نَزَع فى الشَّبَه إلى أبى كبشة أحد أجداده، فقالوا له ابن أبى كبشة. فى صحيح البخارى، فى حديث هرقل: «فقال أبو سفيانَ بنُ حرب لمّا قرأ هِرَقْلُ كتابَ النبى صلى الله

(١) المفاصل: جمع مفصل، كمنبر، وهو اللسان.

(٢) البحت: الخالص. والروم: الطلب.

(٣) الأبيه: وصف، من أبه للشىء وبالشىء من باب منع وفرح، أى فطن له. ولم يذكر المصنف فى قاموسه ولا صاحب اللسان أيضاً هذا الوصف.

(٤) الأضاة: المستنقع من سيل أو غيره.

تعالى عليه وسلم : لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كَبْشة[1]، إنّه يخافه مَلِكُ بنى الأصفر » . واختلاف العلماء فى ذلك؛ فقيل أبو كبشة كُنْيَةُ زوجِ حليمةَ السعدية التى أرضعت النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهو أبوه من الرّضاعة ، واسمه الحارث ابن رِفاعة السعدىّ ، قاله أبو الحسن علىّ بن خلَف بن بَطّال . وقيل هو كنية وهب بن عبد مناف جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قِبَل أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف جدّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه كان نَزَع إليه فى الشبه . وقال ابن الكلبىّ فى جمهرة النسب : أمُّ وهبٍ جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قَيلة بنت أبى قَيلة، وهو وَجْز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حُوَىّ ابن مِلْكان بن أفْصَى بن حارثةَ بن خُزاعة . تقول خُزاعة : أبو كبشة هو أبو قَيلة . وقيل أبو كبشة : رجلٌ من خُزاعة خالفَ قريشاً فى عبادة الأوثان وعَبَدَ الشِّعْرَى العَبُور ، فشبّهوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به ، ومعناه أنه خالفهم كما خالفهم أبو كبشة . وقيل : كان أبو كبشة عَمّ ولدِ حليمةَ السعدّية . قال الزُّبير بن بَكّار : ليس مرادُهم عَيْبَ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما مرادُهم مجرّد التشبيه . وقال غيره : هذا منهم إيذاء للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وأقبح ما كانوا يدْعونه به من الكُنَى والأسماء .

ونسبَ بعضُ المُحْدَثين المولَّدين النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمّه آمنة ، فقال :

صلّى الإله على ابن آمنةَ التى ... جاءت به سَبْطَ البَنان كريما
قُل للذين رجَوْا شفاعةَ أحمدٍ ... صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

حرف الألف

١ — إبراهيم بن عُليّة ، سيأتى ذكره عند ذكر أبيه إسماعيل بن علية .

---

(١) أمر ، كفرح : كثر ، وقوى .

٢ — إبراهيم بن هَرَاسة، بفتح الهاء والراء المخففة والسين المفتوحة، وهى أُمُّه. والهَرَاسة فى الأصل : واحدة الهَرَاس كسحاب ، وهو شجر ذو شوك . وقال أبو عمرو: يقال له ثمر مثل ثمر النَّبق، وفيه شوك. قال النابغة الجعدىّ رضى الله عنه :

وخيـــلٍ يطابقْنَ بالدارعينَ طِباقَ الكلابِ يَطأْن الهرَاسا

الواحدة هَرَاسة . وبه سُمِّيت المرأة هَرَاسـة . وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سَلَمة الكوفىّ ، متروك الحديث تكلَّم فيه أبو عُبيدٍ وغيره . فإذا كتبتَ إبراهيم ابن سـلمة ، ابن هَرَاسـة أعربتَ الابن الثانى إعرابَ إبراهيم وكتبته بالألف ، وكذا فى جميع ما أتلوه عليك من هذا النحو .

٣ — أحمد بن تَيْمِيَّة ، هى أمّ أحـدِ أجداده الأبعدين ، وهو أحمـد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن أبى القاسم بن محمد بن تيميَّة الحرانىّ ، الحافظ المشهور ، الذى لم يلحق شأْوَه فى الحفظ أحدٌ من المتأخِّرين.

٤ — أحمد بن الخاضِبَة(١) .

٥ — إسحاق بن راهَوَيْه بفتح الهاء والواو ثم ياء مثناة تحتية ، ويقال بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وهذه قليلة ، وهما لغتان فى كل اسم خُتِم بوَيْه كسيبوَيْه وعَمْرويْه وبَحرويْه وغيرهما ، ويجوز فيه البناء والإعراب: هذا راهَوَيْهِ ورأيت راهويهِ ومررت براهويهِ . وهـذا راهويْهٌ ورأيت راهويْهاً ومررت براهوَيْهٍ . وذلك أن تعربه غير منصرف فتقول : هذا راهويْهُ ورأيت راهويْهَ ومررت براهوَيْهَ . وهذا عن الجَرمى ، ونقله ابن مالكٍ عن المتأخِّرين . ولم يذكر سيبويه إلا البناء . وعلى قول من يعربه تجوز تثنيتُه وجمعه ، فتقول هذان راهويهان وهؤلاء راهويهون . وعلى قول الجمهور تقول : هذان ذَوَا راهويهِ وهؤلاء ذَوُو راهويه . وراهويه لقب أبيه إبراهيم لأنه وُجد فى الطريق . وأصله

(١) فى الأصل : « الخاصة » ، صوابه من تذكرة الطالب ، مخطوط التيمورية . وهو والد أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن منصور الدقاق ، الحافظ البغدادى . انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢ .

راهَوِىّ أى طريقىّ . ورَاهْ بالعَجَمىّ : الطريق . وهو أبو يعقوب إسحاق بن مخلد بن مسكين بن إبراهيم بن مطَر الحنظلىّ المروَزىّ النيسابورىّ ، أحد الأئمّة الحفاظ . قال أبو داود : تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر ، وتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة .

٦ — إسماعيل بن عُلَيّة بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحتية المشددة ، وهى أمه وقيل جدته أمّ أمّه . وهو أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم ـ كمنبر ـ الأسدىّ ، أسدِ خُزَيمة ، مولاهم البصرىّ . وأصله من الكوفة ، وهو أحد أئمة الحديث والفقه ومن كبار الصالحين (١) . وأما ابن عُلَيّة الذى يعزو إليه كثيرٌ من الفقهاء فهو ابن ابنه .

٧ — أيوب بن القِرِّيّة ، بكسر القاف والراء المشددة والمثناة التحتية آخره هاء ، وهو لقب أمّه واسمها جُمّاعة مثل رُمّانة ، بنت جُشَم بن ربيعة بن زيد مَناةَ ، وهو أيوب بن زيد بن قيس بن زُرارة بن سَلَمة بن جُشَم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناةَ ، بن القِرِّيّة . وهو أحد الفصحاء المشهورين بالحفظ ، صحب بنى مروان والحجاجَ بن يوسف . والقِرِّيّة : حوصلة الطائر . ونقل أيوبُ الكتبَ القديمةَ إلى العربية ، وقتلَهُ الحجّاج .

حرف الباء

٨ — بُدَيْل بن أمّ أصْرَم ، بضم الباء على زنة زُبَير ، واسم أبيه سلَمة . وبُديل ابن سلمة بن أم أصْرَم صحابىٌّ كان بمصر ، روى عنه علىُّ بن رياح . وقيل : هو بديل بن ميسرة ، بدل سلمة .

٩ — بشير بن الخَصاصِيَة ، بفتح الخاء وتخفيف الياء المثناة من تحت ، على زنة كَراهِيَة وطَواعية . وبعض المحدّثين شدّدها ، وهو لحن لأنه ليس فى كلام العرب فعالِيّة بالتشديد ، وإنما هى بالتخفيف قاطبة ، كـكراهِيَة وطَواعية وعَلانية ورفاهِيَة

---

(١) ترجم له بإسهاب فى تهذيب التهذيب .

وأخواتها . والخصَّاصيةُ هى أمّ بشير، واسم أبيه معبد . وكان اسم بشير زحم بن مَعبَد بن شراحيل السَّدوسىّ، فغيّره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمَّاه بشيراً . وأمُّه الخصاصيَةُ من الأزد . وكان بشير يعرف بها ، وروى بشيرٌ أحاديث .

١٠ — بشير بن عقْربَة . عقربةُ أمُّه . والعقربة فى كلام العرب : المرأة العاقلة الخدوم . وبشير صحابىّ، ولم أقف على اسم أبيه . وكنيتُه أبواليمان ، نزل الشّامَ ، روى حديثاً واحدا ، وهو « من قامَ بخطبة لا يلتمس بها إلا رياءً وسُمعة وقَفَه الله عزّ وجلّ يومَ القيامة موقفَ رياء وسُمعة » . روى عنـه عبدُ الملك بن مروان، وعبد الله بن عوفٍ الـكنانى .

١١ — بِلال بن حمامة ، مؤذِّن رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم ، وحمامة بالفتح والتخفيف : اسم أمّه . واسمُ أبيه رَباح ، بفتح الراء والباء الموحّدة وبحاء مهملة . ويكنى أبا عبدالله ، وقيل أبا عمر، وقيل أبا عبد الرحمن . مولى أبي بكرٍ الصّدّيق رضى الله تعالى عنـه ، ومن مولَّدى السراة[١] ، وشهد بدراً . وكان تِرْب أبى بكر رضى الله تعالى عنه . مات بدمشق ودفن بالباب الصغير . قال ابن زبر : مات بدارَيّا[٢] وحُمِل على الرِّقاب ، فدفن بمقبرة باب كيسان . وقيل مات بحلَب ودُفِن بباب الأربعين .

حرف الجيم

١٢ — جُبَيْر بن بُحينة ، صحابى . وبُحَينة بضم الباء وفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء ، وهى لقبُها ، واسمها عبدة . وكذلك أخواه عبد الله ومالك . وأبوهُم مالك بن القِشْب بكسر القاف . وسيعاد كلُّ واحدٍ فى بابه إنْ شاء الله تعالى .

١٣ — جعفر بن عُقاب . شاعر ، وعُقابُ أمُّه . وهو جعفر بن عبـد الله ابن قَبيصة .

---

(١) السراة ، بالفتح : جبال وأرض حاجزة بين تهامة واليمن .

(٢) داريا : قرية من قرى دمشق ، ينسب إليها الداراني .

١٤ — الحارث بن مالك بن البَرْصاء، صحابى . والبَرْصاء اسم أمِّ أبيه، وهى لقبها ، واسمها عَبْدة ، واسم أبيه مالك بن قيس اللَّيثىّ . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يومَ فتح مكة : « لا تُغزَى مكةُ سوى اليوم[1] » . وفى رواية « بعد اليوم » . والحديث الآخر « إنه ليس أحدٌ يلقى اللهَ وقد اقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمينه إلا ... » ، قال إسحاق بن إبراهيم أحدُ رواة هذا الحديث : إنّ سفيان كَنَى عنه[2] ، إنّما هو النار .

حرف الخاء

١٥ — خُفَاف، بضم الخاء وفتح الفاء على زنة غُراب ، بن نَدْبة بفتح النون وسكون الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ، وهى أمّه ، واسم أبيه عُمَير بن الحارث ابن الشَّريد . وكنيةُ خفافٍ أبو خُراشة بضم الخاء ، صحابىّ .

حرف الذال

١٦ — ذُو الخِرَق بن شُعَاث الشاعر ، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدها قاف . وشُعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألف وثاء مثلثة ، واسم أبيه نُبَاتة .

حرف الراء

١٧ — رافع بن غُنجُدة ، بضم الغين المعجمة والجيم بينهما نون ، وقيل عَنْجَرة بالعين المهملة المفتوحة والجيم والراء ، وقيل عنترة ، والأول أصح . وغُنْجُدة أمّه أو جدته، واسم أبيه عبد الحارث.

١٨ — الرمّاح بن ميّادة بفتح الميم والمثناة التحتية المشدّدة، وهى اسم أمّه ، وكانت أمةً سوداء راعية . وهو الرمّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْملة

---

(١) فى الإصابة ١٤٧٤ : « لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

(٢) أى عن ما بعد « إلا » .

ابن سَلْمَى بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد ابن ذبْيان ، وكنيته أبوشرحبيل ، وهو شاعر مشهور .

حرف الزاى

١٩ — زياد بن هِنْداية ، بكسر الهاء وسكون النون بعدها ألف وياء مثناة تحتية مفتوحة ، وهى أمُّه ، وكانت سوداء . واسمه زيادُ بن جارثة بن عوف بن قَتِيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أُسامة بن سَعد بن شَبيب ابن السَّكون . وكان فارساً مشهوراً . قال ابنُ الأعرابىّ : وقال ابن الكلبىّ هو زياد بن عوف بن حارثة ، وهو الذى أَسَرَ الحُصَيْنَ ذا الغُصَّة . وكان يقول : « لو أرسلتُ فَرسِى أزاهيقَ عُرْياً لأَسَرَ ذا الغُصّة » . وأزاهيق : اسمُ فرسِه .

حرف السين

٢٠ — سعد بن حَبْتَة ، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة الفوقية ، وهى أمُّه . وهى حَبْتَةُ بنت مالك رضى الله تعالى عنها . وهو سعد بن بَحِير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . هذا هو الصّحيح المشهور ، وقيل فيه بُجَيْر بالجيم مصغرا . وهو صحابىٌّ . وأبويوسفَ بن إبراهيم القاضى من ذُرِّيّة سعد بن عوف(١) بن بُجَيْر بالجيم ، والأول أصح .

٢١ — سَعْد بن الحنظلية وهى أمّ جَدّه ، وهو سعد بن عُقَيْب بالقاف مثل زُبَيْر ، وقيل عُميت بالميم والمثناة آخره مثال حُميد ، وقيل سعد بن الرَّبيع بن عمرو بن عدىّ . ويكنى أبا الحارث الحارثىّ الصحابىّ .

٢٢ — سعد بن خَوْلَةَ . خَوْلة أمُّه ، وهو سعد بن خَوْلىّ . وبعضهم يجعل ابن خَوْلة غير ابن خَوْلىّ . ولم يعرف اسم أبيه ، وهذا هو الأصح .

٢٣ — سُلَيْك بن سِنان بن سُلَكة ، كَهُمَزة . وسُلَكة أمّه ، وهو من

---

(١) كذا وردت فى الأصل ، وإنما هو سعد بن بجير . الإصابة ٣١٣٤ وتاريخ بغداد ٧٥٥٨ .

الشُّعراء والعَدَّائين ، ومن اللُّصوص الفُتَّاك ، وكان يُعرَف بسُلَيْك المَقانب .

٢٤ — سُوَيْد بن كُرَاعَ . وكُرَاعُ أمّه ، وهي غير مصروفة . وهو سويد ابن عمرو بن كُرَاع ، وهو شاعرٌ معروف .

٢٥ — سَهْلُ بن الحنظلية الحارثيّ . والحنظلية هي أمُّ أبيه ، وهو سَهْل بن عمرو بن عديّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة ، صحابي .

٢٦ — سَهْل بن البيضاء . البيضاء لقبُ أمِّه ، واسمها دَعْدُ بنت جَحْدم ، بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة . وهو سهل بن وهب بن ربيعة ، صحابي .

٢٧ — سُهَيْل بن البيضاء ، أخو سَهْل .

حرف الشين

٢٨ — شُرَحْبيل بن حَسَنَة . وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطَاع أخو عبد الله وعبد الرحمن . وحَسَنَةُ أمُّه ، وهي عَدَوْلية : نسبةٌ إلى عَدَوْلَى قرية بالبحرين . وهي مولاةُ مَعْمَر بن حبيب . وشُرحبيل من الصَّحابة .

٢٩ — شَريك بن السَّحْماء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة : وهو شَرِيك بن عَبَدَة بالتحريك ، ابن مغيث ، أخو البَرَاء بن مالك لأمِّه . وهو أوّلُ مَن لاعَنَ في الإسلام . وبعضُهم يجعل شَرِيكَ بن السَّحماء غيرَ شريك بن عَبَدة ، والأوّلُ أصحّ .

حرف الصاد

٣٠ — صَفْوان بن البيضاء ، والبيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْد . وهو سَهل وسُهَيل . وهو صفوان بن وهب ، وقد تقدَّم .

حرف العين

٣١ — عاصم بن بَهْدَلة ، أبو بكر الأسديّ ، من القرّاء ، وبَهْدلة أمُّه . وهو عاصم بن أبي النَّجُود . والبَهْدَلة : الإسراع والخِفة في المشي . والبَهدل : جِرو الضَّبُع (١) .

---

(١) في الأصل : « خرو الضبع » ، تحريف .

٣٢ — عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلول المُنافق . سَلول أُمُّه .

٣٣ — عبد الرحمن بن حَسَنَة، أخو عبد الله وشُرَحبيل، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن المُطَاع . وحَسَنَةُ مولاةُ مَعْمَر بن حبيب ، عَدَوْلية .

٣٤ — عبدُ الله بن أمّ حرام . وهو عبد الله بن عَمرو بن قيس . وفيه اختلاف .

٣٥ — عبد الله بن بُحَينة ، وهو عبدُ الله بن مالك الأزديّ . وقد تقدَّم ذكر بُحَينة عند ذكر أخيه جُبَير . واسمها عَبَدة بنت الحارث بن عبد المطلب ، وهى أمُّ أبيه .

٣٦ — عبد الله بن حَسَنة ، أخو عبد الرحمن وشُرَحبيل ، وهو عبد الله ابن المُطَاع .

٣٧ — عُمَر بن اللُّتبيَّة . وقيل ابن الأُتْبِيَّة[٢] . قيل الأوّل الصحيح . والأوّلُ قول ابن دريد ، والثانى قولُ الكلبيّ والمعوَّل على قوله أكثر .

٣٨ — عمرو بن الفَغْواء أخو علقمة ، صحابيان .

٣٩ — علقمة بن الفَغْواء ، صحابيٌّ ، وقيل ابن أبى الفغواء ، وهو عَلْقمةُ بن عُبَيد الخزاعيّ . والفغواء ، بالفاء والغين المعجمة : لقب أمّه . والفغا : مَيَل فى الفم .

٤٠ — عمرو بن شَعْواء اليافعىّ صحابى . شعواء أمّه ، ولم أقفْ على اسم أبيه . والشَّعواء بالشين المعجمة والعين المهملة : المنتشرة الشعر ، ومنه شجرة شَعْواء منتشرةُ الأغصان . وغارةٌ شَعْواء : متفرّقة .

٤١ — عوف بن عفراء، وهو عوف بن الحارث بن رِفاعة النَّجّارى . وهى

(١) فى الأصل : « ابن اللبنية وقيل ابن الأبية » . صوابه من تذكرة الطالب ، قال : « عده الصغانى فى نقعة الصديان فى الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم » وذكره فى الإصابة ١٩٣١ باسم « عبد الله » . وفى القاموس (لتب) : « وبنو لتب ، بالضم : حى ، منهم عبد الله بن اللتبية » .

عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة . وقيل فيه عَوْذٌ ، وعَوْفٌ أكثر .

حرف اللام

٤٢ — لوط بن هاران بن تَارَح ، ابنُ أخى إبراهيم(١) . هاران هو أخو إبراهيم .

حرف الميم

٤٣ — مالك بن بُحَيْنة ، وبُحيـنة لقبُها واسمها عَبْدَة . وهو مالك بن القِشْب بكسر القاف .

٤٤ — مالك بن نُمَيلة، نُمَيلة أُمّه . وهو مالك بن ثابتٍ المُزَنىّ الصحابى .

٤٥ — محمد بن الحنفيّة ، هو محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما . والحنفيّة أُمّه(٢) .

٤٦ — محمد بن حَبيب الأديب . حبيبُ اسم أُمّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٤٧ — محمد بن عائشة ، وهو محمّد بن حَفْص .

٤٨ — محمد بن عثمان ، وهو محمد بن خالد .

٤٩ — محمد بن شَرَفَ القَيْرَوانىّ . شرفُ اسم أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٥٠ — محمد بن القُوطِيّة ، بضم القاف وكسر الطاء وفتح المثناة التحتية المشددة، وهى أمُّه، نُسِبت إلى قُوط بن حام بن نوح . وهو أبو السُّودانِ والهند والسِّند . وهو محمد بن عُمَر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مُزاحمٍ الأندلسىّ الإشبيلى الأصل ، القُرطُبى المولد . كان من أعلم أهل زمانه ، ماهراً باللغة

(١) لعله يريد أنه يقال لوط ابن أخى إبراهيم ، فينسب إلى غير أبيه .

(٢) هى خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلب ، أو بنت قيس بن جعفر بن قيس ، أو خولة بنت إياس بن جعفر ، ونسبتها إلى بنى حنيفة باليمامة ، وقيل كانت أمة لبنى حنيفة سندية سوداء . انظر اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء : بتحقيق الدكتور الشيال ، والإصابة ٣٥٥ من قسم النساء والمعارف ٩١ .

والعربية، حافظاً للحديث والفقه والشعر، لا يُلحَق شأوُه. وكان متنسّكا متعبّداً.

حكى أبو بكر يحيى بن هُذيل التميمىّ، أنه توجّه يومًا إلى ضيعة له بسفح جبل قُرطبة، وهو من بقاع الأرض الطيّبة المونقة، وصادف ابنَ القوطيّة صادراً عنها. قال: فلما رآنى عرّج علىّ واستبشّ بلقائى، فقلت له على البديهة مداعباً:

من أين أقبلت يا مَن لا شبيهَ له ... ومَن هو الشمسُ والدُّنيا له فَلَكُ

فتبسّم وأجاب بسرعة:

مِن مَنزلٍ يُعجبُ النُّسّاكَ خَلْوَتُه ... وفيه سِتْرٌ عن الفُتّاكِ إن فَتَكوا

قال: فما تمالكت أن قبّلت يدَه. مات فى سنة سبع وستين وثلاثمائة.

٥١ — محمد بن ماجه[١]، ماجه اسم أمه وهو محمد بن يزيد بن ماجه، وترجمته مشهورة. الإمام أبو عبد الله الحافظ القزوينىّ أحد أصحاب الكتب الستّة ودواوين الإسلام.

٥٢ — مسعود بن العجماء، العجماء اسم أمّه. وهو مسعود بن الأسود ابن حارثة صحابىّ.

٥٣ — مُعاذ بن عَفراء، عفراء أُمّه، وهو مُعاذ بن الحارث بن رفاعة النجّارى صحابىّ.

٥٤ — معوّذ بن عَفراء، أخو معاذ. وعفراء هى بنت عُبَيد بن ثَعلبة صحابىّ.

٥٥ — مَعقِل بن أم مَعقِل، وهو معقل بن أبى الهَيثم، ويقال له مَعْقِل بن أبى مَعْقِل الأسدىّ.

٥٦ — المِقْداد بن الأسود، هو الأسود بن عَبد يغوث، وهو رجل زُهرىّ

(١) جرى القدماء على نطق أمثال هذه الأسماء بالهاء الساكنة، ونحوها «سيده» و«منده». ولست أرى مسوغا لهذا الالتزام مادامت تدخل فى نطاق التعريب.

ربَّى المقـدادَ وتبنَّاه فنُسِب إليـه . وهو المقداد بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك الـكندىّ .

حرف الواو

٥٧ — ورقة بن نوفل بن عبد العُزَّى ، ابنُ عمِّ خديجة رضى الله تعالى عنها . نَوْفَلٌ هو عمُّ خديجة رضى الله تعالى عنها .

حرف اليـاء

٥٨ — يحيى بن الحنظليّة . الحنظليّة أُمُّه ، ولم أقف على اسم أبيه ، وهو ممَّن بايع تحت الشجرة .

٥٩ — يَعْلَى بن سَيَابة ، وهى اسم أُمِّه ، وهو يعلى بن مُرَّة الثَّقَفى[1] .

٦٠ — يعلَى بن مُنْيَة[2] وهى أُمُّه ، وقيل جدّته أُمُّ أبيه ، وهو يعلى بن أُمَيَّـة بن عبدة[3] التميمىّ المـكى حليف قريش ، ومن مُسْـلِمَة الفتح ، وقُتل فى صفين ، رضى الله تعالى عنه .

٦١ — يُونس بن حبيبَ الأديب الشاعر ، حبيبُ أُمُّه ، ولم أقف على اسم أبيه ؛ وفيه ستُّ لغات مشهورات : تثليث النون، مع الهمز وتركه .

والحمد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد حبيبه رب العالمين ، وعلى آله وصحابته والتابعين .
كتبه لنفسه محمد محمود ، ابن التلاميد التركزى ، لطف به آمين .

---

(١) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « قال ابن حبان : من قال فى يعلى بن مرة "يعلى بن سيابة فقد وهم . ثم قال : يعلى بن سيابة يقال إن له صحبة » .

(٢) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « يعلى بن منية ، بضم الميم وسكون النون ، وهى أمه وقيل أم أبيه ، جزم بذلك الدارقطنى . وقال : هى منية بنت الحارث بن جابر » .

(٣) فى الإصابة : « ابن أبى عبيدة » .

فهرس المجموعة الأولى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

نوادر المخطوطات

٢

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الثانية

٥ — كتاب خطبة واصل بن عطاء المعتزلى المتوفى سنة ١٤١ .

٦ — كتاب أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ .

٧ — رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها، لأبى العباس محمد ابن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ .

٨ — كتاب العصا لأبى المظفر أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ .

٩ — رسالة التلميذ لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣ .

الطبعة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

هذه هى المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) التى ألتمس من الله الأيد والعون على أن أمضى فى إخراجها ، مغتبطا بما ظفرت به وما أرجو أن أظفر به ، من تقدير العلماء والأدباء لهذه الفكرة التى تحاول ملء فراغ كان يتخلل المكتبة العربية المنشورة .

وتلقيت رسائل من أطراف العالم العربى والإسلامى ، فيها ثناء وفيها رغبات عاجلة ، واقتراحات لنشر كتب ورسائل معينة ، وسأتخذ من هذه الرغبات وهذه الإرشادات نبراساً لى فيما أنا آخذ بسبيله .

وتفضل زميلنا وصديقنا الأستاذ الناقد المحقق (الدكتور شوقى ضيف) فكتب فى مجلة الثقافة (بالعدد ٦٣٤) مقالا نفيسا عرف فيه تعريفا صادقاً بـ (نوادر المخطوطات) وبرسائل المجموعة الأولى . وروى نصا نادراً عن ابن سعيد (فى المغرب) فى شأن أبى الصلت ، أنه « كان قد خرج من إشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين وتوجه فى رسالة إلى مصر فسجن بالقاهرة فى خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب ، فأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع فى علوم كثيرة من حديثة وقديمة . . . وإنما حبسه المصريون لأن صاحبه الذى أرسله وهو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ـ كان قد قطع هو وأبوه اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة واستقلا عن مصر . فلم يكرم المصريون رسوله ، بل حبسوه إهانة له وإزراء عليه » .

وعقد كذلك موازنة بين ما ورد فى كتاب «المردفات من قريش» وما ورد فى كتاب « المحبر » لابن حبيب فيما يشبه هذا الموضوع .

وتمكن ـ حفظه الله ـ من تكملة عبارة وردت ناقصة فى الأصل فى ص ٢٢ : « وقد تعاور الشعراء . . . الشماع على صبح . . . » ، إذ وجدها فى الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشماع على صفحات الماء » .

وورد فى ص ٢٣ بيتان أشرت إلى أنهما محرفان فوجد صوابهما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج وصفو اللجين به ذوبا
إذا جمشته الصبا بالضحى توهمته زردا مذهبا

فإلى الصديق (الدكتور شوقى ضيف) أزجى صادق الشكر وعظيم التقدير .

وكنت قد اعتزمت أن أنشر فى هذه المجموعة (كتاب عرام بن الأصبغ فى أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى) ، ولكنى علمت أن العلامة (عبد العزيز الميمنى الراجكوتى) قد قام بنشر هذا الكتاب من قبل ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطّلع عَلَى نسخته .

وفى النية أن تشتمل المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) على (رسالة ابن غرسية فى الشعوبية) والردود عليها .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

القاهرة فى ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

كتاب خطبة واصل بن عطاء

٨٠ — ١٣١

مقـــــدمة

واصل بن عطاء – تلقيبه بالغزال — هو والجاحظ — عبقرية واصل — لثغته — الراء من أكثر الحروف دورانا فى العربية — الجاحظ يعقد فصــلا للثغة — شهرة لثغة واصـــل — علة تجنبه للراء — نماذج لمجانبته الراء ممـا ذكره الجاحظ — نمـاذج ممـا ذكره غير الجاحظ — حادث خطبة واصل — تاريــخ الخطبة — خطبة واصل فى التاريخ — قيمة هذه الخطبة — شبهها ببعض خطب عصره —ابن زيدون وواصل بن عطاء — نص الخطبة .

واصل بن عطاء :

ليس أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال ، مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم ، فى حاجة إلى أن نسهب فى التعريف به ، فإنه رأس المعتزلة ، وأول إمام قوى دفع مذهب الاعتزال ، وكوّن الفرقة الأولى من فرق المعتزلة العشرين[1] .

ولم يختلف المؤرخون أنه ولد بمدينة الرسول، سنة ثمانين للهجرة، وأنه نزح إلى العراق وأقام بها ، ولزم الحسن البصرى يحضر مجالسه ويقبس من علمه ، إلى أن كان ما كان من قول واصل وصاحبه عمرو بن عبيد بالمنزلة بين المنزلتين ، فكان ذلك سبباً للقطيعة بين الحسن ، وبين واصل وزميله ، وانتقل ميدان الرأى من مجلس العلم إلى الرأى العام ، فكان للاعتزال أنصاره الذين ينضوون تحت لوائه ، وصار مذهباً من المذاهب القائمة .

تلقيبه بالغزال :

وقد اختلف الناس فى تلقيب واصل بالغزال، فمنهم من زعم أنه كان غزالا، وأصح القولين أنه إنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين إلى

---

(١) هى الواصلية ،والعمرية،والهذيلية،والنظامية،والأسوارية،والإسكافية،والجعفرية، والبشرية، والمعمرية ، وأصحاب عيسى بن صبيح ، والثمامية،والهشامية، والجاحظية،والخياطية، والكعبية ، والصالحية ، والخابطية ،والحدبثية ، والشحامية ، والبهشمية .

أبى عبد الله مولى قطن الهلالى[١] . ويذكرون أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ممن يتردد عليهم ، فيجعل صدقته لهن[٢] . ويذكرون من أمثال ذلك فى النسبة بعض الأعلام كخالد الحذّاء ، قيل إنه سمّى بذلك لأنه تزوج امرأةً فنزل عليها فى الحذّائين فنسب إليها[٣] . وهشام الدستوائى إنما قيل له ذلك لأن الإباضية كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجناب[٤] .

هو والجاحظ :

وبدهى أن الجاحظ لم يدرك واصل بن عطاء ، لأن مولد الجاحظ كان فى سنة ١٥٠ ووفاة واصل كانت فى سنة ١٣١[٥] .

لكن الجاحظ قد أدرك رجلا له صلة بواصل بن عطاء ، هو جعفر بن أخت واصل ، عرفه الجاحظ ، وسمع منه إنشاداً لشعر رواه فى كتاب الحيوان[٦] ، كما روى عنه شيئاً من الدُّعابة فى البيان[٧] .

والجاحظ يعجب بواصل وبصحة عقله ، فهو يقول فى كتاب الحيوان[٨] عند الكلام على الجن : « لأنهم لم يسلَّطوا على الصحيح العقل . ولو كان ذلك

(١) البيان ١ : ٣٣ والكامل ٥٤٦ ليبسك .
(٢) الكامل وابن خلكان فى ترجمة واصل .
(٣) أى إلى قطيعة الحذائين . البيان ١ : ٣٣ والسمعانى ١٦٠ .
(٤) البيان ١ : ٣٣ .
(٥) لسان الميزان فى ترجمة واصل ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٣ ومسالك الأبصار (القسم الثانى من الجزء الثامن ص٤٩٦ من مصورة دار الكتب رقم ٢٥٦٨ تاريخ) وعيون التواريخ ٢٠ لابن شاكر الكتبى مخطوطة بدار الكتب المصرية فى وفيات الأعيان ١٣١ . وكذا شذرات الذهب لابن العماد فى تلك السنة ، وفوات الوفيات فى ترجمته . وفى أصل معجم الأدباء ٧ : ٢٢٥ مرجليوث ، أنه توفى سنة إحدى و (بياض) ومائة . والذى فى وفيات الأعيان أنه توفى سنة ١٨١ . وهو خطأ ظاهر
(٦) الحيوان ٧ : ٢٠٤ — ٢٠٥ . (٧) البيان ٢ : ٢٣٤ .
(٨) الحيوان ٦ : ١٦٠ .

إليهم لبدءوا بعلى بن أبى طالب، وحمزة بن عبد المطلب ، وبأبى بكر وعمر فى زمانهم وبغيلان والحسن فى دهرهما، وبواصل وعمرو فى أيامهما .

عبقرية واصل :

ويبدو أن واصلا كان على جانب عبقرى من الذكاء وجرأة العقل والقلب . يقول المبرد[١] : « وحُدِّثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإياهم . وكانوا قد أشرفوا على العطب، فقالوا : شأنك . فخرج إليهم فقالوا: ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وليعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناكم . قال : فعلمونا . فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معى . قالوا : فامضُوا مصاحَبين فإنكم إخواننا . قال : ليس ذلك لكم . قال الله تبارك وتعالى : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمعَ كلام اللّهِ ثم أبلغه مأمنه » ؛ فأبلغونا مأمننا . فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: ذاك لكم . فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن .

وهذا الخبر على به من أثر الصنعة يطوى وراءه اعترافاً بعبقرية هذا الرجل وزعامته الفطرية . على أن شيئاً مما ذُكِر ليس يعنينا لذاته، وإنما ليلقى ضوءاً على حياة هذا الرجل الذى هو رأس من رؤوس المعتزلة الذين قامت دعوتهم على المناظرة والمجادلة الملحة ، والتى اعتمدت فى أكثر ما تعتمد على الخطابة وعلى البيان ، وعلى الجرأة فى مواقف المخاصمة والمنازعة .

لثغة واصل :

ولكلٍّ حسناء ذامُها ، فهذا الخطيب واصل ، مع ما رزقه الله من بيان وحسن تصريفٍ للقول، كان صاحب عاهة منطقية عُرِف بها وذاعت بين الناس،

(١) الكامل ٥٢٨ ليبسك. وقد روى هذا الخبر موجزا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ١٩٦ .

وهى اللغة شنيعة كانت تقع له فى حرف الراء فتحرجه فى ذلك أيما إحراج فيتأتى لها بمجانبتها إلى سواها من الحروف ، ويحمل على نفسه فى هـذا الأمر ويجهدها فيوفّق توفيقاً بالغاً .

قال أحد معاصريه[1] :

ويجعـل البر قمحاً فى تصرّفه   وجانب الراء حتى احتال للشعر[2]
ولم يطق مطراً والقـول يعجله   فعاذ بالغيث إشـفاقاً من المطر

قال الجاحظ: وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل يصنع فى العدد ،وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه إلا ما قال صفوان :

ملقّن ملهـــم فيما يحاوله   جمّ خواطره جواب آفاق

الراء من أكثر الحروف دورانا :

وقد لحظ الجاحظ ، وهو صادق فيما فَطِن له ، أن الراء من أكثر الحروف دوراناً فى الـكلام العربى، قال[3]: أنشدنى ديسم قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى:

وخلة اللفظ فى الياءات إن ذكرت   كخلة اللفظ فى اللامات والألف
وخصلة الراء فيها غير خافية   فاعرف مواقعها فى القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشـد .

ثم قال الجاحظ : « واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جمـلة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصّلتَ جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروفَ الحاجةُ إليها أشدّ » .

---

(١) البيان ١ : ٢١ .
(٢) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء «السبد» بالتحريك ، و «الهلب» بالضم، و «اللمة»: مازاد على الجمة ، و «الخصلة» بالضم : ما اجتمع من الشعر كذلك . انظر المخصص ١: ٦٢ ـ ٦٩ .
(٣) البيان ١ : ٢٢ .

وهذه براعة عجيبة للجاحظ: أن يتجه فكره فى عصره إلى مثل هذه الطريقة التى لم تشتهر ولم يعرف الاتجاه إليها فى البحوث اللغوية والأدبية إلا منذ عهد قريب :

الجاحظ يعتمد فصلا للثغة :

هـذه اللثغة الشنيعة التى كانت تقع لواصل ، هى أقوى الدوافع التى دعت الجاحظ ـ وهو الذى نصب نفسه مدرهاً للمتكلمين وللمعتزلة بوجه خاص ، أن يعتمد فى كتابه فصلا طويلا فى اللثغة[1] يبين فيـه أنها تقع فى أربعـة حروف ، وهى القاف والسين واللام والراء ، ولكل من هذه الحروف ضروب من اللثغ ولا سيما الراء فإن لها ضروباً أربعة ، إذ تقلب ياء كما يقال فى عمر عمى ، أو عيناً كما يقال عمغ ، أو ذالا فتقول عمذ ، أو ظاء فتقول عمظ ، ثم يخص ضربا لها خامساً بالذكر لا يصوّر بالكتابة ، وإنما سبيله المحاكاة والنطق ، وهذا الضرب هو الذى كان يعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد . قال الجاحظ فى تلك اللثغة : « فليس إلى تصويرها سبيل » .

وقد وجدت برهان الدين الوطواط فى كتابه غرر الخصائص[2] يزعم أن لثغة واصل . كانت بالظاء أخت الطاء ، على حين لم يعيّن الجاحظ نوعها ، وكأنها كانت حرفاً بين حرفين ، أو مزيجاً من حروف . ولو كانت حرفاً واحداً لعينه الجاحظ ، وهو من أقرب الناس به عهداً ، وأخبرهم به علما .

شهرة لثغة واصل :

قلت : إن لثغة واصل كانت أمرًا متعالما ، ذكرها كلّ من ترجم له ، ونطقت بها آثار الشعراء . فهذا أبو محمد الخازن يقول من قصيدة مدح بها الصاحب إسماعيل بن عباد[3] :

---

(١) البيان: ١ : ٣٤ ـ ٣٧ . (٢) غرر الخصائص ص ١١٤ .
(٣) وفيات الأعيان ، ترجمة واصل ، وكذا مسالك الأبصار، وقد سبقت الإشارة إليه.

ـنم ، تجنّب « لا » يوم العطاء كما   تجنّب ابن عطاء لفظة الراء

وقال الأرَّجانى :

ـذا متعاضٍ أخفى اختلالى عن الرا   ئى كإخفاء واصل للراء[1]

وقال : فيما رواه ابن شاكر فى عيون التواريخ ، وليس فى ديوانه :

ـهجر الراء واصل بن عطاء   فى خطاب الورى من الخطباء

وأنا سوف أهجر القاف والرا   ء مع الضاد من حروف الهجاء

وقال آخر فى محبوبٍ له ألثغ :

أعدْ لثغةً لو أن واصل حاضر   ليسمعها ما أسقط الراء واصل[2]

وقال آخر :

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به   وقَطعتنى حتى كأنك واصلُ

وقال آخر :

فلا تجعلنّى مثـــل همزة واصلٍ   فتاحتقنى حذفاً ولا راء واصلِ[3]

علّة تجنّب واصل للراء :

هــذه العيوب اللسانية التى منها اللّثغ تعرض لـكثير من النـاس من يوم خَلَق اللهُ الدُّنيا إلى يومنا هـذا ، والناسُ متفاوتون فى أقدارها من الشـناعة ، ويكادون يتّفقون على الرضا بها مع طول العهد ، وألاّ يحاولوا تغيير ما صنع الله ، وإن كان العلم الحديث فى وقتنا هذا يحاول أن يخفّف من حِدّتها ، وأن يأخذ بها إلى غير سبيلها ، ولـكنّا لم نسمع فيما يروى التاريخ من محاولة عنيدة للهرب من هذا العيب ، كتلك المحاولة التى أرادها واصل ، وقَسَرَ نفسَه عليها ، وذلك باجتثاث

---

(١) فى ديوان الأرجانى ١٣ : « عن الرأى » ، وهو تحريف . وأراد بالاختلال الخلة والحاجة .

(٢) كذا عند ابن خلـكان . وفى غرر الخصائص ١١٤ : « ولثغته لو أن واصل حاضر » .

(٣) هذه رواية ابن خلـكان ، ولم ينسب البيت . وقد وجدته منسوبا إلى الزمخشرى فى المضنون به على غير أهله ١٢١ طبع ١٩١٥ : « فيسقطنى وصل » .

الداء من أصله ، وهو التحرُّز من ذلك الحرف الذى يحمل تلك الشناعة ، وهو حرف الراء .

ويوضّح الجاحظ علّة التجاء واصل إلى مجانبة الراء بقوله[١] : « ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحِش اللثغ ، وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالةٍ ورئيس نِحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعَة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الفخامة والجزالة ، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنَى إليه الأعناق ، وتزيَّن به المعانى ، وعلم واصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد . . . . ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقها من الفصاحة — رام[٢] أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتّى لستره والراحة من هجنته ، حتى انتظم له ماحاول ، واتّسق له ماأمّل . ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ، ولطرافته معلما ، لما استجزْنا الإقرار به والتوكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجّة الخصوم ، ومناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الإخوان » .

---

(١) البيان ١ : ١٤ — ١٥ .

(٢) هذا جواب « لما » التى فى أول النص .

نماذج لمجانبته الراء مما رواه الجاحظ :

ويذكر نموذجاً من مجانبته الراء إذ يقول[١] : وكان واصل بن عطاء قبيح اللغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ، ولذلك قال بشار الأعمى :

مالى أشايع غزّالا له عنق كنِقنقِ الدوِّ إن ولّى وإن مَثَلا
عنقَ الزرافة مالى وبالكم أتكفرون رجالاً أكفروا رجلا

فلما هجا واصلا وصوّب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين ، وقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وجعل واصلاً غزّالا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما دون الثلاثةِ أمّ عمرو بصاحبك الذى لاتَصْبَحينا

قال واصل عند ذلك : « أما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنّى بأبى معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله ، وفى يوم حفله ، ثم كان لايتولّى ذلك منه إلاّ عقيلى أو سدوسى » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى : قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنّب الراء فى كلامه هذا ، وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه ، لاتظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث ، جعل المشنف بدلاً من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ، وقال : لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء ، وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه ولم يقل لأرسلت إليه ، وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فراشه[٢] .

---

(١) البيان ١ : ١٦ – ١٧ . (٢) نحو هذا فى كامل المبرد والوفيات نقلا عنه .

نماذج مما ذكره غير الجاحظ :

ويسجل له ابن شاكر فى عيون التواريخ(١) احتيالاً آخر الراء، فقد ذكر أنه امتُحِن حتى يقرأ سورة براءة، فقرأ من غير فكر ولا روية : «عهد من الله ونبيه إلى الذين عاهدتم من الفاسقين . فسيحوا فى البسيطة هلالين وهلالين» .

ويذكر ابن العماد الحنبلى(٢) أنه دفعت إليه رقعة مضمونها : «أمر أمير الأمراء الكرام أن تحفر بئر على قارعة الطريق فيشرب منها الصادر والوارد»، فقرأ على الفور : «حكم حاكم الحكام الفخام، أن ينبش جُبٌّ على جادّة الممشى فيستقى منه الصادى والغادى» .

وهذه الرواية توحى بأن واصلاً كان يشعر بتلك العاهة شعوراً مستبدا تجعله يتجنبُ الوقوع فى أشراكها، وتوحى أيضاً بأن القوم كانوا يداعبونه على ضوئها، ويتحينون الفرص للتندُّر به وبها(٣) .

---

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية، حوادث سنة ١٣١ .

(٢) شذرات الذهب حوادث سنة ١٣١ .

(٣) من طرائف الأدب العربى صور يجرى فيها الشعراء على نهج من يعجبون به من أصحاب اللثغ . روى ابن شاكر وابن خلكان قول أبى نواس :

وشادن سألته عن اسمه فقال لى باللثغ عباث
بات يعاطينى سخامية وقال لى قد هجم الناث
أما ترى حثن أكاليلنا زينها النثرين والآث
فعدت من لثغته ألثغا فقلت أين الكاث والطاث

وروى ابن شاكر فى عيون التواريخ لعين بصل — وهو شاعر عامى أمى، ترجم له فى فوات الوفيات، واسمه إبراهيم بن على —:

يقول وقد داومت تقبيل ثغره بلثغته : حثى أخذت منافقى
ثكرت بحثو الخندريس وكاثنا تحث وثكرى قد أزال وثاوقى

وروى ابن خلكان للخبز أرزى :

فى فمه درياق لدغ إذا أحرق قلبى شدة اللدغ
إن قلت فى ضمى له أين هو تفديك روحى قال لاأدغى

حادث خطبة واصل :

كان ذلك حفلا جامعاً حُشِد له أقدر الخطباء وأبرعهم براعة ، وكان ذلك بالعراق ، إذ اجتمع عِلْيَةُ القوم والناسُ ليشهدوا حفلا عنـد عبد الله بن عمر بن عبد العزيز(١) والى العراق ، تبارى فيه هؤلاء الخطباء ، وهم خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والفضل بن عيسى ، وواصل بن عطاء ، وتناوبوا القول على المنبر على هذا النظام ، فانتزع خالد وشبيب والفضل قبله إعجاب القوم انتزاعا ، فهـم كانوا سادة الخطباء فى ذلك الزمان ، وهم كانوا قد أعدّوا خطبهم من قبل وحبّروها ونمقوها ، وما إن فرغ الثلاثة حتى نهض واصل يَهدِر ، وبداهته تغلى ، بخطبة ارتجلها ارتجالا ، واقتضبها اقتضاباً ، وأطال فيها إطالة(٢) ، وحرص كل الحرص على أن ينزع الراء منها ، ففاق إعجابُ الناس والوالى بواصل بن عطاء إعجابَهم بالثلاثة قبله ، وأظهر الوالى الصِّلات ، فأجزل صلاتِ الثلاثة قَبله ، ثم ضاعف لواصلٍ الصلة تقديراً لعبقريته الخطابية النادرة .

وقد سجّل شاعران معاصران لواصل هذا الحادث تسجيلا صادقاً ، أحدهما بشار ، يقول فى كلمة له :

---

(١) عبد الله هذا هو صاحب نهر ابن عمر ، حفره بالبصرة. انظر معجم البلدان . وكان واليا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك على العراق ، ولاه إياها بعد عزل منصور بن جمهور ، وذلك سنة ١٢٦ . وقد ظل فى ولايته على العراق فى فترة مملوءة بالفتن والأحداث حتى قبض عليه يزيد بن عمر بن هبيرة ، من قبل مروان بن محمد آخر الأمويين ، وذلك فى سنة ١٢٩ . وكانت وفاته فى سنة ١٣٢ كما فى النجوم الزاهرة . وأما يزيد بن الوليد هذا فهو الذى كان يقال له « يزيد الناقص » لنقصه أعطية الجند ، وهو الذى ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الماجن ، ودعا إلى خلعه ، فاستجابت له اليمن وبايعوه ، وقتلوا الوليد ، وذلك فى جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ وتوفى يزيد فى السنة نفسها فى ذى الحجة. تاريخ الطبرى حوادث ١٢٦ ــ ١٢٩ ويذكر الطبرى فى تاريخه ٩ : ٤٦ والمسعودى فى مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ أن يزيد بن الوليد كان يذهب إلى قول المعتزلة .

(٢) قال الجاحظ : لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم .

أبا حذيفة قد أوتيت معجبةً   في خطبة بدهَتْ من غير تقدير
وإن قولاً يروق الخالدَيْن معاً   لمسكتٌ مخرسٌ عن كل تحبير(١)

وقال بشار أيضاً :

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا   وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلى بداهته   كمِرجل القين لما حُفّ باللهب
وجانبَ الراء لم يشعر بها أحد   قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال أيضاً :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائل   إذا ما أراد القول زوّره شهراً

والشاعر الآخر المعاصر هو صفوان الأنصاري ، يقول في كلمة له :

فسائلْ بعبد الله في يوم حفلِهِ   وذاك مقام لا يشاهده وغدُ
أقام شبيباً وابن صفوان قبله   بقول خطيبٍ لا يجانبُه القصد
أقام ابن عيسى ثم قفّاه واصل   فأبدع قولاً ما له في الورى ندُّ
فما نقصته الراء إذ كان قادراً   على تركها واللفظ مطّرد سَرْد
ففضّل عبد الله خطبةَ واصلٍ   وضوعف في قَسم الصلات له الشُّكْد
فأقنع كلَّ القوم شكر حبائهم   وقلل ذاك الضعف في عينه الزهدُ

تاريخ الخطبة :

ويمكننا أن نعين تاريخ هذا الحفل الذي خطب فيه واصل أنه كان ما بين جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٢٩ كما يتضح من التحقيق الذي أشرت إليه في الحواشي قريباً ، إذ أنه المدة المقدورة التي قضاها عبد الله بن عمر بن

---

(١) يعني بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، كما في حواشي أبي ذر الخشني على البيان والتبيين ، وهذا على ما يسمونه التغليب .

عبد العزيز فى ولاية العراق . والأرجح أنه كان فى الشهور الأولى من هذه الفترة حيث كان المألوف والمتبع أن يجتمع الناس للاحتفاء بالوالى وتكريمه .

خطبة واصل فى التاريخ :

اكتسبت خطبة واصل هذه شهرة تاريخية ، وليس من أديب شادٍ إلا وهو يعرف هذه الشهرة . ولسنا نجد فى الكتب المطبوعة نصاً كاملا محققا لخطبة واصل ، إلاّ ما ورد محرفاً منقوصاً فى كتاب مفتاح الأفكار ، للشيخ أحمد مفتاح ، وأدبيات اللغة العربية[1] . والمؤرخون الذين ترجموا لواصل يذكرون فى ثبت كتبه القليلة « كتاب خطبة واصل » . وأقدم من ذكرها ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فى الفهرست[2] ، ذكرها فى ثبت مرويات أبى الحسن على بن محمد المدائنى . وبدهى أن المؤرخين لم يَعْنُوا بكلمة « كتاب » تلك الصورة التى نعرفها من الضخامة ، وإنما يعنون معناها اللغوى البحت ، وهو المكتوب مهما يكن مقداره .

ولقد قام الأستاذ الكبير « أحمد زكى صفوت » الأستاذ بكلية دار العلوم ، بعمل تأليفى ضخم ، ضمّ به أشتات خطب العرب فى كتابه جمهرة خطب العرب ، ووقع تحت يده الكثير من أمهات كتب الأدب المخطوط منها والمطبوع ، فظفر بنصوص نادرة لخطب المشارقة والمغاربة ، ووقع تحت عينه كثير مما غاب عن أبصار غيره ، ولكنه لم يظفر — حفظه الله — بنص هذه الخطبة إلا فى كتاب مفتاح الأفكار[3] . وعندما قمت بتحقيق كتاب البيان والتبيين حاولت أن أعثر على هذا النص مخطوطاً ، فلم أجد إلا خبراً فى « مخطوطات الموصل » للدكتور داود جلبى ، إذ ورد فى ص ٢٠٨ أن نسخة من هذه الخطبة محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث

(١) مفتاح الأفكار ٢٧٠ — ٢٧١ طبع ١٣١٤ . وأدبيات اللغة العربية ٢١٢ — ٢٢٤ طبع ١٩٠٦م .
(٢) الفهرست ١٥٢ .
(٣) جمهرة خطب العرب ١ : ٤٨٢ — ٤٨٤ .

بالموصل ، فطلبت إلى أحد العراقيين من طلبتي بكلية الآداب بجامعة فاروق حينما كنت أقوم بالتدريس فيها ، أن يستنسخ لي صورة منها فلم يوفق . وعندما أوشكت أن أتم طبع نسختي من البيان والتبيين وقفت على شريط منه من مخطوطات تركيا التي اجتلبها معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهي نسخة مكتبة (فيض الله) ، فحصلت على صورة منه ، ووجدت في نهاية النسخة ورقة ملحقة ، بها نص كامل لخطبة واصل ، بخط كاتب النسخة ، وهو محمد بن يوسف اللخمي ، كتب النسخة سنة ٥٨٧ وقرأها على الإمام أبي ذر الخشني ، فكان سروري بهذا النص النادر أشد من سروري بتلك النسخة العتيقة من كتاب البيان والتبيين . ولكني مع ذلك لم أقنع بهذا الظفر ، فجعلت أقلب في كتاب مسالك الأبصار ، وهو من أكبر الموسوعات الأدبية التاريخية الجديرة بالنشر ، فوجدت نسخة من الخطبة بها قليل من التحريف ، فاعتمدت على هاتين النسختين في نشر هذه التحفة ، التي يضاعف من سروري أن أكون أول ناشر لها نشراً علمياً مقروناً بدراسة أدبية تاريخية .

قيمة خطبة واصل :

تستمد خطبة واصل قيمتها من الظروف التي أحاطت بها ، وقد سردتها في تضاعيف مامضى من الكلام . ولسنا بحاجة إلى أن نعيد القول في أن خطبة طويلة تقال ارتجالا واقتضاباً في مقام رهيب ، ويقتدر صاحبها على الاستغناء عن حرف هو من أكثر الحروف دورانا في الكلام[1] على حين أنها خطبة تتسم بطابع ديني ، وتقتبس فيها معاني القرآن وأساليبه ونصوصه ، فلا يفر صاحبها من أن يزوّد خطبته بذلك الزاد ، ولكنه يفرُّ في حذق من ألفاظ معينة إلى مرادفة لها ـ كل أولئك إنما ينبئ عن قدرة فنية لاتتأتى إلا للأفذاذ من الخطباء ، فهو

(١) حفظ لنا التاريخ بعض الخطب التي نزعت منها حروف معينة ، كخطبة أحمد بن علي بن الزيات المالقي المتوفى سنة ٧٢٨ ، فقد نزع منها (الألف) ، أولها : « حمدت ربي جل من كريم محمود ، وشكرته عز من عظيم معبود » ، ولكنها لم تكن مرتجلة كخطبة واصل . انظر الإحاطة ١ : ١٥٤ وجمهرة خطب العرب للأستاذ صفوت ٣ : ٢٢٦ .

حين يريد أن يقول « أعوذ بالله القوى من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم » يقول : أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوىّ ، بسم الله الفتاح المنان » . وإذا أراد أن يتلوّ سورة كاملة من الكتاب قرأ سورة الإخلاص لخلوّها جميعها من الراء . وحين يريد أن يقتبس من القرآن الكريم : « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما » يقول : « لايحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق » . وإذا أراد أن يقول : « لا يعزب عنه مثقال ذرة » قال : « مثقال حبة » ، وإذا أحب أن يقتبس من قوله تعالى : « أصبحوا لا تَرَى إلا مساكِنَهم[1] » قال : « أصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم » . وإذا طلب أن يقول : « فبلغ رسالته » قال : « فبلغ مألكته » . . . . إلى كثير من أشباه هذا .

والخطبة كذلك تقدم لنا نموذجا من خطب القرن الثانى الهجرى ، من الخطب التى تجنّبت السياسة والدعوة السياسية ، وتجنّبت فتن المذاهب والدعوة المذهبية ، فهى نموذج لخطب الوعظ الخالص[2] . ابتدأها بحمد الله والثناء عليه[3] ، ثم ثنّى بالشهادتين فى إسهاب طيّب ، وعقّب على ذلك بالصلاة على الرسول الكريم مثنياً عليه ، ثم حثّ على التقوى والطاعة ، ومال بعد ذلك إلى التحذير من مفاتن الدنيا والتهوين من شأن من أطاعتهم الدنيا وأغدقت عليهم ثم صاروا من بعدُ هاماً وأحاديث . ثم دعا لنفسه والناس أن يكونوا ممن ينتفع بالموعظة الحسنة ، ثم نوّه بفضل القرآن وتلا ماتيسّر له منه ، بعد أن أجرى الاستعاذة والبسملة أيضاً على أسلوبه الذى يجانب الراء .

(١) هذه إحدى القراءات فى الآية ، وهى الخامسة والعشرون من سورة الأحقاف . انظر كتب القراءات والتفسير فيها .

(٢) كان واصل كما يروون على جانب من الزهد والتقوى ، روى له الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٦ قوله : « المؤمن إذا جاع صبر ، وإذا شبع شكر » . وروى صاحب الأغانى ٣ : ٤٠ : « كان واصل بن عطاء يقول : إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها ، لحبائل هذا الأعمى الملحد » ، يعنى بشاراً وما كان يقول من غزل ومجون فاجر .

(٣) كان هـذا أمراً محتما فى كل خطبهم فى ذلك العصر ، وكانوا يعدون الخطبة الخالية من هذا أمراً شنيعاً ، حتى لقد سموا خطبة زياد التى لم يلتزم فيها ذلك خطبة بتراء .

وشيء آخر يلمع لنا من ثنايا الخطبة ، فهذه الخطبة التي هي أشبه ماتكون بخطبة تقال في يوم الجمعة قد قيلت في مناسبة رسمية كما يقولون ، وكان من المتوقع فيها أن يثني القوم على الأمير ويذكروا فضله وآلاءه ، وينوّهوا بيُمن عهده وازدهار أيامه، ولكن يبدو أن الطابع الديني كان غلاّباً في ذلك الزمان ، والرهبة الدينية كانت لاتزال في قوّتها وسلطانها ، فإن القوم كانوا ينتهزون مختلف الفرص ليقوموا بواجب التذكير والوعظ ، والإرشاد والهداية .

والناظر في خطب هذه الفترة يجد شبهاً كبيراً بين هذه الخطبة وخطبة عمر ابن عبد العزيز[1] ، وكذا بينها وبين خطبة سليمان بن عبد الملك[2] ، اجتمع فيها كلها التحذير من مفاتن الدنيا ، وتصوير نهاية الأحياء في ذل وهوان ، كما اشتملت على التنويه بفضل القرآن والحث على اتّباع آيه وهديه ، كما اتفقت في الأسلوب المبني على المزاوجة ، وظهور السجع اليسير في غير ماتعمّل .

ابن زيدون وواصل بن عطاء :

هما موقفان تاريخيان ، أما موقف واصل فقد أُلقيَ الضوء عليه ، وأما موقف ابن زيدون فهو ذلك الموقف البياني الحرج الذي وقفه عند منصرَف الناس وعظمائهم وكبرائهم من جنازة ابنته التي واراها التراب ، إذ نهض ونهض معه بيانُه يشكر لهذا بقولٍ غيرِ مايقوله لذاك ، فيقولون : إنه ماأعاد في ذلك الوقت عبارة لأحد . وهو عجيب حقا في ذلك الظرف الذي يغيض معه البيان ، ويهرُب اللسان .

قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة ، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام[3] ، وهو أمر صعب إلى الغاية ، وأرى أنه أشقّ مما يحكى عن واصل بن عطاء ، أنه ماسُمِعت منه كلمة فيها راء ، لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة

(١) عيون الأخبار ٢ : ٢٤٦ .
(٢) عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ .
(٣) نفح الطيب ٢ : ٢٨٣ طبع ليدن . وقد نص المقري أنه نقل كلام الصفدي ملخصاً .

قبيحة . والسبب فى تهوين هذا الأمر وتهويله أن واصل بن عطاء كان يَعدِل إلى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء ، وهذا كثير فى كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ فرسٍ مثلا قال: جواد أو سابح أو صافن ؛ أو العدول عن رمح قال : قناة أو صعدة أو يزَنىّ أو غير ذلك ؛ أو العدول عن لفظ صارم قال: حسام أو لهذم أو غير ذلك . وأما ابن زيدون فأقول فى حقه: أول ما كان فى تلك الجنازة وهو وزيرٌ آنفُ رائسٍ ممن يتعيّن عليه أن يتشكّر له ويُضطَرّ إلى ذلك، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارةٍ مضمونها التشكّر . وهذا كثير إلى الغاية من محزونٍ . فقَدَ قطعةً من كبده »

والناقد يقف فى الموازنة بين الموقفين فى شيء من الحيرة ، ثم يجزم بأن المقايسة بينهما مقايسة مع الفارق كما يقولون ، فإن موقف واصل واضح ، ظروفه معينة ونصوصه حاضرة ، ولا كذلك موقف ابن زيدون فقد يكون تطرقت إليه المبالغة فى الرواية . ولم يذكر الرواة لنا شيئاً من تلك الأقوال التى غاير بينها ، ولم يذكروا لنا عددها ، وقد تكون قليلة العدد ولكنها المهارةُ التى أديرت بها تخيل للسامع أنها مئات العبارات ، فإن السامع لا يكاد يعى وعيا تاما ما سمعه منذ لحظات إلا إن وقف موقف التسجيل والانتباه المتفرغ . على أن احتمال الإعداد والتهيئة فيها قريب ، وليس كذلك خطبة واصل التى اتفق الرواةُ وسجّل الشعر أنها كانت وليدة ارتجالٍ وبداهة .

ومهما يكن فإن غايتنا من هذا التقديم المسهب أن نُظفِر الأدباء الذين لبثوا دهراً فى لهفة دائبة إلى قراءة خطبة واصل محققة ، بنصها الكامل فيما يلى :

هذه خطبة واصل بن عطاء

التي جانب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية ، والباقي بلا نهاية ، الذي علا في دنوّه ، ودنا في علوّه ، فلا يحويه زمان ، ولا يحيط به مكان ، ولا يؤوده حفظ ما خَلَق ، ولم يخلقه على مثال سبق ، بل أنشأه ابتداعا ، وعدّله اصطناعا ، فأحسن كلّ شيء خلقه وتمم مشيئته ، وأوضح حكمته ، فدَلّ على ألوهيّته ، فسبحانه لا معقّب لحكمه ، ولا دافع لقضائه تواضع كلُّ شيء لعظمته ، وذلّ كلُّ شيء لسلطانه ، ووسِعَ كلّ شيء فضلُه ، لا يعزُب عنه مثقال حبّةٍ وهو السميع العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له[1] ، إلٰها تقدست أسماؤه ، وعظمت آلاؤه ، علا عن صفات كلّ مخلوق ، وتنزّه عن شبه كل مصنوع ، فلا تبلغه الأوهام ، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام ، يُعصَى فيحلُم ، ويُدعَى فيَسمع ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون . وأشهد شهادةَ حقّ ، وقولَ صدق ، بإخلاص نية ، وصِدق طويّة[2] ، أنّ محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالصتُه وصفيّه ، ابتعثه إلى خلقه بالبيِّنات[3] والهدى ودين الحقّ ، فبلّغ مألُكتَه[4] ، ونصح لأمّته ، وجاهد في سبيله ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، ولا يصدُّه عنه زعم زاعم ، ماضياً على سنّته ، موفياً على قَصْده ، حتى أتاه اليقين . فصلَّى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى ، وأتم وأنمى ، وأجل وأعلى صلاةٍ صلاّها على صفوة أنبيائه ، وخالصة ملائكته ، وأضعافَ ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عبادَ الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ،

---

(١) لا مثيل له ، ساقطة من مفتاح الأفكار والأدبيات والجمهرة . وفي مسالك الأبصار : « لا شريك له » ، تحريف . (٢) في مسالك الأبصار وجميع المطبوعات : «وصحة طوية». (٣) في المفتاح والأدبيات وجمهرة خطب العرب : «بالبينة» . (٤) المألكة : الرسالة .

فأحضكم[١] على ما يدنيكم منه ، ويزلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة في معاد . ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها ، وفوائن لذاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ، ومدة إلى حين ، وكل شيء منها يزول . فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبائلها ، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها ، أذاقتهم حلوا ، ومزجت لهم سما . أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد ، قبضتهم بمخلبها[٢] ، وطحنتهم بكلكلها ، وعضتهم بأنيابها وعاضتهم من السعة ضيقا ، ومن العز ذلا[٣] ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحوا لا تعاين[٤] إلا مساكنهم ، ولا تجد إلا معالمهم ، ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا . فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون . جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ، ويعمل لحظه وسعادته ، وممن يستمع[٥] القول فيتبع أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . إن أحسن قصص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله ، الزكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له[٦] وأنصتوا لعلكم تهتدون[٧] .

أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوى ، إن الله هو السميع العليم . بسم الله الفتاح المنان[٨] . قل هو الله أحد[٩] ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

---

(١) في المسالك والمطبوعات : « وأحضكم » . (٢) في جميع المطبوعات : « بمحملها » ، تحريف .
(٣) في المسالك : « ومن العزة » .
(٤) في المسالك والمطبوعات : « لا ترى » ، تحريف .
(٥) في المسالك : « يسمع » .
(٦) في المسالك : « فاسمعوا له » ، وفي المطبوعات : « فأنصتوا له واسمعوا » .
(٧) في المطبوعات : « لعلكم تفلحون » .
(٨) بسم الله الفتاح المنان ، ساقطة من المسالك ومن جميع المطبوعات .
(٩) ما بعده إلى تمام السورة ساقط من المسالك .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وبالآيات والوحى المبين ، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم . وأدخلنا وإياكم جنات النعيم[1] . أقول ما به أعظكم ، وأستغفر الله لى ولكم .

(١) إلى هنا ينتهى النص فى جميع المطبوعات .

كتاب أبيات الاستشهاد

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى

٣٩٥ — ...

مقدمة

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازى ، إمام لغوى جليل ، وأديب ذو زعامة أدبية ، وشاعر رقيق الشعر ، ومؤلف صاحب ابتكار وتجديد فى التأليف .

فهو بين اللغويين فى رتبة أصحاب الصحاح من المحدثين ، لا يورد فى كتبه إلا ما صح من لغات العرب ، وهو صاحب « المجمل » ذى الشهرة الذائعة ، وهو صاحب « مقاييس اللغة » الذى يقوم ناشر نوادر المخطوطات بتحقيقه ، وهو المعجم اللغوى الذى لم يؤلف قبله ولا بعده فى موضوعه ، وهو القياس اللغوى . ونظير هذا المعجم الفذ فى ندرته معجم « أساس البلاغة » للزمخشرى ، الذى لم يؤلف قبله ولا بعده فى موضوعه ، وهو مجاز اللغة . وهذان المعجمان مفخرتان من مفاخر التأليف الشرقى الإسلامى .

وهو بين أدباء عصره ، إذ يتنازعه بلاط آل بويه ، وحضرة الصاحب بن عباد ، ويجتذبه آل العميد ، معترف له بالزعامة الأدبية ، يقول فيه الصاحب بن عباد : « شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف » . ويروى له الثعالبى فى يتيمة الدهر رسالة قيمة فى النقد (١) كما يروى ياقوت مساجلة أدبية بينه وبين عبد الصمد بن بابك (٢) .

وقد أوردت فى مقدمة مقاييس اللغة طائفة من مختار شعره تنبىء عن رقة وشاعرية ممتازة ، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنوانات كثير منها على ابتكاره وتجديده فى التصنيف والتأليف . ولكنى لم أذكر بينها « أبيات الاستشهاد » إذ لم أكن قد عثرت عليها بعد ، ولم يذكرها أحد من مؤلفى التراجم ولا واضعى فهارس المصنفات قديمها وحديثها . وقد يكون هو كتاب « ذخائر الكلمات » الذى ورد فى مقدمة مقاييس اللغة ص ٢٩ .

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح ، وهو ذكر الأبيات التى تصلح للتمثل بها فى مضارب مختلفة ، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها . وقد ساق ذلك فى أسلوب أدبى . ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال ، إذ وضع كتاباً آخر سماه « أمثلة الأسجاع » .

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فذة فى العالم ، مودعة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب ، وهى رديئة الخط تقع فى نحو اثنتى عشرة صفحة ، عانيت كثيراً فى قراءتها وفى نسبة أبياتها التى قضى الذوق الأدبى لابن فارس أن يجردها من نسبتها ، فوفقت فى أكثر ذلك وغاب عنى نسبة القليل .

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢١٤ — ٢١٨ . (٢) انظر نهاية ترجمته فى معجم الأدباء .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو الحسن أحمد بن فارس النحوى اللغوى :

بلغنا أنّ رجلا من حَمَلة الحجّة ، ذا رأيٍ سديد ، وهمة بعيدة ، وضِرس قاطع[1] ، قد أعدَّ للأمور أقرانها[2] ، بلسانٍ فصيح ، ونَهْج مليح ، وكان إذا رأى ذا مَودّةٍ قد حال عما عهدهُ ، أنشدَه :

ليس الخليلُ على ما كنتَ تَعهدُه   قد بَدّل الله ذاكَ الخِلّ ألوانا

وإذا رأى محدِّثَه [عابساً] أنشد :

يا عابساً كلّما طالعتُ مجلسَه   كأنّ عَبستَه من ذَرق حَمّاء[3]

وإذا رأى واحداً يُحسِن[4] عند الإحسان عليه ، ويُسِيء القولَ إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد :

هو كالكلب إذا ما أشبعتَه   طاب نفساً وإذا ما جاع هَرّ

وإذا رأى رجلاً راضيا بقليلٍ يصونُ وجهه عن السؤال أنشد :

وإنّ قليلاً يستر الوجه أن يُرَى   إلى الناس مبذولاً لغيرُ قليلِ

وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد :

إنى رأيت بباب دارك جفوةً   فيها لِحُسنِ فَعالكم تكدير[5]

---

(١) ذو ضرس قاطع ، أى ماض فى الأمور نافذ العزيمة .

(٢) الأقران : جمع قرن ، بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به البعيران ، أو جمع قرن بالكسر ، وأصله كفء الإنسان فى الشجاعة ، أو الكفء مطلقا .

(٣) الذرق : النجو . والحماء : الاست . وفى الأصل : « ذوق حما » .

(٤) فى الأصل : « يحسن به » .

(٥) لجحظة البرمكى كما فى ديوان المعانى ١ : ١٦٣ برواية : « لكن رأيت » . وقبله :

الله يعلم أننى لك شاكر   والحر للفعل الجميل شكور

وإذا رأى بشاشةً فى وجه مُضِيف أنشد :

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه سُرور صادٍ وَرَدَ الماء

وإذا رأى رجلاً مقِلاً سخيّا أنشد :

وليس الفتى المعطى على اليُسرِ وحدَه

ولكنّه المعطِى على اليسر والعسرِ

وأبلغ منه قوله :

ليس العطاء من الكريم سماحةً حتى يجودَ وما لديه قليل[(١)]

وإذا شم رائحةً كريهة من جليسه أنشد :

لَقوسُ سليمٍ حين يُرسِل سهمَه أشدُّ على الآناف من قوس حاجبِ[(٢)]

وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد :

لا تَلُمِ الأبناء فى فِعالِهمْ لو سادَ آباؤهُمُ سادوا

وإذا عارضه فى كلامه أحدٌ أنشد :

ويعترض الكلامَ وليس يدرى أسَعدُ اللهِ أكثرُ أم جُذامُ[(٣)]

---

(١) لمقنع الكندى. حماسة أبى تمام ٢ : ٣٤٣ والمضنون به على غير أهله ٥٦ . وإنشاده فيهما :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

(٢) قوس حاجب مضرب المثل فى العزة، وهو حاجب بن زرارة التميمى ، ومن خبر قوسه أنه أتى كسرى فى جدب أصاب قومه بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يأذن له ولقومه فى دخول الريف من بلاده حتى يحيوا ويمتاروا ، فقال لهم كسرى : إنكم معشر العرب قوم غدر ، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادى وأغرتم على رعيتى . فقال حاجب : أنا ضامن للملك ألا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى ؟ قال : أرهنك قوسى . فضحك من حوله ، فقال كسرى إنه لا يتركها أبدا ، وقبلها منه وأذن له فى دخول الريف . انظر ثمار القلوب للثعالبى ١٠٥ .

(٣) سعد الله، هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظئره حليمة السعدية منهم ، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان، وفيهم يقول رسول الله : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر ، فأنى يأتينى لحن » . وجذام قبيلة أخرى، قال الأصمعى : من أمثال العرب: أسعد الله أكثر أم جذام .

وإذا جالس قوماً ليلةً مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد :

جِئتنا بأنعم ليـــلة وألذِّها ... لو لم تنغِّصْ بالفراق من الغدِ

وإذا وعده رفيقٌ له بالسفر في غد أنشد :

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به ... إن كان ترحالُ الأحِبَّةِ في غدِ(١)

وإذا تألم من عشيرةٍ وصديقه أنشد :

ولي صاحبٌ مرُّ المذاق كأنّما ... أضمُّ إلى نحرى به حدَّ مُنصُلِ(٢)

وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد :

أستجزت اطِّراحى والصَّريمةَ لى ... وأنت لحمى وإن لم تُدْعَ لى ودَمِى(٣)

وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد :

سألتك حاجةً فوعدتَ فيها ... جميلاً ثم نِمت عن الجميل

وإذا لم يعجبه إنسان أنشد :

قد رأيناك فما أعجبتنا ... وبلوناك فلم نرضَ الخُبُرْ(٤)

= وهما حيان بينهما فضل لا يخفى إلا على جاهل لا يعرف شيئا . وقال أبو عبيد : يروى عن جابر بن عبد العزيز العامرى » وكان من علماء العرب ، أن هذا المثل قاله حمزة بن الضليل البلوى، لروح بن زنباع الجذامى :

لقد أفحمت حتى لست تدرى ... أسعد الله أكثر أم جذام

الميدانى ٢ : ١٤٧ وثمار القلوب ٢١ . وأنشد في ثمار القلوب للصاحب إسماعيل بن عباد :

كتبت وقـد سبت عقلى المـدام ... وساعدنى على الشرب الندام

وأسرفنا فما ندرى لسكر ... أسعد الله أكثر أم جذام

(١) البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدته التى مطلعها :

من آل مية رائح أو مغتدى ... عجلان ذا زاد وغير مزود

والرواية المشهورة : « إن كان تفريق الأحبة » .

(٢) المنصل ، بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها : السيف .

(٣) الاستجازة : أن يعد الأمر جائزا مقبولا . وفي الأصل : « استخرت » تحريف . والصريمة : القطيعة .

(٤) الخبر بالضم : الاختبار والعلم بالشىء ، وضم الباء للشعر . والبيت في محاضرات الراغب ١ : ١٣٥ . ومعه هو قصة فيه ٢ : ٨٩ .

وإذا هجاه أحدٌ أنشد :

وما كلُّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّنى ... ولا كلما طَنَّ الذباب أُراعُ(١)

وإذا أحسَّ بتقصيرٍ فى سياسة أمير لرعيته، نسب الأمْرَ لوزيره، [و] أنشد :

إذا غفَلَ الأمير عن الرعايا ... فإنَّ العتب أولى بالوزيرِ
لأنَّ على الوزير إذا تولى ... أمورَ الناس تذكير الأمير

وإذا ذُكِر له كِبرُ سنِّه أنشد :

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضاربُه ... إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا(٢)

وإذا أثنى على محسن أنشد :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائب(٣)

وإذا رأى من والٍ إساءةً عَلَى من وَلِيَ عليه أنشد :

وكنا نستطبُّ إذا مَرِضنا ... فصار سَقامُنا بيد الطبيب(٤)

---

(١) البيت فى مجالس ثعلب ٤١٣ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٥ بدون نسبة أيضا .

(٢) رثت مضاربه: أخلقت وتثلمت. مكروهة، أى ضربة مكروهة شديدة. ويقال للسيف الذى يمضى على الضرائب الشداد لا ينبو عن شىء منها « ذو الكريهة » .

(٣) البيت لنصيب، كما فى البيان ١ : ٨٣ ومجموعة المعانى ٩٦ والوساطة ١٥٠ والكامل ١٠٤ ليبسك . قال المبرد : « وقد فضل نصيب على الفرزدق : أنشدنى — وإنما أراد أن ينشده مدحاً له — فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبهــا بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهى تلفهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها . فقال : هات . فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفاذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى ... لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وانظر زهر الآداب ٢ : ٤١ ، ٤٣ والعمدة ١ : ٤٤ .

(٤) يستطب : يستوصف الدواء الذى يصلح لدائه .

وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذى بال أنشد :

أقول لفتيان كرام تروَّحوا ... على الجُرد فى أفواههن الشكائم[١]
قَعُوا وَقعةً مَن يَحْىَ لمْ يَخزَ بعدها ... ومن يُخْتَرَمْ لم تَتَّبعه المَلاوِمُ[٢]

وإذا سُرَّ بلُقيا صديقٍ له أنشد :

ياخَلاص الأسير يافرحة الأو ... بة يازورةً على غـــير وعدِ

وإذا أعار أخاً له دفترا فابطأ عليه بردِّه أنشد :

تعجيل ردِّ الـكتب مما به ... يَستكثِرُ العـــلمَ أخو العلمِ
وحبسُها يمنـــع مِن بذلها ... مع الذى فيـــه من الظلمِ

وإذا عاد مريضاً ذا مودَّةٍ صادقة أنشده :

نفسى ونفسك إن أبلتَ من سقمٍ ... أبلاتُ منه وإن أضناكَ أضنانى

وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده :

فلا تـكثِرنْ فى إثرِ شىء ندامة ... إذا نزعته من يديك النَّوازعُ[٣]

وإذا عُوتِب على إهانته للمال وكثرةِ بذلِه أنشد :

كيف يَستطيع حِفظ ماجمعت كــفَّاه مَن ذاق لذة الإنفاق

---

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجرى فى الحماسة ٤٨ وأبو الفرج فى الأغانى ١٨ : ١٠٩ والقالى فى الأمالى ١ : ٢٥٨ والبكرى فى التنبيه ٨١ . رووا جميعا عن المفضل الضبى أنه قال : كنت مع إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن بباخمرى ، فى اليوم الذى قتل فيه فلما رأى البياض يقل والسواد يكثر قال لى : يامفضل، أنشدنى شيئا يهون على بعض ما أنا فيه . فأنشدته . . . ـ وأنشدوا الأبيات ـ قال : فرأيته يتطالع على سرجه ثم حمل حملة كانت آخر العهد به . تروحوا : ساروا فى الرواح . الجرد : جمع أجرد وجرداء » ، وهو الفرس القصير الشعر . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . وفى الأصل : « فى أعناقهن » ، صوابه فى الحماسة والأغانى ومجموعة المعانى ٣٩ .

(٢) الوقعة والوقيعة : القتال وصدمة الحرب . ويقال اخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم .

(٣) البيت للبعيث ، كما فى لباب الآداب ٤٢٤ . وأبيات قصيدته فى أمالى القالى ١ : ١٩٦ وسمط اللآلى ٤٧٠ ـ ٤٧١ ومعجم البلدان (القماقم) .

وإذا مشى لأخٍ فى قضاء حاجة ووَفَى بحقّه أنشد :

حقوقٌ لإخوانى أريد قضاءها   كأنّىَ مالم أقضهن مريضُ

وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شُروداً[1] ونُفرةً أنشد :

بطىءٌ عنك ماااستغنيتَ عنه   وطلّاعٌ عليك مع الخطوب[2]

وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد :

والّليل يقظانُ والكواكب فى الآ   فاق حَيرى كاللؤلؤ البَدَدِ[3]

وإذا استبطأ صديقاً له وعاتَبَه على قعودِه عنه أنشد :

وإنى إذَا أدعوك عند مُلِمَّةٍ   كداعية بين القُبورِ نَصيرَها[4]

وإذا ذمّ أخاً له فى إساءته إلى إخوانه أنشد :

أصبح أعداؤه على ثقةٍ   منه وإخوانُه على وجلِ

وإذا شكا من جارٍ له هَجْره أنشد :

دنَت بأناس عن تناء زيارة   وشطّ بِبكرٍ عن دنوٍّ مزارُها
وإنّ مقيماتٍ بمنقَطَع الثّرَى   لأقْرَبُ من ليلَى وهاتيك دارُها[5]

وإذا تذكر أياما مضت وكان يشكوها وهو اليوم يتمنّاها أنشد :

سَقياً ورَعياً لأيّامٍ مضت سلَفاً   بكيتُ منها فصِرتُ اليومَ أبكيها[6]
كذاك أيامُنا لا شكّ نندبُها   إذا تقضّت ونحن اليوم نشكوها

---

(١) فى الأصل : « سرورا » ، تحريف .

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى، كما فى الأغانى ٩ : ٢٤ ومجموعة المعانى ٥٦ . وقبله :
ولكن الجواد أبا هشام   وفى العهد مأمون المغيب

(٣) البدد : المتفرق .

(٤) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى ، كما فى المعانى ١٥١ والمحاضرات ١ : ١٣٢ وقبله:
دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة   فأوقدت من ضغن على سعيرها

(٥) لإبراهيم بن العباس الصولى . الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١ .

(٦) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولى فى مجموعة المعانى ١٠٢ .

وإذا عاتب أخاً له هجره ، أنشد :

تَلِجِّين حَتَّى يذهبَ الهجرُ بالهوى وحَتَّى تكاد النَّفسُ عنكِ تطيبُ[(1)]

وإذا عوتب فى خصلةٍ أو بادرةٍ بدرت منه ، أنشد :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ على شَعث أىُّ الرجالِ المهذَّبُ[(2)]

وإذا قيل له : قد أسنَّ فلان وكبر ، أنشد :

لم ينتقص منى المَشيبُ قُلامةً الآنَ حين بدا ألَبُّ وأكيَسُ[(3)]

وإذا فسَدَ[(4)] عند أخٍ له صحةُ ودِّه إياه ، أنشد :

قل ما تشاء ليُؤتَى وما كرهتَ ليُكرَه
فإنَّ ذلك أولى بما تشاء وأشبه[(5)]

وإذا مات له ولدٌ ، أنشد :

كلَّ لسانِى عن وَصفِ ما أجدُ وذقت ثكلاً ما ذاقه أحدُ
ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الأحشاءِ مَن لم يمت له ولدُ

وإذا حثَّ إنساناً على الإحسان وخوَّفه صروفَ الدَّهر ، أنشد :

بيننا حرمةٌ وعهدٌ وثيقُ وعلى بعضنا لبعضٍ حقوقُ
فاغتنمْ لذَّة الحفاظِ فما يد رى مُطيق لها متى لا يطيقُ

---

(١) اللجاجة : التمادى فى الشىء وعدم الانصراف عنه ، أراد تلجين فى الهجر . وفعله من باب فرح وضرب . وفى الأصل : « تلحين » تحريف ، صوابه فى ديوان ابن الدمينة ١٢ . وقصيدة البيت فيه طويلة جدا .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى فى ديوانه ١٤ . الشعث : الفساد . واللم : الإصلاح . وكان حماد الراوية يقدم النابغة ، فقيل له : بم تقدمه ؟ فقال ، باكتفائك بالبيت من شعره ، بل بنصفه ، بل بربعه ، نحو :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرءِ مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه . وقوله « أى الرجال المهذب » ، ربع بيت يغنيك عن غيره .

(٣) أى أنا الآن أعظم لبا وأكثر كيسا وفطانة .

(٤) فى الأصل : « فزد » .

(٥) فى الأصل : « بنا معا وأشبه » .

وإذا رأى خايلا له قد حَفَّت به أربابُ الحاجات وكان أمرهُ فى الأوّلِ أقرب ، أنشد :

حَيَّاكَ مَن لم تكن تُرجَى تحيَّتُه   لولا الحوائجُ ما حَيَّاكَ إنسانُ

وإذا رأى أحداً غَضِب من أمرٍ ولم ينفعْه غضبُه ، أنشد :

غضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ   يوم النِّسار فأُعقِبوا بالصَّيلَمِ [(١)]

وإذا رأى السلطانَ عَزَم على الغَزْو ونهض إلى العدوّ ، أنشد :

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ   ويومُ سيرٍ إلى الأعْداو تأويبِ [(٢)]

وإذا رأى أمراً مُعضِلاً وصبَر عليه وعُوتب فى ذلك ، أنشد :

ومِن خير مافينا من الأمر أننا   متى ناق يوما موطنَ الصَّبرِ نصبِرِ

وإذا قال له أخ : إنّه اشتاقَ له اشتياقاً شديدا ، أنشد :

فلما توافَقْنا عرفت الذى به

كمثل الذى بى حذوكَ النَّعلَ بالنَّعلِ [(٣)]

---

(١) لبشر بن أبى خازم الأسدى فى المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب ، صلم) . والنسار : أجبل متجاورة كان عندها ذلك اليوم . وكانت ضبة حالفت بنى أسد على بنى تميم ، وكان معهم فى الحلف طيء وعدى ، وقد تحالفوا على أن يقاتلوا العرب ثلاث سنين ، وأرسلت تميم إلى بنى عامر بالنسار لخالفوهم ، فقالت بنو أسد لضبة : بادروا بنى عامر بالنسار قبل أن تصير إليهم بنو تميم ، ففعلوا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . انظر النقائض ٢٣٨ ــ ٢٤٥ ، ١٠٦٤ ــ ١٠٦٧ والعقد وكامل ابن الأثير والعمدة . أعتبوا : عبارة تهكم ، والإعتاب : الإرضاء ، ويروى : « فأعقبوا » أى كانت عاقبتهم الصيلم ، وهى الداهية .

(٢) البيت لسلامة بن جندل السعدى فى ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨ . والمقامات : جمع مقامة ، وهى المجالس ، وبالضم : جمع مقامة بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية ، جمع ندى ، والندى والنادى سواء . يريد بيوم المقامات والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها . والتأويب : سير يوم إلى الليل ، أو الإمعان فى السير الشديد . وكذا وردت الرواية فى الأصل . وفى الديوان والمفضليات : « إلى الأعداء تأويب » .

(٣) البيت من قصيدة هى من عيون شعر جميل فى أمالى القالى ٢ : ٧٤ . والرواية « الذى بها » كما فى الأمالى ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ . فقد يكون ابن فارس أبدل الإنشاد ليوافق الاستشهاد ، أو هو تحريف ناسخ .

وإذا مرَّ بأطلالٍ خلت من سُكّانها وعَفَت وبقِيَ أثرُها ، أنشد :

لخولة أطــلالٌ ببرقة ثَهمدِ ... تلوح كباقى الوَشْم فى ظاهرِ اليدِ (١)

وإذا حضر مجلساً لمناظرة وسُئِل عن حاله فيه بعده أنشد :

ولو شهدت أمُّ القُدَيدِ طعاننا ... بمَرْعَشَ خَيلَ الأرْمنىِّ أرنّتِ (٢)

وإذا قيل له: رأيناك أعرضتَ عن فلانٍ إعرَاض مسالمةٍ،أنشد :

ولقــد أجمَعُ رِجلَىَّ بهــا ... حذرَ الموتِ وإنِّى لفَرُورُ (٣)

وإذا استُشِير فى أمر ذى لَبْس أيُقدِم عليه أم يُحجم عنه،أنشد :

مكانَكِ حتَّى تنظرى عمَّ تنجلى ... غَمَايةُ هــذا العارضِ المتألِّقِ

وإذا أكثَرَ من ذكر أخٍ له غائبٍ وقيل له فى ذلك ، أنشد :

أريدُ لأنسى ذكرَها فكأنَّما ... تُمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ (٤)

وإذا قال له صديق: تناسيتَنى كأنك لم تعرِفْنى،أنشد :

تسلَّتْ عَمَاياتُ الرِّجالِ عن الصِّبا ... وليس فُؤادِى عن هواها بمُنسلِ (٥)

وإذا حضر رئيسٌ من الرؤساء وأراد مدْحَه،أنشد :

لو نال حىٌّ من الدُّنيا بمكرمة ... أفقَ السَّماء لنالت كفُّه الأفقا (٦)

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفة بن العبد .

(٢) لسيار بن قصير الطائى فى ديوان الحماسة ١ : ٤٥ . أم القديد،قيل هى امرأته. ومرعش: مدينة بين الشام والروم . والأرمنى : منسوب إلى أرمينية . أرنت : أعولت وصاحت .

(٣) لعمرو بن معد يكرب فى الحماسة ١ : ٥٢ وأمالى القالى ٣ : ١٤٧ . أجمع رجلى بها،أى بالفرس ضمهما عليها استدرارا للجرى . لفرور ، المعنى أنه يفر إذا كان فى الفرار الحزم . وبعده :

ولقد أعطفها كارهــة ... حين للنفس من الموت هرير

(٤) لكثير عزة . أمالى القالى ٣ : ١١٩ والوساطة ١٦٠ ، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعانى ١ : ٢٧٤ .

(٥) لامرئ القيس فى معلقته. وفى البيت قلب،أى تسلت الرجال عن عمايات الصبا أو جهالاته وظلماته . ويقال انسلى انسلاء : زال حبه من قلبه ، أو زال حزنه .

(١) البيت لزهير فى مدح هرم بن سنان . ديوانه ٥٥ .

وإذا عاتب أخاً له على هِجرانه إياه، أنشد :

طوى البينُ أسبابَ الوصال وحاولت   بكُنْهِك أسبابُ الهوى أن تُخَذَّما(١)

وينشد أيضاً في مثل ذلك :

وكان يزورنى منه خيالٌ   فلما أن جفا منع الخيالا

وإذا رأى رجلاً يُثْنِي على أخيه ويحضر له محضرا جميلا، أنشد :

قوم لهم عرفت معدٌّ بفضلها   والحقُّ يعرفه ذوو الألباب(٢)

وإذا قيل له : قد أقررتَ لمناظرك، أنشد :

أحِسُّ بالفضل في غيرى فأنكِرُه   ما ينكِر الفضلَ إلا كلُّ منقوصِ

وإذا رأى رجلاً ينتقص فاضلاً، أنشد :

ما ضرَّ تغلبَ وائل أهجوتها   أم بُلتَ حيث تناطَحَ البحرانِ(٣)

وإذا أقصاه رئيسٌ بعد إدانته(٤)، أنشد :

يا أفضلَ النّاسِ إنى كنتُ فى نَهَرٍ   أصبحت منه كمثل المفرد الصادِى

وإذا كلّفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضىّ، أنشد :

لم أكُنْ من جُناتها علم اللّـــهُ   وإنى بحرِّها اليومَ صالِى(٥)

---

(١) التخذيم : التقطيع . وفى الأصل : « تخدما » ، تحريف .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، وهو آخر ديوانه المطبوع فى فينا سنه ١٨٨٠ . والرواية فيه : « عرفت معد فضلها » .

(٣) البيت من قصيدة للفرزدق فى ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه ، مادحا فى ذلك بنى تغلب ، ويهجو جريرا . وقبل البيت وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت   أعناقه وتماحك الخصمان

وتغلب ابنة وائل هم قوم الأخطل . تناطح البحران : تقابلا . انظر الحيوان ١ : ١٣ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحرف الذى بعد الألف الثانية .

(٥) البيت للحارث بن عباد ، قاله فى يوم قضة . انظر العقد والخزانة ١ : ٣٠٣ وأمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ .

وإذا رأى أمراً فظيعاً تقضّى ثم تجدّد مثله، أنشد :

إذا لهبٌ من جانب باخَ شرُّه … ذكا لهب من جانبٍ فتضرّما(١)

وإذا حضر محفلاً من محافل النّظر وكلّمه خصمٌ فدفعه، وانبرى له خصمٌ آخر، أنشد :

إذا مادفعنا هؤلا جاء هؤلاَ … إلينا فكلٌّ بالعداوة مولعُ

وإذا كثُر الصِّياحُ فى المحفِل، أنشد :

ياأيُّها الراكبُ المزجِى مطيّتَه … سائلْ بنى أسدٍ ماهذه الصوتُ(٢)

وإذا قيل له: كثُر أخصامك، أنشد :

تفور علينا قِدرُهم فنُديمُها … ونفثؤها عنا إذا حَمْوُها غلا(٣)

وإذا بدأه سائلٌ بالسؤال مناظِرا له، أنشد :

قرِّبا مَرْبِطَ النّعامة منّى … لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ(٤)

وإذا نُعِى له حميمٌ أو ذو مودّة، أنشد :

ليس عُدمُ الأموال عُدماً ولكنْ … فَقْدُ من قد رزئتُه الإعدامُ(٥)

---

(١) باخ : سكن وفتر .

(٢) لرويشد بن كثير الطائى. الحماسة ١ : ٤٧ واللسان (صوت) . المزجى : السائق ، وقد أنث الصوت . وفى اللسان : إنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة . ويصح أن يراد بالصوت ما يبلغه عنهم .

(٣) البيت للنابغة الجعدى ، كما فى مقاييس اللغة (دوم، فور ، فثأ) واللسان (فثأ ، دوم) . يقال أدام القدر إدامة ، إذا سكن غليانها بالماء . وكذلك فثأها : سكن من غليانها . والحمو والحمى: شدة الحرارة . ورواية المقاييس واللسان : « حميها » .

(٤) للحارث بن عباد ، كما سبق فى « لم أكن من جناتها » . المربط، بفتح الباء وكسرها: موضع ربط الدابة . والنعامة : اسم فرسه . عن حيال ، أى بعد حيال . والحيال : ألا تحمل الناقة . عنى أن الحرب هاجت بعد سكون .

(٥) لأبى دواد الإيادى . العمدة ١ : ٦١ والوساطة ٤٧ ، وبه قيل إن أبا دواد أشعر الناس . ويروى : « لاأعد الإقتار عدما » .

وإذا حضر حَضرةَ ملكٍ وبالغ فى الثّناء عليه، أنشد :

وأنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعَتْ لم يبدُ منهن كوكبُ (١)

وإذا فَخَر بمن تقدّم من العلماء والكبراء، أنشد :

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا وإن نحنُ أومأْنا إلى الناس وَقَّفوا (٢)

وإذا أثنى على رجلٍ بمعطاء، أنشد :

ليس يعطيك للرجاء وللخو فِ ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء (٣)

وإذا قصد امرأً فى حاجةٍ وكرّر الزيارة له ولم يرَ ما يحبُّه، أنشد :

كفى طلباً لحاجةٍ كلَّ حرٍّ مداومةُ الزّيارةِ والسّلامِ

وإذا أخذ إنسانٌ يتّهم أحداً، غيره أنشد :

رأيت الحربَ يجنيها رجالٌ ويصلَى حرَّها قومٌ براء (٤)

قلت : وينشد فى ذلك أيضاً قولَ القائل :

لم أكن من جناتها . . . (البيت المتقدم)

---

(١) للنابغة الذبيانى من قصيدة فى ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه . ورواية الديوان : « لأنك شمس » . وقبله :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) للفرزدق فى ديوانه ٥٦٨ وأمالى القالى ٣ : ١١٩ . وفى الأمالى عن طلحة بن عبد الله قال : « لقى الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا معه ، فقال : أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا »

ثم قال : « وهذان البيتان لجميل ، سرق أحدهما كثير ، والآخر الفرزدق » .

(٣) البيت لبشار بن برد، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . ديوانه ١ : ١٠٧ — ١١٣ . وقبله ، كما فى الديوان والأغانى ٣ : ٤٣ :

إنما لذة الجواد ابن سلم فى عطاء ومركب للقاء

(٤) أنشده فى اللسان (برأ) برواية : « يجنيها رجال » . وبراء مثلثة الباء، فهى بالفتح مصدر سمى به ، وفى التنزيل: « إننى براء مما تعبدون » . وبالكسر : جمع برىء ، كظريف وظراف . وبالضم جمع لا واحد له ، نحو تؤام وظؤار .

وينشد في ذلك أيضاً :

وحمّلتني ذنبَ امرئٍ وتركتَه　　كذى العُرِّ يكوى غيرُه وهو راتع(١)

وإذا عارضه معارضٌ في علّة بلا علم، أنشد :

أخو عدىٍّ أمسى يُساجِلُني　　مالعدىٍّ وما لذا العملِ

وإذا ذكر قوماً أشحّاء، أنشد :

دراهمهم لاتُستطاع كأنّها　　فريسةُ ليثٍ أحرزتها مخالبُه

وإذا قيل له: أرَضِيتَ بكذا وأنت أعلى منزلة منه؟! أنشد :

وما كنت أخشى أن أرى العَير مركبي　　ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركبْ

وإذا زار مريضاً، أنشد :

ونعود سيّدَنا وسيّد غيرِنا　　ليت التشكّيَ كان بالعُوّادِ(٢)

وإذا حذّر ناسا عدوًّا غفلوا عنه، أنشد :

بني أميّةَ إني ناصحٌ لكمُ　　فلا يبيتنّ فيكم آمنًا زفر(٣)

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٥٤ من قصيدة يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه ويهجو مرة ابن ربيعة. العر، بضم العين: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض. وأما أبو عبيدة فيقول: إن هذا لا يكون، وإنما هو على جهة المثل. وقال ابن دريد: ومن رواه بالفتح فقد غلط، لأن الجرب لا يكوى منه.

(٢) لكثير عزة، قاله في عيادته عبد الملك بن مروان. عيون الأخبار ٣: ٥٠. وبعده:

لو كان يقبل فدية لفديته　　بالمصطفى من طارفي وتلادي

لكن في الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان. على أن البيت قد روى في قصيدة لجرير في ديوانه ١٢٢ يقوله في عبد العزيز بن الوليد عبد الملك، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد، ودعا هو له في مسجد دمشق في جماعة الناس، وكان عليلا.

(٣) للأخطل في ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥: ١٦٣. وزفر هذا، هو ابن الحارث الكلابي، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة. الكامل ٥٣٣ ليبسك والجهشياري ٣٥. وكان زفر من التابعين، سمع عائشة ومعاوية شرح شواهد المغني ٣١٥.

وإذا ذكر صديقاً له بنقضه العهدَ، أنشد :

ألم تر ما بينى وبين ابن خالد   من العهد قد بالت عليه الثعالب[(١)]

وإذا هدّده عدوٌّ أو توعّده أنشد :

فإن قناتنا يا عَمرُو أعيَتْ   على الأعداء قبلَكَ أن تلينا[(٢)]

وإذا شُكِىَ أخٌ له جَنَى عليه، أنشد :

بل جناها أخٌ علىَّ كريمٌ   وعلى أهلها بَراقِشُ تجنى[(٣)]

وإذا رأى ذا بشاشةٍ وظاهره يبدى خلافه، أنشد :

يُبدِى البشاشةَ حين تبصره   وله إليك عقاربٌ تسرِى

وإذا أساء إليه صديقٌ وحلُم هو عنه، أنشد :

فلا تُوبِسوا بينى وبينكم الثّرى   فإنّ الذى بينى وبينكمُ مُثرِى[(٤)]

وإذا ذُكِر رجلٌ ببُعد الغَور، أنشد :

ولم يَخْشَوْا مصالته عليهم   وتحت الرّغوة اللبنُ الصريحُ[(٥)]

---

(١) فى الأصل : « بنى خالد » ، تحريف .

(٢) لعمرو بن كلثوم فى معلقته . وعمرو فى هذا البيت هو عمرو بن هند . والعرب تستعير للعز اسم القناة .

(٣) لحمزة بن بن بيض فى اللسان (برقش) . وبراقش : اسم كلبة نبحت على جيش مروا ولم يشعروا بالحى الذى فيهم الكلبة ، فلما سمعوا نباحها علموا أن أهلهـا هناك، فعطفوا عليهم فاستباحوهم ، فقيل فى المثل : « على أهلها تجنى براقش » . وقبل هذا البيت :

لم تكن عن جناية لحقتنى   لا يسارى ولا يمينى جنتنى

(٤) لجرير فى ديوانه ٢٧٧ والمقاييس (ثروى) واللسان (ثرا) . قال أبو عبيدة : « من أمثالهم فى تخوف الرجل هجر صاحبه : لا توبس الثرى بينى وبينك » . ويقال : الذى بينى وبين فلان مثر ، أى إنه لم ينقطع .

(٥) من أبيات فى مجالس ثعلب ٨ — ٩ بنسبتها لرجل من سليم . ونسب فى البيان ٣ : ٣٣٨ إلى أبى محجن الثقفى ، وليس فى ديوانه . ونسب فى اللسان (فصح) إلى نضلة السلمى . المصالة : مصدر ميمى من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء . والصريح : الخالص . أى إنما تعرف الأشياء بالتكشيف عن بواطنها . وأنشده فى المقاييس (فصح) : « اللبن الفصيح » ، وهو الذى أخذت عنه الرغوة .

وإذا عزّى إنساناً وآساه، أنشد :

لكلّ همٍّ من الهموم سَعَهْ   والمُسْى والصُّبح لابقاء مَعَهْ (١)

وإذا كاتَمَ إنساناً وأضمر له مايعرفه من التلوُّن، أنشد :

فإنَّ الله لايخفَى عليه   علانيةٌ تُراد ولا سِرارُ

وإذا رأى إنساناً تغيَّرت عن غِنًى حالُه (٢) أنشد :

إنَّ الفتى يُقْتِرُ بعد الغنى   ويَغتنى من بعد ما يَفتقِر (٣)

وإذا قيل له : مضَى فلانٌ وورث وارثه مالَه، أنشد :

قد يَجمَع المالَ غيرُ آكِلِه   ويأكل المالَ غيرُ من جَمعه (٤)

وإذا رأى رجلاً أثنى على آخَرَ وهو لايعرفُه، أنشد :

لاتَحمدنَّ امرأً حتى تجرِّبه   ولا تذمنَّه من غير تجريبِ (٥)

وإذا نُعِيَ له رجلٌ عظيم الشأن، أنشد :

لما أتى خبَرُ الزُّبيرِ تواضعَتْ   سُور المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ (٦)

---

(١) للأضبط بن قريع ، وهو أحد المعمرين من العرب . كتاب المعمرين للسجستاني ٨ ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمالي ١ : ١٠٧ والأغاني ١٦ : ١٤٤ وحماسة ابن الشجري ١٣٧ والخزانة ٤ : ٨٩ والمثل السائر ١ : ٢٦٠ .

(٢) فى الأصل : « تغيرت عنى حاله » .

(٣) البيت لعمرو بن أحمر ، من أبيات له فى اللسان (رنا) وطبقات ابن سلام ١٩١ ، أقتر : قل ماله .

(٤) للأضبط بن قريع . انظر الحاشية الأولى .

(٥) لأبى الأسود الدؤلى . حماسة البحترى ٣٧٠ .

(٦) البيت لجرير فى ديوانه ٣٤٥ والخزانة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ورهطه بنى مجاشع الذين منهم عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام . وكان ابن جرموز قد قدم على أمير المؤمنين على وهنأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ، فقال له على : أبشر بالنار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار. وفى ذلك يقول ابن جرموز:

أتيت علياً برأس الزبير   وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار فى قتله   فبئس بشارة ذى التحفه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله فقال : اقتلنى بالزبير ! فكتب فى ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزبير =

وإذا جَهِل عليه جاهلٌ وللجاهل عدوٌّ حاضر لا يجترئ عليه، أنشد :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوِّكمُ لبئست الخَلَّتان الجهلُ والجُبُنُ(١)

وإذا مات له خليلٌ يعزُّ عليه فقده، أنشد :

ألا ليتَ مَن شاء بعدكَ إنّما عليك من الأقدارِ كان حِذاريا(٢)

وإذا قيل له. استتر لك فلانٌ وخدعك، أنشد :

وقد كنت مجرور اللِّسانِ ومُفحَمًا فأصبحت أدرى اليوم كيف أقولُ(٣)

وإذا ذكر إخوانَه الذين سلفوا، أنشد :

أولئك إخوانُ الصَّفاءِ رُزِئتُهم وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبعُ(٤)

وإذا نُجِب ابنُ امرئٍ بعد موته، أنشد :

لعمركَ ما وارى الترابُ فَعالَه ولكنّه وارى ثيابًا وأعظُما(٥)

= ولا بشسع نعله . فلم يقتله . والنحويون يجعلون هذا البيت شاهدا لاكتساب بعض الأسماء التأنيث من بعض ، لأن السور هنا بعض المدينة . وذهب أبو عبيدة أن « السور » جمع سورة بالضم، وهي كل ماعلا، فلا شاهد في البيت. الخشع، أي التي صارت خاشعة لاطئة بالأرض لموته.

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب ، في حماسة أبي تمام ٢ : ١٨٨ والبحترى ٣٩٢ .

(٢) في الأصل : « حذارى » ، صوابه في اللسان (ملا) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٩ . وقبله ، وهو في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني :

وقد كنت أرجو أن أملاك حقبة فحال قضاء الله دون رجائيا

وانظر العقد : ٢ : ٢٨٧ طبع لجنة التأليف .

(٣) البيت للفقيمي، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق. البيان ٣ : ٢١٤، ٢٢٦ ومحاضرات الراغب ٢ : ٧٤ . وفي الأصل : « محزوز » صوابه في البيان . وفي المحاضرات : « محرور » محرفة أيضاً . وأصل المجرور الفصيل يشق لسانه لئلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

(٤) البيت لأبي حناك البراء بن ربعي الفقعسي، في الحماسة ١ : ٣٥١ والمضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجاني ٣٤٤ طبع ١٣٣١ . وقبله :

أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجى الحياة أم من الموت أجزع

ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

(٥) أنشده أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٨٣ ولم ينسبه . وقبله:

إذا ما امرؤ أثنى بآلاء ميت فلا يبعد الله الوليد بن أدهما =

وإذا رأى رجلا يتكلَّف مالا يستطيعه، أنشد :

* إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ[(١)] *

وإذا استحقره قومٌ وتعرَّضوا لأكبرَ منه، أنشد :

* ذبابٌ طار فى لَهَواتِ ليث *

وإذا تجاهل عليه متجاهلٌ، أنشد :

إنا لتُوزَنُ بالجبال حلومُنا ... وتَزِيد جاهلنا على الجُهّالِ[(٢)]

وإذا نُعِىَ له رئيسٌ من رؤساء مَحَلَّته أو عشيرته، أنشد :

إذا شذَّ منا سيِّد قام سيِّدٌ ... قؤولٌ لما قال الكرام فعول[(٣)]

وأنشد أيضاً :

إذا قمرٌ منَّا تغوَّرَ أو خبا ... بدا قمرٌ من جانب الأفق يلمعُ[(٤)]

وإذا مطل إنسانٌ وَعَد بعدُ، أنشد :

فإنْ يك صدرُ هذا اليوم ولَّى ... فإن غدا لناظره قريبُ[(٥)]

= فما كان مفراحا إذا الخير مسه ... ولا كان منانا إذا هو أنعما

ونادى المنادى أول الليل باسمه ... إذا أجحر الليل البخيل المذمما

(١) لعمرو بن معد يكرب فى الحيوان ٣ : ١٣٨ وحماسة البحترى ٣٧٥ والأغانى ١٤ : ٣٦، ٣٦، ٣٧ . وعجزه :

* وجاوزه إلى ما تستطيع *

(٢) لحسان بن حنظلة بن أبى رهم الطائى فى الحماسة ٢ : ٣١٧ ومجموعة المعانى ٤٥ . وهو فى ديوان الفرزدق ٧٣٠ . ونسب فى الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق أيضاً . وفى المؤتلف للآمدى ١٢٤ أنه للراهب الطائى، وهو حنظلة والد حسان المتقدم، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله فى قصيدته .

(٣) للسموأل بن عاديا، من أبيات فى الحماسة ١ : ٢٧ — ٣١ والحيوان ٦ : ٢٣ والبيان ٤ : ٦٨ والأمالى ١ : ٢٦٩ . والرواية فى الحماسة والقالى : « إذا سيد منا خلا قام سيد » .

(٤) البيت لأبى يعقوب الخريمى فى الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٥٩ .

(٥) فى الأصل : « للناظرين » تحريف . والبيت لقراد بن أجدع، كما فى أمثال الميدانى ١ : ٦٣ . لناظره: أى لمنتظره.

وإذا رأى قومًا ذوى صُوَر ولا أحلامَ لهم، أنشد :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عظمٍ　　جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[(١)]

وإذا اقتضى صديقًا وعدًا، أنشد :

قضَى كلُّ ذى دينٍ فوفّى غريمَه　　وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها[(٢)]

وإذا شيّع فريقين وأخذَ كلُّ واحد غيرَ طريق الآخر، أنشد :

فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نخلةٍ　　وآخرُ منهم سالكٌ نجدَ كبكبِ[(٣)]

وإذا لم يزُره أخوه زاره هو، وأنشد :

أزوركمْ لا أكافيكمُ بجفوتِكم　　إن المحبَّ إذا لم يُزَرْ زارا[(٤)]

وأنشد أيضًا فيه :

وما كنتُ زوّارًا ولكنّ ذا الهوى　　إذا لم يُزَرْ لابد أنْ سيزورُ[(٥)]

وإذا وصفَ رجلاً بالعِفّة والإعراض عن الزِّنا، أنشد :

والله لو كانت الدنيا وزينتُها　　فى بطن راحتِهِ يوما لألقاها

وإذا قيل له : إن أمثالك قليل، أنشد :

وما ضرّنا أنا قليل وجارُنا　　عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ[(٦)]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٩ والخزانة ٤ : ٥٣ ـ ٥٦ وسيبويه ١ : ٢٥٤ . الأحلام : العقول.

(٢) البيت لكثير عزة فى حماسة ابن الشجرى ١٥٤ والأغانى ٨ : ٣٥ ، ٣٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٢٩ .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ٧٧ ومعجم البلدان ، رسم (كبكب) .

(٤) البيت للعباس بن الأحنف فى ديوانه ٧٣ وخاص الخاص ٩٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٠٥ برواية : « نزوركم لا نكافيكم » . وفى الأصل هنا : « لأكافيكم » ، تحريف.. وبعده فى الديوان :

ستقرب الدار شوقا وهى نازحة　　من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥ : « يقرب الشوق دارا » .

(٥) للأحوص ، الكامل ٣٢١ ليبسك . وقبله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر　　بأبياتكم ما درت حيث أدور

(٦) للسموأل بن عاديا . انظر ما سبق فى ص ١٥٥ .

وإذا وَلِيَ رجلٌ ولاية وأُثنِيَ عليه بها، أنشد :

وإذا الدرُّ زان حُسنَ وجوهٍ ... كان للدُّرِّ حُسنُ وجهِكِ زينا[(١)]

وكان يتمثّل لمناظره ويعرِّض له أنّه لم يَبلُغ المَبلغَ بقول الشاعر :

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكلُه ... لن تبلغ المجد حتّى تلعق الصَّبِرا

وإذا ذُكر له رجلٌ مضى فذلّت أتباعُه وبنو عمّه بعد عِزٍّ، أنشد :

فتًى كان مولاه يحُلُّ بنَجوةٍ ... فحلَّ الموالى بعده بمَسيلِ[(٢)]

وإذا رأى إنسانًا منسور[(٣)] له مطلا ودفاعا، أنشد :

لقد جررتِ لنا حبلَ الشَّموسِ فلا ... يأسًا مبينًا نرى منكمْ ولا طَمَعا[(٤)]

وإذا رأى رجلاً همُّه نفسهُ لا غيره، أنشد :

دعِ المكارمَ لا ترحَل لبُغيتِها ... واقعُدْ فإنّك أنت الطاعم الكاسى[(٥)]

---

(١) أنشده الجاحظ فى البيان ١ : ١٩٥ والجرجانى فى الوساطة ٢٠٢. وقبله أو بعده :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... أن تمسيه أين مثلك أينا

وقال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته فإنك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل :

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا . عيون الأخبار ١ : ٩٣ .

(٢) النجوة : المكان المرتفع . والمسيل : موضع السيل . والبيت لعقيل بن علفة فى الحماسة ١ : ٤١٠ . وقبله :

لتغد المنايا حيث شاءت فإنها ... محللة بعد الفتى ابن عقيل

(٣) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « يسرّ » ، أى يضمر .

(٤) البيت للقيط بن يعمر الإيادى ، من قصيدة له هى أول مختارات ابن الشجرى ، ينذر فيها قومه غزو كسرى إياهم ، وكان لقيط كاتبا فى ديوان كسرى ، فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر، فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيادا. الشموس بفتح أوله : النفور من الدواب الذى لا يستقر لشغبه وحدته .

(٥) البيت للحطيئة فى ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر. الطاعم الكاسى: ذو الطعام والكسوة ، أو هو المطعم المكسو ، كما فى قول الله : « عيشة راضية » ، أى مرضية ، انظر اللسان (كسا) .

وإذا لاجّه(١) إنسان وطاوَلَه ، أنشد :

إذا ما تحدّثتُ في مجلسٍ تناهَى حديثى إلى ما علمتُ(٢)

وإذا رأى امرأً تأمّل حاشيةَ زائرهِ وغاشيتِه(٣) ، أنشد :

وإذا ما جهلتَ ودَّ صديقٍ فاعتبر ما جهلتَ بالغِلمانِ

إنّ وجهَ الغلامِ يخبر عمَّا فى ضميرِ المولَى من الكِتمانِ

وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قومٍ غير كرام ، أنشد :

فغضّ الطّرفَ إنك من نُميرٍ فأصلهم ومَنْبِتُهم لئيمُ(٤)

وإذا سبَرَ حال صديقٍ له فلم يحمَدْه ، أنشد :

وما كلُّ إخوانِ الفتى طوعَ همِّه ولا كلُّ عودٍ نابت بنُضارِ(٥)

وإذا توعّده من لا يصدق فى وَعْدِه ، أنشد :

فانظر إلى كفٍّ وأسرارِها هل أنت إن أوعَدتنى ضائرى(٦)

وإذا نُعِيَ له شخص ، أنشد :

على صخرٍ وأىُّ فتًى كصخرٍ ليومِ كريهةٍ وسِداد ثَغرِ(٧)

---

(١) الملاجة : التمادى فى الخصومة . فى الأصل : « الملاحة » ، تحريف.

(٢) البيت ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ، كما فى عيون الأخبار ٢ : ١٢٥ . وبعده :

ولم أعدُ علمى إلى غيره وكان إذا ما تناهى قصرت

(٣) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .

(٤) كذا ورد إنشاده . والمعروف بيت جرير فى ديوانه ٧٥ :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(٥) النضار : شجر الأثل ، وهو أجود الخشب للآنية والأقداح .

(٦) البيت للأعشى فى ديوانه ١٠٧ واللسان (سرر) والمقاييس (سر) . والأسرار : خطوط باطن الراحة ، واحدها سر .

(٧) البيت ملفق من بيتين ، أحدهما للخنساء فى رثاء أخيها صخر ، وهو كما فى الديوان ٢٣ وحماسة البحترى ٤٢٨ :

على صخر وأى فتى كصخر لعانٍ عائلٍ غلقٍ بوترِ

والآخر للعرجى فى نزهة الألباء ١١٣ واللسان (سدد) :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقد يقع التلفيق فى استشهادات ابن فارس . انظر المقاييس (شنأ ، عاق ، فأو) .

وإذا رأى رجلاً اتُّهم بدِعوة، أنشد :

زَنيمٌ تداعاه الرِّجالُ زيادةً كما زيدَ في عَرضِ الأديمِ الأكارعُ(١)

وإذا رأى عدوًّا مُخاشِنا، أنشد :

بنى تماضِرَ إنِّى لا أحبكما ولا ألومكما إلاّ تُحِبّانى

وإذا قعد عن صديقٍ بعُذْر، أنشد:

فلا بأسَ بالهجر الذى ليس عن قلا إذا شَجَرتْ عهدَ الحبيبِ شواجرُ(٢)

وربما وصل حديثَه عن الزمن الأول بقوله :

إذِ الناس ناسٌ والزمان بغِرّةٍ وإذ أمُّ عمّارٍ صديقٌ مُساعِفُ(٣)

وإذا ذُكر رجلٌ بجودٍ وسَماحة، أنشد :

يومان يومٌ يفيض نائلُه وخير يوم ما يُقيتُ غـدا(٤)

وإذا خبّر أنّ ولدَ رجلٍ نَجُب، أنشد :

وهل يُنبِتُ الخطىَّ إلا وشيجُه وتُغرسُ إلاّ فى منابتها النخلُ(٥)

وإذا أسعفَه رجلٌ فى أمر، أنشد:

أناة امرئٍ يأتى الأمورَ بقدرةٍ متى ما يَرِدْ لم يعىَ بالأمر مصدرا

---

(١) البيت للخطيم التميمى ، جاهلى . ويروى لحسان بن ثابت ، كما فى اللسان (زنم) والكامل ٥٦٧ ليبسك . ورواه ابن فارس فى المقاييس (زنم) بدون نسبة . والزنيم المستلحق فى القوم وليس منهم . الأديم : الجلد . وفى الكنايات للجرجانى ١٥ : « ويكنون عن الدعى بأكارع الأديم . قال الفرزدق :

وأنت زنيم فى كليب زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع»

(٢) فى الأصل: «بالهجران» ولا يستقيم به الوزن، و«عن قلا» : من بغض قلاه يقليه ويقلوه . وفى الأصل : « عرقلا » ، تحريف. ويقال شجر الشىء : صرفه ونحاه .

(٣) يفهم من صنيع اللسان (سعف) أنه لأوس بن حجر . ولم أجده فى ديوانه .

(٤) أقاته : أعطاه قوته . ولعل الكلام : « وخير يوميه » .

(٥) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١١٥ . الخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين . والوشيج : القنا الملتف فى منبته ، الواحدة وشيجة . أى لا تنبت القناة إلا القناة ، ولا تغرس النخلة إلا بحيث يكون نباتها وصلاحها .

وإذا مرّ بدار صديق له، أنشد :

ألا حيِّ الدِّيارَ بسعد إنّى ... أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارا(١)

وإذا حضر مجلسَ مناظرةٍ وطُلِب منه الكلامُ، جثا على ركبتيه وأنشد :

ولا يُنجِى من الغمرات إلاَّ ... بَرَاكاء القِتالِ أو الفِرارُ(٢)

وإذا ناظره فتى شابٌّ، أنشد:

كيف ترجونَ سِقاطى بعد ما ... جَلَّل الرأسَ مشيبٌ وصلَعْ(٣)

وإذا زاحمه خصماؤه وكثُروا عليه، أنشد :

إذا اجتمعوا علىَّ نخلّ عنهم ... وعن أسدٍ مخالبه دوَامِ

إذا اجتمعوا علىَّ نخلِّ عنهم ... وخِربانٍ تصيد حُبارَياتِ(٤)

وإذا قيل له : إن فلاناً فى فضله فُضِّلَ عليه مَن دونَه، أنشد :

كم قد رأينا من أسـد ... بالت على رأسه ثعالب(٥)

وإذا قيل له أيضاً، أنشد:

صرتُ كأنّى ذبالة نُصِبت ... تُضىء للناس وهى تحترقُ(٦)

وإذا استطال الليل، أنشد :

أقول وليلتى تزدادُ طولاً ... أما اللّيلِ ويحكُمُ نهارُ(٧)

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٢٨٠ ومعجم اللسان (سعد) . وأنشده ابن فارس فى مقاييس اللغة (سعد) مع نسبته .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى اللسان ومقاييس اللغة (برك). وهو ختام قصيدة له فى المفضليات ٢ : ١٤٥ . والبراكاء : الثبات فى الحرب والجد ، واصله من البروك .

(٣) لسويد بن أبى كاهل اليشكرى فى المفضليات ٢ : ١٩٨ . سقاطى : فترتى وسقطى. ويروى : « لاح فى الرأس » .

(٤) فى الأصل : « وحريان تصيد حباريان». الخربان بكسر الخاء: جمع خرب بالتحريك وهو ذكر الحبارى : ضرب من الطير .

(٥) كذا ورد صدر هذا البيت .

(٦) للعباس بن الأحنف فى ديوانه ١١١ والكامل ٥١٨ ليبسك ومحاضرات الراغب ١ : ٩ وديوان المعانى للعسكرى ١ : ٢٦٣ . الذبالة : الفتيلة التى تسرج فى المصباح . وقبل البيت :

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا

(٧) البيت لبشار ، فى المختار من شعر بشار ص ٧ برواية : « أما لليل بعدهم نهار » .

وإذا مرِضَ وعاده عُوَّادُه، أنشد :

وهل هى إلا علّةٌ بعد علّةٍ　　إلى العلة الـكبرى وتلك هى التى

وإذا رأى رجالاً لا حَمِيَّةَ ولا مَنَعَةَ فيهم ، أنشد :

إذا ماعُــدّ مثلُــكم رجال　　فما فضْلُ الرِّجالِ على النساء

وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً [أنشد] :

إذاشئتَ أنْ تحيا غنيًّا فلا تـكن　　بمنزلة إلا رضيتَ بدونِهـــا

وإذا رأى ذا ضغن صاحَبَ آخر، أنشد :

إذا أنت لم تسقَم وصاحبت مُسقِما　　وكنت له خِدْنًا فأنت سقِيمُ

وإذا دخل عليه ثقيل، أنشد :

أيا جبلَىْ نُعمانَ باللهِ خلِّيـــا　　نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إلىّ نسيمُها[(١)]

وإذا جاد عليه بنزر يسير، أنشد:

توتيك نَزْراً قليلا وهى خائفة　　كما يخاف مَسِيسَ الحيَّةِ الفَرِقُ[(٢)]

وهذه جمعيةٌ لم أظفر بمثلها ، فرحِمَ الله مَن فَهِمها وحفظها ، وأورَدَ كلَّ بيتٍ فى محلِّه ، ليجلَّ عند خِلِّه .

---

(١) البيت لمجنون ليلى، فى الأغانى ١ :١٧٠/ ٥ :٣٤ وحماسة ابن الشجرى ١٦٨، وهو فى أمالى القالى ٢ : ١٨١ بدون نسبة . وفى الأغانى ـ ونحوه فى حماسة ابن الشجرى : أن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادى القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفا عليه أن يضيع ويهلك فمروا فى طريقهم بجبلى نعمان ، فقال له بعض فتيان الحى : هذان جبلا نعمان . وقد كانت ليلى تنزل بهما . قال : فأى الرياح يأتى من ناحيتهما ؟ قالوا : الصبا . قال : فو الله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا . فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة حتى هبت الصبا ثم انطلق معهم . ففى ذلك يقول :

أيا جبلى نعمان بالله خليا　　نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة　　على كبد لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت　　على نفس محزون تجلت همومها

(٢) البيت لابن هرمة . المختار من شعر بشار ٩٦ . وصدره فيه : « تبدى بذاك سرورا وهى مشفقة كما يهاب » . فى الأصل: « وهى جائفة » ، صوابه ماأثبت. المسيس: المس. والفرق: الخائف الفزع .

رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

٢١٠ — ٢٨٥

مقدمة

وهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدى البصرى النحوى الأديب الأخبارى ، صاحب « الكامل » الذى يقول فيه ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة : وهى كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

وكان الناس بالبصرة يقولون : « مارأى المبرد مثل نفسه » . ولما صنف أستاذه المازنى كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجاب بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء .

وقد دلنى على كتابه هذا الصديق الكريم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، فأسجل له هنا صادق الشكر .

وهذا الكتاب يشبه الكتاب السابق فى موضوعه ، إذ هو فى الأمثال الشعرية ، وإن اختلف الأسلوبان والمنهجان ، فإن أبا العباس لم يذكر هنا مضارب الأمثال كما ذكرها ابن فارس ، ولم يذكر من الأبيات إلا أعجازها المغنية عن صدورها ، وليس هذا الأمر بالهين فى التأليف ، ومع أن أبا العباس قد ذكر نسبة معظم هذه الأعجاز فإنه اقتضانا البحث عن صدور هذه الأعجاز عند التحقيق .

وأصل هذا الكتاب مخطوطة فى دار الكتب الأزهرية برقم ٧٣٢٣ أباظة . وهو فى مجموعة تشمل بعض الكتب النفيسة ، منها قواعد الشعر لثعلب ، وفحولة الشعراء للأصمعى ، وشجر الدر فى متداخل اللغة لأبى الطيب اللغوى .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : هـذه أعجاز بيوت تغنى فى التمثيل عن صدورها .

قال أنس بن مدركة[1] الخثعمى ، وكنيته أبو سفيان[2] :

* لشىء ما يسوَّد من يسودُ[3] *

امرؤ القيس : * وكل غريبٍ للغريب نسيبُ[4] *

وقال : * وبالأشقَيْنَ ما كان العقابُ[5] *

وقال : * والبِرُّ خير حقيبةِ الرَّحلِ[6] *

النابغة : * ولا قرار على زأر من الأسد[7] *

وقال : * وذلك من تلقاء نفسك رائع[8] *

---

(١) ومثله فى الأغانى ٧ : ١٦١ / ٩ : ١٦ والعينى ٤ : ٢٩٩ وحماسة ابن الشجرى ٤٩ . وفى الحيوان ١ : ١٨ / ٣ : ٨١ و ٤٦٩ والاشتقاق ٣٠٦ وشرح الحماسة للتبريزى ٢ : ١٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٢٨ وكتاب البسوس ٦ ومعجم البلدان (أيك ، صيدة) : « أنس بن مدركة » .

(٢) فى الأصل : « أبو الحسن » صوابه من كتاب كنى الشعراء لابن حبيب الملحق بكتاب أسماء المغتالين له ، مصورة دار الكتب المصرية ، وكذا الخزانة ١ : ٤٧٨ .

(٣) صدره : * عزمت على إقامة ذى صباح *

(٤) صدره . * أجارتنا إنا غريبان ها هنـا *

انظر معجم البلدان (عسيب) والشعر والشعراء ٦٩ .

(٥) صدره : * وقاهم جـدهم ببنى أبيهم *

ديوان امرئ القيس ١٦٠ .

(٦) صدره : * الله أنجـح ما طلبت به *

والبيت يروى لامرئ القيس بن عابس الكندى . الأغانى ٣ : ٩٤ .

(٧) صدره : * نبئت أن أبا قابوس أوعدنى *

(٨) صدره : * مقالة أن قد قلت سوف أناله *

وقال : * إذًا فلا بسطت سوطى إلىّ يدى[١] *

وقال : * وليس وراء الله للمرء مذهبُ[٢] *

وقال : * لمبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ[٣] *

وقال : * ولكن ما وراءكَ يا عصامُ[٤] *

وقال : * وهل يأْثَمَنْ ذو إمَّة وهو طائع[٥] *

وقال : * سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمَدِ[٦] *

أنس بن أبى إياس[٧] : * وشـــديد عادة منتزعهْ[٨] *

زهير بن أبى سلمى : * وكانوا قديمًا من مناياهم القتلُ[٩] *

وقال : * ولا محالةَ أن يشتاقَ من عشقا[١٠] *

---

(١) صدره : * ما قلت من سيء مما أتيت به *

(٢) صدره : * حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *

(٣) صدره : * لئن كنت قد بلغت عنى خيانة *

(٤) صدره : * فإنى لا ألام على دخول *

وكان النابغة قد وفد على النعمان ليعوده ، وأراد الدخول فنعه حاجب النعمان عصام بن شهبر . أى لا ألام على ترك الدخول إليه لأنى محجوب منه ، لغضبه على وخوفى إياه على نفسى . ويروى: « فإنى لا ألومك » .

(٥) صدره : * حلفت ولم أترك لنفسك ريبة *

(٦) صدره : * إلا لمثلك أو من أنت سابقه *

(٧) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى الكنانى ، وذكره صاحب المؤتلف ٥٥ . وانظر الحيوان ٥ : ٢٥٥ .

(٨) صدره كما فى مجموعة المعانى ١٧٣ :

* لا تهنى بعد إكرامك لى *

وقبله : سل أميرى ما الذى غيره عن وصالى اليوم حتى وزعه

ونسب البيت فى زهر الآداب ١ : ٢٥٣ إلى أبى الأسود الدؤلى .

(٩) صدره * فإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم *

أى هم أشراف دماؤهم دواء من داء الكلب ، أو هم أشراف إذا قتلوا رضى بهم من قتلهم بهم يدرك ثأرة ويشتفى . من مناياهم القتل ، أى لا يموتون على فرشهم .

(١٠) صدره : * قامت تبدى بذى ضال لتحزننى *

وقال : * على آثار مَن ذهَبَ العفاء[1] *

عنترة : * والكفر مَخبثةٌ لِنفس المُنعِمِ[2] *

لبيد : * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر[3] *

وقال : * ومِن الأرزاء رزء ذو جَلَل[4] *

طرفة : * ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ[5] *

أبو خراش : * وإنما نُوكَّل بالأدنى وإنْ جلَّ ما يَمضِى[6] *

أبو ذؤيب : * والدهرُ ليس بمُعتبٍ مَن يجزعُ[7] *

وقال : * وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقنعُ[8] *

حميد بن ثور : * وحسبك داء أن تَصِحَّ وتَسلما[9] *

أبو الأسود : * وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب[10] *

القطامى : * وقد يكون مع المستعجل الزلَلُ[11] *

عروة بن الورد : * ومبلغ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ[12] *

جرير : * ليت التشكِّىَ كانَ بالعُوَّادِ[13] *

---

(١) صدره : * تحمل أهلها عنها فبانوا *

(٢) صدره : * نبئت عمرا غير شاكر نعمتى *

(٣) صدره : * إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *

(٤) صدره : * وأرى أربد قد فارقنى *

(٥) صدره : * ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *

(٦) صدره : * على أنها تعفو الكلوم وإنما *

(٧) صدره : * أمن المنون وريبها تتوجع *

(٨) صدره : * والنفس راغبة إذا رغبتها *

(٩) صدره : * أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

(١٠) صدره : * وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه *

(١١) صدره : * قد يدرك المتأنى بعض حاجته *

(١٢) صدره : * ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة *

(١٣) صدره : * ونزور سيدنا وسيد غيرنا *

وانظر ماسبق من تحقيق هذا البيت فى كتاب ابن فارس ص ١٥١ .

وقال : * رأيت المرء يلزم ما استعادا[١] *

ومثله : * وكل امرئٍ جارٍ على ما تعوّدا[٢] *

الحطيئة : * ولا ترى طارداً للحرّ كالياسِ[٣] *

وقال : * لا يذهبُ العُرف بين الله والناسِ[٤] *

وقال : * ومن يسوّ بأنف الناقة الذّنبا[٥] *

دريد بن الصمة : * يضَع الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[٦] *

مالك بن الريب : * وكل بلادٍ أُوطِنت كبلادِ[٧] *

سالم بن وابصة : * إن التخلق يأتى دونه الخلق[٨] *

ابن الزِّبَعْرَى : * وعدلناه ببدرٍ فاعتدل[٩] *

---

(١) صدره : * تعود صالح الأعمال إنى *
والاستعادة هنا بمعنى التعود ، كما فى اللسان (عود) .

(٢) هذا تنظير فى الاستشهاد ، والبيت لم يرد فى ديوان جرير ، فلعله استشهاد بشعر غيره .

(٣) صدره : * أزمعت يأسا مريحا من نوالكم *

(٤) صدره : * من يفعل الخير لايعدم جوازيه *

(٥) صدره : * قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *

(٦) صدره : * متبذلا تبدو محاسنه *
الهناء : القطران تهنأ به الإبل ، أى تطلى . والنقب : جمع نقبة ، وهى القطع المتفرقة من الجرب فى جلد البعير . وكانت الخنساء قد خرجت فرأت ذودا لها جربى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، ودريد يراها ولاتراه ، فقال فيها هذا الشعر ، وأوله كما فى الأمالى ٢ : ١٦١ :

حيوا تماضر واربعوا صحبى وقفوا فإن وقوفكم حسبى

(٧) صدره : * وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب *
ونسبة البيت إلى مالك بن الريب غريبة ، فإن أبا تمام رواه فى الحماسة ١ : ٢٧٨ للفرزدق من أبيات ، وهى فى ديوان الفرزدق ١٩٠ . ونسب فى حماسة البحترى ١٨٠ إلى رجل من تميم . والفرزدق تميمى .

(٨) صدره : * عليك بالقصد فيما أنت فاعله *
ونسبته إلى سالم بن وابصة تطابق ما فى الحماسة ١ : ٢٩٥ . ونسب فى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع العدوانى . وصدره فى الأخيرة :

* اعمد إلى الحق فيما كنت فاعله *

(٩) كذا فى الأصل . ورواية السيرة ٦١٦ جوتنجن والحيوان ٥ : ٥٦٥ : « وعدلنا ميل بدر » ، وصدره فى السيرة :

* فقتلنا الضعف من أشرافهم *

=

الأخطل : * والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبرُ[1] *

يزيد بن مفرغ : * والحـــــر تكفيه الملامه[2] *

عَبْدة بن الطبيب : * وفىّ لمصـــلح مُستمتَعُ[3] *

وقال : * والعيش شُحٌّ وإشفاق وتأميلُ[4] *

وقال : * أعرافُهنَّ لأيدينــــا مناديلُ[5] *

عمر بن أبى ربيعة : * إنما العاجز مَن لا يســـتبدّ[6] *

وقال : * حسَنٌ فى كلِّ عينٍ من يودّ[7] *

وقال : * وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا[8] *

وقال : * وحديث النفس قدما وَلوعُ[9] *

العُدَيل بن الفرخ : * وما على الحرِّ إلا الحلفُ مجتهدا *

الحارث بن وعلة : * والقـــول تحقره وقد يَنْمِى[10] *

= وفى الحيوان : * وقتلنـــا الضعف من ساداتهم *

(١) صدره : * حتى استكانوا وهم منى على مضض *

(٢) صدره : * العبـــد يقرع بالعصـــا *

(٣) هو بتمامه كما فى المفضليات ١ : ١٣٤ :

أبنى إنى قد كبرت ورابنى بصرى وفى لمصلح مستمتع

(٤) صدره : * والمرء ساع لأمر ليس يدركه *

(٥) صدره : * ثمت قمنا إلى جرد مسومة *

(٦) صدره : * واستبدت مرة واحـده *

وقبله : ليت هند أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما تجد

(٧) كذا بالياء ، وتقرأ بالبناء للمفعول . ويروى بالتاء . وصدره :

* فتضاحكن وقد قلن لهــا *

(٨) صدره : * فلما تواقفنا وسلمت أشرقت *

(٩) صدره : * إن همى قـــد نفى النوم عنى *

(١٠) صدره : * أن يأبروا نخــلا لغيرهم *

وقبله فى الحماسة ١ : ٦٥ :

لا تأمنن قوما ظلمتهم وبدأتهم بالشتم والرغم

الخنساء : * كأنه علم فى رأســه نارُ[١] *
الأسود بن يعفر : * والدهر يُعقِب صالحاً بفسادِ[٢] *
عبد الله بن معاوية : * ولـكن عين السخط تبدى المساويا[٣] *
نُصيب : * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ[٤] *
قَعنب بن أمِّ صاحب : * زَكِنت منهم على مثل الذى زَكِنوا[٥] *
ابن الدمينة : * على ذاك قرب الدار خير من البعدِ[٦] *
الطائية[٧] : * وكيف بتركى يا ابن أمِّ الطبائعا *
أشجع بن عمرو : * ما أخَّر الحزمَ رأىٌ قدم الحذَرا[٨] *

---

(١) صدره : * وإن صخرا لتأتم الهداة به *
(٢) صدره : * فإذا وذلك لا مهاه لذكره *
وهو آخر قصيدة له فى المفضليات ٢ : ١٥ — ٢٠ .
(٣) صدره : * وعين الرضا عن كل عيب كليلة *
(٤) صدره : * فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله *
انظر ماسبق من التحقيق فى كتاب ابن فارس ص١٤٢ .
(٥) صدره : * ولن يراجع قلبى حبهم أبدا *
(٦) صدره : * وقـد زعموا أن المحب إذا دنا *
(٧) هى غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس ، وهى أم حاتم ، كانت من أسخى النساء وأقراهن للضيف ، وكانت لا تليق شيئا تملكه ، فلما رأى إخوتهــا إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهرا لا تصل إلى شىء ولا يدفــع إليها شىء من مالهــا ، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، فقـد والله مسنى من ألم الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا شيئا . ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقـدماً عضنى الجوع عضة فآليت ألا أمنــع الدهر جائعا
فقولا لهـذا اللائمى اليـوم أعفنى فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختـكم سوى عذلـكم أو عذل من كان مانعا
ولا ما ترون الخلق إلا طبيعـة فـكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

انظر الأمالى ٣ : ٢٣ .
(٨) صدره كما فى عيون الأخبار ١ : ٣١ :
* رأى سرى وعيون الناس هاجعة *

ابن أبى عيينة : * فاصبر من كلِّ أمرٍ فائتٍ خلفُ *
البكرى[(١)] : * إن بنى عمِّكَ فيهـــم رماحُ[(٢)] *
أبوحفصٍ الشطرنجى : * لو صح منك الهوى أُرشدتَ للحيلِ *
دعبل : * ضحك المشيبُ برأســـه فبكى[(٣)] *
دعبل : * كان يُنهَى فنَهَى حيث انتهى *
المعكى : * حلّمنى قـــــلة أكفائى *
محمود : * فاصبر فإن الدهر لا يصـــــــبر *
عباس بن الأحنف : * من عالج الشوقَ لم يستبعد الدارا[(٤)] *
آخر : * والمشربُ العذبُ كثير الزحام[(٥)] *
آخر : * إن النَّدَى حيث ترى الضِّغاط[(٦)] *
آخر : * من فاته العـين لم يستبعد الأثرا[(٧)] *

---

(١) فى البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٧ أنه حجل بن نضلة .
(٢) صدره : * جاء شقيق عارضا رمحه *
(٣) صدره : * لا تعجبي يا سلم من رجل *
(٤) سبق فى حواشى كتاب ابن فارس ص١٥٦ . وصدره كما فى ديوان العباس ٧٣ :
* ستقرب الدار شوقا وهى نازحة *
وفى محاضرات الراغب :
* يقرب الشوق دارا وهى نازحة *
(٥) صدره : * يزدحم النـــاس على بابه *
وهو بدون نسبة فى عيون الأخبار ١ : ٩٠ .
(٦) هذا ليس عجزا من أعجاز الشعر ، بل هو شطر من أشطار الرجز . والرجز فى البيان ١ : ١٧٧ والحيوان ٥ : ٤٥٤ . وأنشد الجاحظ الشطر فى البخلاء ٢٠٣ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ٩١ . والضغاط بالكسر : الزحام .
(٧) أى من فاته عين شئ فإنه يقنع بتتبع أثره . وأما من فاز بعين الشىء فإنه لا يهتم بتتبع أثره ، كما جاء فى أمثالهم للرجل يترك شيئا يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه : « تطلب أثرا بعد عين » . وصدره كما فى مجالس الزجاجى ١٢٣ :
* أظل من حبها فى بيت جارتها *

آخر : * أنّ السلامة منها تَركُ ما فيها[1] *

آخر : * وما لا ترى مما بقى اللهُ أكثرُ *

آخر : * وإن الصِّبا لَلعيشُ لولا العواقبُ *

آخر : * سَقَطَ العَشاءُ بهِ على سِرْحان[2] *

آخر : * إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا[3] *

آخر : * ناب وقد تَقطعُ الداويةَّ النابُ *

آخر : * أذِن الخِوانُ برغم أنف الحاجبِ[4] *

آخر : * لا يحسنُ البرُّ إلا بعد إنصافِ *

آخر : * لا خير فى لذة من بعدها النار *

آخر : * والهجر خيرٌ من الفراقِ *

---

(١) لسابق البربرى ، كما فى محاضرات الراغب ١ : ٢٥١ . وسابق البربرى هذا شاعر أموى . ترجم له فى الخزانة ٤ : ١٦٤ . وصدر البيت :

* النفس تكلف بالدنيا وقد علمت *

(٢) قيل إن السرحان هنا الذئب ، وأن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله الذئب . وقيل سرحان رجل من غنى كان يقال سرحان بن هزلة ، وكان بطلا فاتكا يتقيه الناس ، فقال رجل يوما : والله لأرعين إبلى هذا الوادى ولا أخاف سرحان بن هزلة . فورد بإبله ذلك الوادى فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله ، وقال :

أبلغ نصيحة أن راعى أهلها سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر طاق اليدين معاود لطعان

وفى اللسان (قر) أن هذا الشعر لعبد الله بن عنمة الضبى .

(٣) أنشد هذا العجز فى أمثال الميدانى ١ : ٢٧ وقال : « يضرب مثلا المدل بنفسه إذا بلى بمن هو أدهى منه وأشد » .

(٤) قيل إن البيت لبشار ، وقيل هو لغيره . عيون الأخبار ١ : ٨٦ . وفيه :

تأبى خلائق خالد وفعاله إلا تجنب كل أمر عائب

فإذا أتيت الباب وقت غدائه أذن الغداء برغم أنف الحاجب

وفى محاضرات الراغب ١ : ٣١٠ : « وإذا حضرنا الباب عند غدائه » .

آخر : * فبينا العسر إذْ دارت مياسيرُ[1] *

آخر : * وتَعلَمُ قوسى حين أنزِعُ من يَرمِى *

آخر : * لكلِّ أناسٍ من بعيرهم خُبُرُ[2] *

آخر : * كَفًّا مطلَّقةٍ تفتُّ اليَرمعا[3] *

آخر : * إنّما الجودُ للمقِلِّ المُواسِى *

آخر : * قد ذلَّ مَن ليس له ناصرُ[4] *

آخر : * ذهب القضاء بحيلة الأقوامِ *

(تمت والحمد لله وحده)

---

(١) صدره : * فاستقدر الله خيرا وارضين به *
وللشعر قصة فى عيون الأخبار ١ : ٢ : ٣٠٥ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٥ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٣٩ ونزهة الألبا ٣٤ والمعمرين ٤٠ والعقد ١ : ٣٨١ بولاق ودرة الغواص ٣١ وأسد الغابة ٣ : ٣٥١ . ونسب الشعر فى المختار من شعر بشار ٢١٣ إلى نويفع بن لقيط لفقعسى ، وفى شرح شواهد المغنى ٨٦ لعثير بن لبيد العذرى ، أو حريث بن جبلة ، وفى تاج العروس (دهر) لأبى عيينة المهلبى .

(٢) يضرب فى معرفة كل قوم بصاحبهم . ويروى : «فى جبلهم» : مصغر جمل . البيان ١ : ٢٣٨ / ٣ : ٣٠٠ والميدانى ٢ : ١١٤ ــ ١١٥ واللسان (جمل) .

(٣) اليرمع : حجارة لينة رقاق بيض تلمع . وأنشد هذا العجز فى اللسان (رمع) . وقال الميدانى فى أمثاله فى باب الكاف : « يضرب للرجل ينزل به الأمر يبهظه فيضج ويجلب فلا ينفعه ذلك » .

(٤) من بيتين فى اللسان (عمر) وسمط اللآلى ١٧٤ والتنبيه على أمالى القالى ٣٠ . وهما :

قامت تبكيه على قبره   من لى من بعدك ياعامر

تركتنى فى الدار ذا غربة   قد ذل من ليس له ناصر

كتاب العصا(*)

لأبى المظفر أسامة بن منقذ

٤٨٨ — ٥٨٤

(*) عثرت قريباً على مخطوط لكتاب العصا محفوظ بمكتبة خدابخش بتنه، ومنه نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، أرشدنى إليها الأخ الأستاذ رشاد عبد المطلب. وهذه النسخة تدل بصفة قاطعة على أن نسختنا هذه ما هى إلا مختصر متواضع لكتاب العصا .

وقد أجريت فى هذه الطبعة الثانية مقابلة على هذا المخطوط فى هـذه المواضع المختارة، مشيراً إلى المخطوط بالرمز (خ) . وعسى أن أوفق إلى نشر هذا المخطوط مستقلا بعد دراسته وتحقيقه بعون الله .

مقـــــدمة

أسامة بن منقذ[1] :

فى قلعة شيزر ، على بعد خمسة عشر ميلا من الشمال الغربى لحماة ، ولد الأمير أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشيزرى ، الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، وذلك فى يوم الأحد ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ ، وهذا العام هو الذى ألقى فيه البابا (أوربانوس الثانى) خطابه محرضاً المسيحيين على انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين . وعاش أسامة حياته الطويلة المعمرة معاصراً للحروب الصليبية إلى أن نال صلاح الدين الأيوبى انتصاراته الفاصلة فى تلك الحروب ، ثم قضى أسامة نحبه فى ليلة الثلاثاء ٢٣ من رمضان سنة ٥٨٤ .

نشأ أسامة فى كنف أبويه وعمه وجدته فى أسرة جل رجالها فرسان محاربون فشب على الفروسية والجرأة النادرة وممارسة الصيد ، وملاقاة الأسود ، وعنى أبوه بتثقيفه ، فكان يحضر له كبار الشيوخ يقبس هو وإخوته منهم العلم ، فكان شيخه فى الحديث أبا الحسن على بن سالم السنبسى ، وفى الأدب أبا عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة ، كما قرأ النحو عشر سنين على سيبويه زمانه أبى عبد الله الطليطلى النحوى . وسمع منه الحافظ أبو سعد السمعانى صاحب كتاب الأنساب (٥٠٦—٥٦٢) والحافظ ابن عساكر (٤٩٩—٥٧١) والعماد الأصبهانى (٥١٩—٥٩٧) والحافظ عبد الغنى المقدسى (٥٤١—٦٠٠) .

وخرج أسامة من شيزر سنة ٥٣٢ فأقام بدمشق نحواً من ثمانى سنين فى رعاية صديقه معين الدين أنر ، وزير شهاب الدين محمود ، حتى نبت به دمشق

---

(١) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق والسمعانى فى الأنساب فى رسم (الشيزرى) وابن خلكان فى الوفيات ، وأبو شامة فى الروضتين ، وابن الأثير ، وصاحب النجوم الزاهرة والذهبى فى تاريخ الإسلام ، وياقوت فى إرشاد الأريب ، والعماد الأصبهانى فى الخريدة ، كما ترجم هو لنفسه فى كتاب الاعتبار . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، ومقدمة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد شاكر للباب الآداب ، والدكتور فيليب حتى لكتاب الاعتبار . وقد اختصه صديقنا الأستاذ محمد حسين مراقب الفهارس بدار الكتب المصرية بدراسة شاملة تعد أوسع وأغزر ما كتب فى أسامة .

فسار إلى مصر فدخلها يوم الخميس فى الثانى من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فلقى فيها إكراما من الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عبد المجيد بن المنتصر العلوى . ثم ولى الخلافة ابنه الأصغر الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل من سنة ٥٤٤—٥٤٩ وكان وزيره على بن السلار الملقب بالملك العادل . وهذا أرسل أسامة فى سفارة حربية سياسية إلى الملك العادل نور الدين بن زنكى .

وبعد حروب ووقائع استدعاه على بن السلار إلى مصر فمكث بها إلى سنة ٥٤٩ ، ثم غادرها مكرهاً بعد اغتيال الخليفة الفاطمى الظافر الذى حدثت فى عهد خلافته أحداث وفتن قتل فى أثنائها الخليفة ووزيره، وذهب المؤرخون أن لأسامة يداً فى قتلهما . وأما أسامة فإنه يحاول تبرئة نفسه من ذلك(١) .

ورجع أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها ردحا من الزمن ، ثم رحل بأهله وولده إلى حصن كيفا وأقام بها إلى أن استولى صلاح الدين الأيوبى على دمشق سنة ٥٧٠ . وكان لأسامة ولد يدعى « أبا الفوارس مرهف بن أسامة » وكان ذا منزلة عالية عند صلاح الدين ، فظل يصنع لأبيه عند السلطان حتى استدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد تخطى الثمانين ، فحاز إعجاب صلاح الدين وتقديره وجعله من خاصته بمنزلة المؤامر المستشار . وظل أسامة فى دمشق حتى وافته منيته .

مؤلفاته :

ألف أسامة فى ضروب شتى من العلم ، وأشهر كتبه كتاب (الاعتبار) ألفه وهو ابن تسعين ، وقد نشر مرتين إحداهما بتحقيق درنبورغ ، والأخرى بتحقيق الدكتور فيليب حتى . وكتاب (لباب الآداب) ألفه وهو ابن إحدى وتسعين ، وأول ناشر له هو الصديق الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر . و (البديع) فى نقد الشعر . و (الشيب والشباب) عارض به الشريف المرتضى ، قال فيه أسامة : « فمن وقف عليه من الفضلاء عرف ما بينه وبين كتاب الشهاب فى ذكر الشيب والشباب تأليف المرتضى رضى الله عنه، وعلم أن الفضل المقدم فى البيان لا فى التقدم

(١) الاعتبار ٦ — ٢٩ .

فى الزمان[١] » . و (ديوان أسامة) وقد صنعه بنفسه كما نص فى كتاب العصا . ومنه نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٨٨ دخلت فى خزانة دار الكتب المصرية فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ برقم ١٦٨٧٧ ز ، وصورت منها صورتان شمسيتان اعتمدت على إحداهما فى معارضة شعر أسامة .

كتاب العصا :

على أن الذى يعنينا الآن من مؤلفات أسامة هو كتاب العصا . وليس هذا العنوان من ابتداع أسامة، فإنه يذكر لنا فى مقدمة كتابه هـذا ، الباعث له على هذا التأليف، وهو قصة قصها عليه والده جاء فيها على لسان أبى يوسف القزوينى مخاطبا أبا الحسن بن بوين حين أمسك من كتبه كتاباً يسمى « العصا » لمؤلف ضاع اسمه. « ما أحوجك أن يكون مافى يدك فوقها » . قال أسامة[٢] : « ولى منذ سمعت هذا نحو من ستين سـنة أتطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجـد من يعرفه . وكلما تعذر وجوده ازددت حرصا على طلبه ، إلى أن حدانى اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا ، ولا أدرى أكان ذلك الكتاب على هـذا الوضع أم على وضع غيره . . . ولا أرتاب أن مؤلف ذلك الكتاب وقع له معنى فأجاد فى تنميقه وتأليفه ، وأنا فاتنى مطلوب ففزعت إلى تجويزه وتلفيقه » . ويدور فى خلدى أن ذلك الكتاب الذى ظل أسامة يبحث عنه دهراً إنما هو « كتاب العصا » للجاحظ، وهو من مشتملات كتاب البيان والتبيين وأن أسامة إنما التبس عليه الأمر فظن ذلك الكتاب الذى دار حوله الحديث كتاباً مستقلا لمؤلف آخر غير الجاحظ ، على حين عرف هو كتاب العصا للجاحظ ، وقرأه واقتبس منه كثيراً فى كتابه هذا .

وهـذا الكتاب الذى ضمنه الجاحظ الجزء الثالث من البيان والتبيين إنما كان محوره مزاعم الشعوبية الذين ذكروا فى مثالب العرب أنهـم يعتمدون فى خطبهم على العصا ويتكئون على القوس ، « وليس بين الكلام والعصا سبب ،

(١) لباب الآداب ٣٧٧ .
(٢) فى مقدمته لكتاب العصا .

ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه ، وليس فى حملهما ما يشحذ الذهن ، ولا فى الإشارة بهما مايجلب اللفظ . . . وحمل العصا بأخلاق الفدادين أشبه، وهو بجفاء العرب وعنجهية أهل أهل البدو ، ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل ، وبه أشبه[١] » .

وقد انبرى الجاحظ لهم فى إسهاب جميل معلنا مزية العصا ومحاسنها ، فهو يسوق الأخبار والأشعار ، ويزجى الأمثال واللغات ، والبراهين والحجج على عظم شأن العصا وكريم فضلها ، وشدة الحاجة إليها ، وقيامها مقام سائر السلاح فى القتال .

وقد نهج أسامة فى صدر كتابه هذا منهجاً مقارباً لمنهج الجاحظ ، ولكن تآليف أسامة تأبى إلا أن تحمل طابع تأليفه ، وهو العناية الظاهرة بسرد ما يعرض له فى حياته من أحداث وما يتلقفه من أخبار ، ولا سيما أخبار الصالحين والزهاد[٢] ، وكذا أخبار الإفرنج وإبداء رأيه فى أخلاقهم وسياستهم .

وهو لاينسى أن يوشع تأليفه هـذا بعرض طائفة من أشعاره . كما صنع فى كتابه الاعتبار ، وكتاب لباب الآداب .

ومما هو بالذكر جدير أن كتاب العصا قد أدى إلينا من شعر أسامة ثروة لايستهان بها ، وهى تسعون بيتاً زائداً على شعر ديوانه الذى سبقت الإشارة إليه ، كما أدى إلينا نصا نادراً لأبى العلاء المعرى ، هو نموذج من كتاب (القائف) الذى طوته أحداث الزمان .

نسخة كتاب العصا :

هذه النسخة هى إحدى نسخ ثلاث معروفة :

الأولى نسخة ليدن رقم ٣٧٠ وعليها تاريخ ١٠٩٤ . ومن هذه النسخة نشر درنبورغ Derenbourg مقتطفات منها مع أخرى من ديوان أسامة بعنوان (Anthologie de textes Arabes inédits par Ousama et sur Ousama) وذلك فى باريس سنة ١٨٩٣ .

---

(١) البيان ٣ : ١٢ . (٢) انظر قصة جرار ، وقصة حسن الزاهد .

والثانية نسخة الأمبروزيانا بميلان، ورقمها H ١٢٥ وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٧ .

والثالثة نسختنا هـذه ، وربما كانت تمت بسبب إلى إحدى النسختين السابقتين فإنها مكتوبة بخط حديث فى كراسة حديثة أكل الفأر بعض أطرافها . وقد أمكننى عند التحقيق سد تلك الثغرات والإشارة إليها فى مواضعها ، وهى ثغرات قليلة[1] .

وهذه النسخة هى التى تفضل الأستاذ الكبير (الدكتور أحمد أمين بك) فأشار على أن أقوم بتحقيقها ونشرها، وثنى بإرسالها إلى فى صحبة رسول كريم ، فكان ذلك إسهاما كريما فى (نوادر المخطوطات) . فإليه أزجى أجل الشكر وصادق الثناء .

وبدا لى بعد ما استنسخت صورة من هذا الكتاب وعارضتها بالأصل أن أقترح على حضرته إهداء الأصل إلى دار الكتب المصرية فى عهد مديرها الكاتب الكبير (الأستاذ توفيق بك الحكيم) صاحب (العصا) ، فوافق هذا الاقتراح منه مناسبة أدبية موفقة . وقد حفظت هذه النسخة بدار الكتب برقم ١٩٨١٣ ز .

العصا لا القضا :

وكان صديقى العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر فى مقدمته لكتاب (لباب الآداب) لأسامة قد أشار إلى كتاب العصا، واستظهر أن يكون صوابه «القضا» لا العصا، وبعد فترة من الزمن حين وقعت نسخة كتاب العصا إلى الأستاذ الكبير أحمد أمين بك كتب مقالا فى مجلة الثقافة[2] يقطع الشك باليقين فى تسمية هـذا الكتاب ، ويعين أن اسمه « العصا » لا القضا ، وعرف بالكتاب تعريفا فى مقاله هذا ، وعرض طائفة من مشتملاته ، وقد أخبرنى — حفظه الله — فى لقاء قريب ، أن نسخته هذه وقعت إليه منذ نحو ثمانى سنوات فى أوراق وكتب اشتراها من مكتبة المرحوم (السيد محمد أمين الخانجى[3]) .

وإليك نص كتاب العصا :

(١) أشير إلى ذلك بوضعه بين علامتى التكملة [ ] .

(٢) نشر أيضا فى فيض الخاطر ٤ : ١٤٣ — ١٤٧ .

(٣) هذا ما ذكره لى المغفور له الأستاذ أحمد أمين، وحين اطلع على هـذا الأخ السيد محمد نجيب أمين الخانجى أخبرنى أن شراء هذه المخطوطة كان منه لا من والده الذى توفى سنة ١٣٥٨ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه البررة المتقين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاةً دائمة إلى يوم الدين .

وبعد فإنّ النفس ترتاح لما سمعت، وتُلِحُّ فى الطّلب إذا مُنِعت .. وكان الوالد السعيد مجد الدين أبو سلامة مرشد بن على بن مقلّد بن نصر بن منقذ رضى الله عنه، حدّثنى أنّه لمـا توجه إلى خدمة السلطان مَلِكشاه[1] رحمه الله، وهو إذ ذاك بأصفهان قصد القاضى الإمام الصدر العالم أبا يوسف القزوينى رحمه الله، عائداً ومسلِّما، بمعرفة قديمة كانت بينهما، وَيَدٍ كانت عنده للجدّ سديد الملك ذى المناقب أبى الحسن علىّ بن مقلّد رحمه الله . وذاك أن القاضى المذكور سافر إلى مصر فى أيام الحاكم صاحب مصر، فأحسن إليه وأكرمه ووصله بصلات سنية، فاستعفى منها وسأله أن يجعل صلته كتباً يقترحها من خِزانة الكتب، فأجابه إلى ذلك، فدخل الخزانة واختار منها ماأرادهُ من الكتب، ثم ركب فى مَركَب وتلك الكتبُ معه، يريد بلاد الإسلام التى فى الساحل، فتغيّر عليه الهواء فرمى بالمركب إلى مدينة اللاذقية وفيها الروم، فبعِلَ بأمره[2] وخاف على نفسه وعلى مامعه من الكتب، فكتب إلى جدى سديد المُلك رحمه الله تعالى كتاباً يقول فيه : « قد حصلت بمدينة[3] اللاذقية بين الروم، ومعى كتب

(١) هو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل، جلال الدولة أبو الفتح السلجوقى، ثالث ملوك السلاجقة، تولى الملك بعد أبيه ألب أرسلان سنة ٤٦٥، وتوفى سنة ٤٨٥ هو ووزيره نظام الملك الحسن بن إسحاق، صاحب المدرسة النظامية .

(٢) بعل بأمره : برم وضجر فلم يدر كيف يصنع فيه .

(٣) هذا مافى خ . وفى الطبعة الأولى : ع [ند] .

الإسلام ، وقد وقعت لك رخيصا فهل أجدك حريصا » . فسيّر إليه من يومه ولده عمى عِزّ الدولة أبا المـ[رهف[1]] نصراً رحمه الله ، وسيّر معه خيلا كثيرا من غلمانه وجنده ، وظَهراً لركوبه وحمل أثقاله ، فأتاه وحَمَله وما معه فأقام عند جدّى رحمه الله مدّة طويلة ، وكانت له بالوالد رحمه الله عنايةٌ وإلف ، فلما اجتاز ببغداد قصده ليجدّد به عهدا ، فحدثنى رحمه الله قال :

دخلت عليه ومعى الشيخ أبو الحسن على بن البُوَين الشاعر ، وهو كاتب كان لجدّى رحمه الله ، فوجدته قد بلغ من العمر إلى ما غيّر ما كنت أعرفه فيه ، ونسى كثيراً مما كان يذكره ، فلما رآنى عرّفنى بعد السؤال ، لأنه فارقنى وأنا صبىّ ورآنى وأنا رجل ، فاستخبرنى عن طريقى ، فعرّفته توجّهى إلى دَرْكاه السّلطان[2] ، فقال : تبلّغ خواجا بُزُرْك نظام الدّين[3] سلامى ، وتعرفه إن الجزء الأول من التفسير الذى قد جمعته قد ضاع ، وهو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » واسأله أن يأمر باستنساخه من النسخة التى فى خزانته ويُنفذه لى . وكان جَمَع تفسير القرآن فى مائة مجلد ، وكان لضعفه وكبره مستنداً بين الجالس والمستلقى على فراش له ، وحوله كتب كثيرة ، وهو يكتب ، فسلّم عليه الشيخ أبو الحسن بن البُوَين كاتب الأمير سديد الملك . قال : البوين أى شىء هو ؟ لعن الله البُوين ! ثم فكّر هنيهة وقال : أنت الشاعر النحوى الكاتب ؟ قال : نعم . فأنشد :

قالوا الشّلامىُّ فقلت اطبِقى ذا مِحلَبانُ الضَّرع لبّانُ[4]

ثم عاد إلى حديثه معى فلمح الشيخَ أبا الحسن وقد أخذ كتاباً من تلك

---

(١) التكملة من خ والنجوم الزاهرة ٥:١٦٣ . وهو أبو المرهف نصر بن على بن مقلد ابن نصر بن منقذ . وقد تولى شيزر سنة ٤٧٩ وتوفى سنه ٤٩٢ .

(٢) الدركاه : القصر ، فارسيته دركاه ، ومعناه الباب والسدة والدار ، مركب من «در» أى باب ، ومن « كاه » أى محل ، الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٢ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى الألفاظ الفارسية المعربة ٢٢ : « البزرك فارسى محض ، ومعناه العظم ، لقب به الوزير نظام الملك » . وانظر كتاب الاعتبار ١٧٤ ــ ١٧٥ .

(٤) محلبان ، عنى به المبالغة من الحلب ، ولم أجده فى معجم .

الكتب التي حول فراشه فقال : يدخل الإنسان وينبسط ويقرأ ماعنده[١] من الكتب ، أي إنّي من أهل العلم ، ماأحوجك أن يكون مافي يدك فوقها ! فألقاه من يده ، وكان الكتاب كتاب العصا .

ولي منذ سمعت هذا نحو من ستين سنة أتطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجد من يعرفه، وكلّما تعذّره وجودُه ازددت حِرصاً على طلبه ، إلى أن حداني اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا . ولا أدرى أكان ذلك الكتاب على هذا الوضع أم على وضعٍ غيره . على أنّي قد بلّغت النفس مُناها ، وكانت حاجةً في نفس يعقوب قضاها . ولا أرتاب في أن مؤلّف ذلك الكتاب وقَع له معنًى فأجاد في تأليفه وتنميقه ، وأنا فاتني مطلوب ففرغت إلى تجويزه وتلفيقه[٢] . وكتابي هذا وإن كان خالياً من العلوم التي يتجمّل [أصحاب[٣]] التصانيف بها، ويرغب أولو الفضل في طلبها ، فما يخلو من أخبار وأشعار تميل النفوس إليها، ويحسن موقعُها ممن وقَف عليها . وقد افتتحته بذكر عصا موسى عليه السلام ، ثم ذكر عصا سليمان بن داود عليه السلام، ثم أفَضْت في ذكر الأخبار والأشعار التي يأتي فيها ذكر العصا . ولا أدّعي أني أتيت على ذكر العصا فيما جمعته ، وإنما أدرت منه ماحفظتُه وسمعته . وبالله عزّ وجل أعو [ذ] وأعتصم، من أن تكتب يدي مايؤثم وَيَصِم[٤] . ومن رحمته تعالى أطلب الصفح والغفران ، عن اشتغالي بالترهات عن تلاوة القرآن ، وهو سبحانه أقرب مـ [دْعوّ] ، وأكرم مرجوّ .

---

(١) كذا : ولعله يريد « مايلقاه في مجلسه » .

(٢) فرغ إلى الشيء: عمد له وقصد. وفي حديث أبي بكر : « افرغ إلى أضيافك »، أي اعمد واقصد . والتجويز : الإنفاذ والإمضاء ، وليس ما يضطرنا إلى تصحيحها لتكون : « تحويره » .

(٣) ليست في الأصل.

(٤) يصم ، من الوصم ، وهو العيب.

فصل فى تسمية العصا

قال أبو بكر محمد بن دريد رحمه الله(١) : إنما سميت العصا عصا لصلابتها ، مأخوذ من قولهم عَصّ الشىء وعَصَا وعسا(٢) ، إذا صلُب . واعتصت النواة ، إذا اشتدّت . فإنما العصا مثل يضرب للجماعة . يقال شقّ فلان عصا المسلمين والجماعة . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إياك وقتيل العصا(٣) » يريد المفارق للجماعة فيقتل . وألقى الرجل عصاه ، إذا اطمأنّ مكانَه . ويقال عصا وعصوان ، والجمع العُصِىّ(٤) ، وأعصَى الكرمُ ، إذا خَرجَ عيدانُه(٥) . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ترفع عَصاكَ عن أهلك » يراد به الأدب . ويقال لعظام الجناح عِصِىّ . وعَصَوت الجرح ، إذا داويته(٦) . والعصيان : خِلاف الطاعة . قال دريد بن الصمة :

فلما عَصَونى كنتُ منهمْ وقد أُرى غَوايَتَهم وأننى غير مهتدِ(٧)

وقد سمِّيت الهراوة ، وجمعها(٨) هَرَاوَى . قال ابن فارس فى كتاب مجمل اللغة : هَرَوته بالهِراوة ، إذا ضربته بها .

قال العباس بن مِرداس السُّلَمى أبياتاً ذكر فيها الهراوة أنا ذاكراها ومورِدُها لحسنها وجزالتها ، وهى من مختار الشعر . وقد اختارها أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى فى حماسته فى باب الأدب(٩) ، وهى :

---

(١) لم أجد كلامه هذا فى الجمهرة ولا فى الاشتقاق .

(٢) يقال أيضا : « عصى » كرضى .

(٣) فى الأصل : « وقتل العصا » . وهو من حديث صلة بن أشيم ، رواه فى نهاية ابن الأثير واللسان (عصا) باللفظ الذى أثبته . وقالا : معناه إياك أن تكون قاتلا أو مقتولا فى شق عصا المسلمين .

(٤) يقال بضم العين وكسرها .

(٥) فى القاموس واللسان : « خرج عيدانه ولم يثمر » .

(٦) فى الأصل : « أى داويته » ، وأثبت ما فى خ .

(٧) من قصيدة فى الأصمعيات ٢٣ ــ ٢٤ والحماسة ١ : ٣٣٦ .

(٨) فى الأصل : « وأصلها » .

(٩) الحماسة ٢ ــ ٢٠ .

ترى الرجل النحيف فتزدريه — وفى أثوابه أسدٌ مَزِيرُ(١)
ويعجبك الطَّرير فتبتليه — فيخلف ظنَّك الرجلُ الطريرُ(٢)
فما عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ — ولكن فخرهم كرمٌ وخِيرُ(٣)
ضِعافُ الطير أطولها جسوما — ولم تَطُل البُزَاة ولا الصُّقورُ(٤)
بغاث الطَّير أكثرها فراخاً — وأمُّ الصقر مِقلاتٌ نَزُورُ(٥)

— بغاث الطير: صغارها، وفيها ثلاث لغات: ضم الباء وفتحها وكسرها. والمقلات: التى لا يعيش لها ولد —

لقد عظُم البعيرُ بغير لبٍّ — فلم يستغن بالعظَم البعيرُ
يصرّفه الصبيّ بكلّ وجهٍ — ويحبسه على الخَسْف الجريرُ(٥)

— الجرير: حبل يكون فى رأس البعير —

وتضربه الوليدةُ بالهَراوَى — فلا غِيَرٌ لديه ولا نكيرُ
فإن أكُ فى شرارِكم قليلاً — فإنّى فى خيارِكم كثير

ذكر أبو هلال العسكرى اللغوى رحمه الله فى كتاب الأوائل قال: أول من خطب على العصا وعلى الرّاحلة قس بن ساعدة الإيادى، فممّا ورد عنه من خطبه قوله(٦):

أيها الناس: اسمعوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آت. ليلٌ داج، وسماء ذاتُ أبراج، ونجوم تزهَر، وبحارٌ تزخر، وجبال

---

(١) المزير: الشديد القلب القوى النافذ. وفى الأصل: «يزير»، صوابه، فى الحماسة واللسان ومقاييس اللغة (مزر) ومجالس ثعلب ١٦٢. ورواه ثعلب: «الرجل الضعيف».

(٢) الطرير: الشاب الناعم ذو الروء والمنظر. هذا البيت يروى أيضاً للمتلمس، وليس فى ديوانه. انظر اللسان (طرر).

(٣) الخير، بالكسر: الكرم والشرف. (٤) فى الأصل: «يطل»، وأثبت ما فى خ.

(٥) الوجه: الجهة. والخسف: الذل.

(٦) انظر البيان والتبيين ١: ٣٠٨ – ٣٠٩ والأغانى ١٤: ٤٠ ومجمع الأمثال الميدانى عند قولهم: (أبلغ من قس).

مُرساة ، وأرضٌ مُدحاة ، وأنهارٌ مجراة . مابال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضُوا فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . يقسم قسٌّ بالله قَسَماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضَى وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكرا . ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأوليـــن من القرون لنا بصائر
لمـــا رأيت موارداً للقوم ليس لهـــا مصادر
ورأيت قومى نحـــوَها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يَرجع المـــاضى إلـــىّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أنّى لا محـــا لة حيث صار القوم صائر

قال المؤلف ـ أطال الله بقاءه ـ العرب تقول : فلان ممن قُرِعت له العصا ، إذا كان يرجع إلى الصواب ، وينقاد إلى الحق ، ويستقيم عِنْدَ زَيغه[1] إذا نُبِّه . وتقول : فلان صلب العصا ، إذا كان ذا نجدةٍ وحزامة . وتقول إذا تفرقت الخلطاء واختلفت آراء العشيرة ومَرِج الأمر : انشقت العصا . وتقول للمسافر إذا آب واستقرّت به داره.: ألقى عصا التسيار ، « فألقت عصاها » .

قرع العصا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « [ما] قرعت عصاً على عصا إلا فرِح لها قوم وحزن آخرون » .

قال الحجاج بن يوسف الثقفي فى بعض خطبه[2] : «والله لأعصبنكم عصب السَّلَمة ، ولألحونّكم لحو العصا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. يا أهل العراق،

(١) الزيغ: الميل عن الحق، فى الأصل : « عند ربعه » ، صوابه من خ .

(٢) جمع أسامة هنا بين نصين لخطبتين من خطب الحجاج ، أولاهما فى البيان ٢ : ١٣٨ والعقد ٤ : ١١٥ وابن أبى الحديد ١ : ١١٤ والطبرى ٧ : ٢١٢ . وإعجاز القرآن ١٢٤ . والأخرى فى البيان ٢ : ٣٠٧ والكامل ٢١٥ ليبسك والعقد ٤ : ١١٩ وصبح الأعشى ١ : ٢١٨ وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣ وابن الأثير ٤ : ١٥٦ .

يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق . إنى والله سمعت لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب . يا عبيد العصا وأشباه الإماء[١] ، إنما مثلى ومثلكم ما قاله ابن بَرّاقة الهمدانى[٢] :

وكنت إذا قومٌ غزونى غزوتُهم فهل أنا فى ذا يالَ همدان ظالم[٣]
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارماً وأنفاً حمِيًّا تجتنبك المظالم

والله لا تقرع عصًا على عصا إلا جعلتُها[٤] كأمسِ الدّابِر .

وقال وعلة بن الحارث بن ربيعة[٥] :

وزعمتَ أنَّا لا حلومَ لنا إن العصا قرعت لِذى الحلم[٦]
أقتلتَ سادتنا بغير دمٍ إلا لِتُوهِنَ آمن العصم[٧]

وقال كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعى :

وقد قرع الواشون فيها لك العصا وإن العصا كانت لذى الحلم تقرعُ

ذو الحلم : عامر بن الظَّرب العَدْوانى[٨] ، وكان حَكَماً للعرب يُرجَع إلى حكمه ورأيه ، فكبِر وأفناه الكِبَرَ والدهر وتغيّرت أحواله ، فأنكر عليه الثانى من ولده أمراً من حكمه فقال له : إنك ربّما أخطأتَ فى الحكم ويُحمَل عنك . فقال: اجعلوا لى أمارةً أعرفها، فإذا أخطأتُ وقرعت لى العصا رجعتُ إلى الحكم. فكان يجلس أمام بيته يحكم ويجلس ابنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زلّ وهفا

(١) فى البيان : « وأولاد الإماء » .
(٢) هو عمرو بن براقة ، أو ابن براق ، كما ذكر صاحب الأغانى ٢١ : ١١٣ وهو أحد عدائى العرب ، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات :

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم بالعيكتين لدى معدى ابن براق

(٣) هذا ما فى خ و البيان ، وفى الأصل: « ياهل » .
(٤) فى الأصل : « جعلها » صوابه فى خ .
(٥) كذا فى النسختين ، والصواب : « الحارث بن وعلة » كما فى البيان ٣ : ٣٨ والحماسة ١ : ٦٤ .
(٦) فى البيان والحماسة : « وزعمتم ألا حلوم لنا » .
(٧) العصم : جمع أعصم وعصماء ، وهو الوعل بإحدى يديه بياض .
(٨) انظر للخلاف فى « ذى الحلم» أمثال الميدانى فى (إن العصا قرعت لذى الحلم) والمعمرين للسجستانى ٤٥ .

قَرَعَ له الجفنةَ بالعصا . وإياه عنى المتلمس بقوله :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا   وما علّم الإنسانُ إلا ليعلما

(صلب العصا) يقال فلان صلب العصا ، إذا كان جلدا قويا على السفر والسَّيْر . قال الراعي يصف راعيا :

صلب العصا بضربهِ دمّاها[١]   إذا أراد رشداً أغواها[٢]

قوله بضربهِ أي بسَيْرِه. قال الله تبارك وتعالى: «وإذا ضَرَبْتُم في الأرض» : سافرتم . وقوله « دمّاها » أي تركها كالدُّمى ، واحدتها دمية ، وهي الصور [في] المحاريب . وقوله « أغواها » أي رعاها الغواء[٣] ، وهو نبت تسمن عليه ا[لإبل] .

وقال [أبو[٤]] الجشّر الضبي :

فإن تَكُ مدلولاً على فإنني   كريمك لا غُمرٌ ولا أنا فانِ[٥]

وقد عجمتني العاجماتُ فأسارت   صليبَ العصا جَلدا على الحدثان[٦]

صبوراً على عضّ الخطوب وضَرْسِها   إذا قَلَّصَتْ عن الفم الشفتانِ[٧]

---

(١) في اللسان (دمى) : « برعيه دماها » .

(٢) الرشد ، هنا : حب الرشاد . انظر كتاب الإنصاف والتحري في تعريف القدماء بأبي العلاء ٥٦٤ .

(٣) لم أجد من ذكر هذا النبات . وفي خ : « الغوى » ولم أجده كذلك .

(٤) هذه التكملة من حماسة ابن الشجري ٦٠ واللسان (أبي) . وذكر كلاهما أنه شاعر جاهلي .

(٥) رواه في اللسان (دلل) . وفي الأصل : « فإن يك » تحريف . يقال : مادلك على ، أي ما جرأك على . كريمك ، هي في اللسان : « لعهدك » ، ولعل هذه « كعهدك » . الغمر ، بتثليث الغين : الذي لا تجربة له . وفي الأصل و خ : « غم » ، وصوابه من اللسان . والفاني : الشيخ الكبير .

(٦) عجمته العاجمات : خبرته . وفي حماسة ابن الشجري : « لقد عجمتني النائبات » ، أسأرت : أبقت .

(٧) الضرس : العض بالأضراس ، ومثله التضريس . قال الأخطل :

كلمح أيدي مثاكيل مسلبة   يندبن ضرس بنات الدهر والخطب

(انشقّت العصا) العرب تقول : فلان يشُقُّ العصا ، إذا كان لا يدخل تحت حُكم ولا طاعة مخالفاً لأمر الآمرين . ويستعمل شقُّ العصا فيمن يتفرق عنه أحبابه، ويظعن عنه أصحابه فيظهَرُ مكنونُ سرِّه، ويبوحُ مخفِيّ أمره[1]، لضرورة البين الداعية إلى ذلك .

قال أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعرىّ فى كتابه المسمى بالقائف[2] : « مر ركْبٌ بشجرةٍ مُورِية[3] ، فاقتضَبَ إنسانٌ منهم عصا ثم شقّها ، ثم جعل يقتدِح قريباً من الشجرة فأورى الزند فقالت الشجرة : ياهـذا ما أسرع ما ظهر سرُّك ، وسوف ترغِّب الرَّكبَ فى اتخاذ زنادٍ منى ، فأحورُ عِيداناً فى أيدى القوم . فقال : لاتلمْنى ، المغرورة ، أظهرَتْ سرِّى ضَرورة » .

وقال قيس بن ذَريح :

إلى الله أشكو نِيةً شقّت العصا هى اليومَ شتّى وهى أمسِ جميعُ[4]
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بى فهل لى إلى لُبنَى الغداةَ شفيعُ

وأول هذه القصيدة :

سقَى طللَ الدارِ الذى أنتمُ بها حَنَاتِمُ وبلٍ صيِّفٌ وربيعُ[5]

= وقال زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفى الأصل: « وصربها »، صوابه فى حماسة ابن الشجرى . وروى بعده فى الحماسة :

وقبلك ما هاب الرجال ظلامتى وفقأت عين الأشوس الأبيان

(١) باح الشىء يبوح : ظهر . والمخفى ، المستور المكتوم ، يقال خفيته وأخفيته .

(٢) ذكره أبو العلاء فى تصانيفه التى ألفها، وقال: « كتاب القائف على معنى كايلة ودمنة ألفت منه أربعة أجزاء ثم انقطع تأليفه بموت من أمر بعمله ، وهـو عزيز الدولة » . انظر تعريف القدماء بأبى العلاء .

(٣) مورية : تورى النار ، أى تخرجها . وفى الأصل : « موزية » .

(٤) قصيدة هذه الأبيات تختلط أبياتها بشعر المجنون اختلاطا، وتروى حينا للمجنون، وحينا لقيس . القالى ١ : ١٣٦ — ١٣٧ والحيوان ٥ : ١٩٣ — ١٩٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٦١ والأغانى ٨ : ١٢٦ وحماسة ابن الشجرى ١٥٧ — ١٥٨ .

(٥) الحناتم : سحائب سود ، الواحدة حنتمة . الصيف : المطر الذى يجىء فى الصيف . والربيع : أول مطر يقع بالأرض أيام الخريف ، كما فى اللسان .

قال المؤلِّف أطال الله علاه : وقد صرّعت هـذه الأبيات جميعًا وأثبتها في ديوان شعري، وأنا ذاكر تصريع هذين البيتين لما فيهما من ذكر العصا .

قال غفر الله له :

أيرجو لي اللاحي من الحبِّ تخلُّصا[1] وقلبي إذا ما رضته بالأسى عصا
ولو أن ما بي بالحصى فلَق الحصى إلى الله أشكو نيةً شقّت العصا
هي اليوم شتّى وهي أمسِ جميع

أطاعت بنا لبنى افتراء التكذُّبِ وصدُّ التجنِّي غير صدِّ التجنُّب[2]
فيالكَ من دهرٍ كثيرِ التقلب مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي
فهل لي إلى لُبنَى الغداةَ شفيع

وقال المؤلِّف أطال الله بقاءه أيضًا أبياتًا في ذكر العصا ، وهي :

رمتنا الليالي بافتراقٍ مشتِّتٍ أشتَّ وأنأى من فراق المحصَّب[3]
تخالفت الأهواء وانشقّت العصا وشعَّبنا وشكُ النوى كلَّ مَشْعَب[4]
وقد نثر التوديعُ من كلِّ مقلةٍ على كل خدٍّ لؤلؤاً لم يثقَّبِ

المصراع الثاني من البيت الأول من قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندي واسمه حُندج[5]، والحُندُجة : الرملة الصغيرة[6] . وأول القصيدة :

---

(١) في الأصل : « من الذنب »، والوجه ما أثبت من الديوان ٣٦٤.
(٢) في الديوان : « غير صد التعتب » .
(٣) ديوان أسامة ٦٠ ومسالك الأبصار ج ١٠ ص ٥٠ مصورة دار الكتب المصرية. المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .
(٤) في الديوان والمسالك : «وشعبهم» .
(٥) عرف امرؤ القيس بلقبه هــذا : امرؤ القيس . واسمه حندج بن حجر بن عمرو ابن الحارث. ويكنى أبا وهب وأبا الحارث، ويلقب أيضا بذي القروح. والقيس في اللغة: الشدة. وقيل هو اسم صنم ، قالوا : ولهذا كان يكره الأصمعي أن تروى :
* يا امرأ القيس فانزل *
وكان يرويه : « يا امرأ الله » . شرح أبي بكر لديوان امرئ القيس .
(٦) وقيل الرملة العظيمة ؛ وقيل رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .

خليلى مُرَّابى على أمّ جُندبٍ   نقضٌ لُبانات الفؤادِ المعذَّب

ومنها البيت :

فلله عيـنا من رأى من تفرقٍ   أشتّ وأنأى من فراق المحصَّب(١)

وقال أبو الحسن مِهيار بن مَرْزَوَيه الدّيلمى ، من جملة قصيدةٍ له :

ما قَصُرت يدُ الزّمان شدَّ ما   تَطُول فى نقضى وفى نقضِ مرر(٢)

عصًا شـظايا ومشيب رَائعٌ   ومنزل ناءٍ وأحباب غُدُر(٣)

وصاحبٌ كالداء إن أخفيته   غوَّر وهو قاتلٌ إذا استتر(٤)

وقال المؤلف أطال الله بقاءه :

زدنى جوًى يا حُبَّهم وأضِلَّنى   يا مرشدى عن مَنهج السُّلوانِ

لا تنهنى عنهـم فإنَّ صـبابتى   لا تستطيع تطيع من ينهانى(٥)

أحببتهم أزمانَ غصنى ناضرٌ   حتّى عسَا وعَصَى بَنانَ الحانى(٦)

فارجع بيأسك لستَ أول آمرٍ   شقَّ الغرامُ عصاه بالعِصيان(٧)

---

(١) فى شرح الديوان : « المحصب من فارقه لا يرجع إليه . وقال ابن السيرافى : المحصب : الموضع الذى يرمى فيه بحصى الجمار ، ثم كانت تجمتع العرب من الأماكن المختلفة فيرى وينظر الرجل إلى وجوه النساء فربّما هوى الرجل منهم بعض من هوى من النساء ، فإذا تم حجهم مضوا فى طرق شتى » .

(٢) ديوان مهيار ١ :٤١٣ من قصيدة كتب بها إلى أبى القاسم هبة الله بن على بن ماكولا وفى الديوان : «ياقصرت» فيكون هذا دعاء عليها . وفى الديوان أيضا: « فى ثلمى » . والمرر: جمع مرة ، وهى الطاقة من طاقات الحبل ، كناية عن الشدة . وأراد نقض مررى . فحذف ياء المتكلم . وفى الديوان : « المرر » .

(٣) رائع ، هى فى الأصل « زائم » صوابه فى خ . وفى الديوان : « ومشيب عنت » .

(٤) غور ، من قولهم غور الماء فى الأرض: ذهب فيها وسفل . وفى الديوان : « عور » بالمهملة . وفى الأصل : « وهو قائل »، صوابه من خ و الديوان.

(٥) كذا فى ف خ و ديوان أسامة ٥٤ . وفى الأصل : « لا تنه عنهم » ، تحريف .

(٦) البنان : الأصابع ، أو أطرافها . والحانى : الذى يحاول أن يحنيه ويلويه.

(٧) فى الأصل : « أول امرئ »، تحريف صوابه فى خ.

وقال أيضًا :

كم ذا التجنى وكثرةُ العِلَل　　لا تأمنوا من حوادث المَلَلِ
ولا تقولوا صبٌّ بنا كلِفٌ　　فأوّلُ اليأس آخر الأمَلِ
ولستُ ممن يريد شقّ عصًا　　الذّنبِ ذنبي والحب شفّع لى(١)
هبونى أخطأت عامداً فهبوا　　خجلةَ عذرى ما كان من زلَلِى(٢)

وقال امرؤ القيس بن حُجر الكندى :

إذا ما لم تكنْ إبلٌ فمِعزًى　　كأنّ قرون جلتها العصىُّ
فتملأ بيتنا أقِطا وسمْنًا　　وحسبك من غنًى شِبَعٌ ورِىُّ

أى كفاك . وكذلك حسبك الله ، أى كفاك .

العرب تقول : « طارت عصا بنى فلانٍ شِقَقا » . وقال الأسدى :

عِصِىُّ الشملِ من أسدٍ أراها　　قد انصدعت كما انصدع الزُّجاجُ

ويقال : « فلان شقّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شقّ ثوبًا ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق(٣) .

(ألقى العصا) يقال ألقى عصا التسيار، إذا أقام وترك السفر . وكأنّ العرب عنَتْ بقولها « ألقى عصاه » أى وصل إلى بغيته ومُراده ، أو وطنه ومَرَاده ، وراحته ، ومظنة استراحته . قال الأصمعىّ — واسمه عبد الملك بن قريب — قصيدةً مدح بها جعفر بن يحيى البرمكى ورحل إليه فمات قبل أن يصل إليه، وذكر فيها العصا ، وهى قصيدة طُولى أنا موردٌ منها نبذةً لأجل العصا ، وهى :

نخطَّت إليها مناقيلَها　　وألقت عصا السَّفَرِ السُّفَّرُ(٤)

---

(١) فى الديوان ٤٠ : « يشفع لى » .
(٢) فى الأصل : « حجلة عذرى » ، صوابه من الديوان .
(٣) الكلام من « العرب تقول » إلى هنا ، مقتبس من البيان والتبيين ٣ : ٣٩—٤٠ .
(٤) المناقيل : جمع منقل بفتح الميم وكسرها ، وهو الخف ، وزيادة الياء فى مثل هذا الجمع جائز عند الكوفيين اطرادا . والسفر هنا : جمع سافر ، وهو الذى خرج إلى السفر ، مثل راكم وركع . ومع قياسيته لم أجده فى المعاجم . وفى الأصل : « المسفر » ، وأثبت ما فى خ .

وقال راشد بن عبد الله[١] :

وخبَّرها الرُّوَّادُ أنْ ليس بينها ... وبين قرى نجرانَ والدَّربِ كافرُ[٢]

فألقت عصاها واستقرّت بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[٣]

وقال آخر[٤] :

فألقت عصا التَّسيار عنها وخيَّمتْ ... بأجباء عذبِ الماء بيضٍ محافرُه[٥]

الجَبا : ماحول البئر ، مفتوح الجيم مقصور ، وجمعه أجباء ممدود . وقوله « بيض محافره » يريد أنه [لم][٦] يُحفَر في أرض سَوداء ، ولا من دمن ، بل هي أرض صلبة .

وقوله : « خيمت » ، أي اتّخذت [خيمةً][٧] فأقامت .

روى أن قتيبة بن مسلم[٨] لما تسنَّم منبر خراسان سقط القضيبُ من يده فتطيَّر له صديقه، وتشاءم[٩] عدوُّه ، فعرف ذلك قتيبة، فحمِد الله تعالى عليه ثم قال : ليس كما سرَّ العدُوَّ وساء الصديق ، بل كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : قال جدِّي الأمير سديد الملكِ والمناقب أبو الحسن

---

(١) كذا . وفى البيان ٣ : ٤٠ نسبة البيت الثانى إلى مضرس الأسدى، وفى اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر بن حمار البارقى . ونسب البيت الثانى فى المؤتلف للآمدى ٩٢ إلى معقر بن حمار .

(٢) الكافر ، هنا : المطر ، كما فى اللسان (كفر ، عصا) عند إنشاد البيت .

(٣) النوى : الوجه الذى ينويه المسافر، وهى مؤنثة. وكذا ورد البيت فى البيان والمخصص ١٢ : ٦١ / ١٥ : ١٧٢ / ١٦ : ١١٠ وفى اللسان (عصا) : «واستقر». وترك تأنيث الفعل فى مثل هذا جائز . وفى اللسان (نوى): «واستقر» أيضا، وهذا لا يتفق مع الغرض الذى سبق له الاستشهاد.

(٤) هو مضرس الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ .

(٥) فى البيان : « بأرجاء » .

(٦) كلمة « لم » من خ . (٧) التكملة من خ .

(٨) الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٢٥٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٧٠ .

(٩) خ : « تشأم » ، وكلاهما صحيح ، من التشاؤم .

عليّ بن مقلد رحمه الله ، يخاطب بعض ولاة حلب :

خيّمتَ في حلبِ العواصِم بعدما ... قلّدتَ خوفَك نازحَ الأقطارِ
لاترضَها دار الثَّواء ولا تقلْ ... في مثلها تُلقى عصا التَّسيارِ
استحيِ من أجداث قومك أن ترى ... عرْض البسيطة وهي دارُ قرارِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : حدثني من أثق به في شوال سنة سبع وستين[(١)] وخمسمائة بحصن كَيفا[(٢)] قال : كان في خدمة الأمير نجم الدولة مالك بن سالم صاحب قلعة جَعْبر[(٣)] رجلٌ عوّاد يقال له أبو الفرج حدثني قال : كنت يوماً في مجلس الأمير نجم الدولة وهو يشرب إلى [أن[(٤)]] سكر ، وانصرفت إلى منزلي ، فما كان أكثر من مُضيٍّ ساعتين من الليل إذْ وافاني رسوله فقال : الأمير يَستدعِيك . فقلت : ما نزلتُ حتّى سكر ! قال : هو أمرني بإحضارك . فمضيت معه فرأيت الأميرَ جالساً ، فقال : ياأبا الفرج ، بعد انصرافكم نِمت فرأيت إنساناً يغنِّيني صوتاً حفِظته ثم أُنسِيته ، وأريد أن تذكُره لي . فقلت : يامولاي ، اذكر لي منه كلمة . فقال : ماأذكرُ منه شيئاً ولكن اعرضْ عليّ مايحضرك . فعرضت عليه أصواتاً كثيرة وهو يقول : ماهذا الصوتُ الذي أُرِيتُه[(٥)] ! ثم قال : انصرفَ وأفكِرْ لعلك تذكره . فانصرفت وأصبحت من بكرةٍ طلعت إلى خدمته فقال : ياأبا الفرج ، أيُّ شيء كان من الصوت ؟ قلت : يامولاي ، لايعلم الغيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : والله لئن لم تذكره لأخرجنّك من القلعة . فقلت : والله يامولاي ماأدري ، ما أذكُرُ[(٦)] من صوتٍ ما سمعته ولا ذكرتَ لي منه كلمة واحدة ؟! فقال خذوه وأخرجوه . فأخرجوني إلى « البُلَيل[(٧)] » فأقمت فيه يوماً

---

(١) هذا ما في خ . وفي الأصل : « تسع وستين » .
(٢) مدينة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
(٣) قلعة جعبر ، على الفرات مقابل صفين التي كانت بها الوقعة . وكانت تعرف أولا بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك ، فغلب عليها فسميت به .
(٤) التكملة في خ . (٥) هذا ما في خ . وفي الأصل : « رأيته » .
(٦) في الأصل : ما أذكره » ، صوابه في خ .
(٧) في الأصل : « البلبل » صوابه في خ . وفي القاموس أن البليل كزبير شريعة صفين .

ثم ردّنى وعدت فى الخدمة كما كنت . فأنا يوماً فى المجلس أغنّى إذ قال لى بعض الفراشين : على الباب رجلٌ يطلبك . فخرجت إليه فرأيت رجلاً عليه عمامة مطلَّسة كعمائم المغاربة، فسلم علىّ وقال : قد قصدتك لتتوصّلَ لى فى الحضور بمجلس الأمير فأنا رجلٌ مغنٍّ . فدخلت وأعلمته به فقلت : يامولاى ، إن كان مجيداً سمعتَه واستخدمته ، وإلا وهبتَه شيئاً وانصرَف . فأذن له فدخل فسلّم وجلس فشد عودَه وغنّى :

وخبّرها الروّاد أن ليس بينها ... وبين قُرى نجران والدربِ كافرُ
فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فقال الأمير : لا إله إلا الله ، هذا والله الصوت الذى رأيته فى منامى وطلبته منك . فعجبت أنا ومن حضر لهذا الاتفاق

(عصا الأعرج) . وقال المؤلف أطال الله بقاءه فى أعرج بيتين على سبيل الرياضة ذكرهما وإن لم يكن فيهما ذكر العصا :

عابوا هوًى شادنٍ فى رجله قصرٌ ... من سكر ألحاظه فى مشيه تَمَلُ(١)
وما هوًى خوط بانٍ ماسَ من هيفٍ ... عيبٌ، وإنْ كان عيباً فهو محتمل

فصل

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرت المقدس فى سنة اثنتين وث[لاثين](٢) وخمسمائة ، وكان معى من أهله من يعرّفنى المواضع التى يصلَّى فيها ويتبرك [بها(٢)]، فدخل بى إلى بيت جانبَ قبَّة الصخرة فيه قناديلُ وستور ، فقال لى : هذا بيت السلسلة . فاستخبرته عن السلسلة فقال لى : هـــذا بيتٌ كانت فيه على عهد بنى إسرائيل سلسلة، إذا كان بين اثنين من بنى إسرائيل محاكمة ووجبت اليمينُ على أحدِهما دخلا هذا البيت، فوقفا تحت السلسلة، واستُحلِف المدّعَى عليه، ثم يمد يده

(١) البيتان فى ديوان أسامة ص ١٩١ .
(٢) التكملة من خ . وكذا التكملة التالية .

فإن كان صادقا أمسك السلسلة ، وإن كان كاذباً طالت عن يده فلا يصل إليها . فأودَعَ رجلٌ من بني إسرائيل جوهراً عند رجل ، ثم طلبه منه فقال: أعطيتك إياه. فقال : تحاكمني إلى السلسلة . فمضى المستودع فأخذ عصاً فشقها وحفر فيها للجوهر وتركه فيها، ثم ألصقها عليه ودهنها ، وأخذها في يده ودخل مع خصمه بيت السلسلة فقال للخصم : أمسِكْ عني هذه العصا . فمَسَكها ثم حلف له أنه سلَّم الجوهرة إليه ومدَّ يده فأمسك السلسلة ثم عاد أخذ العصا وخَرَجا ، فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم .

ولم أر هذا الحديث مسطوراً ، وإنما أوردته كما سمعته .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : كان عندنا بشيزر رجلٌ زاهد من خيار المسلمين ، اسمه جَرّار[1] ، رحمه الله ، وكان منقطعا على مسجد على جبل جريجس لا يخرج منه إلاَّ على صلاة الجمعة ، وكنت أزوره فيه وأتبرَّكُ به . فحدَّثني بعض من كان يخالطه أنه قال : أردت زيارة الشيخ يٰس رحمه الله ـ وأظنه كان بمَنْبِج ـ فخرجت أنا ورفقةٌ لي ، وفي نفسي أن أطلبَ منه عصاً ، فلما صرنا بالقُرب من مَنْبِج ومعنا فضلة من زادنا فتحنا رُجْمَ حجارة[2] ودفنّاها فيه ثم رددنا عليه الحجارة ، ودخلنا على الشيخ رحمه الله فأقمنا عنده ما أقمنا ، ثم ودّعناه وعزَمنا على المسير ، فأحضَرَ لنا زاداً وقال : احملوا هذا فإنَّ زادكم أكلَه الثعلب . وأحضر عصاً وأخرج من تحت عمامته طاقيَّة[3] وقال لي : خذ هذه العصا وهذه الطاقية . فودَّعنا وانصرفنا وأنا مسرورٌ بالعصا والطاقية، ونحن

(١) في خ : « حريجس » .

(٢) الرجم ، بالضم : جمع رجمة ، وهي حجارة ضخام مجموعة .

(٣) يراد بالطاقية ضربٌ من القلانس تدار عليه العمامة، وهي وإن كانت عربية اللفظ فإنها لم تذكر في المعاجم . كأنها منسوبة إلى الطاق ، وهو ضرب من الثياب ، الطيلسان ، أو الأخضر منه . وقد استعمل الفرس هذا اللفظ . وفسره استينجاس في المعجم الفارسي الإنجيزي ٨٠٦ — ٨٠٧ بقوله A fillet' especially one worn onder the head-dress أي عصابة تلبس تحت لباس الرأس .

نعجّب من قوله عن الزاد . فلمّا صرنا إلى الموضع الذى فيه الزّادُ طلبناه فلم نجِدْه ، وإذا الوحشُ قد أكلته، فسِرْنا ثم افترقنا وركِبَ كلٌّ(١) منّا قصْدَه، فوصلت إلى أرض شَيزَر،وإذا الفرنج قد أغاروا على البلَد، وهم منتشرون فيما بينى وبين قصدى ، فوقَعَ فى نفسى أنْ أخرجت الطاقيّة من تحت عمامتى ووضعتُها على رأس العصا ومشَيت على الطّريق ، والفرنج عن يمينى وشمالى وبين يدىّ والعصا فى يدى وعليها الطاقية ، فلا والله ما عارضَنى منهم أحد ، كأنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارهم عنّى ، فما نالنى منهم سُوء حتّى وصلتُ إلى مأمَنى .

***

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ولعـلّ من يقف على هـذا الحديث يدفعُه ويكذّبه . وقد جرى بشيزر ما هو أعجبُ من هذا ، وأنا حاضر نَزَل الفرنج علينا فى بعض السّـنين ، وكان الماء بيننا وبينهـم ، وهو إذْ ذاك زائدٌ لا يمكن خَوضُه، فما كان لنا إليهم سبيلٌ ولا لهم إلينا، فلما تبيّنوا ذلك انتشروا فى الأرض ودخلوا فى البساتين يَرعَون خيلَهم ، فجاء نفرٌ منهم إلى بستانٍ على جانب الماء ومعهم خيلُهم، فتركوها تَرعى فى قصيل من البستان(٢) وناموا ، فتجرّد رجالٌ من أصحابنا وسَبَحوا إليهم ومعهم سيوفُهم، فقتلوا منهم وجرحوا بعضَهم، وانتشر الصِّياح فى الفرنج وهم فى خِيَمهم ففزِعوا وجاءوا مثلَ السَّيل، كلُّ من ظفروا به قتلوه ، وانتهى بعضُهم إلى مسجدٍ مما يليهم يعرف بمسجد أبى المجد بن سُمَيّة ، ونحن نراهم ولا سبيلَ لنا إليهم ، وفى المسجد [رجلٌ(٣)] يُعرَف بحسنٍ الزاهد رحمـه الله ، واقفٌ يصلّى على سَطحه وعليـه ثياب سودٌ صوفًا ، وبابُ المسجد مفتوح،فجاء الفرنج وترجّلوا ودخلوا المسجد،ونحن نقول:الساعةَ يَقتُلون الشّيخ .

(١) خ : « كل رجل » .

(٢) القصيل : ما اقتصل واقتطع من الزرع أخضر . ولم يظهر فى الأصل إلا « قصه » . وفى خ : « فصيل »، صوابهما ما أثبت .

(٣) ليس لها موضع فى الأصل ، وإثباتها من خ كما توقعت فى الطبعة الأولى .

فلا والله ماقطَعَ صلاتَه ولا تحرّكَ من مُصلاّه، ونحن نظنُّ أنّهم يرونه كما نراه، إلاّ أنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارَهم عنه، وحماه من كَيدِهم، وخرجوا من المسجد بأجمعهم وانصرفوا، والشيخ رحمه الله فى مُصلاّه كما كان. وما العِيان كالإخبار والسّماع.

* * *

قال المؤلف أطال الله بقاءه: حضرت بدمشق وقد وقع بين العُميان وبين رجلٍ كان يتولّى وقفَهم يعرف بابن البعلبَكّىّ خُلْف، فبقُوا فيه صاحب دمشق شِهابَ الدين محمود بن تاج الملوك بُورِى رحمه الله[(١)] عدّة مرار، فقال للأمير مجاهد الدين بُوزَان[(٢)] بن ما مين: أى مجاهدَ الدين، باللهِ[(٣)] خلِّصْنى منهم، واجمَعْهم وأحضِرْ نائبَهم فى الوقف وافصِلْ حالَهم. فقال: السّمع والطاعة. وقال لى مجاهد الدين: تفضَّلْ واحضُر معنا. فاجتمعنا فى إيوانٍ كبير فى دار، وحضر النائب ابنُ البعلبكى ونائبٌ كان قبله يقال له ابن الفرّاش، وحضر العُميان فى نحوٍ من ثلاثمائة رجل، فحملوا أندمَهم[(٤)] ودخلوا الإيوان، كلٌّ واحدٍ وعصاه معه فى يده وضَعَها إلى جنبه، ثم تجارَوا الحديثَ[(٥)]، فكان بعضُهم هواه مع النائب الأول ابن الفراش، وبعضهم هواه مع ابن البعلبكى. فتنازعوا وتخاصموا ساعةً ولا يتدخّل بينهم لعلوِّ أصواتهم وكثرتهم، ثم تواثَبوا فارتفع فى الإيوان نحوٌ من ثلاثمائة عصا فى أيدى عُميان[(٦)] لا يَدرون مَن يَضرِبون. وعلا الضّجيجُ والصّياح حتّى ندِمْتُ على حضورى. فتلطّفْنا الأمر حتّى سكنت الفتنة بينهم، ومَشَّينا[(٧)] أمرَهم على ما أرادوا، وما صدّقْنا أنهم ينصرفون.

---

(١) قتل سنة ٥٣٣ فى مؤامرة لجماعة من الأمراء. النجوم الزاهرة.
(٢) رسمت فى خ «بزان».
(٣) هذا ما فى خ. وفى الأصل: «تالله».
(٤) فى الأصل: «قدامهم»، وأثبت ما فى خ.
(٥) تجاروا فى الحديث: جروا فى المناظرة والجدال. وفى الأصل: «تحاوروا»، وأثبت ما فى خ.
(٦) فى الأصل: «العميان»، وأثبت ما فى خ.
(٧) فى الأصل: «ومشيا» صوابه فى خ.

العصا فرس جذيمة الأبرش[١]

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ومع ما أوردته فيه من قول أصحاب السِّيَر وأشعار الشعراء فلايحقِّق ذلك[٢] مَنْ مارسَ الحروبَ وعرَفَ مكايدها ، واتقاء الرجال التغرير ، والتخوّفَ من سوء عواقب الحيلة وضعفِ المكيدة . والحزمُ فى الحرب أبلغ من الإقدام . وقد حاربتُ الفرنج فى مواقفَ ومواطن لا أحصى عَددَها كثرةً فما رأيتهم قطُّ كسرونا فلجُّوا فى طلبنا ، ولا يَزيدون خيلهم عن الخبب والنَّقَل ، خوفاً من مكيدةٍ تتمُّ عليهم . فكيف يحكم مَن فى رأسه لبٌّ على نفسه حتّى يَدخُل فى غرارةٍ مشدودة عليه[٣] أوْفى تابوت[٤] ، وكيف يَخْفَى الرَّجُل إذا رُبطَت عليه غرارة .

وخطر لى أن قلت عند انتهائى إلى هذا الموضع أبياتاً أنا ذاكرها ، وهى :

لو سرتَ فى عرض البسيطة طالبا رجلاً خبيراً بالحروب مجرّبا[٥]
عانَى الحروب مجاهراً ومُخاتِلاً طفلاً إلى أن عادَهمَّا أشيبا
قتلَ الأسودَ ونازلَ الأبطالَ فى الـ ـهيجاء واقتاد الكمىَّ المِحْرَبا[٦]

---

(١) وهى التى قيل فيها المثل : « إن العصا من العصية » ، وجذيمة الأبرش هذا ، هو جذيمة بن مالك الأزدى ملك الحيرة ، وقد نجا قصير بن سعد اللخمى على فرسه هذه فأخذ بثأره وقتل الزباء ، فى حديث طويل . اللسان (عصا) والخيل لابن الكلبى ٣١ وحلية الفرسان نشرة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ١٥٩ .

(٢) أى لايعده حقا .

(٣) يشير إلى ما صنعه عمرو بن عدى بمشورة قصير، من حمله الرجال على الإبل فى غرائر ليتمكنوا من دخول مدينة الزباء . انظر مجمع الأمثال فى (خطب يسير فى خطب كبير)، والأغانى ١٤ : ٧١ ومروج الذهب ٢ : ٩٦ .

(٤) فى الأصل: « وفى تابوت » ،والوجه ماأثبت من خ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة .

(٦) قال أسامة بن منقذ : وقد شهدت قتال الأسد فى مواقف لا أحصيها ، وقتلت عدة منها لم يشركنى أحد فى قتلها، فما نالنى من شئ منها أذى . الاعتبار ١٣٤ نشرة فيليب حتى .

لم تَلقَ مثلى من يكاد يُريه حُسْـ ـنُ الرأيِ ما قد كان عنه مغيَّبا
وأرى مسير الألفِ تطلب وِترها ضِمنَ الفرائر فرية وتـكذُّبا[1]

فصـــــل

قال الفرزدق فى قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك[2] :

رأيت بنى مروان جلَّت سيوفُهم عَشاً كان فى الأبصار تحت العمائم[3]
عصا الدين والعودَين والخاتم الذى به الله يعطى ملكَه كلَّ قائم

ـ عصا الدين : السيف . والعودان : العصا والمنبر ـ

رأيت الغشاوات انجلتْ حين أعطيتْ هشاماً عصا الدين الذى لم يُخاصِم[4]

فصـــــل

قال معن بن أوس المزنى :

إذا اجتمع القبائل كنتَ رِدفاً أمام الماسحين لك السبالا[5]
فلا تُعطَى عصا الخطباء فيهم وقد تُكفَى القادةَ والمقالا

وقال آخر فى عصا الخطابة :

إذا اقتسم الناسُ فضلَ الفخارِ أطَلْنا إلى الأرض ميل العصا[6]

---

(١) الألف ، يعنى ألفا من الجنود .
(٢) قالها وهو محبوس . ديوان الفرزدق ٨٤٥ ـ ٨٤٧ .
(٣) جلت ، من التجلية ، وهى الإجلاء والطرد .
(٤) هذا البيت لم يرو فى قصيدة الفرزدق . وفى الأصل : « تخاصم » ، صوابه فى خ ـ
(٥) البيتان فى ديوان معن بن أوس ، رواية القالى ، ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ . وهما فى البيان ١ : ٣٧٢ / ٣ : ١٠ . السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة ١ : ٥٢٥ لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها

(٦) البيان ١ : ٧٢ / ٣ : ٨ .

تقول العرب[١] : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يمدحك . تقول : إذا قام الخطيب والقناة بيده فقد قام المقام الذى يخرج منه[٢] مذموما أو محمودا .

وقال جرير بن عطية :

مَنْ للقناة إذا ما عَىَّ قائلها أم للأعِنَّة يا عمرو بن عمار[٣]

عن عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال : خِداش بن لبيد بن بَيْبَة بن خالد . يعنى البَعِيث الشاعر . وإنّما قيل له البعيث لقوله :

تبعَّث منى ما تبعَّث بعد ما أُمِرَّتْ حبالى كلَّ مِرَّتِها شَزْرا[٤]

قال أبو اليقظان : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزّها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها . يريد بالقناة العصا .

قال يونس : لئن كان مغلّبا فى الشعر لقد غُلِّب فى الخطب[٥] .

العرب تقول : اعتصَى بالسيف ، إذا جعل السيف عصاً . وقال عمرو بن الإطنابة :

وفتًى يضرب الكتيبةَ بالسَّيْـ ـفِ إذا كانت السيوفُ عِصِيا[٦]

وقال [عمرو بن[٧]] محرز :

نزلوا إليهم والسيوفُ عصيُّهم وتذكّروا دِمَنًا لهم وذُحولا

---

(١) هو قول أبى المجيب الربعى ، كما فى البيان ١ : ٣٧٣ / ٢ : ١٠ .

(٢) فى البيان : « الذى لابد من أن يخرج منه » .

(٣) نبهت فى البيان أن صواب روايته : « ياعقب بن عمار » . انظر ديوان جرير ٢٣٦ـ٢٣٧ .

(٤) البيان ١ : ٣٧٤ / ٣ : ١٠ .

(٥) انظر البيان ١ : ٣٧٤ / ٢ : ٣١٢ / ٣ : ١١ .

(٦) البيان ٣ : ٧٧ والأغانى ١٠ : ٢٨ .

(٧) التكملة من الأغانى ١٠ : ٢٨ ولم ترد فى الأصل ولا فى ح .

(٨) الدمن : جمع دمنة ، وهو الحقد القديم . والذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

فصل جامع

قال عمرو بن بحر الجاحظ: الدليل على أن [أخْذَ][١] العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدنٍ شريف، اتخاذُ سليمان بن داود عليهما السلام العصا لخطبته وموعظته، ومقاماته، وطول صلواته وتلاوته وانتصابه. فجعلها لتلك الخصال [جامعة[٢]]. وقولُ الله عزّ وجل: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ). والمنسأة هى العصا. وقال أبو طالب حين قامَ بذمّ الرجل[٣] الذى ضرب أبا نبقة[٤] (وفى نسخة أبا نيقة) واسمه علقمة[٥]، حين تخاصما:

أمن أجل حبلٍ ذى زمامٍ ضربتَه بمنسأةٍ قد جاء حبل وأحبُلُ[٦]

و (المحجنة[٧]) : العصا المعوّجة. وفى الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم طافَ بالبيت يستلم الأركان بمحجنه[٨]. وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه أفاض من جَمعٍ وهو يخرِش بعيرَه بمحجنه[٩].

والعرب تقول: « لو كان فى العصا سير » للمقلّ والضعيف. قال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائى:

---

(١) التكملة من البيان ٣ : ٣٠.

(٢) التكملة من البيان. (٣) خ : « يذم الرجل ».

(٤) الذى فى نسخ البيان والتبيين : « الذى ضرب زميله ». انظر ٣ : ٣٠.

(٥) أبو نبقة، ورد اسمه فى السيرة ٧٧٥ فيمن قسم لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى مقاسم خيبر. وترجم له ابن حجر فى الإصابة ١١٣٦ فى باب الكنى. والذى فى الإصابة أن علقمة هو والد أبى نبقة، واسم أبى نبقة عبد الله بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف. وقد ورد ذكر علقمة بن المطلب بن عبد مناف فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٦.

(٦) البيت فى البيان ٣ : ٣٠ وليس فى ديوان أبى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب. وهو مع بيتين آخرين فى اللسان (نسأ). ورواية اللسان والبيان : « أمن أجل حبل لا أباك ».

(٧) يقال محجن ومحجنة.

(٨) كذا فى خ والبيان ٣ : ٨٥ واللسان. وفى الأصل : « بمحجنة ».

(٩) جمع، هى المزدلفة. وفى خ : « بمحجنة ». وخرشه : ضربه بالمحجن يجتذبه إليه، وفى خ : « يحرش » بالحاء المهملة، ومعناه حك فى غاربه ليمشى.

يا لكَ من هِمَّةٍ ورأى لو أنه في عصاك سَيرُ[١]
ربَّ قليل أجدى كثيراً كم مطرٍ بدؤه مُطَيرُ
صبراً على الحادثات صبراً ما فعل الله فهو خـيرُ

وتقول العرب : قد أقبل فلان و [لا نت[٢]] عصاه ، إذا أصابه الشَّوَاف — وهو ذَهاب المال وموتُه — فرجع وليس معه إلا العصا ، فإنه لا يفارقها إن كان معه إبل أوْ لا . قال حُمَيد بن ثور[٣] :

واليوم يَنْتَزِعُ العصا من ربِّها وَيَلُوكُ ثِنْيَ لسانِه المنطيقُ[٤]

قيل : كانت العرب تقاتل بالعصىّ ، فلهذا قال الأعشى ميمون بن قيس ابن جندل :

لسنا نُضارِب بالعصـــىِّ ولا نقاذِف بالحجاره[٥]
إلا بكلِّ مهــندٍ عَضْب من البيض الذِّكاره[٦]
قَضِم المضاربِ باترٍ يشفى النفوسَ من الحراره[٧]

وقال جندلٌ الطُّهوىّ :

حتَّى إذا دارت عصانا تجرى[٨] صاحت عصىٌّ من قناً وسِدرِ[٩]

تقول العرب : « العصا من العُصَيَّة والأفعى من الحية » . تريد أن الأمر الكبير يحدث من الصغير[١٠] .

---

(١) الأبيات مما لم يرو في ديوان أبي تمام . وهي في البيان ٣ : ٦٧ . ورواية الأولى :
* مالك من همة وعزم *
(٢) التكملة من البيان ٣ : ٥٢ . (٣) خ : « حميد بن سعيد » .
(٤) في البيان ٣ : ٥٣ « تنتزع العصا » ، وفي مجالس ثعلب ١١٩ واللسان (نطق) : « والنوم ينتزع » .
(٥) ديوان الأعشى ١١٥ والبيان ٣ : ١٥ .
(٦) الذكارة ، بالكسر : جمع ذكر . والذكر من الحديد : أيبسه وأشده .
(٧) القضم : الذي تكسر حده مما طال عليه الدهر وكثر به الضراب .
(٨) في البيان ٣ : ١٥ : « رحى لا تجرى » ، يعني رحى الحرب .
(٩) قال أبو منصور : القناة من الرماح : ما كان أجوف كالقصبة .
(١٠) خ : « عن الصغير » .

والعرب تسمّى الصغيرَ الرأسِ: رأسَ العصا . وكان عمر بن هبيرة(١) صغير الرأس ، فقال فيه سويد بن الحارث :

[من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا ضغائن لاتنسى وإن قدُم الدهرُ

وقال آخر(٢)] :

[من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا ضغائن لاتُنسى وإن هى سُلَّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن أخاً راضياً] إنْ صدر نعلِك زلَّت

أى لم تكن قيس ترضى لك بالقليل .

وقال أبو العتاهية فى والبة بن الحُباب وقومه وكانت رءوسهم صغارا :

رءوس عصيٍّ كن فى عود أثلةٍ لها قادحٌ يفرِى وآخر يخربُ(٣)

وفى حديث زواجِ رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد(٤) رضى الله عنها وقد تكلَّم أبو طالب وذكر رغبته فيها فقال قائلٌ منهم(٥) : « ابن أخيك الفحل لا يُقرع بالعصا أنفُه » . وذلك أنّ الفحل اللئيم إذا أراد الضِّراب فى الإبل ضربوا أنفَه بالعصا .

وفى خطبة الحجاج : « والله لأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة ، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل » . وذلك أنّ الأشجارَ تُعصَب أغصانها لتجتمع ، ثم تُخبَط بالعصا ليسقُطَ ورقها وهشيمُ العِيدان لتأكلَه الماشية .

---

(١) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين وكان يكنى أبا المثنى . المعارف ٢٨٦ .

(٢) هذه التكملة من البيان ٣ : ٤١ .

(٣) القادح : أكال يقع فى الشجر والأسنان . انظر البيان ٣ : ٤١ .

(٤) الخبر يروى فى زواجه من خديجة ، كما فى اللسان (قدع ، قرع) ، ويروى فى زواج من أم حبيبة .

(٥) القائل فى خبر خديجة هو ورقة بن نوفل أو عمرو بن أسد بن عبد العزى ، كما فى اللسان ، وفى خبر أم حبيبة أبو سفيان بن حرب ، كما فى البيان ٣ : ٤٤ . وفى خ : « قائلهم » .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرتُ قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقرية يقال لها سَبَسْطِيَّة[1] من أعمال نابُلس ، فلما صلّيت خرجت إلى ساحة بين يدى الموضع الذى فيه القبر محوّط عليها ، وإذا باب مردود ففتحته ودخلت ، وإذا كنيسةٌ فيها نحو من عشرة شيوخ رءوسهم مكشوفة كأنها القُطن المندوف ، وقد استقبلوا الشّرقَ وفى صدورهم عصيٌّ فى رءوسها عوارض معوجّة على قدر صَدْر الرجل ، وهم مُعتمِدون عليها ، وشيخٌ بينَ يدَيهم يقرأ[2] ، فرأيت منظراً يرقّ له القلب ، وساءنى وآسفنى إذْ لم أر فى المسلمين مَن هو على مثل اجتهادهم . فمضَتْ على ذلك مدّة فقال لى يوماً مُعين الدين أُنَر[3] رحمهُ الله وأنا وهو نسير عند دار الطّواويس : اشتهى أنزلُ أزور المشايخ . قلت : الأمر كذلك . فنزلنا ومشينا إلى منزل عرضى[4] طويل ، فدخلناه وأنا أظن أنْ ما فيه أحدٌ ، وإذا فيه نحو من مائةِ سَجّادة وعلى كل سَجّادةٍ رجلٌ من الصوفية عليهم السكينة ، والخشوعُ عليهم ظاهر . فسرّنى ما رأيت منهم ، وحمِدتُ الله عزّ وجلّ ، إذ رأيت فى المسلمين مَنْ هو أكثر اجتهاداً من أولئك القسوس ، ولم أكن قبل ذلك رأيت الصوفيّة فى دارهم ، ولا عرفتُ طريقتَهم .

ويقال «يوم أطول من ظل القناة ، وأحرُّ من دمع المِقْلات» قال عبد الله بن الدُّمينة[5] :

ويوم كظلِّ الرمح قصَّر طولَه دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاقُ المَزَاهر[6]

---

(١) سبسطية كأحدية : بلد من عمل نابلس ، فيه قبر زكريا ويحيى عليهما السلام . وضبطه ياقوت بفتح أوله وثانيه وتسكين ثالثه وكسر رابعه وتخفيف خامسه ولم يظهر فى الأصل إلا « بطية » ، وتصحيحه من خ .

(٢) فى الأصل : « ويتنح بين أيديهم بقراء » ، والصواب من خ .

(٣) كذا ورد مضبوطا ؛ ويضبط أيضا بضم النون . انظر النجوم الزاهرة : ٢٨٦ . وكان معين الدين وزيراً لحاكم دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى ، وتوفى سنة ٥٤٤ كما فى النجوم الزاهرة .

(٤) كذا فى الأصل و خ . والمراد عريض .

(٥) الصواب يزيد بن الطثرية كما فى الحيوان ٦ : ١٧٩ .

(٦) دم الزق ، عنى به الخمر فى حمرتها . والمزاهر : جمع مزهر ، وهو العود الذى يضرب به .

ويقال رجُل كالقناة ، وفرسٌ كالقناة . قال عروة بن الورد(١) :

متى مايجئْ يوماً إلى المال وارثى يجدْ جُمَّ كفٍّ غيرِ ملأى ولا صِفْرِ(٢)
يجد فرساً مثـــل القناةِ وصارماً حُساما إذا ما هزّ لم يرضَ بالهَبْرِ(٣)

ويقال للرجل إذا لم يكن معه عصا : باهل ، وناقة باهِلٌ إذا كانت بغير صِرار(٤) .

فصـــل

فى بديع ماجاء فى عصا الكبر :

وقال المولى مؤيّد الدّولة مؤلِّف هذا الكتاب أطال الله بقاءه فى المعنى :

أسفى على عصر الشباب تصرّمت أيامُـــه لا بل على أيامى(٥)
لم أبكه أسفاً على مرح الصِّبا ووصالِ غانيةٍ وشُربِ مُدام
لكن على جَلَدِى وخوضى معركاً يرتاع فيه الموتُ من إقدامى
بيَدَى حسامٌ كلّما جرّدتّه يومَ الوغى أغمدتُه فى الهــام
ولِصدرِ مُمتدِلِ الكعوب حطَمْته فى صدر كبشِ كتيبةٍ قمقام(٦)
ونزالِ فُرسانِ الهياج وكلُّهم فَرِقٌ لهول تقحّمى ومُقامى(٧)
ولقتلىَ الأُسدَ الضّوارىَ نحطُها كالرّعد قعقعَ فى مُتون غمام(٨)
تلقى إذا لاقيتُها أســداً له بأسٌ يُبيح به حِمَى الأجسام(٩)

---

(١) الصواب أنه حاتم الطائى. ديوانه ١٢١ والحماسة ٢ : ٣٧٤ . والبيتان فى البيان ٣ : ٥٩ بدون نسبة .

(٢) جم الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى الوارث كثيرا ولا قليلا ، بل شيئا بين بين .

(٣) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .

(٤) الصرار : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرتضعها ولدها. البيان ٣ : ٧٤ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة . تصرمت : تقطعت .

(٦) الكبش : الرئيس والقائد . والقمقام : السيد الواسع الفضل .

(٧) الفرق : الخائف الفزع .

(٨) النحط : صوت معه توجع .

(٩) خ : « حمى الآجام » جمع أجمة ، وهى الشجر الكثيف الملتف .

لو أنَّ عينَ أبى زُبَيدٍ عاينَتْ فتَكاتِه لأقرَّ بالإحجام[١]
فحملتُ من بعد الثمانينَ العصا متيقِّنا إنذارَها لِحمامى

وقال أيضاً أطال الله بقاءه فى المعنى :

مع الثمانين عاثَ الضَّعفُ فى جَلَدِى وساءنى ضعفُ رِجلى واضطرابُ يدى[٢]
إذا كتبت فخطِّى جِدُّ مضطربٍ كخطِّ مرتعشِ الكفين مرتعدِ[٣]
وإن مشيت وفى كفِّى العصا ثقُلت رجلى كأنى أخوض الوحل فى الجَلَد[٤]
فاعجَبْ لضعف يدى عن حملها قلماً من بعد حَطْم القنا فى لَبَّة الأسد
فقُلْ لمن يتمنَّى طولَ مدّته هذى عواقبُ طول العمر والمددِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : دخل علىَّ بالموصل سنة ست وعشرين وخمسمائة رجلٌ من أهل الموصل نصرانىٌّ يعرف بابن تَدرُس[٥] ، وهو شيخ كبير يمشى على عصا ليسلم علىَّ ، وأنشدنى والعصا بيده قبل السلام :

أحمَدُ الله إذ سَلِمتُ إلى أن صرت أمشى وفى يدى عُكّازه
نعمةٌ ليتنى بقيت عليها حذرًا أن أُشال فوق جِنَازه[٦]

وقال آخر :

عصيت العصا أيَّام شرخ شبيبتى فلما انقضى شَرخ الشباب أطعتُها
أحمِّلُها ثقلى ويحسب كلُّ مَن رآها بكفِّى أننى قد حملتها

---

(١) أبو زبيد الطائى ، حرملة بن المنذر، كان نصرانيا مخضرما ، وكان أوصف الناس للأسد ، وصفه بحضرة عثمان بن عفان وصفا مرعبا ، فقال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين. انظر الشعر والشعراء ٢٦٠ والأغانى ١١ : ٢٣ ـ ٣٠ والمعمرين ٨٦ والجمحى ١٣٢ والخزانة ٢ : ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٢) هذه الأبيات مما لم يرو أيضا فى ديوان أسامة . وقد أنشدها فى الاعتبار ١٦٣ . وانظر ابن خلكان ١ : ٦٣ والمسالك ١٠ : ٥٠٠ مصورة دار الكتب .
(٣) فى الأصل والمسالك : «لخط مرتعش» ، والوجه ما أثبت من خ والاعتبار .
(٤) الجلد : الغليظ من الأرض . (٥) خ : « بابن مرزينا » .
(٦) فى الأصل : «خالداً لأشال » ، وأثبت ما فى خ .

وقال المؤلّف رحمه الله(١) :

حمَلَتْ ثِقلِىَ فى السهل العصا   ونبَتْ بى حين حاولت الحزْونا(٢)

وإذا رجــلِىَ خانتنى فلا   لوم عندى للعصا فى أن تَخُونا(٣)

قال المؤلف : وأنشدنى العميد أبو الحسن على بن أبى الآمال بالموصل فى سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ولم يُسمِّ القائل :

مازلت أركب شاكلاتِ الربرب   حتّى مشَيت على العصا كالأحدب(٤)

وتزلّ رجلى كلّما ثبّتّها   فـكأننى أمشى الوحَى فى الطُّحلب(٥)

أأزيد ثالثة وأنقص عن مَـدَى   مشى اثنتين لقد أتيتُ بعجب

والليثُ لو بلغت سِنُوه سِنِىَّ أو   قارَبْنَهَا ، أمسَى فريسةَ ثعلب(٦)

قال : وأنشدنى القاضى الرشيد أحمد بن الزبير بمصر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، للشاعر المعروف بابن المكر بل(٧) :

تقوّس بعد طول العمر ظهرى   وداستنى الليالى أىَّ دوسِ

فأمشى والعصا تمشى أمامى   كأن قَوامها وترٌ لقوس

قال المؤلف رحمه الله : أنشدنى الخطيب مجد الدين أبو عمران موسى ابن الخطيب قدوةِ الشريعة يحيى الحِصْكَفِىّ(٨) رحمه الله ، بظاهر مَيّافارِقين فى شعبان سنة إحدى وستين وخمسمائة :

---

(١) كذا فى الأصل . وفى خ : « أطال الله بقاءه » هنا وفى سائر المواضع .

(٢) فى الأصل ، خ: «وثبت بى حين حاولت الحرونا»، صوابه فى الديوان ٣٢٣ . والحزون: جمع حزن ، بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض .

(٣) فى الأصل : « فى العصا أن تخونا » ، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه فى خ الديوان .

(٤) شاكلة الشىء : جانبه .   (٥) فى الأصل: « فى الطلب » ، وأثبت ما فى خ .

(٦) فى الأصل : « سنوه سنى أوقاربت » ، صوابه فى خ .

(٧) خ : « بالمكربل » .

(٨) نسبة إلى حصن كيفا ، وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . ويحيى هذا ، هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسن الحصكفى الخطيب ، ترجم له فى خريدة القصر ، وسرد طائفة من خطبه وأشعاره .

كبرتُ إلى أن صرتُ أمشى على العصا
لتجبر ما أعرَى الزّمان من الوَهن (١)
يقولون ماتَشْكى وهل من شكاية
أشدّ على الإنسانِ من كبر السنّ (٢)

قال : وأنشدنى أيضاً لبعضهم :

[حملتُ العصا لا الضَّعف أوجب حملها عَلَىَّ ولا أنّى تحنَّيتُ مِنْ كِبَرْ]
ولكننى ألزمت نفسِىَ حَمْلها لأُعلِمها أن المقيم على سفَرْ

قال : وأنشدنى بها الموفّق نصر بن سلطان لبعضهم :

كل أمرٍ إذا تفكرت فيه وتأملته تراه ظريفا
كنت أمشى على اثنتين قويا صرت أمشى على ثلاث ضعيفا

قال المؤلف رحمه الله :

إذا تقوّس ظهر المرء من كبر فعاد كالقوس يمشى والعصا وتر (٣)
فالموت أروح شىء يستريح به والعيش فيه له التعذيب والضرر (٤)

وقال أيضاً فى المعنى (٥) :

إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا له حين يمشى وهى تقدمه وترْ
وملّ تكاليف الحياة وطولَها وأضعفه من بعد قوّته الكبر
فإن له فى الموت أعظمَ راحةٍ وأمناً من الموت الذى كان ينتظر

وقال المؤلف رحمه الله :

حنانِىَ الدهر وأفنتنى الليالى والغِيَرْ
فصرتُ كالقوس ومِن عصاى للقوس وتر

(١) فى الأصل : « ليخبر ما أعدى الزمان على الوهن »، صوابه فى خ .
(٢) شكيت ، لغة فى شكوت .
(٣) فى الأصل و خ : « فعادة القوس » ، صوابه من الديوان ٣١٨ .
(٤) فى الديوان : « أروح آت » .
(٥) الأبيات التالية فى ديوانه ٣١٩ .

أهدج فى مشيى وفى خطوى فتورٌ وقِصر
كأننى مقيَّدٌ وإنما القيدُ الكِبر
والعمر مثل الماء ، فى آخره يأتى الكدرْ

وأنشدنى الأمير السيد شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين العلوى الحسينى ، بالموصل فى شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، لبعض المغاربة :

ولى عصاً فى طريق السَّير أحمدها بها أقدِّم فى تأخيرها قدمى
كأنها وهى فى كفِّى أهشُّ بها على ثمانين عاماً لاعلى غنمى
كأننى قوسُ رامٍ وهى لى وترٌ أرمى عليها رِماء الشَّيب والهرم

قال المصنف رحمه الله : وحدثنى الشريف الإمام شمس الدين أبو المجد على ابن على بن الناصر[1] للحق الحسينى الحنفى بالموصل، فى شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة قال : خرج خواجا بُزُرك[2] وفى يده عصا ، وهو ينشد هذين البيتين:

بعد الثمانين ليس قوه لهفى على قوّة الصُّبوّه[3]
كأننى والعصا بكفِّى موسى ولكن بلا نبوّه

قال: وأنشدنى أيضاً قال: أنشدنى والدى أبو الحسن على قال: أنشدنى والدى أبو طالب يحيى قال: أنشدنى والدى الأمير أبو شجاع وقد علت سِنُّه وحَمَل العصا :

أهدى لىَ الدهرُ رجلاً منه ثالثةً ما كان أحسَنَنى أمشى بثنتَينِ
أمشى بها وهى تمشى بى معاوِنةً ما كان أحسنَنى أمشِى بلا عَونِ

(١) خ : « الناصر الحق » .

(٢) هو نظام الملك الطوسى الحسن بن على بن إسحاق. انظر ما سبق فى صفحة ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) هذان البيتان نسبا إلى نظام الملك ، كما فى وفيات الأعيان. وهذه النسبة لا تستقيم، والشعر نفسه يأباها فإن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥ ، أى إنه لم يصل إلى الثمانين. والصواب نسبتها إلى أبى الحسن محمد بن أبى الصقر الواسطى ، كما فى الوفيات فى ترجمة نظام الملك . وابن أبى الصقر هو محمد بن على بن الحسن ، ولد سنة ٤٠٩ وتوفى سنة ٤٩٨ . ورواية ابن خلكان : «قد ذهبت شرة الصبوه». وكلمة « الصبوة » لم أجد لها سندا فى المعاجم، وفيها « الصبو » بدون هاء .

هديّةٌ كنت آباها فصيّرها   إلىّ بالرغم منى قُرّةَ العينِ
بانَ الشباب وجاء الشّيب يَصحبه   ياليتها صحبةٌ تبقى بلا بَينِ

وقال المؤلف رحمه الله :

ويْحَ السّنينَ ومرّها   ماذا بنا هى فاعله
جعلت عصاىَ ولم تكن   شُغلى لِكَفّىَ شاغله
محمولة هى فى المجا   ز وفى الحقيقة حامله
والعمرُ ألجأنى إلي   ها والقُوَى المتخاذله
والنفّس عما سوف تَلْ   قَى حين تُسْلَمُ غافله
وجميعُ مكروهاتِها   فى العيشة المتطاوله

قال المؤلف رحمه الله[1] .

قصّر خطوى وحَنَى صعدتِى   مُزَوَّرٌ دهرٍ خائن خابلٍ[2]
وصار كفّى مالكاً للعصا   من بعد حمل الأسمر الذابل
أمشى بضعفٍ وانحناء على   عصاىَ مشىَ الصائد الخاتل
كأنّنى لم أمش يوم الوغى   إلى نِزال البطل الباسل
ولم أشُقّ الجيش لا أختشى   من الردَى كالقدرِ النازل
فانظرْ إلى مافعل العمرُ بى   من طُوله لم أحظَ بالطّائل
يا حسرتا إنّى غداً ميّت   على فراشى مِيتةَ الخامل
هلاّ أتانى الموتُ يومَ الوغى   بين القنا والأسلِ الناهلِ

وقال أيضاً[3] :

نظرَتْ إلى ذى شيبة مُتهدِّمِ   أفناهُ ما أفنَى من الأعوام[4]
يمشى وتَقدُمُه العصا وقد انحنى   فكأنها وترٌ لقوس الرامى

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .

(٢) فى الأصل : « وقنا صعدتى . . . خاتل »، صوابه فى خ .

(٣) وهذه الأبيات أيضا مما لم يرد فى ديوانه .

(٤) فى الأصل : « أفنى وكم أفنى »، صوابه فى خ .

ورأتْ سِماتِ الأريحيَّة والنَّدَى ودلائلَ المعروف والإقــدام
واستَخبرَتْ عنِّى فقلت لها امرؤ نائى المواطن من كرام الشَّام
نَبَتِ الديارُ به وضاق فسيحُها عنه ففارقَها بغــير ملام
قالت من أىِّ الناسِ أنت فقلت مِن أولاد مُنقِذَ فى ذُرَى وسَنام
من معشر أبدًا تروح رماحُهم بدم العِدَى مخضوبة الأعلام
تحمى البلادَ سيوفُهم وتبيح ما تحميه دونهم سيوفُ الحامى
النازلين بكلِّ ثغر خائف والآمنين مَعـرَّةَ الُجرّام(١)
وإذا أناخ السائلون بجوِّهم عادُوا ثقالَ الظَّهر بالإنعام(٢)
كم فيهم عند الحقوقِ إذا عرَتْ من باذلٍ متبرِّع بسَّام(٣)
تُغنِى يداه إذا هما هَمَتاَ ندًى فى المَحْل عن صوب الغمام الهامى
يتهلَّلون طلاقةً ويخافهــم لسُطَاهمُ الآسادُ فى الآجام(٤)
قالت فأين همُ فقلتُ أبادَهمْ دهرٌ وهــل باقٍ على الأيام
وودِدْت لو ناهَلتُهم كأسَ الردى ووردْتُ قبلَهمُ حياض حِمامى
لحياةُ مثلى بعـد عزٍّ باذخ ومعاشرٍ غُلبٍ ومالٍ نام
ونفاذِ أمر لا يُرَدّ ، يُطيعه فيما قضى العاصى من الأقوام(٥)
لأشَدُّ مِن غُصص الِحمام وراحتى بالموت غايةُ مُنيَتِى وَمرامِى(٦)
فبكت بزفرة مُوجَع لو صادفت حجرًا لذاب من الزَّفير الحامى

وقال أيضاً :

حَمَّلْتُ ثقلى بعد ما شِبتُ العصا فتحملَته تحمُّــل المتكاره

---

(١) المعرة: الأذى والجناية . والجرام: جمع جارم ، وهو الجانى. وفى الأصل : « الحرام ».
(٢) الجو : ما انخفض من الأرض . وفى الأصل : « بنحوهم » ، صوابه فى خ .
(٣) فى الأصل : « متترع » ، صوابه ما أثبت من خ .
(٤) السطا ، أراد بها السطوات .
(٥) أى إن العاصى يخضع له. وفى الأصل: « مطيعه فيما قضى القاضى» ، صوابه فى خ.
(٦) فى الأصل : « لاشك » ، صوابه فى خ .

ومشت به مشىَ الحسير بوِقره   لا يستقل مقيَّدا بعِثاره(١)
ما آدها ثِقلى ولكن ثقل ما   أبقى الشباب علىّ من أوزاره(٢)
ورجاىَ معقودٌ بمن أعطى أخا السَّبعين عهدة عتقه من ناره

وقال أيضاً(٣) :

غَرِضتُ من الحياة فكلُّ عمرى   تصرَّم بالحوادث والخطوب(٤)
فما ظفرت يدى بسرورِ يومٍ   بغير هموم حادثةٍ مَشُوبِ
صِباً كالسُّكر أعقبه شباب   تقضّى بالوقائع والحروب
ووافى بعدَه شيبٌ بَغيض   فلا سَقياً لأيام المشيبِ
أرانى طِيبَ لذّاتى ولهوى   يعدُّ من الجهالة والعيوبِ
وأدّانى إلى كبرٍ وضعف   وأدواء خَفِينَ على الطبيب(٥)
إذا رُمتُ النُّهوض ظننتُ أنّى   حملت ذُرى الشَّناخب من عسيب(٦)
فإن أنا قمت بعد الجهد أمشى   فمشى حين أعجل كالدَّبيب
تسيِّرنى العصا هَوناً وخلفى   مسيرُ الموت كالرِّيح الهَبوب
وأفنَى الموتُ إخوانى وقومى   وأترابى فها أنا كالغريبِ
وفيما قد لقيت ردًى وموتٌ   ولكن ليس قلبى كالقلوب

---

(١) فى الأصل : « بعثاره » ، صوابه من خ والديوان ٣٢٣ .
(٢) كلمة « على » ليست فى الأصل ، وإثباتها من خ والديوان .
(٣) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .
(٤) يقال غرض غرضا، من باب تعب: أى أدركه الملال والضجر. وفى الأصل: «غوضت» ، صوابه فى خ . وقال أسامة أيضا فى ديوانه ٤٦ :

غرضت من الهجران والشمل جامع   ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر

(٥) فى الأصل : « وأدواء جفين » ، صوابه فى خ .
(٦) ظننت ، هى فى الأصل : « هممت » . صوابه فى خ . والشناخب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل وأعلاه . وعسيب : جبل بعالية نجد .

وقال أيضاً :

إنْ ضعفتْ عن حمل ثِقْلى رجلى ورابنى عِثارُها فى السهل[1]
أمْشى كما يمشى الوَجِى فى الوحلِ مشىَ الأسير مُوثَقاً بالكِبْل
فللعصا عندىَ عُذرُ المُبْلِى[2] إن عَجَزت أو ضَعُفَت عن حَملى

وقال أيضاً وكتب بها فى كتاب إلى ولده الأمير عضد الدين أبى الفوارس مرهَف إلى مصر يطلب منه عصاً من آبنوس[3] :

أريد عصاً من آبنوسٍ تُقلُّنى فإن الثمانين استعادت قُوَى رِجْلى
ولو بعصا موسى اتّقيتُ لآدها على ما بها من قُوَّةٍ حَمْلُها ثقْلى
ولكن تمنّينا الرّجاء بباطلٍ وكم قَدْرُما تُرجِى المنايا وكم تُمْلى[4]
إذا بلغَ المرء الثمانين فالرّدَى يناديه بالترحال من جانب الرّحلِ

وقال أيضاً[5] :

لما بلغت من الحياة إلى مَدَى قد كنت أهواهُ تمنّيت الرّدَى
لم يُبقِ طولُ العمر منى مُنّةً ألقى بها صَرْفَ الزّمانِ إذا اعتدى
ضَعُفت قوايَ وخاننى الثّقتانِ من بصرى وسمعى حين شارفتُ المَدَى
فإذا نَهَضتُ حسبت أنّى حاملٌ جبلاً وأمشى إن مشَيت مقيَّدا
وأدبُّ فى كفِّى العصا وعهدتُها فى الحرب تحمل أسمرًا ومهنّدا
وأبيت فى لِين المِهاد مسهّدًا قلقاً كأنّنىَ افترشت الجَلْمَدا
والمرء ينكَس فى الحياةِ وبينما بلغَ الكمالَ وتمَّ عادَ كما بدا

وقال أيضاً[6] :

ألوم الرّدَى كم خضته متعرِّضاً له وهو عنّى معرِضٌ متجنّبُ

---

(١) فى الأصل : «وداسنى» صوابه فى خ والديوان ٣٢٠ .
(٢) يقال أبلاه عذراً : أداه إليه فقبله . (٣) الأبيات التالية ليست فى ديوانه.
(٤) فى الأصل : «ترجى» وأثبت ما فى خ .
(٥) الأبيات التالية ليت فى ديوانه .
(٦) الأبيات التالية لم ترد فى ديوانه . وقد وردت ما خلا البيت الرابع فى كتاب لباب الآداب ص ٢٢٦ .

وكم أخذت منّي السُّيوفُ مآخذ الـ حِمامِ ولكنّ القضاء مغيَّبُ
إلى أن تجاوزتُ الثمانينَ وانقضت بُلَهنِيةُ العيش الذى فيه يُرغب[١]
وأصبحتُ أستهدِي العصا فتميلُ بى لضعفي عن قصدى كأنّيَ أنكَبُ[٢]
فمكروهُ ما تخشى النُّفوسُ من الرَّدَى ألذُّ وأحلى من حياتى وأعذب[٣]

وقال أيضاً[٤] :

وقد كان كفِّى مألَفاً لمهنَّدٍ تُعْرَى القلوبُ له وتُفرَى الهامُ[٦]
— قوله « تُعرَى » من العُرَواء، وهى الحُمَّى[٧] —
ولأسمرٍ لدنِ الكعوب وحازَه حيث استمرَّ الفِكرُ والأوهامُ
يتزايَل الأبطال عنّى مثلَ ما نَفَرت من الأسَد الهَصُورِ نعامُ
فرجَعتُ أحمِلُ بعد سبعينَ العصا فاعجَبْ لما تأتى به الأيّام
وإذا الحِمامُ أبَى معاجلَةَ الفتى فحياتُه لا تُكذَبَنَّ حِمامُ[٨]

قال مؤيّد الدولة مؤلّفُ هذا الكتاب، رحمه الله[٩] : هذا آخرُ ما قلته وجمعته، وألّفته ورصّفته، فى ذكر العصا. وبه تمّ الكتاب، بعون الملك الوهّاب.

---

(١) البلهنية : سعة العيش ورخاؤه ونعمته .
(٢) الأنكب : الذى كأنما يمشى فى شق ، أى جانب .
(٣) فى لباب الآداب : « وأطيب » . (٤) الأبيات التالية مما لم يرو فى ديوانه .
(٥) فى الأصل : « تفدى القلوب » صوابه فى خ .
(٦) فى الأصل : « الحاه » .
(٧) فى الأصل : « قوله تفدى من الفداء وهو الحماية» ، والصواب ما أثبت من خ. يقال عرته الحمى : أخذته بعروائها ، وهى الرعدة ، يقال عرى فهو معرو .
(٨) فى الأصل : « وإذا الحام أبى » ، صوابه فى خ .
(٩) « قال المولى مؤيد الدولة مؤلف هذا الكتاب أطال الله بقاءه، وحرس نعماءه » .

رســـــــالة التلميذ

لعبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ — ١٠٩٣

مقدمة

عبد القادر البغدادى :

فى سنة ١٠٣٠ وفى مدينة بغداد، ولد عبد القادر بن عمر البغدادى، وبغداد يومئذ فى محنة قاسية بين الدولة الصفوية وعلى رأسها الشاه عباس، والدولة العثمانية.

وفى سنة ١٠٤٨ حين حمى وطيس القتال حول بغداد وتدفقت إليها جيوش مراد الرابع العثمانى فانتزعتها من الإيرانيين، حينئذ رحل عبد القادر إلى دمشق فكان شيخه فيها محمد بن يحيى الفرضى، ولكنه لم يستقر بها عامين حتى شد رحاله إلى القاهرة فدخلها سنة ١٠٥٠ وكان شيخه فيها شهاب الدين الخفاجى، كما كان من شيوخه يس الحمصى، والنور الشبراملسى، والبرهان إبراهيم المأمونى. وبموت الخفاجى سنة ١٠٦٩ انتقلت معظم كتبه إلى عبد القادر، وضم إليها بعد ذلك كتباً أخرى جليلة الشأن. وفى سنة ١٠٧٧ وهى السنة التى تولى مصر فيها إبراهيم باشا كتخذا، اتصل به عبدالقادر فأحله محلا كريماً، وكان سميره ونديمه، وظل ملازما له إلى انتهاء مدة ولايته سنة ١٠٨٥ فرجع معه إلى ديار الروم، واتصل حبله هناك بالوزير أحمد باشا الكوپريلى فألف باسمه (شرح قصيدة بانت سعاد)، ثم بالسلطان محمد بن السلطان إبراهيم، فتوج باسمه كتابه الكبير (خزانة الأدب)، وظل فترة من الزمن مضطربا بين الشام والروم، ثم عاد من طريق البحر إلى مصر ولم تطل مدته بها حتى توفى فى سنة ١٠٩٣[1].

التلميذ :

كلمة ضعيفة الصلة بالأصول العربية فى مادتها، لذلك صرح بعض اللغويين القدماء، وفى مقدمتهم ابن دريد فى الجمهرة ٢ : ٣٧ وابن فارس فى مقاييس اللغة ١ : ٣٥٣، والجواليقى فى المعرب ٩١، والخفاجى فى شفاء الغليل بأنها ليست عربية الأصل.

---

(١) انظر خلاصة الأثر للدولى المحبى ٢ : ٤٥١ — ٤٥٤ ومقدمة الأستاذ محب الدين الخطيب لخزانة الأدب التى اضطلعت بأكبر عبء فى تحقيقها من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١.

ومهما يكن فإن هذه الكلمة سامية الأصل ، ومأخذها إما أن يكون من العبرية ، وإما أن يكون من السريانية . وذهب معاصرنا اللغوى الفاضل (الأب مرمرجى الدومنكى) أن أصلها الأول من العربية نفسها[1] وذلك بناء على القاعدة التى ينصرها ، وهى قاعدة (الثنائية) التى ترجع أصول الكلمات إلى أصل ثنائى تتفرع منه الثلاثيات فما فوقها ، فهو يقول إن الأصل الثنائى للكلمة موجود فى العربية وهو «لد» الدالُّ على الشدة ، ومنه اشتق «لدم» الدال على الضرب ، ثم قلب إلى « لمد » بمعناه ، ثم اشتق منه التلميذ .

وأنا أرى أن هذه المحاولة البارعة يمكن إجراؤها فى كثير من الكلمات المعربة . فنستطيع أن نرد كثيرًا من الكلمات المعربة والدخيلة إلى أصل عربى، وهو لا يستقيم.

وقد تضمن مقاله النفيس، مقارنة ممتعة بين اللغات السامية فى مادة هذه الكلمة .

(فى السريانية) : « لْمَدْ » : جمع ، ضم ، أضاف . « تَلْمِيذ » : هذّب ، علم ، أرشد . « تَلْمِيذَا » : طالب علم ، متعلم .

(فى الأرمية) : « تَلْمِيذَا » طالب علم .

(فى المندائية) : « تَرْميدا » : تلميذ .

(فى العبرية) « لاَمَدْ » : ضرب بالسياط ، عاقب ، روّض . « مَلْمَيْدْ » : مهماز يضرب به للترويض ، خاصة للحيوانات . « تَلْمُود » : تعليم ، نظرية . « تَلْمِيذْ » : متعلم ، دارس .

(فى الحبشية) : « لَمَدَ » : تعود، آلف، واظب . « لَمُودْ » : متعوّد ، أليف : « لِمَاد » عادة ، طبع . « تِلْمِيذ » طالب علم ، دارس .

(فى الأكدية) : « لَمَادُو » : تعلّم ، عرف . « لَمَادُوتو » : تعلُّم ، عرفان . « مُلَمِّدُو » : معلم ، أستاذ . « تَلْمِيدُو » : دارس ، طالب علم .

---

(١) مجلة الثقافة العدد ٦٤٢ إبرايل سنة ١٩٥١ . والمقال كتب بمناسبة مقال قبله للأستاذ الجليل أحمد عبد الغفور عطار ، عنوانه (التلميذ فى لغة العرب) نشر فى مجلة الثقافة العدد ٦٣٤ فبراير سنة ١٩٥١ .

(فى العربية) : « لَمَذَ » : تواضع له بالذلّ . « لَمَذَهُ » : لدمه (بالقاب) .
« تلمَذَ له ، وتتلمذ » : صار له تلميذا، تخرج عليه ؛ «التلميذ» : المتعلم العلم أو المهنة.

رسالة التلميذ :

كنت قد نشرت هذه الرسالة أول مرة فى مجلة المقتطف (عدد مارس ١٩٤٥) . وقد رأيت إعادة نشرها فى (نوادر المخطوطات) لندرتها، ولما ثار حولها وحول موضوعها فى هذه الأيام من بحث جديد .

وقد ذكر البغدادى فى صدر رسالته أنه لم يجد كلمة « التلميذ » فى الجمهرة ، والصحاح ، والمحكم ، والعباب ، والقاموس . فعقب عليه الأستاذ المحقق (أحمد عبد الغفور عطار) فى مجلة الثقافة ، بأنها وجدت فى جميع هذه الكتب ، ولكن فى غير مظنها، أى فى مادة (تلم)، وأما صاحب العباب فإنه لم يذكر هذه الكلمة لأن تأليفه إنما وصل إلى مادة (بكم) ولم يتم تأليف معجمه . وزاد على ذلك أن الكلمة وردت فى مادة (تلم) من المجمل والمقاييس لابن فارس والتهذيب للأزهرى والمخصص ١٢ : ٢٥٧ والقرطين لابن مطرف الكنانى ، وشفاء الغليل للخفاجى .

ولكنه قد غاب عن الأستاذ الباحث عطار ، أن البغدادى لم يعن بكلامه فى صدر رسالته أنه لم يجد الكلمة فى تلك الكتب، بل أراد أنه لم يجدها فى مادتها التى يتوقعها فيها الباحث وهى (تلمذ) ، بدليل أن البغدادى نفسه أورد فى رسالته نصوصا من الصحاح والقاموس والتهذيب من مادة (تلم) وفيها ذكر التلميذ والتلاميذ .

أصول رسالة التلميذ :

أصول هذه الرسالة ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية : إحداها برقم ٦ مجاميع ش ، والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد رمزت إلى هذه النسخ بالرموز : ا ، ب ، ج على التوالى . وأصح هذه النسخ وأكملها هى نسخة ب ، وكل ما أثبته بين علامة الزيادة فهو منها .

وفى الخزانة التيمورية نسخة بخط المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا كتبها بخطه سنة ١٣٢٢ . وهذه رسالة التلميذ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإنى لم أجد هذه الكلمة مذكورة فى كتب اللغة المتداولة، المدوّنة [لبيان] الجليل والحقير، وذكر النقير والقِطْمير، كالجمهرة لابن دريد، والصّحاح للجوهرى، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغانى، والقاموس لمجد الدين الفيروزابادى، وغيرها، إلاّ فى لسان العرب لابن مكرّم، فإنه أورده فى مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ : الخدَم والأتباع، واحِدُهم تِلميذ » ، مع أنّها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال فى تآليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أنى لما قرأت كتاب مغنى اللبيب، ووصلت إلى قوله فى الباب الخامس « حُكِىَ لى أنّ بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيتَ المفصّل[1] » رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملاّ الحلبى[2] قال : « التلميذ : القارئُ على الشيخ . ولم أقف عليه فى شىء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما » اه .

فحينئذٍ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته فى كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى، فإنه ساق[3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامرىّ الصحابى وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهنّ كما يجلو التلاميذُ لؤلؤاً قَشِبا[4]

وقال بعد إنشاد الأبيات : «التلاميذ غلمان الصنّاعِ . والقَشِب والقشيب : الجديد، والجمع القُشُب» .

---

(١) المفصل للزمخشرى فى النحو . انظر شرح ابن يعيش ٢ : ٩٤ . والبيت هو :
لايبعد الله التلبب والغا رات إذ قال الخميس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبى المتوفى سنة ٩٧٩. ذكره فى كشف الظنون. وفى ا، حـ : « حلبى » موضع . « الحلبى » تحريف .

(٣) ا، حـ : « سابق »، والصواب فى ب.

(٤) ديوانه ١٤١ بشرح الطوسى، وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة .. التلاميذ فارسى» .

ورأيته أيضاً فى شعر أمية بن أبى الصلت، وهو شاعر أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يوفَّق للإيمان به. وغالب شعره فى الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء، وهو مما لا يكاد يُقضَى العجب منه. قال فى قصيدة:

والأرض مَعقِلُنا وكانت أمَّنا   فيها مقامتُنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قُذفاتُها   حُبِسوا قياماً فالفرائص تُرْعَدُ[(١)]

قال شارح ديوانه: « التلاميذ الخدم، يعنى الملائكة ».

وقال أيضاً فى قصيدة أخرى:

صاغ السماء فلم يخفض مواضعَها   لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كشِّفت مرةً عنَّا ولا بليت   فيها تلاميذ فى أقفائهم دَغَمُ[(٢)]

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك.

ورأيت فى المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله: « فوجدته محاذياً لتلميذ، على خبز سميذ، وجدى حنيذ، وقبالتهما خابيةُ نبيذ[(٣)] ». قال شارحه الشريشى: « التلميذ متعلم الصنعة، والتلميذ الخادم، والجميع التلاميذ». وأنشد بيت لبيد المتقدم، ثم قال: « وطابة العلم تلاميذ شيخهم » اهـ.

وإهمال داله لغة فيه، قال أمية بن أبى الصلت فى القصيدة الدالية التى تقدم إنشاد بيتين منها:

فمضى وأصعد واستبدَّ إقامةً   بأولِى قوًى فمبتَّل ومُتلمَدُ

قال شارحه: «يريد متلمَد، أى خادم من التلاميذ. وتُلمِذ: جُعل للخدمة. «متلمِد» بكسر الميم. وأراد بأولى قوى: الملائكة الذين يحملون العرش. وقوله: « فمضى » يعنى الله عزّ وجل. واستبدّ، يعنى لا يستشير أحداً، يقال استبدّ

(١) القذفات بضم الذال وفتحها: جمع قذفة، بالضم، وهى الناحية. وقذفات الجبال وقذفها: ما أشرف منها.   (٢) الدغم: السواد.

(٣) هذا سهو من البغدادى، فإن الشريشى فى هذا الموضع لم يقل إلا: « تلميذ، متعلم الصنعة ». انظر الشريشى ١: ٢٩ س ١. وأما الكلام الذى نقله البغدادى بعد فهو تعليق على قول ابن الحريرى: فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرنى من ذا». انظر الشريشى ١: ٣٠.

فلان برأيه ، إذا لم يستعن أحداً على ما يريد . والمبتّل : المفرد اه .

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية ، ووزن تلميذ فِعليل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتِلماذا ، كدَحْرَجَة ودِحْراجاً ، فهو متلمذ كَمُدَحْرِج بمعنى خادم ، وذاك متلمَذ أى جعل خادماً[1] .

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه فى الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تلمّذ له » و « تلمّذ منه » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهّموا أن التاء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تلمّظ له » و « تلمظ منه[2] » بالظاء المشالة المعجمة . ولمّظه أى أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبُّع اللسانِ بقية الطعامِ فى الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئًا فشيئًا .

والتلميذ يجمع على تلاميذ ، فإنّ فِعْليلا يجمع على فَعَاليل ، كبرطيل وبراطيل ، وعفريت وعفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، ومِنْديل ومناديل . وأما قولهم فى جمعه « تلامذة » فعلى توهم أنه اسم أعجمى[3] ، فإن الهاء فى الجمع تكون فى أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمى المعرب ، سواء كانت للتعويض عن مَدّةٍ نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج وموازجة ، وكيلجة وكيالجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب فى المفرد ، نحو أشعثى وأشاعثة ، ومهلبى ومهالبة ، وأزرقى وأزارقة . (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حبنطى وحبانطة ، وعفرنى وعفارنة ، وإما عن [عين[4]] مضاعفة نحو جبار وجبابرة . وفى غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة.

قيل : وقد يرخم التلاميذ فى الشعر على تلَام ، كقول الطرِمّاح :

تتقى الشمس بمدريّةٍ   كالحماليج بأيدى التلام

---

(١) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من تلمذه أى جعله خادماً .

(٢) هذه فتوى لغوية للبغدادى . ولما يستعمل هذا التعبير ، ولا أظنه سائغاً .

(٣) كأن البغدادى يذهب إلى أنه عربى .

(٤) كتبت كلمة عين فى ا ، حـ لـكن جعل فوقها خط، والصواب إثباتها.

والحاليج: منافخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج. شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقى فى المعرّبات[١] : «التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ» . وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن برى فى حاشية الصحاح قول غَيلان بن سلمة الثقفى[٢] أيضاً :

وسربال مضاعفة دِلاص قد أُحرزَ شكَّها صُنعُ التّلامِ

وروى : « التلام » فى البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرخّم التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الدال » .

وصاحب الصحاح تابع فى هذا لأبى على ، قال فى المسائل العسكرية[٣] : ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

* مثل الحماليج بأيدى التلامْ *

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم . إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون فى الترخيم كقوله[٤] :

* دَرَس المَنَا بِمُتَالعٍ فأبانِ *

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبى دُوادٍ[٥] الإيادى :

* فكأنما تذكى سنابكها حُبَاً[٦] *

قيل يريد الحباحب، أى نار الحباحب . وفى التنزيل: «فالموريات قَدحًا» . انتهى كلامه .

---

(١) المعرب للجواليقى طبع دار الكتب ص ٩١ .

(٢) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢: ٤٣ــ ٤٧.

(٣) المسائل العسكرية لأبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٣٧ . نقل منها البغدادى نصوصاً جليلة فى مواضع شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩ ، ١٤ / ٢ : ٦٢ ، ٢٧٥ ، ٤٠٢ ، ٥٢٢ / ٣ : ٤٦ / ٤ : ٦٧ ، ٧٣ ، ٥٨٢ ، ا ، ح « مسائل العسكرية » تحريف .

(٤) هو لبيد بن ربيعة. والبيت مطلع قصيدة له فى ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه :

* وتقادمت بالحبس فالسوبان *

(٥) ا ، ح : «لأبى دؤاد » بالهمز . (٦) روى البيت فى اللسان ١ : ٢٨٨ هكذا :

بذرين جندل حائر لجنوبها فكأنها تذكى سنابكها الحبا

وأما الكسر فعلى أنه جمع «تلم» بكسر فسكون، بمعنى الغلام . قال ابن مكرّم(١) : فمن(٢) رواه : التلامى، بفتح التاء وإثبات الياء، أراد التلاميذ، يعنى تلاميذ الصاغة. هكذا رواه أبو عمرو، وقال : حذف الذال من آخرها(٣). ومن رواه : التلام، بكسر التاء، فإنّ أبا سعيد قال : التلم الغلام . قال : وكلُّ غلامٍ تِلمٌ، تلميذاً كان أو غير تلميذ، والجمع التلام . وقال ابن الأعرابى : التلام : الصّاغة، والتلام : الأكرة »اهـ .

وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع(٤) لوقوعه فى صحبة الحماليج . ويدفعه البيت الثانى(٥) .

وقال صاحب القاموس : « التلم، بالكسر : الغلام، والأكّار، والصائغ أو منفخهُ الطويل . وكسحاب : التلاميذ، حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهرى غيرها، وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » اهـ .

أقول: أما قوله : « الأكّار والصائغ » فأخذه من قول ابن الأعرابى، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار .

وأما قوله : « أو منفخه » فقد أخذه من قول بعضهم، وقد غلط فيه .

نقل الأزهرى عن الليث أن بعضهم قال : التلام الحماليج التى ينفخ بها . قال : وهذا باطل(٦) .

والعجب من صاحب القاموس، أنه اعترض على صاحب الصحاح فى ذكره التلام فى باب الميم، مع أنه أثبته مثله، ولم يذكره فى باب الذال .

[انتهت الرسالة]

---

(١) فى لسان العرب مادة تلم . (٢) فى الأصل: «ومن»، وصواب النص من اللسان .

(٣) أسقط البغدادى هنا قول ابن منظور : «كقول الآخر:

لها أشارير من لحم تتمره من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب، ومن أرانبها». وهذا البيت لأبى كاهل اليشكرى كما فى اللسان ٥ . ١٦١.

(٤) حـ فقط : « فى الصناع » . (٥) يشير إلى بيت غيلان بن سلمة .

(٦) فى اللسان : « قال أبو منصور ـ وهو الأزهرى ـ قال الليث : إن بعضهم قال التلاميذ الحماليج التى ينفخ فيها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .

فهرس المجموعة الثانية

صفحة

نوادر المخطوطات

٣

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الثالثة

١٠ — رسالة أبى عامر بن غرسية فى الشعوبية .

١١ — رسالة فى الرد عليها لأبى يحيى بن مسعدة .

١٢ — رسالة ثانية فى الرد عليها .

١٣ — رسالة ثالثة لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسىّ .

١٤ — رسالة رابعة لأبى الطيب بن من الله القروىّ .

الطبعة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات)، وهى وثيقة هامة تقدم إلى خاصة الأدباء والباحثين مادة غزيرة فى ناحية مغلقة من نواحى الأدب العربى، وتعرض لونا من ألوان الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية فى بلاد الأندلس فى القرنين الخامس والسادس.

وقد كان للصديق الفاضل «الدكتور شوقى ضيف» فضل تعريفى برسالة ابن غَرسِيَة التى لم أكن أعرف عنها إلا الاسم فحسب، وقد عثر عليها فى أثناء تفتيشه لذخيرة ابن بسام[1].

وعند مارجعت إلى الذخيرة وجدت النص، فيها مضطربا شديد التحريف، فبحثت عن مرجع آخر يسعف فى تحقيق هذا النص، فساقنى المطاف إلى فقر متناثرة نشرها المستشرق الألمانى الكبير إجنتز جولد تسيهر Ignaz Goldziher فى أثناء بحثه فى (الشعوبية عند مسلمى الأندلس) الذى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الثانى عشر بمدينة روما فى أكتوبر سنة ١٨٩٩ ونشره فى مجلة الجمعية الألمانية الشرقية[2].

وقد رأيت أن أطلع على البحث المكتوب باللغة الألمانية، فاتصلت بالصديق الفاضل «الدكتور عبد الحليم النجار» الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة، الذى كان له فضل إمدادى بترجمة دقيقة لهذا البحث استوجبت جزيل شكرى وعظيم التقدير.

---

(١) القسم الثالث من مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ ص ٢١٩ — ٢٣١ .

(٢) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft المجلد ٥٣ ص ٦٠١ — ٦٢٠ ليبسك ١٨٩٩ .

وكان فى النية أن أنشر هذه الترجمة النفيسة فى هذه المجموعة، ولكنى وجدت فيما بعد أن نطاق المجموعة يضيق عن استيعاب نص هذا البحث المسهب، فآثرت أن أوجزها إيجازاً، وأن ألحقها بنهاية هذا التقديم .

وقد دلنا جولد تسيهر على مخطوط فى مكتبة الإسكوريال برقم (٥٣٨) يتضمن هذه الرسالة وبعض الردود عليها . وهو مخطوط نادر مكتوب بخط مغربى مجهول التاريخ وإن كان يبدو عليه سمة القدم، كتب فى صدره :

« الحمد لله . مجموع فيه مبايعة على بن أبى طالب أبا بكر الصديق رضى الله عنه وتفسير ألفاظها لغة، ومكاتبات الأمير على بن يوسف بن تاشفين، ومخاطبة الراهب الفرنسى وجوابه للإمام أبى الوليد الباجى، ومكاتبات أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء، ومضحكات وغرائب . بالله يثق وعليه يتوكل ويعتمد مالكه محمد ابن يوسف بن محمد. وفيه المراسم الجدلية ومسائل من أصول الفقه. والحمد لله وحده » .

وهذه العنوانات هى بعض ما ورد فى مجموعة الإسكوريال، وهناك عنوانات أخر لرسائل كثيرة تضمنها هذا المجموع النادر .

وبذلك اجتمع لنا نصان يسعفان فى نشر هذه الرسائل النادرة .

نص الذخيرة ونص مجموعة الإسكوريال

أما نص الذخيرة[1] فإنه يشتمل على رسالة ابن غرسية، ورسالتين أخريين هما :

١ — رد أبى جعفر أحمد بن الدودين .

٢ — ثم رد أبى الطيب بن من الله القروى .

وأما نص المجموعة فإنه يشتمل على الرسالة وعلى ردود أربعة، وهى :

١ — رسالة أبى يحيى بن مسعدة .

٢ — ثم رسالة لم يصرح باسم كاتبها، وأرجح أنه أبو يحيى .

٣ — ثم رسالة أبى جعفر بن الدودين .

---

(١) مما يجدر ذكره أن جولد تسيهر لم يطلع على هذا النص، ولم يشر إليه فى بحثه . وكان ذلك سببا فى عثرته التى أشرت إليها فى ص ٢٤٢ .

٤ — ثم رسالة أبى الطيب بن من الله القروى .

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب مجموعة الإسكوريال قد نقل الرسالتين الأخيرتين من الذخيرة ولم يصرح بذلك ، فإننا نجد نص رسالة أبى جعفر بن الدودين هو نص الذخيرة ، لا يفترقان إلا فى القليل .

ونلقى صدر رسالة أبى الطيب فى المجموعة هو عبارة ابن بسام وسجعه فى الذخيرة بالحرف الواحد : « وممن رد عليه وأجاد ، ما أراد ، أبو الطيب بن من الله القروى برسالة طويلة أثبت منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل » .

ثم نرى توافقاً تاماً فى تقسيم فصول الرسالة وفقرها ، إذ يبدو لنا أن هذا النص مؤلف من فصول مختارة من الرسالة ، وليس نصًّا كاملا .

ثم نطالع هذه العبارة فى الورقة (١٥١) : « قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان كلامهم فى احتجاج طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل » . وهذه هى عبارة الذخيرة بنصها . وصاحب الكتاب هو ابن بسام صاحب الذخيرة بلا ريب .

فلأن نص مجموعة الإسكوريال أعظم قيمة من حيث هى أقدم خطًّا ، وأصح متنًا ، وأكثر استيعابًا فى النص ، واشتمالا للردود — جعلتها أصلًا فى نشر هذه المجموعة ، وجعلت نص الذخيرة للمقابلة والاستعانة فى التحقيق .

أبو عامر بن غرسية :

أفرد له على بن سعيد صاحب المغرب المتوفى سنة ٦٨٥ ترجمة خاصة[1] قال فيها :

« أبو عامر بن غَرسِيَة[2] من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، إن كان نصابه

---

(١) المغرب ٤ : ٢٣٦ مخطوطة دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ .

(٢) غرسية تعريب « جارسيا » : Garcia ومعناه فى الأسبانية ذو الحيلة ، أو الثعلب أو الماكر ، كما ورد فى معجم المجمع العلمى الأسبانى (Dicionario de la Lingua Española) وهو علم شائع فى بلاد الأندلس تسمى به كثير من ملوكهم وأمرائهم وفرسانهم . وذكر ابن حزم فى جمهرة الأنساب ٤٦٧ تحقيق بروفنسال : « غرسية » ملك البشاكسة الذى زفت إليه أورية بنت قسى ، فولدت له « موسى بن غرسية » . ومن أبرز علماء المشرقيات الأسبانيين المعاصرين صديقنا الأستاذ « إميليو جارسيا جوميز » : Emilio Garcia Goméz الأستاذ

فى العجمية ، فقد شهدت له رسالته المشهورة بالتمكن من أعنة العربية ، وهو من أبناء نصارى البشكنس[١] ، سبى صغيراً وأدبه مجاهد مولاه ، ملك الجزر ودانية . وكان بينه وبين أبى جعفر بن الخراز صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم ابن صمادح ملك المرية ، ناقداً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بلاده » .

ثم قال : ومن شعره :

إن أصلى كما علمت ولكـ ـن لسانى أعز من سحبان
وأنا من خير الملوك بصدر هل ترى بالقناة صدر السنان

ويحمل هذا النص :

١ — أن مولد أبى عامر كان ببلاد البشكنس . ويفهم ذلك أيضاً من نصوص البلوى فى كتابه ألف باء ١ : ٣٥٠ .

٢ — وأنه انتقل إلى دانية من أعمال بلنسية فى سباء وقع عليه وهو صغير ، حيث ربى فى كنف أبى الجيش مجاهد العامرى[٢] .

= بجامعة مدريد . ومما يجدر ذكره أن هناك عالما جليلا من علماء الأندلس يشترك مع أبى عامر فى الكنية ، وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية القرطبى المالكى ، ويعرف أيضاً بمولى بنى فطيس ، ولاه متولى قرطبة على بن محمود الحسنى القضاء سنة ٤٠٧ وتوفى فى شعبان سنة ٤٢٢ وله ثمان وخمسون . ذكره الذهبى فى سير النبلاء (القسم الأول من الجزء ١١ مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) . قال الذهبى : « ولم يجئ بعده قاض مثله » .

(١) البشكنس أو البسك : Basques ويسميهم المسعودى «الوشكنس» هم قوم يسكنون مابين جنوب فرنسا والشمال الشرقى من أسبانيا مما يجاور خليج « بسكاى » . ويتميزون عن جيرانهم بلغتهم غير الآرية ، ولهم ميل إلى الأخذ بالخرافات والمحافظة على القديم ، وهم ذوو حماسة وكبر وتمسك بالمعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية ، تبلغ عدتهم نحو ٦٠٠ ألف منهم ١٢٠ ألفا فى الأقاليم الفرنسية . انظر المعلمة البريطانية ، وكذا :
Great encyclop:dia of uniyeal krsnowlages

(٢) هو أبو الجيش ، الموفق مجاهد بن عبد الله العامرى ، مولى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر . نشأ بقرطبة ، ولما جاءت الفتنة وتغلبت العساكر على النواحى بذهاب دولة بنى أبى عامر ، قصد إلى الجزائر التى فى شرق الأندلس فغلب عليها وحماها ، ثم حاول الاستيلاء على سردانيه فنجح ثم صدته الروم ، ثم استولى على دانية وما يليها ، وتوفى سنه ٤٣٦ . جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ تحقيق محمد بن تاويت .
وفى المغرب ٤ : ٢٢٦ : « وكان جليل القدر ، له غزوات فى النصارى فى البحر =

٣ — ويبدو أن أبا عامر كان له شأن عظيم فى دولة مجاهد ، الأمر الذى حمله على أن يستدعى صديقه أبا جعفر بن الخراز لينضم إليه فى خدمة مولاه مجاهد . كما يفهم من نص لابن الأبار[1] أنه كان لابن غرسية ولد سماه «أبا جعفر أحمد» كان له مؤدب خاص من بين العلماء ، وهو « أبو العباس الجريرى » . قال : « وسكن دانية وكان بها يؤدب أبا جعفر أحمد بن أبى عامر بن غرسية الكاتب » . فهذا دليل على أنه كان من خواص الدولة ، ودليل أن عمله الرسمى كان الكتابة .

٤ — ويفهم أيضاً من هذا النص ومن ترجمة مجاهد التى سقتها من قبل أن ابن غرسية وجد فى كنف مجاهد مرعى صالحاً لشعوبيته ، إذ أن مجاهداً كان مولى من موالى الروم ، وهم مظنة البعد عن العصبية العربية .

وفى ذلك يقول أبو يحيى بن مسعدة فى أواخر رسالته :

أبا عبد عبـــد ألا تستحى ولا لك دون النهى زاجر

فهو يعيره بأنه مولى مولى .

بل يبدو أن « مجاهداً العامرى » كان مأوى وملاذاً للشعوبيين ، فكما نشأ ابن غرسية فى بلاطه ، نجد عالماً آخر لائذاً بكنفه ، وهو اللغوى ابن سيدة صاحب المخصص جاء فى سير النبلاء[2] فى ترجمته : « كان شعوبياً يفضل العجم على العرب » ثم قال : « وكان منقطعاً إلى الأمير مجاهد العامرى » .

٥ — وهو يحاول أن يجتذب صديقه أبا جعفر بن الخراز من كنف ملك عربى ، هو المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبى[3] ، وكان المعتصم

= مشهورة ، ومن أعظم مافتحه جزيرة سردانية الكبيرة ، وكان محباً للعلماء محسنا لهم ، كثير التولع بالمقرئين للكتاب العزيز حتى عرف بذلك فى بلده ، وقصد من كل مكان ، وشكر فى الأقطار بكل لسان ، وقد أثنى عليه ابن حيان فى كتاب المتين بهذا الشأن . وقد وفد عليه أفذاذ الشعراء كإدريس بن اليمان ، وجلة العلماء كابن سيدة » .

ومما يجدر ذكره أن مجاهدا كان « رومى » الأصل . انظر المعجب للمراكشى ص ٤٨ طبع السعادة . وانظر أخباراً أخرى لمجاهد مع العلماء فى جذوة المقتبس ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٣

(١) فى المعجم ص ٢٩٩ .

(٢) سير النبلاء ج ١١ القسم الثانى ص ١٨٠ مصورة دار الكتب .

(٣) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ٤٧ ، ووفيات الأعيان ، والحلة السيراء ١٧٢ . وكانت وفاته سنة ٤٨٤ . وتجيب : بطن من كندة .

ملكا على المرية ، وهى مدينة كبيرة من كورة ألبيرة من أعمال الأندلس، وكانت هى وبجانة بابى الشرق .

٦ — وهو فى ذلك يعتب عليه ، لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح ، كما يفهم من نص المغرب مقرونًا إلى نص ابن بسام التالى .

تاريخ الرسالة:

مما لا يتطرق إليه الشك أن الرسالة كتبت فى حياة مجاهد ، مولى أبى عامر ابن غرسية، بعد استقلاله على « دانية » . وتمتد حياة مجاهد السياسية ما بين سنتى ٤٠٦ و٤٣٦ . وكانت دانية آخر ما استولى عليه من البلاد ، وفيها وطد ملكه[1] .

أبو جعفر بن الخراز:

نص المغرب فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية[2] يعين أن الذى أرسل إليه أبو عامر رسالته هو « أبو جعفر بن الخراز » .

وكذلك نص ابن بسام فى الذخيرة يقول إن أبا جعفر بن الخراز هو الذى أرسلت إليه الرسالة . قال ابن بسام فى صدر ترجمته لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى[3] :

« وأخبرنى برسالته التى رد فيها على أبى عامر بن غرسية، وكان — لحاه الله وأبعده — قد استقر بمدينة دانية فى كنف مجاهد ، فخاطب الأديب أبا جعفر بن الخراز معاتباً له لتركه مدح مجاهد، واقتصاره على مدح ابن صمادح التجيبى .. » .
ثم قال : « وهذه نسخة رسالة ابن غرسية يخاطب الشاعر ابن الخراز » .

ونص ثالث فى التكملة[4] فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

---

(١) جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ .
(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(٣) القسم الثالث من الذخيرة ص ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
(٤) التكملة ١ : ١٥٧ .

ابن سهل الأنصارى المعروف بابن الخراز ، قال : « وكان أبوه أبو جعفر أيضاً شاعراً[(١)] ، وهو الذى خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة » .

فهذه المراجع جميعها تنص نصاً واحـداً ، أن الذى كاتبه أبوعامر بن غرسية إنما هو « أبوجعفر بن الخراز » .

ولـكننا نجد فى صدر هـذا النص من مجموعة الإسكوريال أن الذى كاتبه أبو عامر إنما هو « أبو عبدالله بن الحداد » .

ويزيد فى هذه الشبهة أننا نجد شاعراً كان يلزم ابن صمادح ويمدحه ، وهو « أبو عبدالله بن الحداد » واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم القيسى ، كما ذكر ابن خلـكان[(٢)] .

ويقويها أيضاً ما ورد فى سير النبلاء للذهبى[(٣)] فى ترجمة ابن صمادح : «ومن وزرائه أبو بكر بن الحداد الأديب » .

والقول فى ذلك أنهما — كما يبدو — شخصان مختلفان فى الاسم والنسب والانتساب ، اتصل كل منهما بابن صمادح ومدحاه ، ولـكن الذى أرسل إليه ابن غرسية الرسالة إنما هو «أبوجعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سهل الأنصارى » المعروف بابن الخراز .

ومما يعزز ذلك أن صاحب المغرب نص عليه فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية . وصاحب المغرب يعرف ابن الحداد أيضاً ويترجم له فى موضع آخر من المغرب[(٤)] ، قال : «أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الحداد القيسى ... وصفه الحجارى وابن بسام

---

(١) من شعره ما أنشده المقرى فى نفح الطيب ٥ : ٤٣ :

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها لأوراقها ظـل على ممـد
يرى جاريا ماء المـكارم تحتها وأطيار شكرى فوقهن تغرد

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ فى ترجمة محمد بن معن بن أحمد بن صمادح . وأنشد ابن خلـكان وكذا المقرى فى نفح الطيب ٤ : ٢٤٦ / ٥ : ٢٤٠ مدائح لأبى عبد الله بن الحداد فى المعتصم ابن صمادح .

(٣) القسم الثانى من الجزء ١١ ص ٢٨٤ مصورة دار الـكتب .

(٤) المغرب ٥ : ٢٣٥ من النسخة ١٠٣ تاريخ م .

بالتفنن فى العلوم ولا سيما القديمة . وديوان شعره كبير جليل، وكان أكثر عمره عند المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ثم فر عنه إلى ابن هود صاحب سرقسطة » .

فهو يعرف الرجلين ويميز بينهما .

وأما ما ورد فى صدر مجموعة الإسكوريال فلا يبعد أن يكون من تصرف أديب أو ناسخ، ساقته معرفته لصاحب العلاقة المشهورة بابن صمادح أن يجعله هو أيضا صاحب أبى عامر بن غرسية الذى ساق إليه الرسالة ، ومما أسعف فى ذلك قرب إحدى الكلمتين فى الرسم من الأخرى ، أعنى «الخراز» و «الحداد» .

أصحاب الردود على رسالة ابن غرسية :

كان أجدر بأبى جعفر بن الخراز أن يرد على صديقه أبى عامر بن غرسية موافقًا أو مخالفًا ، ولكن لم تذكر لنا المصادر التى نعرفها أنه كتب رداً ، فضلا عن أن تحمل إلينا ذلك الرد . بيد أن هذه المجموعة التى حفظتها مكتبة الإسكوريال قد نقلت إلينا ردودًا أربعة[1] :

(أولها) رد أبى يحيى بن مسعدة . ويبدو أنه كان شيخا جليلا فى حضرة ملوك المغرب . ونجد فى هذا الرد ذكر الإمام المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القرشى العلوى . ومحمد هذا هو المعروف بمحمد بن تومرت[2]، وكان قيامه بالأمر سنة ٥١٥ ووفاته سنة ٥٣٤ . ونجد فى الرد أيضا ذكر عبد المؤمن بن على[3]، وكانت ولادته سنة ٤٨٧ ووفاته سنة ٥٥٨ . وهذه التواريخ تبعد كثيرا عن التاريخ الذى كتبت فيه رسالة ابن غرسية ، هذا التاريخ الذى لا يصح أن يتجاوز سنة ٤٣٦ وهى سنة وفاة مجاهد ملك دانية .

---

(١) يبدو أن جولد تسيهر لم يقع إليه إلا رسالة ابن غرسية فقط كما يفهم من كلامه فى بحثه إذ ذكر أن صديقه Louis Barran قد أمده بصورة شمسية من الرسالة عن مخطوطة الإسكوريال .

(٢) المعجب ١١٥ — ١٢٥ .

(٣) المعجب ١٢٥ — ١٥٣ .

ويستغرق هـذا الرد من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٢٩—٤١ . وهذا الرد هو أكبر الردود وأحفلها .

(ثانيها) رد لمجهول، وعنوانه فى الأصل «رسالة ثانية فى الرد على ابن غرسية» . فمن المحتمل أن يكون رسالة ثانية لأبى يحيى بن مسعدة ، أو تكون لأحد الذين قد جرى لهم ذكر فى التاريخ أنهم تناولوا الرسالة بالرد ، وسأذكرهم فيما بعد . وإنى أرجح الاحتمال الأول ترجيحا ، لسببين .

١ — التشابه الشديد بين أسلوبى الرسالتين، ويبدو ذلك واضحا لمن درس الرسالتين ولمس الروح السارية فى تضاعيف كل منهما .

٢ — التقارب الشديد بين بعض العبارات، مما ينطق بأن صاحبهما واحد. ومن أمثلة ذلك :

ا — ما جاء فى الرد الأول فى الورقة ٣٢ ا : «لقـد ذهبتم من العار بحمه ورمه، والفحل السوء يبدأ بأمه» وفى الرد الثانى ٤٢ ا: «ذهبوا والله من العار بشمه ورمه ، وفحل السوء يبدأ بأمه» .

ب — ٣٣ ا «الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم في الإنجيل» وفى الثانى ٤٢ ا «ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى لإنجيل» .

حـ — ٤٠ ا «وتجعل الخصل كله للعرب ، والفضل للنبع على الغرب» وفى الثانى ٤١ ا «فتعلم أن البأس للعرب ، وأن النبع ليس من الغرب» .

د — ٣٦ ا «وأبرهة ذى المنار ، وعمرو ذى الأذعار» هو بنفسه فى الثانى ٤١ ا .

هـ — ٣٦ ا «يزدجرد كم وشهريار كم» هو بنفسه فى الثانى ٤١ ا .

و — ٣٦ ب ، ٤١ ا اتفق اقتباس هذا البيت :

ولم أر أمثال الرجال تهافتوا   على المجد حتى عد ألف بواحد

ز — ٣٨ ا ، ٤١ ا تطابق اقتباس هذا البيت :

والليث حيث ألب من   أرض فذاك له عرين

إلى غير ذلك كثير، مما يقرب القطع بأن صاحب الرسالتين كاتب واحد.

وهذا الرد يستغرق من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٤١ — ٤٣ .

ولم يذكر جولدتسيهر هذا الرد ولا أشار إليه .

(ثالثها) رد أبي جعفر أحمد بن الدودين[1] البلنسي، وكان هذا معاصراً لابن بسام صاحب الذخيرة[2] ، قال في صدر ترجمته : « هو أحد من لاقيته وشافهته ، وأملى على نظمه ونثره [بأشبونة[3]] سنة سبع وسبعين[4] وأخبرني برسالته التي رد فيها على أبي عامر بن غرسية » .

وقد فات « جولدتسيهر » أن يذكر هـذا الأديب في ثبت من ردوا على ابن غرسية . انظر الحاشية (١) من ص ٢٣٦ . مع أن هـذه الرسالة في ضمن مجموعة الإسكوريال من الورقة ٥٣ — ٥٤ .

وهذه الرسالة لم يذكرها البلوى ولا صاحب كشف الظنون .

(رابعها) رد أبي الطيب بن من الله القروى، وهو الفقيه الأديب أبو الطيب عبد المنعم بن من الله الهوارى القيروانى ، كما في الصلة لابن بشكوال[5] . ونسبة « القروى » هي الثابتة في نص مجموعة الإسكوريال ، وأما كتاب ابن بشكوال فيجعلها « القيروانى » .

---

(١) في الذخيرة (القسم الثالث الورقة ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة) : « الدودى » وفي مسالك الأبصار (القسم الثانى ج ١١ الورقة ٤٤٩ من النسخة رقم ٢٥٦٧) وكذا نفح الطيب (٥ : ٢٩٠) : « الدودى » .

(٢) يخلط بعض المؤرخين بين ابن بسام صاحب الذخيرة وبين البسامى الشاعر الهجاء ، ومنهم صاحب كشف الظنون ، وصانعو فهرس دار الكتب، جعلوا وفاة ابن بسام (سنة ٣٠٢) وهذه الوفاة إنما تصدق على البسامى ، واسمه أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن منصور بن بسام . وأما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو أبو الحسن على بن بسام التغلبي الشنتريني ، ترجم له ابن سعيد في المغرب ١ : ٤١٧ تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، وياقوت في معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ والمقرى في نفح الطيب ٥ : ٩ . وأرخ المقرى وفاته (سنة ٥٤٢) .

(٣) التكملة من المسالك عن الذخيرة .

(٤) أى وأربعمائة.

(٥) الصلة رقم ٨٣٥ .

قال[1] : « قدم الأندلس وحدث بشرقيها عن أبى بكر محمد بن على بن الحسن بن البر التميمى ، وكان أديباً شاعراً ، وتوفى يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤٩٣ » .

وقد حفظ لنا البلوى فى كتابه[2] عنوان رسالته ، وهو « حديقة البلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم العجمية » وعرف هذا العنوان أيضاً صاحب كشف الظنون .

ردود تاريخية :

وأعنى بها الردود التى حفظ التاريخ أسماءها ولم نصل بعد إليها .

١ — رد الفقيه أبى مروان عبد الملك بن محمد الأوسى . ذكره البلوى وصاحب كشف الظنون ، وعنوانه « رسالة الاستدلال بالحق ، فى تفضيل العرب على جميع الخلق ، والذب والانتصار ، لصفوة الله المهاجرين والأنصار » .

٢ — رد الكاتب ذى الوزارتين أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال الغافقى المتوفى سنة ٥٤٠ سمى رسالته « خطف البارق وقذف المارق ، فى الرد على ابن غرسية الفاسق ، فى تفضيله العجم على العرب ، وقرعه النبع بالغرب » . ذكرها البلوى وصاحب كشف الظنون ، وقد رآها البلوى[3] وقال : « فأما ابن أبى الخصال ، فأخنى عليه وصال ، بحجاج أمضى من النصال ، ما له عنها انفصال » .

وقال ابن الأبار[4] فى ترجمة ابنه عبد الملك : « ووجدت سماعه من أبيه فى نسخة من رسالته التى رد فيها على ابن غرسية فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ » .

٣ — رد أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى الغرناطى ، وكان

---

(١) الصلة رقم ٨٣٥ .
(٢) ألف باء ١ : ٣٥٠ .
(٣) ألف باء ١ : ٣٥١ .
(٤) تكملة الصلة رقم ١٧٠٠ .

يعرف بابن القرس، ذكر ابن الأبار[1] جده وقال : « وكان هو وابنه محمد وابن ابنه عبد المنعم بن محمد فقهاء ثلاثة في نسق » .

وذكر النباهي في تاريخ قضاة الأندلس[2] عبد المنعم هذا في قضاة غرناطة، وذكر وفاته في سنة ٥٩٧ . وترجم له أيضاً ابن الأبار[3] .

وقد عرف هذه الرسالة البلوي وصاحب كشف الظنون ولم يذكرا لها عنواناً.

٤ — رد عبد الحق بن خلف بن مفرج ، ذكر في تكملة التكملة[4] .

رد أبي الحجاج البلوي :

وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد المالكي الأندلسي ، المعروف بابن الشيخ ، من أدباء القرن السادس . وقد وقعت إليه رسالة ابن غرسية مع طائفة من ردود الأدباء ، وفي ذلك يقول[5] بعد أن ساق ثبت ردود الأدباء على ابن غرسية : « وقد أراني جميع ذلك بعض الأصحاب ، ممن هو في العلم كالسحاب ، وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفسالته ، التي فضل فيها على العرب العجم ، وأراد أن يعرب فأعجم ، فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف ، وأنا بالعجز عن معارضة من سبقني من العلماء ذو اعتراف » ... ثم أنشأ في ذلك ما يشبه المقامة الهزلية التي يختلط فيها الشعر بالنثر.

ويعد هذا الأثر الأدبي أول رسالة أظهرتها المطبعة مما يمت بصلة ظاهرة إلى رسالة ابن غرسية .

---

(١) في المعجم رقم ٢٢٣ .

(٢) ص ١١٠ بتحقيق بروفنسال ، طبع دار الكاتب المصري .

(٣) في تكملة الصلة ١٨١٤ .

(٤) انظر تكملة التكملة ص ٤٢٢ مع فهرسها ص ٦٦٢ .

(٥) ألف باء ١ : ٣٥١ .

موجز بحث جولدتسيهر

الشعوبية عند مسلمي أسبانيا

قسم جولدتسيهر بحثه فصولا ثلاثة :

الأول فى الشعوبية الأسبانية — والثانى فى تحليل رسالة ابن غرسية — والثالث فى الكلام على صدى هذه الرسالة .

الشعوبية الاسبانية :

اتصل بالعناصر العربية والبربرية فى أسبانيا عنصران آخران هما :

ا — المولدون ، وهم نصارى أسبانيا الذين اعتنقوا الإسلام .

ب — الصقالبة ، ويراد بهم السلافيون بوجه خاص ، وأسارى الحرب والأرقاء من مختلف الشعوب الشمالية بمعنى عام .

ومن المولدين من اندمج فى الكيان العربى اندماجاً جعل بعضهم يتدعون أنساباً عربية ، ومن هؤلاء أسرة بنى مغيث الرومى الأصل .

وكما كان للمولدين فضل كبير فى خدمة الثقافة العربية —ومنهم بقى بن مخلد القرطبى ، وأبو محمد بن حزم ، وعبد الملك بن سراج القرطبى — كان للصقالبة أيضاً فضل لاينكر ، ومنهم جؤذر مولى الحكم الثانى ، وفاتن مولى المنصور بن أبى عامر الذى اشتبك مع صاعد الأندلسى فى جدل على نحو خرج منصوراً عليه مظفراً .

وقد كان العرب يتعالون على هؤلاء القوم مما دعا بعضهم أن ألف كتاباً سماه « كتاب الاستظهار والمغالبة ، على من أنكر فضل الصقالبة » أشاد فيه بذكر مشاهير الصقالبة فى شتى فروع الثقافة العربية . ولعل هذا الكتاب أول محاولة للكتابة فى دائرة الشعوبية وإن لم تكن فى صميمها ، لأن مؤلفه دافع عن عنصره ولم يهاجم غيرهم .

أما الميل الحقيقى إلى الشعوبية فقد أخذ طابعه الكامل فى محيط المولدين ،

ويمتاز هذا الميل فى أسبانيا بحرصه على أن ينسجم مع العقيدة الإسلامية، على حين نجـد شعوبية المشرق على النقيض من ذلك ، إذ نرى ممثلى الشعوبية فيـه من الملاحدة والزنادقة فى أكثر الأمر .

ومن أقطاب شـعوبية الأندلس محمد بن سليمان المعافرى ، وكان شديد العصبية للمولدين . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن المتوفى سـنة ٣٣٥ وكان معروفاً بشدة تعصبه للعجم ، ومحاولته الغض من شأن العرب .

ويبـدو أنه لم يتح للنزعة الشعوبية الأندلسية أن تبتعلن فى إنتاج أدبى إلا بعـد أن انقسمت الدولة إلى دويلات صغيرة تناهب الحكم فيها صقالبـة ومولدون ، فتسمع حينئذ من أبى عامر بن غرسية صوتاً شعوبياً قوياً يحاول إثبات فضل العجم على العرب .

ثم ساق « جولدتسيهر » ترجمة استفتاحية لابن غرسية لم يحالفه الصواب فى بعض زواياها ، فهو يظن أنه كان فى خدمة المعتصم بن صمادح . على حين تشير المصادر التاريخية إلى أنه كان فى خدمة مجاهد ملك دانية ، وأنه كان يريد تنفير صديقه أبى عبـد الله من خدمة ابن صمادح ، ويحثـه على ترك خدمته . وبنى « جولدتسيهر » على هـذا الظن ظناً آخر ، أن ابن غرسية عاش زماناً فى المرية حيث المعتصم بن صمادح . وهو افتراض لا يصح .

ثم يعلل جولد تسيهر النشاط الشعوبى لابن غرسية بأنه كان يعيش فى صقع ضعف فيه النفوذ العربى وتغلب عنصر الصقالبة ، ويقول : «وما كان لعامل من العمال الرسميين فى مجتمع تنحصر مقاليد السلطان به فى أيد عربية أن يحدث نفسه بإثارة مثل هذا الهجوم الجرىء على العرب ثم يترك وشأنه دون عقاب أو قصاص» .

تحليل الرسالة:

لم يأت ابن غرسية بجديد من وجهة النظر الموضوعية ، ويبدو أنه أطلع على كتابات الشعوبية بالمشرقية واستقى منها أهم الحقائق ولم يبتدع هو إلا الملابسات والدواعى الخاصة . وكان جدال الشعوبية بالمشرق من جهة الأسلوب أبعد عن

الصناعة الفنية ، ومن جهة المبدأ أقرب إلى الموضوعية العلمية منـه إلى الذاتية الشخصية ، على حين نجد كتابة ابن غرسية رسالة شخصية يستعمل فيها كل التعبيرات الفنية من ترادف وطباق ، وتلاعب بالألفاظ ، وتعريض ، وتضمين واقتباس ، ورمز إلى حوادث أدبيـة وحقائق تاريخية ، ممـا يطبع الرسالة الفنية بالطابع المطلوب . كما أن نمو وسائل الأسلوب الفنى وتنوعها على الصورة التى يستخدمها كتاب القرن الخامس قدأعارت قلمه أحياناً لون التهكم والفكاهة الذى استغنى عنه جدل الشعوبية بالمشرق .

ومما يجدر ذكره أن المشرقيين حين يقولون «العجم» فإنهم يعنون الفرس، على حين يتسع مدلول هذه الكلمة عند الأسبانيين فيشمل الروم وبنى الأصفر .

وقد وازن ابن غرسية بين المميزات الطبيعية والخصال الخلقية بين عنصرى العرب والعجم ففخر ببياض العجم على سمرة العرب . ثم هو يقابل بين حياة العرب القدامى بين الإبل والشاء ، وحياة الأكاسرة والقياصرة فى ظلال السيوف والرماح ، ويعقد مقايسة بين هاجر أم العرب، وسيدتها سارة أم العجم ، ويتكلم فى قناعة العرب بالشهوات الدنيا ، كالطبل والزمر ، ومعاقرة الخمر ، ويذكر أن العجم يمتازون فى لباسهم وطعامهم وشرابهم ، ثم يفخر بأمجاد العرب السياسية والحربية والعلمية . وأما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان عربياً فلا فخر فى ذلك للعرب ، فإن التبر من الترب ، والمسك بعض دم الغزال ، والماء العذب يستودع جلد المزادة البالى .

ثم ختم ابن غرسية رسالته بعبارات يستظهر بها التقوى ، توهيناً لما قد يشتم من كلامه مما قد يمس العقيدة الدينية ، وهو فى ذلك لا ينسى أن يتملق أميره بمدح ، ويخلط باللين عنفاً فى مخاطبة صديقه .

ثم يتحدث جولدتسيهر عن مدى سرعة انتشار شـعر أبى العلاء المعرى فى الأندلس إذ تمكن ابن غرسية من الاستشهاد به . ويذكر من نماذج تأثير المعرى فى الأدب الأندلسى تأليف ابن أبى الخصال رسالة عارض بها «ملقى السبيل» ، ومعارضة رسالة «الصاهل والشاحج» لأحد شعراء الأندلس ، وتأليف ابن السيد البطليوسى شرحاً كبيراً لديوان أبى العلاء ولما يكد يمضى نصف قرن على وفاته .

صدى رسالة ابن غرسية :

ذكر جولدتسيهر فى هذا الصدد خمسة ردود ، هى رد أبى يحيى بن مسعدة ، وعبد الملك بن محمد الأنصارى ، وأبى الطيب عبد المنعم بن من الله القيروانى ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجى ، ثم مقامة البلوى التى نجدها فى كتابه ألف باء .

* * *

وقد تناولت الكلام على هذه الردود فيما سبق ، وزدت عليه ردوداً ثلاثة أخرى تهديت إليها .

وكنت على أن أتناول هذه الرسائل بالشرح بعد تحقيقها ، ثم رأيت أنى لو فعلت ذلك لأربى حجمها على الأضعاف ، وخرجت بذلك عن المنهج الموسوم لهذه المجموعات ، لذلك لم أفسر إلا ما يقتضيه التحقيق وموازنة النصوص ، أو ما يشكل على بعض الخاصة أن يتبينوه فى مظانه ، من الإشارات الأدبيـة والتاريخية وغيرها ، أو مايلقى شيئاً من الضـوء على جوانب بعض المبهمات ، حتى ينفذ النور إليها جميعاً .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

مصر الجديدة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٣ — عبد السلام محمد هارون

رسالة ابن غرسـيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة خاطب بها أبو عامر بن غرسية أبا عبد الله بن الحداد[١] ٢٦/أ
يعاتبه فيها ويفضل العجم على العرب، وكتب بها من لاردة

سلامٌ عليك ذا الرويّ، المرويّ، الموقوفَ قريضُه على حلَّة بجّانة[٢] أرشِ اليمن[٣]، بزَهيد الثمن، كأنْ ما فى الأرض إنسانٌ، إلاّ من غسّان، أو مِن آل ذى حسّان . وإن كان القوم أقنَوْك، وعن العالَم أغنَوك، على حسب المذكور، فما هذا الإعمال للكُور، وتَركُ الوُكور. وقلّ ما تأخذ الشَّعَرة[٤] فى ٢٦/ب الرّحيل، إلاّ عن الرّبع المُحيل ! ولو أنّ القومَ خَلطوك بالآل، لَمَا أحوجك إلى الخَبْط فى الآل[٥]. مَهْ مه، مَن أحوجَكَ إلى ركوبِ المهمه، وثقِف[٦]، وودّك لا تقِف، علَى من اضطرّك إلى الإيغال، وباعك بَيعَ المُسامح بك لا المُغَال، وعوّضك من الأندية[٧]، بجوب الأودية، ومن المآلف، بقطع المتالف، وحملك على مخالفة الخصان، ومحالفة الحِصان، ووكّلك بمَسْح الأرض، ذاتِ الطُّول والعرض، فإذا يمّمت تَبالة، تقبّاله[٨]، وصرت ضِغثاً على إبّالة، تتعلّل باليمين، ضِنّاً بالعِلْق الثمين.

---

(١) كذا فى نسخة الأصل . والصواب أنه « أبو جعفر بن الخراز » . انظر ماسبق فى ص ٢٣٤ — ٢٣٦ من التقديم .

(٢) حلة: جمع حال بمعنى نازل فى المكان. وبجانة ، قال ياقوت : مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة ، خربت ، وقد انتقل أهلها إلى المرية ، وبينها وبين المرية فرسخان .

(٣) أصل معنى الأرش العيب فى السلعة .

(٤) جمع شاعر . ولابن غرسية ولوع بهذه الصيغة من الجموع .

(٥) الآل الأولى بمعنى الأهل ، وهذه بمعنى السراب .

(٦) يقال ثقف ، إذا صار حاذقا فطنا . انظر ماسيأتى فى ٤٤ ب .

(٧) الأندية : جمع الندى ، وهو مجلس القوم يجتمعون فيه. الخريدة: «من قطع الأندية».

(٨) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن . وتباله : تصنع البلاهة.

أحْسَبك[١] أزْرَيت، وبهذا الجيل البَجِيل ازدريت، وما دريت، أنهم الصُّهب الشُّهب، ليسوا بعُرُب، ذَوِى أينُقٍ جُرب، أساورة، أكاسرة، مُجُد، نُجُد، بُهَم[٢]، لا رُعاة شويهاتٍ ولا بَهَم[٣]، شُغِلوا بالماذيِّ والمُرّان، عن رَعى البُعران، وبجَلْب العِزِّ، عن حاب المَعْز، جبابرة، قياصرة، ذوو المغافر والدُّروع، للتَّنفيس عن رَوع المَرُوع، حماة السُّرُوح، بُناة الصُّروح[٤]، صُقُورة، غلبت عليهم شُقُورة[٥]، وشقورة الخِرْصان، لكنّهم خَطَبة بالخِرصان[٦].

ماضرَّهم أنْ شَهِدوا مِجادا[٧] أو كافَحُوا يومَ الوغى الأندادا
ألاَّ يكون لونُهم ســـوادا

أرومة رُوميّة، وجُرثومة أصفريّة[٨].

نَمَتْهُم ذوو الأحساب والجدِ والعُلى من الصُّهب لا راعُو غضاً وأفان[٩]

من القُدُم، المُلْس الأُدُم، لم تَعرِقْ فيهم الأقباط، ولا الأنباط، حسبٌ حرِىّ، ونَسَبٌ سرِىّ، أمُّكم لأمِّنا كانت أمَة، إنْ تُنكروا ذلك تَلفَوْا ظَلَمة، ولا تَهايُل[١٠]، فى التَّكايل، فما سُمنا قطُّ قُروداً، ولا حُكنا بُروداً[١١]،

---

(١) فى الأصل: «أأحسبك»، صوابه فى الخريدة.

(٢) بضم ففتح، جمع بهمة بالضم، وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه.

(٣) البهم: بالتحريك، وبالفتح أيضاً: جمع بهمة، وهى الصغير من أولاد الغنم.

(٤) السروح: جمع سرح، وهو المال يسام فى المرعى. والصروح: القصور.

(٥) عنى بالشقورة الشقرة، وهى الحمرة. أى حمرتهم كحمرة الأسنة تعلوها الدماء.

(٦) الخرصان: جمع خرص، وهو سنان الرمح، وهو الرمح أيضاً. عنى أنهم يخطبون النساء وينكحونهن بالحروب. ومثله قول الفرزدق فى ديوانه ٧٣٧:

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله

(٧) المجاد: مصدر ماجده، إذا عارضه بالمجد.

(٨) يقال للروم بنو الأصفر. انظر نهاية الأرب ٢: ٣٢٢. وقد أورد ابن خلكان فى ترجمة ياقوت بن عبدالله الرومى تعليلا خرافيا لتسمية الروم ببنى الأصفر.

(٩) الأفانى: جمع أفانية، وهو ما يسمى «عنب الذئب».

(١٠) هال الدقيق ونحوه: صبه من غير كيل.

(١١) الحوك: النسج. والبرود: جمع برد، وهو ثوب فيه خطوط.

ولا لُكْنا عُرودا[1] ، فلا تَهاجُر، بنى هاجَر ، أنتم أرقّاؤنا وعَبَدتُنا، وعُتَقاؤنا وحَفَدتنا[2] ، مننّا عليكم بالعِتق ، وأخرجنا كم من رِبَق الرِّق[3] ، وألحقنا كم بالأحرار ، فتَمَطتُم النِّعمة ، فصَفعنا كم صَفعا ، يشارك سَفْما[4] اضطرّ كم إلى ٢٧ سُكنَى الحِجاز ، وألجأ كم إلى ذات المجاز . رُزُنٌ، رُصُن .

جمالَ ذى الأرضِ كانوا فى الحياة وهمْ بعد المماتِ جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ[5]

إذا قامت الحربُ على ساق ، وأخذَتْ فى اتِّساق ، وقَرعت الظَّنابيب ، وأشرِعت الأنابيب، وقَلَصت الشِّفاه، وفغر الهِدانُ فاه[6] ، وولّى قفاه، ألفيتَهم ذَمَرَة النّاس[7] ، عند احمرار الباس ، الطَّعنُ بالأَسَل ، أحلى عندهم من العَسَل .

مُستسلِمين إلى الحُتوف كأنما بينَ الحتوف وبينهم أرحامُ[8]

مِن أُمنيَّاتِهم، حُلولُ مِيتاتِهم، لهم على القُدْمة اليدان[9] ، على التَّدانى والتَّدان .

مِن الأُلَى غَيَّرَ زجرِ الخيل ما عرَفوا إذ تعرفُ العُربُ زَجرَ الشّاء والعَكَرِ[10]

بُصُر، صُبُر، تزدان بهم المحافل، والجحافل، قُيول على خيول، كأنها فيول، كواكب، للمواكب، نجوم، الرُّجوم، من العجَم، ضَراغمة الأجَم ، بغو غاب ،

---

(١) اللوك : المضغ . والعرود : جمع عرد وهو الشديد الصلب من كل شيء . انظر هذه الكناية فى ٤٤ ا من الأصل .

(٢) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .

(٣) إشارة إلى أن هاجر كانت جارية سارة ثم عتقت وتزوجها إبراهيم .

(٤) السفع : اللطم .

(٥) البيت لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤١ .

(٦) الهدان ، بالكسر : الوخم الثقيل فى الحرب

(٧) ذمرة : جمع ذامر ، وهو الذى يذمر القوم ، أى يحضهم ويحثهم .

(٨) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ٢٨١ .

(٩) القدمة : الاسم من الإقدام . قال :

تراه على الخيل ذا قدمة إذا سربل الدم أكفاءها

(١٠) لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤٠ . وقد غير إنشاد البيت ليتساوق مع الكلام . وإنما أوله : « يا ابن الألى » ، والعكر : القطعة من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة .

المُنتَقَون من كلِّ عاب، لم تلدْهم صواحبُ الرّايات[١]، بل تبجّحت عليهم سارَة الجمالِ ربّة الإباة[٢]، شُمخ، بُذخ، بررة أقيال، جررةُ أذيال. بخٍ بخٍ، أحلّتهم سيوفُهم سِطةَ الأرضين، فما قنعوا بذلك ولا رَضِين، حتّى دوّخوا المشارقَ والمغارب، واستوطنوا من المجد الذّروة والغارب.

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه وطَعْنٍ كتَشهاق العَفا همّ بالنّهْقِ[٣]

شرِهُوا برنّات السّيوف، لا بربّات الشّنوف، وبركوب السّروج، عن الكاب والفرّوج، وبالنّفير، عن النّقير[٤]، وبالجنائب، عن الحبائب، وبالخَبّ عن الخِب[٥]. وبالشليل، عن السليل[٦] وبالأمر والذّمر[٧]، عن معاقرة الخمر والزّمر، وباللّقيان، عن العِقيان[٨]، وعن قُنيان القيان، طِيّاتهم، خَطّيّاتهم[٩]،

٢٧ ب وغلّاتهم، آلاتهم، وحصونهم، حُصُنهم، أقيال، آباؤهم من بين الأنام أقتال[١٠]

أولئك قومي إن بنَوا شيّدوا البُنَى وإن حاربوا جَدّوا وإن عقدوا اشدّوا

وُضّح، رُجّح، لا حَفَزة عَكَر[١١]، ولا حَفَرة أُكَر[١٢]، ملوكٌ جِلّة، لا مُحرِقو

---

(١) كانت البغايا فى الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . تفسير الطبرى (١٨ : ٥٧) .

(٢) سارة : زوج إبراهيم ، وكان اسمها « ساراى » ثم غير إلى « سارة » ومعناه رئيسة . انظر سفر التكوين أصحاح ١٧ — ١٨ وهى بالراء المخففة . ولا عبرة بما ورد فى اللسان (هجر ، سقم) من ضبطها بالراء المشددة . والإياة ، أصلها ضوء الشمس وحسنها . وفى فتح البارى (٦ : ٢٧٩) أن يوسف أعطى شطر الحسن ، وسارة شطره الآخر .

(٣) البيت لأبى الطمحان حنظلة بن شرقى . اللسان (سكن ، عفا) .

(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال . والنقير : النكتة فى ظهر النواة .

(٥) الخب ، بالفتح : مصدر خب خباً ، وهو ضرب من العدو . والخب ، بالكسر : الخداع .

(٦) الشليل : الدرع . والسليل : سنام البعير .

(٧) الذمر : الحض والحث .

(٨) اللقيان : لقاء الأبطال . والعقيان : الذهب .

(٩) الطية : الحاجة والوطر . والخطيات : الرماح المجتلبة من الخط بالبحرين .

(١٠) جمع قتل بالكسر ، وهو المثل والقرن ، والمقاتل .

(١١) حفزة : جمع حافز ، والمراد به السائق . والعكر ، سبق تفسيره .

(١٢) الأكر : الحفر فى الأرض ، جمع أكرة .

جِلّة ، نُدُس ، غَنُوا بالإستبرق والسُّندس ، عن البَتّ ، المقيِّظ المشتّ ، المجموع من الثُّمَيْنجات الستّ(١) . بُسُل ، لا جُرّاس مُسُل(٢) ، ولا غُرّاس فُسُل ، مُلَّك لَقَاحٍ(٣) ، ليس منهم فى وِردٍ ولا صدَرٍ شُرّابُ دَرِّ اللِّقاح ، بل شرابهم النَّبيذ ، وطعامهم الحَفيذ ، لا زهيد الهَبيد(٤) ، فى البيد ، ولا مُسكون(٥) ، الوكون ، ولا منهم مَن احتشَى ، بمذموم الكُشَى(٦) ، ولا فى سائر الأحفاش(٧) من وليدٍ وناش ، مَن اغتذَى بالأحناش ، فلا يُقعقَع لهم بالشِّنان(٨) ، ولا يُوعوَع لهم بالشنآن(٩) ، فكُفّ أيها الشّان(١٠) فلهم عظيم الشان ، واليدُ الطولى إذ تخلَّصوكم من أكفّ الحبْشان ، صنيعٌ ، منيع ، ومِنّة ، لا يشوبها مَنّة ، فيالها مِنحة ، لكنها أعقبت مِحنة ، إذ صادفت كَفرة ، لا شكرة . إيهاً ، إذ تأبَّطتم ريبها ، معشر البُداة ، العُداة ، اعتقدتم غِلاً ، فاستثرتم صِلّا(١١) . أمَا علمتُم أنّ الدولة النُّوشِروانية ، والمملكة الأردَشيرية ، بقَروا أجوافكم ، وخلعوا أكتافكم ، ثم عطفوا ، ورأفوا ، وملَّكوكم الحيرة ، بعد الحيرة . قُلُلا ، ذُلُلا ، تتخيَّرون البَنات ، عند البَيات ، مبهوراتٍ ، لا ممهورات فبرِم من ذلك غسّانكم ونُعمانُكم ، وكان بَرمُه سبباً لدرء أمانكم ، فأصبح بعد جرٍّ

(١) يلمح قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى

تخذته من نعجات ست سود سمان من نعاج الدست

(٢) المسل : جمع المسيل ، وهو الجريد الرطب .

(٣) اللقاح : الحى الذين لم يدينوا للملوك . عنى أنهم يخضعون من لم يخضع .

(٤) الهبيد : حب الحنظل .

(٥) المكون : جمع مكن ، وهو بيض الضب .

(٦) جمع كشية ، وهى شحمة بطن الضب .

(٧) جمع حفش ، بالكسر ، وهو الصغير من بيوت الأعراب .

(٨) الشنان : جمع شن ، وهى القربة الخلق الصغيرة .

(٩) فى الخريدة : « ولا يزعزع له باللسان » .

(١٠) أى الشانئ ، وهو المبغض .

(١١) الصل : الحية القاتلة .

القُيول، مَدُوساً بأخفاف الفُيُول[1] . والكرامُ بنو الأصفر، الأطهرِ الأظهر، عطفتهم عليكم الرحم الإبراهيمية، والعُمومة الإسماعيلية، فسمَحوا لكم من الشام بأقصَى مكان بعد ما كان، مِن سيل العرِم ما كان ، يؤدِّى نُعمانكم ، وغسَّانكم، لقروم الأعاجم ، الإتاوة على الجماجم .

هذى المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ شِيبَا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا[2]

٢٨/١ مهلاً بنى الإماء ، عن الغمز والإيماء ، فنحن عُرُق، غُرُق ، فى الأنساب الصَّميمة ، والأحساب العميمة، فمن يهولنا أو يروعنا ، وقد رسَخَت فى المجد أصولُنا وفروعنا،ومَن يَطُولنا ، وكلُّ الورى قد شمِله فضلُنا وطَوْلُنا .

شَرفٌ ينطح النُّجوم بِرَوقَيْـ ـهِ وعزٌّ يقلقِلُ الأجبالا[3]

حُلُم، عِلم، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية ، والعلوم المنطقيَّة الرياضية. كحملة الأسترلوميقَى[4] والموسيقى،والعَلَمَة بالأرتماطيقى والجومطريقَى، والقَوَمة بالألوطيقَى والبوطيقى[5]، [والنهضة بعلوم الشرائع،والطَّبائع،والمهرة فى علوم الأديان،والأبدان.

---

(١) كان كسرى طلب إلى النعمان بن المنذر أن يزوجه إحدى بناته، فأبى النعمان ذلك كبراً ، وأخفى بناته وأمواله فى أحياء العرب ، وعلم بذلك كسرى فاستزار النعمان ، وعاقبه بطرحه تحت أقدام الفيلة . انظر الأغانى (٢ : ٢٨ ــ ٢٩) . وفى ذلك يقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزرق

(٢) لأمية بن أبى الصلت . الشعراء ٤٣٣ .

(٣) البيت للمتنبى فى مدح سيف الدولة . ديوانه (٢ : ١٠٤) بشرح العكبرى .

(٤) يراد بها علم النجوم . وعند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٨٠ « اسطرنوميا » .

(٥) الأرتماطيقى: علم العددوالحساب. انظر ابن خلدون٤٢٠ . والجومطريقى عند الخوارزمى ١١٧ وابن النديم ٣٧١ « الجو مطريا » . ابن النديم : « إقليدس صاحب جومطريا ومعناه الهندسة » . الخوارزمى : « وهى صناعة المساحة ، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة ، وفى الفارسية أندازه ، أى المقادير . وفى مروج الذهب (١ : ٣٢١) : والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة ». وأما الألوطيقى فقد تكون محرفة عن «أبوطيقا» ومعناه الشعر. إخبار العلماء للقفطى ٢٨ . أو«أنولوطيقا » ومعناه تحليل القياس،والبرهان. وفى مفاتيح العلوم ٨٩ أونولوطيقا معناه العكس. وأما « البوطيقى » فهى فى الأصل « البرطيقى » محرفة . وفى مفاتيح العلوم ٩٢ بيوطيقى ومعناه الشعر ، يتكلم فيه على التخييل ، ومعنى التخييل إنهاض نفس السامع إلى طلب الشىء ، أو الهرب منه وإن لم يصدق » .

هم ملكوا شرقَ البلاد وغربَها   وهم منحوكم بعد ذلك سوددا[1]]

ما شئت من تدقيق، وتحقيق، حبسوا أنفسهم على العلوم البدنية والدينية، لا على وصف الناقة الفَدَنيّة[2]، فعلُهم ليس بالسفساف، كفعل نائلة وإساف[3] أصغِرْ بشأنكم، إذ بزِقّ خمر باع الكعبة أبو غُبْشانكم[4]، وإذْ أبو رِغالكم، قاد فِيلَ الحبشة إلى حرَم الله لاستئصالكم[5]. [غُضّوا الأبصار، فهذا الذِّكر إلى الفحش أصار[6]].

أَزِيدك أم كفاك وذاك أني   رأيتك في انتحالك كنتَ أحمق

فلا فخرَ معشر العُربان، الغِربان، بالقديم، المفريّ للأديم[7]، لكن الفخر بابن عمّنا، الذي بالبركة عمّنا، الإبراهيمي النسب، الإسماعيلي الحسب، الذي انتشلنا[8] الله تعالى به وإيّاكم من العَماية، والغَواية. أما نحن فمن أهل التثليث وعِبادة الصُّلبان، وأنتم من أهل الدين المَليث وعبادة الأوثان[9]، ولا غَرو أن

---

(١) التكملة من الذخيرة.

(٢) الفدنية: المشبهة في علوها بالفدن، وهو القصر المشيد.

(٣) يزعمون أن إساف بن عمرو، ونائلة بنت سهل، فجرا في الكعبة فمسخا حجرين ثم عبدتهما قريش. شروح سقط الزند ١٣١٥.

(٤) يذكرون أن أبا غبشان كان يلي أمر البيت، فاتفق أن اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف، فخدعه قصي عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه، ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي وطيره إلى مكة، فلما أشرف عليها قال رافعا عقيرته: معاشر قريش هذه مفاتيح أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم! وأفاق أبو غبشان من سكره أشد ندامة من الكسعي. شروح سقط الزند ١٩٨٢.

(٤) كان أبرهة عامل النجاشي على اليمن قد عزم أن يهدم البيت، ومر في طريقه على ثقيف بالطائف، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. السيرة ٣١ — ٣٢.

(٦) التكملة من الذخيرة.

(٧) الذخيرة: «فعلى فرى الأديم».

(٨) في الأصل: انتشانا»، تحريف.

(٩) المليث من الملث، وهو أن يعد الرجل الرجل عدة لا يريد أن يفي بها.

كان منكم حِبرُه وسِبْره ، فنى الرَّغام يُلفَى تِبرُه ، والمِسك بعضُ دمِ الغزال ، والنِّطاف العِذاب مستودَعات بمَسْك العَزَال(١)

لله مما قد برا صفوة   وصفوة الخلق بنو هاشم(٢)

وصفوة الصفوة من بينهم   محمد النور أبو القاسم(٣)

بهذا النبيِّ الأمّيّ، أفاخر من تفخّر، وأُكاثِرُ من تقدَّم وتأخّر، الشريف السلَفين، والكريم الطَّرفين ، الملقَّى بالرسالة ، والمنتقَى للأداء والدَّلالة ، أصلِّي ٢٨ ب عليه عددَ الرَّمل، ومَدَد النَّمل، وكذلك أصلِّي على واصِل جناحه، سيوفه ورماحه أصحابِه الكرام ، عليهم من الله أفضل السلام .

يابنَ الأعارِبِ ما علينا باسُ   لم أحكِ إلا ما حكاه الناسُ

هذا .

ولم أشتمْ لكم عرضاً ولكنْ   حَدَوتُ بحيثُ يُستَمَع الحداء

ثم أحجِ بشاعر غسَّان ، لا ساسان، فى هذا العيد، بالوعيد، وأحرِ فى هذا الفصل، بعدم الوصل . لقد غمَّ آخرَك ، لكن بالرَّغم أخَّرك ، إذ أضربتَ عن مديح ، عِلقنا الرَّبيح ، مُعزِّ الدولة شهمِنا الرئيس ، وسَهمِنا النَّفيس ، قَيْل الأُمَم(٤) ، وسيل الأمَم(٥)، معنى المعانى ، ومغنى المغانى ، ذى الرياسة السَّاسانية ، والنَّفاسة النفسانية . فاذهبْ ، يا غثَّ المذهب ، وابتغِ فى الأرض نفَقا ، أو فى السَّماء مرتقى ، فهذه أُلِيَّة ، جلبت عليك بليّة . أو حُكْ من البسيط والمديد ، ما تستجير به مِن بطشِنا الشَّديد ، إذ نحن معشَرَ الموالى ، لا نوالى ، إلاّ من هو

---

(١) المسك ، بالفتح : الجلد . والعزالى : جمع عزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل .

(٢) فى مروج الذهب (٢ : ٢٧٤) : « ممن قد برا » .

(٣) فى مروج الذهب : « وصفوة الصفوة من هاشم » .

(٤) القيل : الملك ، وأصله الملك من ملوك حمير .

(٥) الأمم ، بالتحريك : القصد الذى هو الوسط ، وهو القرب أيضاً .

لعظيمتنا مُوالى ، وحذارِ حذار أن تقرع سنَّ الندم ، ولات حينَ مندم ، قبل أن تُجمَع ذُنوبُك ، على ذَنوبِك[(١)] ، وكُرَبُك فى كَرَبِك ، فمن أبصر ، أقصر ، وما حرَّف ، مَنْ صديقَه خوَّف .

فلا تبشَّعْ ممضَّ العتـــا ب يلقاك يوماً بلقياه لاقِ[(٢)]
فإنَّ الدواء حمــــيدُ الفَعالِ وإن كان مرًّا كريهَ المذاق

يا معتقِلَ عَلَمِ الشِّعر ، والمستقِلَّ بقلم النظم والنثر .

قد استحييتُ منك فلا تَـكِلْنى إلى شىء سوى عُذرٍ جميل[(٣)]
وقد أنفذتُ ما حقِّى عليـــه قبيحُ الهجو أوشتْمُ الرسولِ[(٤)]
وذاك على انفرادك قوتُ يوم إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيل ٢٩
وكيف وأنت عَلَوىُّ السَّجايا وليس إلى اقتصادك مِن سبيل
وقد يُقوى الفصيحُ فلا تُقابِلْ ضعيفَ البِرّ إلا بالقَبول
وإنّ الوزن وهو أصحُّ وزن يُقام صَغاهُ بالحرف العليل[(٥)]
فإنْ يَكُ ما بعثتُ به قليلا فلى حالٌ أقلُّ من القليل

تجزْته من كلام المعرى .

والسّلام عليك ما سبّحَ الفَلَك ، وسبّح المَلَك[(٦)] . ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الذخيرة : « فى ذنوبك » . والذنوب ، بالفتح : الدلو .
(٢) الذخيرة « فلا تتبع . . . فيلقاك . . . لمعناه .
(٣) للمعرى فى شروح سقط الزند ١١٤٤ — ١١٤٩ .
(٤) يعنى الرسول الذى أنفذه بالرسالة .
(٥) الذخيرة : « وإن الشعر وهو أتم وزن » وما فى الأصل يطابق ما فى الشروح .
(٦) الملك : الملائكة .

رد أبي يحي بن مسعدة

الرد على ابن غرسية منشىء الرسالة المتقدمة ، مما عنى بإنشائه وتأليفه الشيخ المبارك الأفضل أبو يحيى بن مسعدة نفعه الله بها وجعلها حجَّةً له عند الحاجة إليها(*)

ومن يَعصِ أطراف الزِّجاج فإنَّه ... يطيع العوالى رُكِّبت كلَّ لَهذَمِ(١)

إياكَ أعنِى أبا عامر ، ولا أقول خامرِى أمَّ عامر(٢) ، بل أُعْرِ بك جَنَى غَرسِيَه(٣) ، فالتقط باللقيط غَرسِيَةَ(٤) .

هيهات جئت إلى دِفْلَى تحرِّكها ... مستطعماً عنباً حرَّكْتَ فالتقطِ(٥)

شُربك الحَميم ، وشعارى لك حاميم(٦) ، فاخلَعْ عن مقلَّدك البَرِيم(٧) ، وذق إنكَ أنت العزيز الكريم .

رُمِيت بما لوَ أنَّ الجنَّ تُرمَى ... به لتهيَّبتْها الإنسُ نهبا

لِمَنْ بعثتَ يا غثيثُ مِن هامد دَجْنك أُوارا ، وأَرْثتَ من خامد أُبنِك نارا(٨) .

وإنَّ النَّار بالعودين تُذكَى ... وإنَّ الحرب يَقدُمها الكلامُ(٩)

(*) هذا الرد لم يرد فى نسخة الذخيرة .

(١) البيت من معلقة زهير .

(٢) أم عامر : كنية الضبع . يقال لها خامرى ، أى استترى .

(٣) أعراه النخلة: أعطاه إياها يأكل رطبها . وغرسيه ، أى غرسى، زاد هاء السكت.

(٤) يعنى أن أباه غرسية التقطه وتبناه .

(٥) الدفلى ، كذكرى : شجر مر أخضر حسن المنظر يكون فى الأودية .

(٦) جاء فى حديث الجهاد : « إذا بيتم فقولوا حاميم لا ينصرون» . فهى مما يستظهر به على استنزال النصر على العدو . وأنشد أبو عبيدة لشريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(٧) البريم : خيطان يكونان من لونين .

(٨) جمع أبنة بالضم ، وهى العيب والوصمة .

(٩) من أبيات مشهورة لنصر بن سيار . البيان والتبيين (١ : ١٥٨) والطبرى (٩ : ٩٢) . ويروى : « أولها الكلام » .

مثلك يادَعِىَّ العَجَم ، وذِمىّ العُجْم ، تعدّى للأعراب مَواليه بسفَه ، أو تصدّى لمعارضةِ نخارِها ببنتِ شفة؟! اغرّكَ أن تولّيتها بحكم المَقاسم (١) ، وأن ظأرتْ أمُّك لها أحورَ من جآذر عاسم (٢) . كلا :

* فما الكَرَجُ الدُّنيا ولا الناس قاسمُ *

٢٩ ب ماستجلاكَ الدَّوُّ يا آبِقُ إن سَفَرت ، ولا خلا لك الجوّ حتّى بِضْت وصَفَرت ، فى مثل هذا المَعْمَر ، نقّر واصفِر (٣) ، وبهذا المحمَّر ، يامصفّر استِه حمّر وصفّر (٤) ، بموقف لا يعزّ على الأوس بن تغلب ، أن تهان وتُغلب (٥) .

رُوَيدكَ حتّى يلحق الداريُّون ، أصحابُ الجياد المكفيُّون (٦) ، وتالله لاتفسلكَ معى الحواريُّون (٧) ، بعد أن أتقدَّمَ لتأديبك ، وأفضح فى الحَقين عِذْرَةَ أديبك (٨) مُناقلك فى الأراجيز ، وناقلك إلى مَعرِض التعجيز ، شيخ الاعتزال ، ومَرِيع أهل السُّنّة إذا تداعَوْا نزال ، الأعمى البصر والبصيرة ، وشُعوبىُّ هذه الجزيرة (٩) .

عُمَىٌّ حذوكَ الغَىَّ أىّ عجيبةٍ ... أعمى دليلُ هُدًى أوَ أخرسُ ينطق (١٠)

---

(١) يعنى مقاسم الغنائم . (٢) عاسم : اسم ماء لكلب بأرض الشام .

(٣) أخذ فيه من رجز طرفة :

يالك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

(٤) رمى له بالأبنة . والتحمير والتصفير باستعمال الزعفران والطيب . انظر اللسان (حمر ، صفر) .

(٥) فى الأصل : « وتغلبا » .

(٦) فيه نظر الى قول الراجز وأنشده فى المقاييس واللسان (دور) :

لبث قليلا يلحق الداريون ... ذوو الجياد البدن المكفيون

وفى الأصل هنا : « وأصحاب الجياب » .

(٧) الحوارى : القصار الذى يبيض الثياب ، ومنه حواريو المسيح عليه السلام ، لأنهم كانوا قصارين .

(٨) أصله من المثل : « أبى الحقين العذرة » وهى بكسر العين العذر . ومنشأ المثل أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبناً وعندهم لبن قد حقنوه فى وطب ، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال: أبى الحقين العذرة ! أى إن هذا الحقين يكذبكم .

(٩) لعله يعنى ابن سيده . انظر ما سبق فى ص ٢٢٣ .

(١٠) فى الأصل : « حدوك الغى » . حذاه : أعطاه ووهب له .

لشد ما سمّع بك في الأملاء (١) ، وسرّك بالإجراء في الخلاء (٢) ، وأرسلك سائماً ورتع في خلاء ، كفقته في معاني القرآن زُحلوفاته الزُّلّ الضُّلّ ، وكمته في نحوه عثراته التي يدمى منها الأظلّ ، مماتحك في الدُّليّ والدَّويّ (٣) ومطارحك السلام على ذي الرويّ المرويّ ، لقد أعلّك بواضحها وأبلّ ، وأغلّك من فاضحها ما أسَلّ (٤) ، ورماك يارجيم بدائه وانسلّ ، فتصدّعت بعمار خلاه ، وتنطّقت بما تلاه ، وتشبّعت بالعار الذي تولّاه ، كالخصيّ يفخر بمتاع مولاه .

كشاقبة لحلى مستعار بأذنيها فشانهما الثقوب (٥)
فردّت حَلْيَ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب

أولى لك يا زُفَر ، ياأست عير يحكّه الثفر ، حين نهقت ، وبلسان العرب سُباتك (٦) تفقّهت ، فقلت :

أولئك قومي إن بنوا شيّدوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا اشدّوا

مالك يا وقاح ، ولهذا الحيّ اللَّقاح (٧) ، تفوّهت بكلامهم ، ونفِهت عن أفهامهم (٨) ، وأهللت بشِعارهم ، وتمثّلت بأشعارهم ، وشحَجت في أعيارهم ، وما نارك من نارهم (٩) . هلّا رتقت بفطانتك ، وتعلّقت بعجمتك ورطانتك .

---

(١) التسميع : التشهير . والأملاء : جمع ملأ ، وهم أشراف القوم .

(٢) نظر إلى المثل : « كل مجر في الخلاء يسر » ، والمجري : الذي يجري دابته ، فهي في الخلاء لا منافس لها .

(٣) المماتحة : مفاعلة من المتح ، وهو جذب رشاء الدلو . والدلي : جمع دلو . والدوي : المفازة .

(٤) يقال : أسله الله فهو مسلول ، شاذ على غير قياس .

(٥) لابن هرمة في الأغاني (٥ : ٢٨) .

(٦) السباة : جمع ساب ، من السبي وهو أخذ الناس عبيدا وإماء .

(٧) حي لقاح ، كسحاب : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء .

(٨) نفه : أعيا وكل وضعف .

(٩) النار : السمة . وأصلها سمة الإبل ، تجعل كل قبيلة لإبلها سمة خاصة .

أظنَّك شاهدتَ لياليَهم بالجمع(١) ، أو قعدتَ منهم مقاعدَ للسَّمع ، ودانيتَ السِّرار فاستَرَقْت(٢) ، وضمَّك السِّرار فأغدقت(٣) ، وأعجزك النَّزْعُ فأمرقت(٤) ، وأورقت وما أخرفت ، ثم فَسُلت ، وظننت أنَّك طُلْت ، بل سَفُلت ، وحيث وجب لك أن تسجد بُلْت . ٣٠ ن / ١

وقيل يارخَمُ انطقــى في الطَّير إنَّكِ شر طائر(٥)
فأنتِ بمــا هى أهلُه والعَىُّ من شلل المحاور(٦)

أما كان لكَ يالئيمَ الجدود ، ومَدرأ الحدود ، ولآبائك لفظٌ تحكيه ، أو لذوى وَلائك من العجم قَبر بجِلّق تبكيه(٧) ، أو نحوٌ بلسانك تضعه ، أو لحنٌ فى شأنك تخفضه وترفعه ، فقاولت العربَ بلسانِ هامان ، وناضلتها بطمطمة يبحائيل وروما فتذرها تسبُر ماخَلَقت ، وتصبر اسبائك على لَكَنك لمّا صدَقت .

فاعلى البدر مِن نَبح الكلاب ولا يوماً على البحر يُرمَى فيه بالحجرِ

هذا جزاؤها فى تدريبك وتعليمك ، وتصريفِ ألفائها فى حَلْقة ميمك ، فلا ماء وجهكَ أبقيت ، ولا حِرحَ أمِّك العفلاء أنقيت . ماأنبذَكَ يانبيذُ لذمامها ، وأقلَّ شُكرَك على كَفالتها لك وإلقاء أقلامها(٨) ، لكن أمِنتَ سورةَ إقدامها

---

(١) جمع هى المزدلفة ، وفيها يقول ابن هرمة :

سلا القلب إلا من تذكر ليلة بجمع وأخرى أسعفت بالمحصب

(٢) السرار ، بالكسر : المسارة . استرقت ، يريد استرقت السمع .
والسرار : بالفتح جمع سرارة ، وهى من الوادى: أفضل موضع فيه .

(٣) أمرق السهم إمراقا : جعله يمرق من الرمية وينفذ .

(٥) للكميت . الحيوان (٣ : ٥٢٠). وأوله فيه : « إذ قيل » .

(٦) كذا ورد فى الأصل .

(٧) إشارة إلى قول النابغة :

لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء التى عند حارب

والقبران يعنى بهما صاحبي القبرين ، وهما يزيد بن الحارث الأعرج ، وأبوه الحارث الأعرج ، والنابغة يمدح عمرو بن يزيد بن الحارث الأعرج ويمجد أباه وجده .

(٨) فيه نظر إلى تنازع الأحبار وزكريا فى كفالة مريم وإلقائهم الأقلام لتحكم أيهم يكفلها .

وضمنتْ عن مثلك سعةُ أحلامها ، فساجلتها بخَلَق أرمامها[1] ، وجاذبتها فضول كلامها . « ليسَ قطًّا مِثلَ قُطَيّ » ، ولا الرُّشد من الغَيّ .

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ[2]

فُروغِي جَمارِ[3] ، وبَدارِ الإنصافَ بدار .

مَن يهُنْ يسهل الكلام عليه ما لجرحٍ بميِّت إيلامُ[4]

وبعد قرْع صفاك ، وصَفع قفاك ، ننتقل إلى نقَلة أديانكم ، وجهلة أحبارِكم ورُهبانكم ، وإقامة أقانيمكم الثلاثة فى سنودسانكم الستّ وهذيانكم ، ثم نُرسِل ٣٠ ب
عليكم خيل البيان شُزَّباً غراثا[5] ، ونبعثها ملاحم تُذكِي الكُلابَ ومَلهماً وبُعاثا[6] ، وتنقُض ما غزَلَتْ أمُّك الورهاء بعد قوّةٍ أنكاثا .

هما الشِّظاظان لخولى حولكا لأقطعنَّ بالمِرار حبلكا[7]

اشدُد حيازيمك للمناقِش ، واجذُذْ جراميزك عن المُناهِش ، فعلى أهلها دلّت بأذاها بَراقِش ، أتظنُّ أن تقنع منك اليمَن بالأرْش ، أو سبأُ الحاضرُونَ بردِّ العرش[8] ، هذا يا ضبُّ أشدُّ من الحرش ، نَكِرتَ يا نُكَير ، وياعُوَير ، أن تتحامَى الشَّعرةُ أبؤسَها بالغُوَير ، لوحلّ رائدُها أرضَ تَبالة ، لما حُرِم ولا توالَه ، ولكنّا أعرضَتْ عنه تبالة ، ورأى أكمةً فتباله ، وترك الضِّغث والإبّالة ، وجَهِد أن

(١) يقال حبل أرمام ، أى بال ، وصف بالجمع ، كأنه جعل كل جزء منه واحدا ثم جمع . وفى الأصل : « أزمامها » .

(٢) البيت لجعفر بن محمد بن على بن الحسين . العقد ٢ : ٤٧٣ .

(٣) جمار ، كقطام : اسم للضبع . والمثل بتمامه : « روغى جعار وانظرى أين المفر » . يضرب لمن يروم أن يفلت ولا يقدر على ذلك .

(٤) البيت للمتنبي فى ديوانه (٢ : ٣٣٨) بشرح العكبرى ، برواية : « يسهل الهوان » .

(٥) شزب : جمع شازب ، وهو الضامر . والغراث : جمع غرثان ، أوهو الجائع .

(٦) الملاحم : الحروب الشداد . الكلاب وملهم وبعاث : مواضع كان بها بعض أيام العرب .

(٧) المرار : الحبل الذى أجيد فتله .

(٨) فى الأصل : « الحاضرين » ، تحريف . وهو نظر إلى قول الأعشى :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

يلحق آلَه وثماله، وقال مَن ابنُ يزيدَ ومن ثمالةَ[1].

تيامَنْ تجاهَكَ تلقَ الكلا   مُنِيراً وتأمَنْ في المسالكِ

إيه ليت شعري مَن عِلقُك الربيحُ في الزمان، وهل أحاط بسقعه هدهد سليمان[2]؟ لعلك تعني الموفَّق، ذا النجار الملفّق، حاجب الظاهر، ومملوك معافرٍ[3]، عجَم دانية، وعَرَك سردانية[4]. أين أمُّك[5]، ثكلتك أمُّك، وهل سوى زِعنفةٍ من زعانف الريف، وسفاسف السيف، العُراةِ الحفوين، الشُراةِ كمَسْرى القين[6]، المعتصمين بالخيزُرانة بعد الأين[7].

ومن يَسكُنِ البحرَين يعظُمْ طِحالُه   ويُغبَطْ بما في بطنه وهو جائع[8]

متى جرى يا عَبْدَ عبدةِ الأوثان، مدحُ العَجم على آسانٍ من لسان[9]، أو تَبِعهم قائلٌ بإحسان، عياذًا ببشرٍ وأُمَيّةَ وحَسّان، وحقُّ المعروف تقريضه، الموقوف على حَلّة بجّانة قريضه[10] وإنْ كانت أرشَ اليمن، فيها نُودِيَ عليكم

(١) إشارة إلى قول عبد الصمد بن المعذل في هجاء محمد بن يزيد المبرد، وهو من قبيلة ثمالة:

سألنا عن ثمالة كل حي   فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم   فقالوا زدتنا بهم جهاله
فقال لي المبرد خل عني   فقومي معشر فيهم نذاله

(٢) السقع، بالسين: لغة في الصقع، وهو الناحية.

(٣) معافر، بفتح الميم: حي من اليمن.

(٤) العرك: جمع عركي. وهو صياد السمك.

(٥) الأم: القصد.

(٦) سرى القين مثل في الكذب. يقولون: «إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح». وأصله أن القين بالبادية يتنقل في مياههم، فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله، فيقول لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة! وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله.

(٧) إشارة إلى قول النابغة في صفة الفرات:

يظل من خوفه الملاح معتصما   بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين: الفترة والإعياء. والنجد: العرق والكرب.

(٨) عرفت البحرين قديماً بأن أهلها مطحولون. الحيوان ٤: ١٣٩.

(٩) الآسان: البقايا، الواحد أسن بضمتين.

(١٠) التقريض: التقريظ، وهو مدح الإنسان حيا والثناء عليه. وانظر ما سبق في ص ٢٤٦.

بِبَخْسِ الثَّمَن، أن يَزدرِىَ بفَوعك المُجِيل ، وجيلك النَّجيل ، من النَّجْل والتنجيل(١) ، يا أشلاءَ الرَّجِم البجيل ،والبَظْر السَّجيل ، وقد راعتكم مِن غسَّان وخَوْلان، وصَميم قيس وعيلان، الرائــع النَّجيل، أصحابُ الغُرَر والتحجيل، الذين مَثَلُهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل(٢) ، ياتبَعَة المجوس ، وقَرَعة القَرن والناقوس ، ألسْنا بالقُوس ، وأنتم بالقرقوس(٣) ، عَبَدَة التثليث، وشَرَدَة أجزاء الثالوث ، لقد أبحتم السَّمْرة للعاضد ، وجئتم بما فضحَتْ قومَها غامِد(٤) ، الجوهر وروح القدس وابن الإنسان إله واحد ، صَمِّى صَمام ، لا بالصِّماخ ولا الصِّمام بالحرَا تأَلَّقَتْ لكم تلك الأقانيم الثلاثة فى قرونٍ من الدَّهر ، وقد كان بين أقنومين منها بزعمكم سَبعُمائة شهر . لقد ضلّ أُقنومٌ بين سنودسين(٥) ، واتَّحدَ أهلُ التكليف منكم خلال اتحاد الكلمة بالنَّفسين ، وليتها كانت تسعةً فانقرض عليها جيلُكم ، وانقرضْ من الاختلاق إنجيلكم . ياقُرْبَ ماتلفَّقت لكم هذه الألوهة دون تكليف ، وتنزَّهتْ وحدانيتها عن التأليف بالتسويف . وعلى أنَّ الجاثليق قد أتاكم فى الزِّيادة عليها ببعض القول ، وردَّ فرضَ أحكامكم المنسوخة إلى العَول(٦) . كَفَى مابين المَلْكانية والنِّسطورية(٧) من فسادٍ فى الوضع ، ٣١/١

---

(١) النجل : العيب ، نجله أى عابه .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى صفة أصحاب الرسول الكريم: «ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » . آخر سورة الفتح .

(٣) القوس، بالضم: رأس الصومعة . والقرقوس، بالتحريك: القاع أو الوادى الأملس .

(٤) فيه إشارة إلى قول امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مكدم لجمع غامد وحده :

ألا هل أتاها على نأيها   بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتى فارس   فردكم فارس واحد

انظر البيان (١ : ٢٤٩) .

(٥) الأقنوم: واحد الأقانيم وهى الأصول . والسنودس هو المعروف فى مصر بالسنهودس. وهو المجمع الدينى . انظر مروج الذهب ١ : ٣١٨ — ٣١٩ والتنبيه والإشراف ١٢٢ ، ١٣٦ .

(٦) العول : عول الفريضة فى الميراث ، وهو أن تزيد سهام الورثة فيدخل النقصان عليهم ، كأن يكون لأحدهم الثمن فيصير له التسع .

(٧) الملكانية: فرقة منسوبة إلى «ملكا» ، ومعناه الملك بالسريانية، والمراد بهم أتباع =

واختلاف فى الأناجيل الأربعة بغير إسناد ولا قطع، لهؤلاء جزء من الإله ولهؤلاء جزء، أليس هذا يا هُزْأَة عينَ الفكاهة والهزء.

وحاطبٍ جاء بعارٍ يحطِبُ ... بفيهِ من ذاكَ حِجارُ الأَثلَبِ[1]

ثم ما لكم، ويلكم، توسَّعتم فى الكيان، وضايقتم معبودكم بتضايف المكان، ونقلتموه من عالم العقل إلى عالم الحس، وأفردتموه من الإنسانية عن رُوح القُدُس، فنقضتم الأسلوب، وقسَّمتم الجمْعَ المربوب، وعبدتم منه الجزء المصلوب. أَبدِع بهذا البِدْع، وأقدر بشَعْبِ[2] هذا الصَّدع، وأقذِرْ بالسَّبّ واللذْع[3]، وأَحقِرْ

٣١ ب بأُمّة لم تنقذ معبودَها من الجِذْع، أتظنُّونه أعفاكم من طلب ثاره، وأعاذكم يومَ هول المُطَّلَع من ناره، أم تراه إذا قادكم للعَرْض وأوقفكم بين يديه للجزاء يأخذ بحقِّه منكم ويوفِّيه، أم يترك للنَّاسوت هدراً ثلاثةً فيه.

جاءوا بِعِقْىٍ ثم قالوا بنَّوا[4] ... يا ويحَهم أحَمُقوا أم جُنُّوا

ولمَّا أخلفكم التبطين والتحليق، وأعيا عليكم التَّدخين والتخليق، وخالف على دينكم الجاثليق، حلَّيتم خشبةَ المسيح بعد رفعه عسجدا، وتوليتم مكانها عِيداً ومسجداً، هلَّا نصرتموه فى حياته، أو تحدَّيتم بتأليف أئلته قبل وفاته.

هلَّا جعلتم رسولَ الله فى سَفَطٍ ... من الألُوَّة أحوَى مُلبَساً ذهبا[5]

= مذهب قياصرة الروم، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى، الذى أقره المجمع المعقود فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م. انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ٩١ — ٩٢). والنسطورية: أتباع نسطورس، وكان بطريركا بالقسطنطينية سنة ٤٢٨ وأتى ببعض البدع. فحكم عليه السنهودس الثالث المعقود فى أفسيس سنة ٤٣١ باللعن والنفى، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم والبلينا، ومات بقرية يقال لها «سيفلح». انظر ما كتبته فى حواشى الحيوان (٤ : ٤٥٨).

(١) الأثلب: التراب والحجارة.

(٢) فى الأصل: «شعب». وشعب الصدع: لأمه وأصلحه.

(٣) فى الأصل: «وأقرر».

(٤) العِقى: أول ما يخرج من بطن الولد. وبنى بالمكان: أقام.

(٥) الألوة: ضرب من العود. والبيت فى اللسان (ألا) قاله أعرابى مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن.

ثم تَمْهِيم ، يا أبا مريم ، وهات الحديث عن مريم ثالثة آلهتكم ، والنُّصُب الذى تُوفِضون إليه ببلاهتكم ، أليست العذراء البتول ، المُحْصنةَ أمَّ الرسول، الطيِّبة النِّجار ، الطاهرة الإزار ، ما لكم قذفتموها بإنكار المهـــــدِ قبل قذفها بيوسف النجار .

صَـــلاَّمة كحُمر الأبكِّ لا جَذَع فيها ولا مُذكِّ(١)

ياغُواةَ الهُدَى ، وعُواةَ الصَّدَى، لقد خذَلتكم ضَلالاتُ السُّرَى، وخبلتكم خيالاتُ الكَرَى .

أطرقْ كَرَا أطرق كرا إنَّ النَّعام فى القُرى(٢)

أىُّ حذاء من أديمكم يُرقَع ، أم أىُّ حَلْى لنسائكم يُقعقَع ، ألِاتّخاذكم الصَّاحبة للرحمن ، أم لرميكم بالكذب ابنةَ عمران، تصدِّقون مِن مشبِّهتكم لوقا ويُحَنَّا ، وتكذِّبون من قال لوأردْنا أن نتَّخذ لهوا لاتَّخذناه من لدُنَّا . ياللعُجاب، وهل أمامَ هذه السَّوأة من حجاب .

حانيِّة من عانةٍ أو بيشا تحلق حلق النُّورة الجهيشا

لمثل هذا استفادك السَّفَه والعَمَه ، وجعلتَ أمَّنا لأمِّكم أَمَة .

أسمعُ صوتاً ولا أرى أحدا مَن ذا الشقىُّ الذى أباح دمَه

حاشى لإبراهيم أن يكون لكم أباً وإن كنتم بنيه فمَهْ ، ثم مه ، وهَبْكَ ٣٢/١

هاجر أمة ، بَخْ بَخْ، أزَم بعَقبِك الفخّ ، نِكاح ، أم سِفاح ، وكم بينَ محظورٍ

---

(١) الصلامة : القوم المستوون فى السن والشجاعة والسخاء . والأبك : موضع تنسب إليه الحمر . والمذكى : المسن . والرجز لقطية بنت بشر الأعرابية، مر بها مروان بن الحكم وهى ترتجز بهذا وتنزع بدلو على إبل لها ، فخطبها فتزوجها فولدت له بشر بن مروان . الأغانى (١ : ١٢٩ — ١٣٠) .

(٢) الكرا : لغة فى الكروان ، وهو طائر صغير يشبه به الذليل . والمثل يضرب للرجل الحقير إذا تكلم وغيره أولى منه بالكلام .

ومُباح . أنَّى لبُضع أمَّاتكم للحنيفية جُنوح، أو فى نكاح عمَّاتكم ما أوصى به نوح، لقد ذهبتم من العار بجُمِّه ورُمِّه، والفحل السَّوء يبدأ بأمّه . فى الفرق بين السَّرارى والمَهيرات، وخبرِهنَّ الذائع وأبنائهن الأنبياء والخلفاء والسَّادةِ السَّراة، ما يرفع الالتباس، ويعرِّف بمُنجبات الناس . وسل عن سِبط داود وسليمان، وبنى عبد المطلب وخلائف(١) بنى العباس . على أنَّ العرب لا تترجَّح للأُمَّهات، ولا تتبجَّح بذِكر الحرُمات، ولا رضيَتْ الشِّغارَ كفعلكم بالبنات، بل وأدتها للحفيظة هَبرا، ووردت بها حِياضَ الثُّكل صَبْرا، واختارت لهنَّ جَنَن القُبور صِهرا .

* والموتُ أكرم نزَّالٍ على الحرمِ(٢) *

وتقدَّر يا قُدار(٣)، ما صيَّرتَ لآلك فى ذِكر سارَة(٤) من حديثٍ مُدار. ربَّةِ الإياة(٥) أمِّكم، بل ابنة هارانَ عمِّكم، ذارية السِّبْط، وعاريَّة صادوف طَرْخان القِبط، إذ غصبها(٦)، ولولا عِصمة النبوَّة لعصَبَها، فتداركها اللهُ بأمّنا

(١) فى الأصل : « خلاب » .

(٢) من بيت لإسحاق بن خلف، فى الحماسة بشرح المرزوقى ٢٨٣ . وصدره :

* تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا *

(٣) هو قدار بن سالف، الذى يقال له أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح، وهو مثل فى الشؤم.

(٤) سارة، ضبطت فى اللسان (سقم، هجر) بتشديد الراء ضبطا بالقلم . والوجه فيها تخفيف الراء . وفى سفر التكوين ١٧ : ١٥ « وقال الله لإبراهيم : سارای امرأتك لا تدعو اسمها سارای، بل اسمها سارة » . وفى الحواشى أن معنى « سارة » رئيسة . انظر الكتاب المقدس طبع الأمير كانية ١٩٠٦ . وفى التنبيه والإشراف ١٤٣ أن نقفور ملك الروم أنكر على الروم تسميتهم العرب « ساراقينوس » معناه عبيد سارة، طعنا منهم على هاجر وابنها إسماعيل . قال المسعودى : « والروم إلى هذا الوقت تسمى العرب : ساراقينوس » .

(٥) أصل الإياة ضوء الشمس وحسنها . وكانت سارة بارعة الجمال .

(٦) فى القاموس أن الطرخان اسم للرئيس الشريف، خراسانية . وفى فتح البارى (٦ : ٢٢٨) أن اسم الذى حاول اغتصابها عمرو بن امرئ القيس بن سبأ، وكان على مصر، ذكره السهيلى، وهو قول ابن هشام فى التيجان . وقيل اسمه « صادوق » وحكاه ابن قتيبة، وكان على الأردن . وقيل سنان بن علوان بن عبيد بن عريج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . حكاه الطبرى . وانظر قصة اغتصاب فرعون لها فى سفر التكوين ١٢ : ١١ — ٢٠ واغتصاب أبيمالك ملك جرار لها فى ٢٠ : ١ — ١٨ .

ذات المناسك الخمس، ومخلِّصتها من مَلِك عين الشَّمس(١)، إذ نافَخَت عنها بإرهاص الوحى والتنزيل، وشهدت ببراءتها عند إبراهيم الخليل، فاختارها على أمِّكم لوِراثة أمره، وتسرَّاها بعد ثمانين من عمره، فكانت بكرَ سلالته ووصِيَّ أبينا إسماعيل صلوات الله عليه حامِل رسالته، وما زالت أمُّكم حتَّى نافستها فى السَّلام، ووسمتها بثلاثٍ لغَدْرها بقين سنَّةً فى الإسلام(٢)، ولم ترض لها بيسان بيتا فرضى الله بالبيت الحرام.

أُزَّت بها ضَرَّةٌ زهراء واضحة كالشَّمس أحسن منها عندرائيها

فرحلت عنها أثرة الفِراق، طاهرة الأعراق، سائرة مع جبريل على البُرَاق، ٣١ ب

فبحقٍّ تُزهَى بنو هاجرَ، بالتهاجر، وتَاهَى بالتَّكاثر والتَّفاخر، يا فاجر.

رأيت اللسـانَ على أهله إذا قاده الجهلُ ليثًا هَصُورا(٣)

وأمّا ماجابتَ عليه يا حائنُ برِجْلك، ونكَّستَ به حذاء صدرك نِصَالَ نَبْلك من ذكر صواحب الرايات(٤)، والسَّارين بأمثال أمِّك للبَيات، فقد رجعتَ فى ذلك ياشامُّ على أدراجك(٥)، وبحثتَ عن مُديةٍ لأوداجك، حِلاً أمَّ عامرٍ(٦) عسالكِ ناديتِنا من أقرب طِيَّة، ونزعتْ بك إلينا عُروق(٧) من سُمَيَّة. دونك هيلى بكَيلكِ الوافى.

* واعرنزمى مَيَّادَ للقوافِى(٨) *

---

(١) هى عين شمس، المدينة المصرية المعروفة، قال ياقوت: «اسم مدينة فرعون موسى».

(٢) فى اللسان (هجر): «هاجر أول امرأة جرت ذيلها، وأول من ثقبت أذنيها، وأول من خفض. قال: وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفضها، فصارت سنة فى النساء».

(٣) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٣٠) برواية:

* إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا *

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٤٩. (٥) الشام: المتكبر، يقال شم، أى تكبر.

(٦) تهكم بكنيته «أبو عامر» انظر ما سيأتى فى ص ٢٨٠ س ٧.

(٧) فى الأصل: «عرق».

(٨) لابن ميادة، واسم الرماح بن أبرد. وميادة أمه، كان يضرب جنبيها ويقول لها:

* اعرنزمى ميـاد للقوافى * =

سُمَيَّة أخيذةٌ من أسراكم(١)، وسريّة تصيّرت إلى أبى جَبر(٢) ثم إلى الحارث ابن كَلَدة من هدايا كِسراكُم، فأزوَجها الحارث مسروحًا(٣) فى حىٍّ مُضاع، وبيت قعيدتُه لَكاع، تَسرح فى حِيَال(٤)، ويبيت عندها مصطلِبًا شيخُ العيال(٥). فإن كان واثبَها حليفَ عهد، أو سافحها أو خاتَلها عن قَصْد، فسامَحَتْه بما سامحها. ثم صارتْ إلى عُبَيد، بغير عقد، وظنّت أنّ فى كل أوديتها بنى سَعد(٦).

كعادتها فيما مضى من شبابها   كذلك تدعو كلَّ مرء أراملُه

أراها من الاثنى عشر ألفاً بغَين، ببلاد الأرمن، حاضرةِ مُلككم، وسُمَيساط(٧) واسطةِ سلككم، اللائى حظرهنّ طاغيتكم عن التزويج، وأباح

= يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذكرون أمه. واعرنزم: تقبض، وفى الأصل: «واعزى»، صوابه فى الشعراء ٧٤٧ والأغانى (٢ : ٨٦). وبعده:

واستسمعيهن ولا تخافى   ستجدين ابنك ذا قذاف

(١) كانت سمية من أهل زندورد، وهى مدينة كانت قرب واسط. معجم البلدان والمعارف لابن قتيبة ١٢٥.

(٢) فى الأصل: «ابن جبر»، تحريف. وفى المعارف والعقد (٥ : ٤) «أبو الخير» تحريف كذلك. وأبو جبر كان أحد ملوك اليمن، واسمه كنيته، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندى، وقيل أبو الجبر بن عمرو الكندى. وفيه يقول ابن دريد فى مقصورته المشهورة:

وخامرت نفس أبى الجبر جوى   حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

انظر ابن خلكان (٢ : ٢٩٤) فى ترجمة يزيد بن مفرغ.

(٣) وكذا عند ابن قتيبة فى المعارف، لكن بلفظ: «مسروح» بالحاء. لكن فى العقد وابن خلكان أن زوجها هو «عبيد»، وهو عبد وهبه أبو الجبر للحارث بن كلدة مع سمية. وهو الصواب، فقد ورد فيما روى من خطبة لزياد بن أبيه: «فأما عبيد فإنما هو والد مبرور، أو ربيب مشكور». انظر العقد (٦ : ١٣٢) ومروج الذهب (٣ : ١٦ . وما ذكر هنا يجمع بين الروايتين.

(٤) نوق حيال وحول: لم تحمل.

(٥) يقال صلب العظام واصطلبها: جمعها وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به. قال الكميت:

واحتل برك الشتاء منزله   وبات شيخ العيال يصطلب

(٦) إشارة إلى المثل: «فى كل واد بنو سعد».

(٧) فى الأصل: «سيماط»، تحريف. وسميساط: مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى العراق، ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن. معجم البلدان.

فروجهنّ لقراميل العُلوج، بوظيفة دينارين ونصف دينارٍ فى السنة على كل واحدةٍ وقَفَها على مأكله ومشربه، وجعلَها سُنّةً باقيةً فى عقبه .

فلولا الرِّيح أسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تُقرع بالذُّكور[1]

فيا لها نعمةً، أضاعتْ طِعمة، وغُنْمَ إفادة، جلبتْها قِيادَة، وزكاء خراج، بمخض زُبْدَه إدخال وإخراج، ويملأ فى كل فِيقةٍ عُسّ أبى سُواج[2]، ٣٣/١ أتحيط، يا بليط، بهذه الروايات حُسبانا، أو تحصِّل لها بظورا أو جُوفانا . لقد نَبَّهت بهذا السماع هاما، وقافات للقِراع بها يَلَمْلَما وشماما . أظنُّك هذا اعتمدت، أو جمعت قافاتِ الكندىّ[3] وأنشدت :

شرف ينطح النجوم بروْقَيْهِ وعزّ يقلقل الأجبالا[4]

فهلاً يا جاهلُ، وشرّ مُباهِل، سُقت البيت الثانى بعده والثالث[5]، وصفتهما بشرف قومك على إيقاع المثانى والمثالث، أأردت يا ضبعُ أن تخلع فخارها التغلبىّ، وتكسوه مغلوبه الدمستقَ[6] المسبىّ، إذ أذاقه سيفُ الدولة بأساً ونَكالا، وغطّى منه بَبنيّة الحدَث جبيناً وقذالا[7] .

---

(١) البيت لمهلهل . والرواية المعروفة : « أهل حجر » . وانظر حواشى البيان (١ : ١٢٤) .

(٢) أبو سواج: رجل من ضبة كان قد جاور فى بنى يربوع فخانوه فى أهله، فاحتال لمن خانه — وهو صرد بن حمزة اليربوعى — بأن سقاه ماء رجلين تداولا مباضعة إحدى الإماء، فعير بنو يربوع بذلك . انظر شروح سقط الزند ١٧٨٥ — ١٧٨٨ .

(٣) يعنى المتنبى، وهو أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى .

(٤) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة . الديوان (٢ : ١٠٤) بشرح العكبرى . وانظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٥) هو قوله :

حال أعدائنا عظيم وسيف الـ دولة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلته جياده الإعجالا

(٦) الدمستق: ملك الروم، وفى الأصل: « الدمستقى » .

(٧) يعنى ببنية الحدث قلعتها . والحدث : مدينة بين ملطية وسميساط .

وحماها بكلِّ مطَّرد الأكـ ماب جَورِ الزمانِ والأوجالا[١]

ألم يأنِ لك أن ترجعَ فى الروايات إلى رِبِّيِّك، وتأخذ هذه المنحة من رِبِّيِّك[٢]، وتستر دونها من عُوَارِى، وتغطِّىَ هذه الفضيحةَ بأطمارى، فاربَعْ لا ربعت، ولا طِرتَ مع النَّوكَى ولا وقعت.

وقُدْ بزمامِ بَظْرَ أمِّك واحتفِرْ بأيرِ أبيك الفسلِ كُرّاتِ عامرِ[٣]

وأمّا عَوسك بالإيغال[٤]، وتَوسلك فى خبر أبى رِغال[٥]، فناهيك من ثَقَفِيّ مُثاقِف، وناحتِ أثلةِ عدوِّه ناقف، ضَمَّه القَسْر، وضامه الأسر، فساق[٦] لأعدائه الأعراض والوسوم، ووصَفَ لهم الأطلالَ والرسوم، حتّى بلَّغ حتفَه أبا يكسوم، فأقرّه بالمغمّس بعد صِيالِه، وأنزلَه عن محمودٍ غير محمود لاستئصاله[٧]، وأسلمه للصِّلْدِمِ الصالم، فهل هو فى ذا يال هَمْدان ظالم[٨]؟

وعلى أنّ العربَ لم تُعْذِر إنيسه فى استكانته للأعادى، ودِلالته للتخلُّص بفيل المُعادِى، ورَجَمتْ قبره كما رجمت قبر العِبادى[٩].

---

(١) فى الأصل: « والآجالا »، صوابه من الديوان.

(٢) الربى: الحبر العالم. والربى أيضاً: الجماعة الكثيرة.

(٣) للطرماح بن جهم السنبسى، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٨٧.

(٤) فى الأصل: « غوسك »، تحريف. والعوس، بالمهملة: الطوف بالليل، وهو أيضاً الوصف.

(٥) أبو رغال: رجل من ثقيف، وهو الذى دل أبرهة أبا يكسوم على الطريق إلى مكة، وخرج معه حتى أنزله « المغمس »، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك فرجمت قبره العرب. السيرة ٣٢ جوتنجن.

(٦) فى الأصل: « فساب ».

(٧) محمود: اسم الفيل الذى وجه إلى الكعبة.

(٨) إشارة إلى قول عمرو بن براقة الهمدانى، فى الأمالى (٢ : ١٢٢):

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم

(٩) فى الأصل: « العيادى »، تحريف. وفى مروج الذهب (٢ : ٧٩): « وفى طريق العراق إلى مكة — وذلك بين الثعلبية والهبير نحو البطان — موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال ».

ها إنّها عِذرةٌ إلّا تَكُنْ نفعت ... فإن صاحبها مشاركُ النَّكدِ[١]

٣٣ ب وتعرف ، يا مُقْرِف ، إذ أخسَرْتَ بشأننا ، وسَخِرت لانتصاف قُصَيٍّ من أبي غُبْشاننا ، والأصح فى الآثار ، عن نقلة الأخبار ، أنّ أبا غُبشان ما أضاع البيت ولا باعه ، وأن عبد منافٍ وأخاه رزاحًا غلبا عليه خُزَاعة[٢] ، وانتزعاه منه عنوةً ورأى اللهُ انتزاعَه ، وإن صحَّ البيع فى مفرد الإسناد ، وانتسب إلى أهل الجدَل والعناد ، فخزاعة لم تُعرِقْ فى السِّدانة ، ولا كان لها طوقٌ بحمل تلك الأمانة ، فرزَحَتْ بحمْلِها ، وضَحَت عن ظلِّها ، وأسلم أبوغُبْشان مفاتح الكعبة لأهلها ، ورثةِ الدَّعوة الإسماعيلية، وخالصة الملّة الإبراهيمية، قُرعة ولد إسماعيل فى قصيٍّ وعبد مناف ، والعِترة الهاشمية أُولى الرِّحلتين وَالإيلاف .

الخالطين فقــيرهم بغنيِّهم ... والظَّاعنين لرِحلة الأضياف[٣]

أربِــحْ بها صفْقةَ قَمْر، وولاية أمرٍ وذمر، وشراء أمِّ رِحْمٍ بزقِّ خمر[٤] .

شرت القُلوبَ رخيصةً أعلاقَه ... ومضى يَعَضُّ بنانه المغبونُ

أين فِعلُ هذا ، من حواريِّكم يهوذا ، الذى هو عندكم أفضل من موسى بِكر التنزيل ، وخير من نوح وسرافيل[٥] والخليل ، إذ سامَ إلٰهكم عيسى على دعوا كم سَوْمَ العبيد ، وباعَه بثلاثين درهمًا من اليهود ، فجلّلوه الخَبَط، وسقوه الخلَّ وأفرشوه السَّبَط[٦] ، ثم جنبوه وسحبوه وصلبوه، قلتم — وقال الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ . وما فتئتم بعد تولون يهوذَا التَّعزيرِ والتبجيل،وتأخذون

---

(١) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٢٧ .

(٢) انظر ماسبق فى حواشى ص ٢٥٢ .

(٣) لمطرود بن كعب الخزاعى فى السيرة ١١٤ جوتنجن . وروايته فيها :

المنعمين إذا النجوم تغيرت ... والظاعنين لرحلة الإيلاف

(٤) أم رحم : اسم من أسماء مكة .

(٥) كذا . ولعله « إسرافيل » ، وهو الملك الموكل بالنفخ فى الصور .

(٦) السبط :ضرب من النبت . وانظر إنجيل متى ٢٧ : ٣٣ — ٣٤ ومرقس ١٥ : ٢٦ ولوقا ٢٣ : ٣٦ ويوحنا ١٩ : ٢٨ — ٣٠ .

عنه مختلفات الإنجيل، وتسجدون له ولصاحبيه مَرْقُشَ(١) ومَتّى، وتزعمون أنَّهم يمشون على الماء ويُحيون الموتى . شاهت تلكم الوجوه ، ولا عُدم اللطيم منها والمنجوه(٢) .

إذا لم تخشَ عاقبةَ اللَّيالي ... ولم تستحيِ فافعلْ ما تشاء

ذلك كلُّه والنُّبوَّة غضَّةٌ بمائها، وعَصا المسيح بِقِرفها ولحائها، والوحى من
٣٤ / ا ورائها والمَلَك على أرجائها ، والعهد جديد ، والحلقة حديد . لـكنّهم :

نزعوا بسهمٍ قطيعةٍ تهفو به ... ريشُ العقوقِ فسارَ غير سديد

فأينَ بُناة الصُّروح ونُماة الشُّروح ، بل عَصَمة السُّفوح ، ولَعَقة الدَّم المسفوح ، متى ملكوا الأرَضين ، أو أُعطُوا من جزيرة العرب مارَضِين(٣) . أبعد أنْ استباحتهم الحُبْشان ، وضُربت عليهم الجزيةُ وكانت أوَّلَ خراجٍ بالزّمان . فما زلتم تَشغلونهم من أبنائكم بالأماثيل ، ويَعملون لهم مايشاءون من محاريب وتماثيل ، حتّى أخدَموكم بيوتَ النِّيران ، وقدَّموكم للحرث مع الثيران . فما أنِفَ ذو جاهِكم ولا أنقَرَ ، ولا أحلى ولا أمقر(٤) ، كذلك الكلاب على البقر(٥) . أهذه النُّجُد البُهَم ، لا رعاة شياهٍ ولا بَهَم(٦) . ومَنْ لرعى الشُّوَيهات يا كُشاجم(٧) ، غير المُسَفاء والأعاجم ، سُوَّاس الخنازير ، وحُرَّس

---

(١) كذا بالشين المعجمة ، وهو مرقس ، ويسميه المسعودى « مارقس » .

(٢) نجهه : استقبله بما يكره ، وزجره وردعه .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى ص ٢٤٩ .

(٤) أنقر : كف وأقلع . وأمقر : كان مرا . وفى الأصل : « امغر » ، تحريف .

(٥) هو مثل ، يقال بالرفع والنصب ، أى أرسلها على بقر الوحش . ومعناه خل مرأ وصناعته .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٢٤٧ .

(٧) كشاجم : لقب لشاعر معروف ، واسمه محمود بن الحسين . توفى سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠ . الفهرست ٢٠٠ ، وسير النبلاء القسم الثانى من الجزء ١٠ ص ٢١٨ ، وحسن المحاضرة ١ : ٢٦٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧ . قالوا : سمى بذلك لأنه كان كاتباً شاعراً جواداً منجماً، ثم مهر فى الطب فقيل « طكشاجم » .

الجازِر ، نَدَحة الأُكر[١] ، ولَقَحة الشَّجر لا القَكَر ، ماحا كوا — قُلتَ — بُرودا ، ولاساسُوا قُرودا ، ولالا كُوا عُرودا . لقدأوضحتَ لو وافقت ، ووصفت لو أنصفت ، قل لي فمن رَقَم البرودَ بنيسابور ، وغرسَ زيتونَ العراق لسابور إذْ غلّ أيمانكم ، وكسر صُلبانكم ، وقسر على الغِلمة لشفاء الغُلمة وِلدانكم ، تعبَّدَهم وعبَّدهم ، وسوَّرهم وخلَّدهم[٢] ، وطوَّقهم وقرطقهم[٣] ؛ وماشَهم وطَرَقهم[٤] . وبعد ذلك أخذ في جَذِّكم ونقلكم ، وزنق فَقْحة هِرَقلكم ، فصارت في ملوككم مُثلة ، ولهذا لم تُزْنَق بعدُ في أرضكم بغلة ، إمَّا لتحرُّجٍ من الأعذاء[٥] ، أو تعرُّج عن شماتة الأعداء ، يفعل هذا بالذَّليل يابنى الصَّيداء[٦] ! تُرَى ، يا فَقْع وادى القُرى ، حَضَر هناك اسلفكم حَوكُ بُرود ، ورشفُ بَرود ، ولوك عرود . رُزْها ، يا مُزْهى ، بمدامنة فُهود ، كما زعمت وسياسةِ قرود ، وتذكَّرْ حال أيتامك ، وقدِّر على هذا الإصبع سَعةَ خَيْتامك .

ولا تغضبَنْ من سِيرة أنتَ سِرتَها وأول راضٍ سيرةً من يسيرها[٧] ٣٤ ب

---

(١) يقال ندحت الشيء ندحا ، إذا وسعته . والأكر : جمع أكرة ، وهي الحفرة في الأرض .

(٢) خلدهم : حلاهم بالخلد — بكسر ففتح — وهي الأقراط .

(٣) القرطق ، بضم القاف وفتح الطاء : القباء . معرب « كرته » .

(٤) أصل الميش خلط الصوف بالشعر ، والطرق: ضرب الصوف والشعر بالقضيب لينتفشا . قال :

عاذل قد أولعت بالترقيش إلى سرا فاطرقى وميشى

(٥) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع لا يسقى إلا من ماء المطر . والمثبتها« الإعداء » .

(٦) إشارة إلى قول زيد الخيل ، وكان بنو الصيداء — وهم من بنى أسد — قد أخذوا فرسه :

يابنى الصيداء ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالذليل

الأمالى (١ : ١٢) والأغانى (١٦ : ٤٧) والعقد (٣ : ٣٤١) .

(٧) لخالد بن زهير الهذلى . الشعراء ٦٣٧ وديوان الهذليين (١ : ١٥٧) .

وما ذكرت من إناوة غَسّان ، لسَليح ياخَطِل اللسان(١) ، فتلك سارية من خلال الأزد ، وفَلّالِ عَرِم السَّدّ ، رازوا لقومهم البلادَ فضَلّوا ، وفقَدوا ملأهم فقَلّوا ، فما عَداهم ، أن داهنوا عِداهم ، حتّى استقلّوا ، وأمِرُوا ففَلّوا . ولمّا تدارك غابرُهم ، ودعا دَرَاكِ حازمِهم وعامرهم ، قصّروا خُطاهم ، وقصّروا مَطاهم ، وأعطاهم جِذْعٌ من سيفه ماأعطاهم(٢) . ثم جعل قومُه بعدُ يضربونهم فى الأعراض والرّواجب ، ويناوبونهم بين الصَّفَرِيّة والرّواجب(٣) ، حتّى استرهنوا منهم قَوسَ حاجب(٤) ، رغبةً فى خفرهم ، وإجارة سَفْرهم ، وتجهيز لطائمهم ، وتجويز خطائمهم(٥) ، وجعلَتْ ملوكُكم تخوّلُنا بالجمائل والوضائع ، وتَنَحّلنا ضروب الوشي والقطائع .

وإساءاتُ ذى الإساءة يُذكـ ـرنَكَ يوماً إحسان ذى الإحسان

هذه أقيالكم الأكاسرة ، وأجيالكم القياصرة ، لاهَا اللهِ(٦) إلاّ الفيوج المتقاصرة ، وعُلوج بخت نصّر وناصرة(٧) ، عامِلُو المِهَن ، وحاملوا الأُهُن(٨) ، وباذلو

---

(١) سليح ، بالحاء المهملة ، هم بنو سليح بن حلوان : بطن من قضاعة . وفى الأصل : « لسليخ » ، تحريف . وكانت غسان تؤدى إلى ملوك سليح دينارين كل سنة عن كل رجل . العقد (٣ : ٣٢٢) .

(٢) جذع ، هو جذع بن عمرو الغسانى ، وكان سبطة بن المنذر السليحى يلى ضرائب غسان ، فلما طالب جذعا بالدينارين دخل جذع منزله واشتمل على سيفه ثم خرج فضربه به وقال : « خذ من جذع ما أعطاك » ، فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك .

(٣) الرواجب الأولى : جمع راجبة وهى مفاصل أصول الأصابع . والثانية أراد بها الغزوات التى فى شهور رجب .

(٤) هو حاجب بن زرارة التميمى . انظر قصة قوسه فى ثمار القلوب ٥٠١ والعقد (٢ : ٢٠) .

(٥) جمع خطيمة ، يقال خطم الناقة : وضع على أنفها الخطام . وفى الأصل : « حطائمهم » .

(٦) ها الله ، بمعنى والله ، وها التنبيه قد يقسم بها .

(٧) ناصرة : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا .

(٨) الأهن : جمع إهان ، وهو العرجون .

السكَنْ، والمَن، ياطَغام الأحلام، وحُمَّال أوتار الخُلَّام[١]. ألهذه الخلال، واستقراء الأحوال بهذا الاستدلال، نحن أرقاؤكم وحفدتكم، وعُتقاؤكم وعبدتكم ؟ لوساترة شوار كلَّمتنى، أو ذات سِوارٍ لطمتنى ! ألم تدريا أحثر[٢]، يامُجتنيَ الحَثَر[٣] أنَّ جدَّنا يعربَ هو الذى أرقاكم ورفعكم، وصَفَع بالبَهج من صفعكم، ووسمكم بسَوادِ جلدته وسفعكم، وأجلاهم عنكم إلى ريف عُمان وماسان، وأطراف خراسان، فلمَّا غمطتم نعمتَه، وأمطتم إمَّته[٣]، عادكم من عيده، وسابقةِ وعيدِه، ذو نواسٍ[٤] فناسكم وداسكم، وخرَّب نواويسكم، ونهر أنفاسكم، وجذَّكم عن ماء المعمودية[٥]، وردَّكم إلى دين اليهوديَّة، فمن ٣٥/١
أىِّ دينٍ تحسبون، أو إلى أىِّ رحم تَنْتَسبون، أ إلى الأفياء الشُّوربة، أو إلى الأغبياء النّسطورية[٦]، والأدعياء الصَّفُّورية[٧]، نسبٌ موضوع بين العفار والعفر، ومنتسَبٌ مقطوع فى رومة ونهر الصَّفر.

خالِفْ فلا واللهِ تهبِط تَلعةً من الأرض إلا أنتَ للذُّلِّ عارفُ

---

(١) الحلام: القتيل الذى ذهب دمه باطلا. قال مهلهل:

كل قتيل فى كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

(٢) الأحثر: المنسلق العين. والحثر: العنب وهو حامض صلب لم يشكل ولم يتموه. فى الأصل: «أخثر» و«الختر»، تحريف.

(٣) الإمة، بالكسر: النعمة.

(٤) أحد أذواء اليمن. وكان أهل نجران على النصرانية، فسار إليهم ذو نواس فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود وضرم فيه النيران فحرق من حرق، وقتل بالسيف حتى أسرف فى ذلك. وفى ذلك قول الله تعالى: «قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود». السيرة ٢٢ ــ ٢٥.

(٥) فى الأصل: «العمودية»، تحريف. والمعمودية بتخفيف الياء، وتقال بتشديدها: ماء للنصارى يغمسون فيه ولدهم للتطهير. وفى تاج العروس أنه معرب من «معموذيت» ومعناها الطهارة.

(٦) انظر ما سبق فى حواشى ٢٦٢ ــ ٢٦٣.

(٧) نسبة إلى صفورية: بلد بالأردن.

وما لـكم ، والذى كَثَّرَ آلـكم ، وأنتم أعجز الأمم بعولا ، وأجفرها فحولا ، وأثقلها ظهراً مرحولا ، ومنكم الأسقفّ والنطران ، والبَطْرَك والمَطْران[١] ، وفيكم الجبُّ والخصاء ، والعدّ فى وَذْعة المِساس والإحصاء[٢] ، إلى إفراد رئيسكم ورَهبانيةَ شَمَّاسكم وقِسِّيسكم ، وأنتم مع ذلك أكثر أهل الـكتاب عدداً ، وأبقّ نسائهم ولداً[٣] ، ماذاك إلاّ أن ضَرَبت فيـكم الأكراد والأنباط ، والحبشة والأقباط ، فمنـكم الصُّفر والسُّمر ، والغُتْر البُرش الحمر ، يظّاهرون بمَعْرِفيهم لامنجبيهم ، والأمُّ تضحك منهم لعلمها بأبيهم :

ألا أنها تسرى إذا نام أهلُها فتأتى بشىء ليس فى الظنّ يخطُر

وما نخرت به ياحمار ، يامبراث أعمار ، من حَمَلة الأسترلوميقى ، والعلم بالأرثماطيقى والألوطيقى[٤] ، كفخر الأَمَة بحِدْج ربّتها. ذلك لمستنبطى يونان وساسان ، وكينية بابل وكلذان وكاسان ، أصحاب العلوم الأرضية ، والتعاليم الرياضية ، من الطبقة الفيثاغورية ، والفلاسفة الهُرمسية. معالم عفّت ملوكُـكم آثارَها ، وطمست أنوارها ، بغَواية قسطنطينكم ، وغباوة المفلق لدينـكم ، ابن الهِلانيةّ[٥] ، وقيِّم المّلة الطبانية :

حبوت النصارى بها معلناً لهـــا غيرَ كاتم أسرارها
ولم أدرِ أنك من قبلهـا تحبُّ السِّياط بأثمارها[٦]

---

(١) البطرك والبطريرك ، هو بالرومية « بطريركس » تفسيره رئيس الآباء ، مخفف . التنبيه والإشراف ١٢٣ .

(٢) المراد بالمساس المباضعة . ويقال وذع الماء يذع ، إذا سال .

(٣) بقت المرأة : كثر ولدها .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٥) يعنى قسطنطين بن هيلانى . قال المسعودى : « وهو أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قلت وانتشرت فى البلاد » . التنبيه والإشراف ١١٩ . وانظر الفصل (٢ : ٧٣) .

(٦) ثمرة السوط : عقــدة طرفه . وذكر الثعالبى فى الـكنايات ١٨ أن ثمرة السوط يكنى بها عن القلفة . وأنشد لدعبل :

إلى عليجين لم تقطع ثمارهما قد طال ماسجدا للشمس والنار

أراد : أنهما لم يختتنا . وانظر للـكلام على هــذه الـكناية النادرة حواشى البيان (٣ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

اللهمَّ ناقلةً فيكم من فارس(١) ، وخَدَمة تلك المدارس ، لقُنوا من آثار ٣٥ ب اللحون طريقَة ، وحكَوها تقليداً لاحقيقة ، يندبون بها فى نَوحكم ، ويَقصِفون عليها فى سَماعاتكم وفِصحكم ، فما أنتم وذا ، لاقُذِّيت(٢) أعينكم من قذى ، إنْ قلتُ : لكم بوطيقى لاموسيقى ، وأرضر ثيقى لاجو مطوريقى(٣) ، وصفتُ قومَك ، وعرَّفت سومَك :

إيَّاك يعنى القائلون بقولهم إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبل يخنقُ

وأمَّا قِيلُك ياسفساف ، من العرب فى نائلة وإساف ، فتانك صخرتان نُصبتا كاللّات ، وثالثتهما مناة ، وجدُوها على زمزم مَوائلَ جُلْفا(٤) ، وطافوا بها ظناً أن تقرِّبهم إلى الله زُلْفَى . فإن صح الخبرُ ووضح الأثَر ، بمسخهما عبرةً لمقارفة العبث ، وموافقة الفسوق فى حرم الله والرفث ، فزيادةٌ فى الإنذار ، وأخذ فى تعظيم شعائر الله بالإعذار . أين هذا المعتقَد يابنى الأستاه ، الأجلاه ، من جحود السماء عندكم سبعمائة سنة أن يحت لكم اسم ابن الله ، وأن يحنّا المغيث المنزلَ المطر(٥) ، الآتى من أقنُس(٦) فى الكلمة والجلاد بالبُهت المُستْطَر(٧) ، مسجَّى فى بيعته الآن ، من ذلك الأوان ، عبيط الدم ، غضَّ الأدَم ، مشيراً باليد والقدم :

يحج مأمومةً فى قعرِها لَجَفٌ فاستُ الطبيب قَذاها كالمغاريد(٨)

---

(١) اللهم ، كلمة تستعمل فى الاستثناء بمعنى إلا . انظر شفاء الغليل ٢٠ .

(٢) قذى عينه تقذية : أخرج منها القذى .

(٣) انظر ماسبق فى ص ٢٥١ .

(٤) جلفا ، لعلها « جنفا » جمع أجنف ، وهو الضخم ، أو المنحنى الظهر .

(٥) فى الأصل : « المغنث ! نزل المطر » . (٦) فى الأصل : « أسيس » تحريف .

(٧) المستطر : المكتوب . وفى الكتاب : « وكل صغير وكبير مستطر » .

(٨) البيت لعذار بن درة الطائى ، كما فى اللسان (حجج) . يحج : يصلح . والمأمومة : الشجة بلغت أم الرأس . وفى الأصل : « مأمونة » ، صوابه فى المقاييس (حجج) واللسان (حجج ، لجف ، غرد) والحيوان (٣ : ٤٢٥) .

وأنسيت ياهامان ، ما وعوّعْتَ به وجعجعت فى قبر كسرى والنعمان :

يا مدّعى سُورانَ منزل جدِّه قل لى لمن أهناسُ والفيّـومُ(١)

أحرار الفرس كِفاؤنا، وأعداؤنا أكفاؤنا، نجتلد ونحتطم ، وكما قال أخو لقمان : « أَلْطمك إذا لم أجد من ألطم » . فما للرُّوم والخرس ، أُولِي الأراكنة المُلْس(٢) ، والأعاريبَ الحُمْس . « حَنَّ قِدحٌ ليس منها » . ومع هـذا فقد أنبأتْك الأممُ الخوالى ، والرِّمم البوالى ، أنّ العرب لا تنـكح العجم ولا الموالى، لذاك أحبّ أبرويز أن يَصِمَها بَهناته ، وأراد من أبى قابوس أن ينكحه إحدى

٣٦/١ أخواته ، ويستولى على حُرَمِه وحُرُماته ، فرغب عن صِهره، على عظيم أمره ، وطوى الحديث معه على غرّه، وأغراه فى قومه بالسَّواد . وأحاله على بَقَر السَّواد، فكان فى حقّ الإباء ، وكرم الآباء ، ألا يلوى إليه صفحا ، ويَضرِبَ عنه الذكر صَفْحا ، وينأى بكسرويّته ، ويشمخ بتوميّته ، ولا يرجع لغـدره وكَيدِه ، ويـتزيده خدعة وقد نصب لصيده :

ذئب فلاةٍ كيدُه دارع صادف ليثاً كيدُه حاسرُ

والذى دلّ على فَسَالته ، وخفّة نُسَالته(٣) ، رأيه العاجز بعـد موته ، فى حرائبه ونُزْله(٤) وتهافُته على أخذ ماله وأهله ، فحماها عنه ذُؤْبان العرب وحُمْسها،

---

(١) سوران ، لعلها « سوذان » أو « سوراب » وهما من بلاد الفرس . وأهناس : قرية قريبة من الفسطاط ، ذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام ولد بها . ياقوت .

(٢) فى القاموس (ركن) : « والأركون ، بالضم : الدهقان العظيم». ومثله فى اللسان. وفى معجم استينجاس ٣٨ أن الأركون هو الرئيس أو الحاكم . والكلمة يونانية الأصل دخلت فى الفارسية والعربية .

(٣) النسالة ، بالضم : ماسقط الريش .

(٤) الحرائب : جمع حريبة ، وهو المال المسلوب . وفى الأصل : « حرائبه » .

شَيْبانها ومازنها وأوسها ، وصدُّوه عن حَوزته إلى الأطرار[1] ، واتَّبعوه بحرب ذى قار ، ثم أزالوه عن مُلك ظَفَار[2] :

إذْ جنبنا خيلنا من ظفار ... ثم سرنا بها مسيراً بعيدا[3]

فاستبحنا بالخيل مُلكَ قُباذ ... وابنُ أُفلوذ جاءنا مصفودا[4]

فهذا أبرويزكم ، لا أبانَ تمييزكم ، الذى بذكره تبجَّحتَ ، وعذرَه رجَّحت ، هو الذى دوَّخ أريافكم ، ووطئ أكنافكم[5] ، وأورثنا ورثته بالمدائن أسيافكم ، وحطَّكم من الحزوم ، وأقصاكم إلى أبعد التُّخوم ، وبه نزلَتْ فى قصتكم : ﴿الٓمٓ غُلِبَت الرُّوم﴾ ، فأخَذْنا للخؤولة فيكم بثأرها ، ونَضَحنا بالحَمِيَّة من عارها[6] ، وتداعينا بمضر الحمراء ونزارها ، يا للهمم الحميرية ، والعصائب اليمنية والمضريَّة ، مِن أبناء ذى مَرَاثد[7] والصَّباح ، وجَذِيمةَ الوضَّاح ، وأبرهةَ ذى المنار ، وعمرو ذى الأذعار ، وناشر النِّعَم[8] والرائش ، وسلمة ذى فائش ،

---

(١) الأطرار : الأطراف ، جمع طر بالضم .

(٢) ظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء . وفى الأصل : « ذفار » فى هذا الموضع والبيت بعده ، تحريف .

(٣) من قصيدة منسوبة إلى تبع فى أخبار عبيد بن شرية ٤٥٨ . وروايته :

وسلى عن مسيرنا من ظفار ... بجموع نؤم غورا بعيدا

(٤) فى أخبار عبيد ٤٥٩ :

واستبحنا جميع ملك قباذ ... وجبيناه صاغرا مصفودا

(٥) الأكناف : النواحى . وفى الأصل : « أكتافكم » ، تحريف .

(٦) النضح : الذب والدفع . وفى الأصل : « نصحنا » ، تحريف .

(٧) فى الأصل : « من ذى أبناء مراثد » ، تحريف . وذو مراثد ، هو الرائش الأصغر . واسمه الحارث بن الهمال ذى شدد ، أحد ملوك اليمن . التيجان ٧٨ — ٧٩ .

(٨) انظر مروج الذهب (٢ : ٧٦) والتيجان ٢١٩ وأخبار عبيد بن شرية ٤٢٥ حيث ذكر فى الأخير علة تسميته .

والهدهاد، وابن عبّاد، والحارث بن شدّاد، والفيّاض[١] والضحّاك[٢] والبرّاض[٣]، والحارث بن مُضاض :

٣٦ ب هو المشهد الفضل الذى ما نجا به   لكسرى بن كسرى لا سَنامٌ ولا غَرْبُ

فما هو إلاّ أن وضَح التمييز، ورجَح التبريز، وقيل هذا دِرَفْش[٤] راية أبْرَوِيز، فللحين قوّضنا بنيانَه، وحللنا سَنْدانه، ونزلنا إيوانه، وأخذنا نيرانه.

ولم أرَ أمثال الرجال تَهافتُوا   على المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ولله أيامٌ بالقادسية واليَرموك، وعُتاةٌ منهم مواليكَ وأبوكَ وحموك، يا هَبيد البيد، وعَبيد العبيد :

لو كنت من نخبة الموالى إذاً   لم تنثُ سُوءاً فى نُخْبة العرب

إذ جئتمونا أعقادالرمل، وأعدادَ النمل، قداعتقدوا، واحتدموا واحتقدوا، فمن دمائهم ما خاضوا ولصِلائهم ما أوْقدوا، وعند ما تنادَوْا: ياأساورة تأهّبي[٥]، وقلنا: ياخيلَ الله اركَبي :

بضربٍ تَرقُص الأحشاء منه   وتَبطُل مهجةُ البطَل النجيدِ

---

(١) هو عبد الله بن جدعان. انظر خبره فى الاشتقاق ٨٨ — ٨٩ والحيوان (٢ : ٢٠٢).

(٢) الضحاك: أحد ملوك الفرس، وهو المسمى البيوراسب. وفى التنبيه والإشراف ٧٦ أن اليمانية من العرب تدعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد». وفى جمهرة الأنساب لابن حزم ٨ : « والضحاك بن معد هو الذى أغار على بنى إسرائيل فى أربعين فارسا من تهامة » .

(٣) هو البراض بن قيس بن رافع الضمرى، وهو الذى قتل عروة الرحال بن جعفر ابن كلاب . الحيوان (١ : ١٦٦) والتنبيه والإشراف ١٧٨ .

(٤) فى معجم استينجاس ٥١٣ أن « درفشى كاوان » اسم راية فريدون . وفى التنبيه والإشراف ٧٥ — ٧٦ أن رجلا إسكافيا من الفرس يسمى « كابى » رفع راية من جلود ، ودعا إلى خلع الضحاك وتمليك أفريذون ، فلما تم الأمر تيمن القوم بتلك الراية فسميت «درفش كابيان » إضافة إلى كابى صاحبها . قال المسعودى : « والدرفش بالفارسية الأولى الراية ، وبهذه الفارسية إشفى الخرز . وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلا فى حروب عظيمة ، تنشر على رأس الملك أو ولى عهده أو من يقوم مقامه » .

(٥) فى الأصل : « تاهبين » .

قسمناهم فشَطْرٌ فى العـــوالى وشَطْرٌ فى لَظَى حرِّ الوَقود

فما أغنى عنكم فى تلك المشاهد أنو شروانكم وقُباذُكم، ويزدجردكم وشهرياركم، وَشهبوركم وخُرَّذاذُكم، ونسطوركم ويعقوبكم، ونسطسكم وبروسسكم (١) :

غدَت غِيرانُهم لهمُ قبـــورا كفت فيهم مَؤوناتِ اللُّحود

أهؤلاء القيول، كما ذكرت على خيول، كأنها فُيول، بل الُخْبل الفُيول إذا لاذت الخيل بالكيُّول (٢)، وألاَّ سألتُكَ يا أمَّ عامر (٣) بحرمة الصليب، وجرى المذكِّيات فى طلبكم واليعاقيب، أيَّةُ خيولٍ لأسلافك، أم أيُّ حَلْبة شاهدتَها لأقيالك وأردافك. متى عرفَ ذَوُوكَ لها اسما، أو حكَوا عنها شيَة أووَسما. العلها تقدَّمت من جنائبكم فى السَّوابق، أولحقت مِن مَقانبكم بآل الوجيه وأعوج ولاحق، أو راهنت بها الدائد والسَّكب، وقُرزل (٤) واليحموم والبَطين وزاد الركب، أو داحس والغبراء، أو الخَنْفاء والشقراء. أم هل مِنْ براذنكم الُمجلِّى والمصلِّى، والعاطف والعاقب والمتلِّى (٥) : ٣٧/١

عنها الحديث إذا ما حاوَلوا سَمَرا والرِّزق منها إذا حلوا أماريتا (٦)

اسكم السكَوْدن واللَّطيم، والسُّكَّيت الأخنس والفِسْكِل الحطيم:

تبكِّى عليهنَّ البطارق فى الدُّجى وهنَّ لدينا مُلقَياتٌ كواسد

---

(١) كذا. ولعلها « وأريوسكم » وأريوس كان قسيسا بالإسكندرية كان فى زمن قسطنطين الأول، وكان قسطنطين هذا على مذهب أريوس. الفصل (١ : ٤٨).

(٢) الفيول الثانية: جمع فيل، والفيل: الثقيل الخسيس. السكيول: آخر الصفوف فى الحرب.

(٣) تهكم به وبكنيته أبى عامر، فجعله « أم عامر » وانظر ما مضى فى ٢٦٦ ص ١٣.

(٤) فى الأصل: « خردل »، وليس فى أعلام خيلهم. وانظر الخيل للكلبى ٢٧ وابن الأعرابى ٧٥ والعمدة (٢ : ١٨٢) وشرح الحماسة للمرزوقى ١٤٩٤.

(٥) المتلى: التالى. وفى الأصل: « المسلى »، ولا وجه له.

(٦) الأماريت: القفار، جمع أمرات، وهذا جمع مرت. والبيت لأبى العلاء المعرى: انظر شروح سقط الزند ١٦١٠.

شمَخ زعمت رُجُح، بُذُخ وُضُح، فمن الشُّنُخ الوسخ الوُدُخ، من العَجَم قلتَ القُدُم، نَعَم اللُّكْن القُدُم، الحُلمُ لكن عمَّن بلغ الحُلُمُ، بُصُر صبر!! بُصُر بأوقات السمر، وأفول القمر، ودبيب الضَّرَّاء والخَمَر(١)، صُبُر على الذَّفر والقذر، وذَفَر الغَمَر، وأطر الكَمَر، وبُجُرُ مُرَز ترمى بشَرَر كالقَصَر(٢). مُلْس الأدَم، قلتَ، هذا وأبيك والتفكيك يا ديُّوث والتخنيث، وعِرْض السِّقاء الخبيث(٣)، لقد نَبهْتَ [يا] هذا الخبيث، وقلنا إليك يساق الحديث:

تصيخ للنَّبأة أسماعَها إصاخةَ النَّاشد للمُنْشِدِ(٤)

جَرَرةُ أذيال، لكن على دَمَال وأبوال(٥)، لا كجَرِّنا العواليَ للإعوال، وإعلام الأشبال منَّا للاحتيال، بريش الرئال(٦):

أبقَتْ بني الأصفرِ المصفرِّ كاسمهم صُفْرَ الوجوه وجَلَّتْ أوجُهَ العربِ(٧)

آنِفًا يا حَضَاجِر(٨)، يا باردا فى شهر ناجر، وصَفْتَ العربَ بمعاقرة الدِّنان، وقُنيان القيان، والآنَ فخرتَ عليهم بالنَّبيذ والسَّميذ، والجدى الحنيذ، فلم لا تفاخر بالنَّطيح والوقيذ، وأكل الميتة بعد التشميذ(٩). وأمَّا حنيذ

---

(١) يقال دب له الضراء، ودب له الخمر، إذا ختله وخدعه. وما واراك من أرض فهو الضراء، وما وراء من شجر فهو الخمر.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة. والقصر، بالتحريك قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم. تفسير أبي حيان (٨ : ٤٠٧) فى سورة المرسلات.

(٣) العرض، بالكسر: الرائحة.

(٤) للمثقب العبدى فى الكامل ٦٣ ليبسك والبيان (٢ : ٢٨٨). وانظر شروح سقط الزند ٣٧٦ والأمالى (١ : ٣٤). وصواب الرواية: «يصيخ للنبأة أسماعه»، لأن قبله فى صفة ثور:

كأنما ينظر من برقع من تحت روق سلب مذود

(٥) الدمال، كسحاب: السرقين ونحوه. وفى الأصل: «ذا مال»، تحريف.

(٦) الرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام.

(٧) لأبى تمام فى ديوانه ١٢.

(٨) حضاجر: اسم للذكر والأنثى من الضباع.

(٩) التشميذ، لعل المراد به الانتفاخ. وأصل الشمذ رفع الذنب والإزار.

الجِداء والُحملان، وكُوَم متون الجفان ، فلنا منها البضيع بعدالذّكاة والسّدف، والوشيق المسرهد والتدير المعجّل والشّواء الصّفيف :

لنا الجفَنات الغُرُّ يَلمَعن بالضُّحى وأسيافُنا يقطُرْن من نجدةٍ دما(١)

وأما القِيان والقُنيان : والمعاقرة والدِّنان ، فنحن اخترنا صِرفَها، واختبرنا ٣٧ ب صفوها وعَفوها ، وأخذْنا فى الجاهلية وصفَها ، وأهدينا أنفاسَ النسيم شذاها وعَرفها، وَمنكم غارس حُبَلها وآبرها، ومفتّحها وزابرها، وسالف سايلها وعاصرها، ومنّا أبو عُذرها وفاطرها ، ومديرها بحديث الرُّكبان ومعاقرها ، تدوسونها لنا بالأرجل ، وتقتلونها قبل حلول الأجل ، ثم تجلبونها من جُوَانى والرّسّ ، وتَسبونها من قُطْرُبّلَ وبيتِ رأس، وتجهّزون بها بناتِكم بأكواب الساج، ومدارع الدِّيباج ، فيرشُفْنها بالشِّفاه قبل الزُّجاج ، وبهذا توفَّرت على ضغنها فى المِزَاج ، وأخذَتْ من رءوسنا ثأرَها عند أرجل الأعلاج ، فلنا الحَلْب، وعليكم الجلْب . ومنّا الأجر ، وإليكم التجْر ، ومن بضائع القَهر ، ثمن البُضْع والشُّكر ، وكالئ المهر(٢) .

مُستردَفات فوقَ جُردٍ أُوقِرَتْ أكفالُها من رجّح الأكفالِ

ولا حَرَب ، أن شُدِهت العرب ، بربّات الشُّنوف ، ووَلِهت بوُطْف الجفونِ وذُلْف الأنوف ، ودُلِهت بَعْزف القيانِ والشُّرب بالمُعْلَمِ المَشُوف :

فإذا ما شربوها وانتشَــوا وَهَبوا كلَّ جَوادٍ وطِمِرّ(٣)

ثم راحوا عَبِقُ المسكِ بهم يُلحفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لهم عُرفُ النَّسيب والتشبيب ، وعليهم وُقف التّسهيد والتعذيب ، ولهم

(١) لحسان بن ثابت فى ديوانه ٣٧١ .
(٢) الكالئ : النسيئة المتأخر .
(٣) لطرفة بن العبد فى ديوانه ٦٨ .

الجآذر فى زِىِّ الأعاريب[1]، شُهِروا بالحبّ والجوى، وخَبروا بالتحرُّق للتفرُّق والنوى، وعزُّوا الموت كرماً وذلُّوا للهوى. هم حَدَوا الرَّكْبَ بالحنين والإرزام، وعارضوا السُّحبَ بعينىْ عروة بن حزام[2]، بكَوا الديار، وندَبوا بصدق عهودهم الطُّلولَ والآثار، وحَمَوا الذِّمار، وردُّوا أيديَهم عن حُرمة الجار:

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم ... دونَ النِّساء ولو باتت بأطهارِ[3]

٣٨/١ رَضُوا لِفضل النَّيل بفُضول الغَبوق والقيل، وتبرَّءوا من رَضاع الغَيل[4]، ولم يعرفوا غيرَ داعى النِّداء وزَجْر الخيل:

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دُجَى الليل حتَّى نظَّم الجَزْعَ ثاقبُه[5]

أرزاقهم فى السَّير والإسآد، وَإنفاقهم من أكُفّ الآساد:

والليث حيث ألبَّ من ... أرضٍ فذاكَ له عرينُ

أنِفُوا المِساحة والفلاحة، وألفوا الاستباحة لامتلاء الراحة، ملكوا الأرض وما ملكَتْهم، وتخيَّروا البقاعَ فما نهكَتْهم، منازلُهم من المعمورة بمكان الغُرَّة، وحظُّهم من الفَلَك رأسُ المَجرَّة، أغناهم من الأعمال المَدَنية، والمَلَكة البدنيَّة، إيضاعُ الشَّدَنية، وإنضاء النَّاقة الفَدَنية، طلباً للاعتزاز، وضرباً فى مجاهل الأرض للابتزاز، وكفاهم عارضَ المَسّ، وأرضَ الرَّسّ[6]، إيثارُهم على النَّفس،

---

(١) فيه لمحة إلى قول المتنبى:

من الجآذر فى زى الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(٢) فيه نظرة إلى قول المتنبى:

فكأن كل سحابة وكفت بها ... تبكى بعينى عروة بن حزام

(٣) للأخطل فى ديوانه ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠.

(٤) الغيل: أن ترضع المرأة ولدها على حبل.

(٥) البيت للقيط بن زرارة فى الحيوان (٣ : ٩٣) والشعراء ٦٩٢. ويروى أيضاً لأبى الطمحان فى الحماسة ١٥٩٨ بشرح المرزوقى والكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩.

(٦) الأرض: الرعدة والنفضة. والرس: أول الحمى.

والاستقبالُ بأبنيتهم مطالعَ الشمسَ ، قَنعوا بأفلاذ الحَشَا ، والاحتشاء من الكُشَى ، عن التأرِّى لما فى القدور ، والتعرِّى لوَهَج التَّنُّور :

لِقرصٍ تُصَلِّى ظَهرَه نبطيَّةٌ بتَنُّورها حتّى يطير له قِشرُ
فأمّا البَهَطُ وحيتانُكم فما زِيلَ منها كثيرُ السَّقَم (١)
ومَكْنُ الضباب طعام العُرَيبِ ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم (٢)

تُوقِف الطِّباعَ على الصَّميم والخلاصة ، وتُوقِى به شحَّ النَّفس والخَصاصة ، ليسوا كالنَّهِمة الحَفَرة ، الأكلة الحَفَرة ، خَفَرة الجِفان ، وحَفَرة الأنفاق للنِّيران ، أعدُّوها للتَّحصين ، لا للتحسين ، وأوفَدُوا بها على الطِّين للتبطين ، لا للتَّوطين ، إذ لم يُغنهم القَهْرُ عن الحصر ، ولا عَقْد الجِسر عن الأسر ، أعجلتهم العُربان ، الغِربان ، عن الانتفاع ، باليَفَاع ، والاعتصام ، بالأعصام ، والاحترام (٣) ، بالأهرام :

٣٨ ب ولذاك كانوا لا يَحُشُّون الوغَى إلاّ وقد علموا مكانَ المهربِ

وأما الفُسُل ، والمُسُل ، فقد أجلَّها الله عن اغترِاسكم واحتراسكم ، وطهَّر النخلةَ عمَّتَنا من أدناسكم ، وبَخَرِ أنفاسكم ، وحبا العربَ بها مُجالةَ صائمهم ، ولُهْنة طاعمهم ، ونقيعةَ ضَيفهم ، وفاكهة شتائهم وصيفهم ، تُحفة الكبير ، وصُمْتة الصغير ، وتَخرِسةُ مريمَ ابنةِ عمران ، من الرّاسيات فى الضَّحل ، الراسخات فى الوحل ، المطعِمات فى المَحْل (٤) .

---

(١) الشعر لأبى الهندى ، كما فى الحيوان (٦ : ٨٨ — ٨٩) . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) والفصول والغايات ٤٧١ والمخصص (١٦ : ٨٣/١٧ : ١٠) . والبهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب من الفارسية عن الهندية . انظر تحقيقه فى حواشى الحيوان . ورواية الحيوان : « فما زلت منها » .

(٢) العريب بالتصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » .

(٣) الاحترام ، أراد به أنه دخل فى حرمة لا تهتك . والمعروف « الإحرام » .

(٤) وصف النخلة هذا ينسب إلى أبى حثمة ، وهو عبد الله — ويقال عامر — =

فاخرات زروعها فى ذُراها وأخاضَ العَيدانُ والجَبَّار

فأينَ صنيع قومك الجِلّة، من صنيع مُحرِق البقر والجِلّة، لمّا أمّنوا الأهفان، وخوّفوا أشدّ خَفَّان(١)، وأفنت نارهم الغضى والأفان(٢):

ضَربوا بمَدرجة الطَّريقِ قبابَهم يتقارعون بها عَلَى الضِّيفان

فلم يبقَ إلاّ الجِلّة والبقَر، أو خالفةُ طِرافٍ من أديم أو بيتٍ من الشَّعَر خَلَوا فتحلّوا، وعلَوا وتجلّلوا:

* هنالك إن يُستَخبَلوا المالَ يُخبِلوا(٣) *

غَنُوا بالجِلّة عن الجليل، ومن الحُلّة بالشَّليل(٤)، وبالخُوذ عن العُوَذ، وبالحَلَق عن الخِرَق، والسُّندس والإستبرق، من كلّ مدجَّج:

يُثمِرُ القَنـــا بإهابه أولى من السِّربالِ

ما أكلَ ذو جارِهم بهواه(٥)؛ ولا استأثر على مَن حَلّ رباعه وثَوَاه(٦)، متى جاع أنشد أمّ مثواه، أيا ابنة مالك وابنة عبد الله(٧):

= بن ساعدة بن عامر الخزرجى. الأمالى (٢ : ٥٨). وإلى عبد الرحمن بن محصن النجارى التنبيه للبكرى ٩٥. وإلى خالد بن صفوان. اللسان (خرس). والتخرسة: طعام النفساء.

(١) خفان: مأسدة قرب الكوفة.

(٢) الأفانى: شجر بيض، واحدته أفانية، ويسمى كذلك مادام رطبا، فإذا يبس فهو الحاط.

(٣) صدر بيت لزهير فى ديوانه ١١٢. وعجزه:

* وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا *

(٤) الحلة، بالضم: القميص والإزار والرداء. والشليل: غلالة تلبس فوق الدرع.

(٥) بهواه، أى بما يهوى، والمعنى أنه يخضع لجاره فيما يطعم، يحكمه فى ذلك، مبالغة فى الرعاية. فى الأصل: « ذو جارهم بهداه ».

(٦) يقال ثوى بالمكان وثواه أيضاً.

(٧) نظر إلى قول حاتم الطائى — وليس فى ديوانه —:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

الحماسة ١٦٦٧ بشرح المرزوقى. والبيت التالى هو قرين هذا البيت.

إذا ما صنعتِ الزّادَ فالتمسي له أكيلًا فإنّى لستُ آكِلَه وحدى

هـذا المجد السمرىّ ، والفخر الحرىّ ، والنّسب الحُرِّىّ ، لا ما تقوّلته لحاكَ الله ولحا أباك ، وحيّا مَن أباك ، مِن فخرنا بالقديم ، المُفْرِى للأديم ؛ أغفيتَ فانتبهْ ، « مَن يطُلْ أيرُ أبيه ينتطقْ به » :

أتبغض جوهَر العربِ المصفّى ولم يبغضْهمُ مولًى صريحُ

فما لك حيلةٌ فيهم فتُجدِى عليكَ بل تموتُ فتستريحُ ٣٩

أما لَكَ فيهم بعدالملوك العاربة ، والكواكب الطّالعةالغاربة ، من الثّموديّة والعاديّة ، والطّسْمية والجديسيَّة ، والوَبارِيّة[(١)] والأُمَيميّة ، ما يقرع صَفاكَ ، ويَنْقع بماء الملام صفاك ، إلى خالفةٍ من المتعرِّبة[(٢)] خلفَتْ خِلافَها ، وارتضَعتْ فى البأس والجود أخلافَها ، وإن كانتْ من جمعكم كالبعرة فى البيداء ، والشّعرة البيضاء فى اللمّة السوداء ، حطّت ذُراكم من اليفاع ، وخطّت فى صدوركم بخُطَى الخطّىّ لا باليراع ، يَستمِلّون من أنسيّة الآجال[(٣)] ، ويَنهدون إليكم بقلوب أسدٍ فى صدور رجال أقلامهم الرديفيّات والبزَنيات ، وصُحُفهم المشرفيّات والسَّرَيجيّات ، ولحقهم الوِضاء الداوديّات ، وسُرُرهم المُقْرَبات الغُرّ الأعوجيات :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرّقت الأرضُ واليوم قرّْ[(٤)]

برَويّاتهم لا برواياتهم ، ودِراياتهم لا بادِراتهم[(٥)] ، نَصَبوا الأحياء ، ونَسَبوا الأشياء ، وشقّقوا الأسماء ، وقسّموا على حصص البُروج السماء ، فوصفوا النجوم ،

---

(١) نسبة إلى « وبار » . وفى الأصل : « الأبارية » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ١٧٧) ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٢) المتعربة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم . نهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ . وفى الأصل : « المتغربة » ، تحريف .

(٣) الأنسية : جمع نسيء ، بمعنى مؤخر . ويستملون ، أى يملون . عنى أنهم يكرهون الآجال المؤخرة فهم يستعجلون الموت .

(٤) لامرىء القيس فى ديوانه ٥ .

(٥) فى الأصل : « ودرياتهم لابادارتهم » .

هم عرّفوا الرُّجوم[1] ، وزجروا السانح والبارح، وأثاروا الصيد وعلّموا الجوارح، هم كَرَوْا نهر مِهْرَان[2] ، وبنوا قصر غُمْدان ، وحَدَوا بالركب للنَّخْل من وَدَّان[3] ، فجابوا الأقطاب ، واجتنَوا الرُّطاب ، وملؤوا الأوطاب ، وميّزوا التَّوكيت والتذنيب والإرطاب[4] ، وانفردوا بالحكمة وفصل الخطاب :

سُوَرُ القُرآنِ الغُرُّ فيهم أُنزلت ولهم تُصاغ محاسن الأشعارِ

قد كان يكفى ياذاتَ النَّحيين ، وكبوح الحيَّين[5] ، فى بعض محاجَّاتك ، وعُرْض مداجاتك ، أن هذَّذْتَ شفتيك بالحنك الماخوريّ ، وأنفذتَ حِضْنَيك

٣٩ ب بنفثات أبى العلاء المعرّيّ ، فأقمت فيها صغاك بالحرف العليل[6] ، وبُغِيتَ فوق مبتغاك بالثيم[7] ، ماهو أقلُّ من القليل ، فأزحت[8] عن فشلك وخمولك ، وأبحتَ هجوك وشتم رسولك ؛ ثم شكوتَ قَفَار حالك، وأبنتَ واهىَ نثرك بزُور انتحالك ، فحسبُك بها ياذا العَضْب قَرضاً وجزاء[9] ، وانتهاء إلى الفهاهة لاأبالك واعتزاء ، واقتساماً لأدَبك[10] بيد التدمير أجزاء .

---

(١) فى الأصل : « الوجوم » ، تحريف . والرجوم : النجوم التى يرمى بها .

(٢) كروا : حفروا .

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة . وفى معجم البلدان . « وقرأت بخط كراع الهنائى على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودان أنشدت:

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فقال لى رجل من أهلها :انظر هل ترى نخلا ؟ فقلت : لا . فقال: هذا خطأ ، إنما هو النحل . ونحل الوادى : جانبه » .

(٤) التوكيت : أن يصير فى البسرة نقط من الإرطاب . وفى الأصل : « التركيب » ، تحريف . والتذنيب : أن يصير فيها نكت من الإرطاب من قبل ذنبها .

(٥) كبوح ، لعلها « نبوح » ، وهو ضجة القوم وأصوات كلابهم . والنبوح أيضاً : جماعة النابح من الكلاب .

(٦) إشارة إلى قول أبى العلاء ،وقد سبق فى نهاية رسالة ابن غرسية :

وإن الوزن وهو أصح وزن يقام صغاه بالحرف العليل

(٧) بغيت : أعنت على ما تبتغى . وفى الأصل : « بعثت » .

(٨) فى الأصل : « فأرحت » . (٩) العضب :اللسان الذليق . يتهكم به .

(١٠) فى الأصل : « لأديك » .

إنَّ العبيدَ إذا أذللتَهم صلحوا ... على الهَوانِ وإن أكرمتَهم فسدوا

لعلَّك ، لا لعاً لك، فضحك العىّ ، أو صبَّحك النعىّ ، فندِمت على بادرةِ خِذْلانك، وسقَطات لسانك، وهببتَ من غفوة التأسّى، أو التأسّى ، وقلت: مَن الآسى ، من حزّ هذه المَواسى ، لِياذاً بالإسار ، عن دعوة الآصار ، وعياذاً على الإعلان والإسرار ، من مستكنِّ الكفر والإصرار ، وتيمم الهاشميِّين بدعوة أبى عُبَيدٍ المختار، والتعمُّم بسيدنا ونبيِّنا محمد المختار .

« متى كان الخيامُ بذى طلوح[1] » ، أو جمعنا الرّحم فى سام بن نوح ، أعْرَضَ عليكم ثوبُ المُلْبَس[2] بالتّحامل على يافث ، والترامى فى الإلحاق به على القائف والنافث ، وإلاّ أىُّ عيصٍ إلينا ضمَّكم ، أو بأىّ بركةٍ خصَّكم صلّى الله عليه وسلم أو عمَّكم . ماغمَّك ، من أغمَّك ، ولا ذمَّك من أذمَّك[3] ، وسمَّك وأحمَّك ، وقتل أباك وسبّاك وأمَّك. ابن عمِّكم الطاغوت وسيِّدكم البَرَهْمَنُ والبَرَهوت[4]، شتّانَ مابين النجوم الطّارقة والشموس الفارقة، وبين سُقّاط الجرامقة ومُقّاط الأفارقة[5] ، الوُضْر الأنذال ، والبُخْر السّبال ، لاغُسْلَ ولا طهارة ، ولا نظافة لطامثٍ ولا عِطارة :

قومٌ إذا جرّ جانى قومهم أَمِنوا ... من لؤم أعراضهم أن يُقتَلوا قَوَدا[6]

---

(١) صدر بيت لجرير فى ديوانه ٥١٢ . وعجزه :

* سقيت الغيث أيتها الخيام *

(٢) يضرب مثلا لمن كثر من يتهمه . الملبس : المغطى ، وهو المتهم .

(٣) أذمه : وجده ذميا . وفى الأصل : « أزمك » ، تحريف .

(٤) برهمن ، هو الذى ينسب إليه مذهب البراهمة الهنود . جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أنه ملك مترهب عالم ، عقد مجمعا من الحكماء وسن بمعونتهم قواعد الدين ، كما وضع نظرية الأدوار الفلكية ، واخترع أرقام العدد . . . وأما البرهوت فهو واد بحضرموت يحفه جبل بركانى عند سفحه بئر تعرف ببئر برهوت ، يذكرون أن أرواح الكفار تأوى إليه . دائرة المعارف الإسلامية ومعجم البلدان . وانظر أيضا مروج الذهب ١ : ٧٩ .

(٥) الماقط ، مولى المولى .

(٦) للحكم بن زهرة أو عويف القوافى ، انظر ما كتبت فى حواشى الحماسة بشرح المرزوقى ٩٤٢ .

ألاَ ناصرٌ أهلَ أمِّ القُرى ... لأمِّ الذَّبيحِ ألا ناصرُ[1]
أُسامرُ نجدا ومَن بالصَّفا ... وإن لم يكن بالصَّفا سامرُ
وإلا فأين حِمَى يعربَ ... حفائظُ لم يَحمِها عابرُ[2] ٤٠/١
فيا للرضىّ وأبنائه ... ومَن وَلدت أمّه هاجرُ[3]
وللعُرب أعراقِ زَنْد الثَّرَى ... أكابرُ أورثَها كابرُ
أُضيمتْ قُصَىٌّ وأَخلافها ... ونصر وعامرُها الجادرُ[4]
لملوكِ قِنٍّ أخِى غَيَّةٍ ... لغير أبٍ مُلحدٌ كافرُ
يهزُّ بدانيةٍ أعظُماً ... بمكّة قد ضمَّها قابرُ
وخالِصُها فى ثرَى طيبةٍ ... نبىُّ الهدى القمرُ الزاهرُ
نَفَتنى المجاهر من هاشم ... ومِنْ يَمَنٍ عمرٌو أو عامرُ
وهرّت جفونىَ كأسَ الكرى ... وسحَّ بها دمعُها الماطر
لئن لم أجاهدْه لاَأجرَ لى ... فذا الخطُّ فى الصُّحف الخاطرُ
أيا عبدَ عبدٍ ألا تَستحِى ... وَلا لكَ دون النُّهَى زاجرُ
مَواليكَ أخسرتَ من شأنِهِم ... سَتعلم وَيكَ من الخاسرُ
فإنْ تنجُ منّى بنَزْع الشَّوَى ... كما أبَق الضَّبع الباسرُ[5]
فما فى ضُلوعك من نُطفةٍ ... وماء الكِراض دمٌ مائرُ[6]

(١) أم الذبيح ، يعنى بها هاجر .
(٢) عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
(٣) يعنى أبا عبدالله محمد بن عبد الله بن تومرت .
(٤) يعنى عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . انظر حواشى شرح المرزوقى للحماسة ٣٤١ . وفى الأصل : « الجاذر » ، تحريف . وفى اللسان (جذر) أنه سمى بذلك لسلم كانت فى بدنه .
(٥) فى الأصل : « كما أنف » .
(٦) الكراض : ماء الفحل . فى لأصل : « لما فى ضلوعك » .

هَلاَّ طمعت يامعمر ، يا آكل الأشلاء لايَحفلِ ضوءَ القمَرِ ، فى استدراك المقال ، والافتكاك من هذا العقال. كلاَّ لو تجلو معيارك ، وتمحو طومارك ، وتقلِّم أظفارك ، وتنزع صلبانك وزُنَّارك[1] ، وتعفى سِبالَك ، وتنصب قذَالك ، وتقول ذا لَك ، وتجعل الخصْلَ كلَّه للعرب ، والفضل للنبع على الغَرَب . كفاك أنَّ منهم آسادَ الله ، وضِراءَ الله ، وسُيوفَ الله[2] ، ولهم بيتُ الله ، وفيهم رسولُ الله وعِترتُه أولياء الله ، أئمة الهدى ، وتتمة البأس والنَّدى ، وخيرُ من انتعلَ وارتدى المؤثرون على أنفسهم ابنَ عمِّنا صدقا ، وهادينا ومرشدنا وسيدنا حقًّا ، سيِّد ٤٠/ب البشر ، وخاتَم الرسل فى مُحكم الزُّبُر ، شفيع هذه الأمَّة ، وحاديها إلى عِلِّيين فى خير أمَّة ، سَفيرَ يوم العَرْض ، وإمام أهلِ السموات والأرض ، منتهى لَبِنة الأحساب ، فى الأحساب ، الناطق بكلامه داعى أهل الجنة ومنادى الحساب ، الحاشر العاقب ، الشِّهاب الثاقب ، السابق الغالب ، المتخيَّر من ذؤابة لؤى بن غالب ، الذى به نَسخنا ملَّتكم ، وفسخنا خُلَّتكم ، وكسَّرنا صُلُبَكم ، وغوَّرنا قُلُبَكم وطهَّرنا بِيَعكم ، واستظهرنا قِلَعَكم ، واستوطأنا نَضائدكم ، واستبطنَّا ولائدكم :

أعجلن عن شد البُرى ولطالما غودرن أنْ يمشينَ غير عجالِ

بهذا النبىِّ الأمىِّ ، السيِّد العربى ، نفاخر البشَر ، ونكاثر المطر ، ونناظر الشَّمس والقمر ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصهاره ، وصحبه وأنصاره ، وحزبه ، ومن مات على حُبِّه ، كِفاء العجِّ والثجِّ ، والملبِّين بالحج ، وسلام الله ورضوانه على سلالته الطاهرة ، ووارث ملته المنصورة ، الإمام المهدى أبى عبد الله

---

(١) الصليب والزنار مما كان يميز به المسيحيون. وفى الأصل : «طابانك» . وانظر ماورد من كثرة اقتران الصليب بالزنار فى الديارات للشابستى ١١٣، ١٣٢ وما أنشد من قول أبى نواس:

وبالصلب العظيمة حين تبدو وبالزنار فى الخصر الدقيق

(٢) كان يقال لحمزة بن عبد المطلب : أسد الله . ثمار القلوب ١٦ . وفى اللسان (ضرا) : « وفى الحديث أن قيسا ضراء الله » . والمعنى أنهم شجعان ، تشبيها لهم بالسباع الضارية . وكان يقال لخالد بن الوليد : سيف الله ، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره فى الإسلام ، وصدقه فى قتال المشركين . ثمار القلوب ١٦ .

محمد بن عبد الله القرشي العلوى ، الفاطمى المحمدى(١) ، وخليفة أمره العلىّ ، ومَقامه القرشى ، سيّدنا الإمام الرضىّ العربى ، المضَرى القيسىّ أبى محمد عبد المؤمن بن على(٢) . والدُّعاء لحفظة سِرِّه النبوىّ ، وخلافةِ أمره الدينىّ والدُّنياوى وأمدَّ الله حضرةَ مولانا أمير المؤمنين سيدنا الإمام أبى عبد الله الرضى ، الشابّ التقى ، الناصر لدين الله العلى ، بمواد النصر الخفى ، والعُمر القصىّ ، وسائر العترة المهتدين ، والسّادة الأكرمين ، والعِصابة الموحّدين(٣) ، ورضى الله عنهم أجمعين ، عددَ الرذّ والرشّ ، والطلّ والبَغْشِ ، والملائكةِ الحافّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ مارسا ثَبير ، وعَسَا جَمير(٤) ، وسَمَر بذا سمير ، وسلّم تسليما :

يا باحثًا بالظِّلْف عن حتفه ... أذكرت أشياعَك مَن ناسا
لا تَمْرِ أخلاف الرّدى ضَلّةً ... إن مع الإبساس إيناسا(٥)
ومِزْ قرارَ الحق مِن نوسِه ... فليس من قرّ كمن ناسا(٦)
أعداك جهل العُجْم عُجبا بها ... فأوْسِ ياعَير ترى الناسا(٧)

والسلام على من رضىَ الإسلام ، ووحّد السلام ، وأبدَى الاستسلام ، ورحمة الله وبركاته . ٤١/١

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت ، المتسمى بالمهدى . ولد بسوس ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ فى طلب العلم وانتهى إلى بغداد ولقى أبا بكر الشاشى والمبارك بن عبد الجبار ، ويقال إنه لقى الإمام الغزالى بالشام . ثم قام بدعوته فى المغرب سنة ٥١٤ . ولد سنة ٤٨٥ وكانت وفاته سنة ٥٣٤ . المعجب ١١٥ وابن خلكان (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) كان عبد المؤمن بن على هو الساعد الأيمن لمحمد بن تومرت ، وقد ولى الأمر بعده واستولى على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ومراكش . ولد سنة ٥٠٠ وتوفى سنة ٥٥٨ . المعجب ١٢٥ وابن خلكان (١ : ٣١٠ — ٣١١) .

(٣) انظر تعريفا دقيقا لهؤلاء القوم ، فى المعجب ١٣٠ ، ٢٢٥ .

(٤) عسا الليل: اشتدت ظلمته . والجمير: الليل المظلم .

(٥) فى الأصل : « ظلة » تحريف . والإبساس : صويت الراعى يسكن به الناقة عند الحلب .

(٦) الميز : التمييز . وفى الأصل : « ومن قرار » . والنوس : التذبذب والاضطراب .

(٧) أوس : زجر للمعز والبقر .

رسالة ثانية
فى الرد على ابن غرسية

رسالة ثانية فى الرد على ابن غرسية(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

أيةَ نارٍ قدح القـــادح   وأىَّ سهم فوّقَ الكاشحُ(١)

* إحدَى ليالِيكِ فهِيسِى هِيسِى(٢) *

لشدَّ ما استهواك أيُّها الشُّعوبى شيطانُك ، والتفَّت على نَزْعك أشطانك ، أدرَيت ، حين زرَيت ، أىَّ أديمٍ فريت ، وأىَّ ظهر للمكارم اعروريت ، رمَيتَ بكلِّ أفوق ناصلٍ رَمِىّ(٣) ، وأوضحتَ غير جلىّ ، وراهنتَ على الجحاش كلَّ سبّاقٍ أعوجىّ ، من الأُدْم ، القُدم ، ليسوا بصُهْبٍ خُرْسٍ ، ولا بعجوسٍ فُرس. أعِدْ نظراً ففى الأمم العاديّة ، والأجيال الجُرهُمية ، والجبابرة الطَّسْمِيَّة ، والعماليق الغُلْب الإرَمِيَّة ، ما يروعك ، ولا يُفرِخ له رُوعك . وفى مضرَ الحمراء وأقيال عدنان ، والتَّبابعة من يعرب بن قحطان ، وأبرهَةَ ذى المنار ، وعمرٍو ذى الأذعار ما يوقظك من سِنَة هواك ، ويَحجُرك عن باطل دعواك ، أُنوف شُمَّخ ، وجبال رُسَّخٍ ، ومَجد تليدٍ ، وعزٌّ مشيدٍ :

رسا أصله تحتَ الثَّرى وسما به   إلى النَّجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ(٤)

(*) انظر ما سبق فى التقديم ص ٢٣٧ .

(١) البيت لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ والبيان (٣ : ١٩٨) . وانظر الحيوان (١ : ٩) . والرواية فيها جميعاً : « وأى جد بلغ المازح » .

(٢) هاس هيسا : سار . والرجز فى المقاييس واللسان (هيس) ومجالس ثعلب ٢٩٣ والمخصص (٧ : ١١٣) . وبعده :

* لا تنعمى الليلة بالتعريس *

(٣) الأفوق : السهم المكسور الفوق ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . والناصل : الذى سقط نصله .

(٤) للسموأل بن عاديا ، فى الحماسة ١١٤ بشرح المرزوقى ، برواية : « تحت الثرى » .

اخسأْ فلن تعدوَ الأصفريَّةُ أقدارَها ، ولن تعدم المجوسُ نارها . أرومتنا إسماعيلية نبويّة، لاعِيصوية أصفرية(١) ، حُرِم أبوكم بين ذويه ، دعوةَ إبراهيم أبيه(٢) سُلِخ لها من النبوّة سلخَ الأديم ، وعُدِل بها عن الحنيفية ملّة إبراهيم ، فما أنت والفخرَ بالقديم ، إلاَّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديم . منّا الحيُّ اللَّقاح، أولو النَّجدة والسَّماح، لَمّا عدت عليهم عَوادى الزمن ، تفرقوا عن سبإ اليمن ، أيادىَ كما انتشر اللّيل ، وانحدروا إلى أطوار الشام قُدُماً كما انحدر السَّيل، فحلّوا ، ريثما استقلّوا(٣) :

والليثُ حيثُ أَلَبَّ من أرضٍ فذاكَ له عرينُ(٤)

٤١ ب فحين سمَّيتموهم الأساورة رموكم بسهمٍ ما أخطاكم ، وأخذتم من جِذعٍ ما أعطاكم(٥) ، مُجدٌ ، نُجُد ، إن نازعتم فيَدُنا الأقوى ، [أ] وفاخرتم فالكرم التَّقوى(٦) ، ما سُسنا خِنزيراً وعبَدْنا ناراً ، ولا عقدنا على الذّل زُنّارا ، بلى ملكنا ، نقوسنا ونقسنا(٧) ، على الأملاك، الملوك ، حتّى أنفذ الله حكمه فى الدّعوة الإبراهيمية فأتمّها ، ولأَمَ بها عباديد العرب ولمّها ، فحين نظمها من الدّين ناظر ووضح لها من الإيمان معالم ، وثوّب بالفَلاح مُنادِيها ، وتطاولت إلى هادِيها هواديها ، أقبلَتْكم الخيلُ دوائس(٨) ، عقباناً تحت أُسد عوَابس(٩) ، فثَلّتْ

(١) العيصوية : نسبة إلى عيصو ، وهو العيص بن إسحاق عليه السلام . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٢٢) : « وولد روم بن العيص بن إسحاق بنى الأصفر ، لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض ، فلذلك سميت الروم بنى الأصفر » . وانظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٤ - ٢٦.

(٢) فى سفر التكوين أن الذى بارك يعقوب وحرم عيسو أخاه الأكبر إنما هو إسحاق أبوهما . الأصحاح ٢٧ : ٢٧ - ٤٠ .

(٣) الاستقلال : الارتحال . (٤) سبق فى ص ٢٨٣ .

(٥) إشارة إلى المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وانظر ص ٢٣٧ لنضم هذه أيضا إلى ماورد فى ص ٢٣٧ من دلائل تعزيز نسبة الرسالة ، وكذا ما فى ٢٩٨ س ٤ .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(٧) كذا وردت العبارة .

(٨) فى الأصل : « دواس » ، تحريف . وفى اللسان : « أنهم الخيل دوائس » أى يتبع بعضهم بعضاً » . (٩) فى الأصل : « غواس » ، تحريف .

عروشَ أنُوشِروانكم وقباذكم ، وفلّتْ غربَ يَزْدَجِركم وشَهريارَكم(١) . وسدُّوا مسالككم ، وخلعوا خَلْعَ الحائل ممالككم ، وحطُّوا عن مفارقكم تيجانكم ، ونسخُوا فِصْحكم ومِهرجانكم ، وورثوا أرضكم وديارَكم ، وأطفئوا بنور الله نارَكم . أصِخْ أيها الغُمر ، فقد آن لك أن توقد بصيرتَك مدراجُ العمر(٢) ، فتذكَّرَ قتلى باليرموك وجَبَتْ جنوبُها ، وأشلاء بالقادسيَّة عصَفَ عليها من المنون هَبُوبُها(٣) ، تهافتوا علينا أمثالَ الدَّبا ، لم تُغنِ عنهم الأسنَّة ولا الظُّبا ، فتعلمَ أن البأسَ للعرب ، وأن النَّبعَ ليس من الغَرَب(٤) :

ولم أر أمثالَ الرِّجال تهافتُوا على المجد حتّى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

هم طَردوكم عن أكناف الشَّام ، ورُستاق العراق ، طردَ غرائب النِّياق ، وجذُّوكم عن تخوم بابلَ وخُراسان ، جذَّ العَير الصِّلِّيان(٥) :

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مُستقَرِّه وطعنٍ كإيزاغ المخاض الضَّوارب(٦)

مُكُر ، نُكُر ، لم يتَّخذوا القصور وُكورا ، ولكن مَذاكيَ ذُكورا . بنيتم بالشِّيد وبنَينا(٧) وأحدقتم بالحيطان ، وأحدقنا بعوالى المُرَّان ، وألِفتم الأبنيةَ والأندية ، وجُبْنا فى طلب العزِّ المهامهَ والأودية ، وأذَلْتم الدَّبابيج والمرمر(٨) ، وذلّلنا العناجيج الضُّمَّر . جَررَةُ عَوال(٩) ، وبذَلة نوال :

(١) فى الأصل : « شهر باذكم » ، تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٨٠ .
(٢) فى الأصل : « القمر » .
(٣) الهبوب : الريح تثير الغبرة .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٩٠ .
(٥) الصليان : ضرب من الشجر . (٦) للنابغة فى ديوانه ٨ .
(٧) لعل هنا كلمة ساقطة يتم بها السجع مع « الشيد » ولعلها « بالقرميد » .
(٨) الدبابيج : جمع ديباج ، وهو ثوب يتخذ من الإبريسم ، وفارسيته « ديباه » . ويقال ديباج كسروى . والمرمر : ضرب من تقطيع ثياب النساء . وفى الأصل : « الدبابيج والمزمر » .
(٩) عوال : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ورأسه ، والعالية أيضاً : القناة المستقيمة .

٤٣/ا فما دبَّ إلا فى بيوتهم الندى ولم تَرْبَ إلا فى حجورهم الحربُ

دِنتم بالراح، ودنّا بدِرّات الِّلقاح، فشتّان بين محظور ومباح[١] . ماذا الإيغال، فى أبى رغال، وقد غالَه من الإله ما غال، حين دَلَّ على بيت الله أغربة الأحابش . كما دلّت على أهلها براقش، فهلك وهلكوا، وحَدَا بهم حادى الرَّدى أيّةً سلكوا . وُضُح، صُرُح، لم تُعرِق فينا سُحْمة الْحُبْشان، فجئنا صُفْر الألوان، ذوِى نُطَف أمشاج[٢]، بين الزُّنوج والأعلاج . أشهد أنَّ السَّاسانية، العديمة الإنسانية، نكحت أمّهاتِها وبناتِها، وتشبّهت بالبهائم فى شهواتها، ألاَّ زجرَهم عنه معقول، أو دِينٌ عن الأمم منقول، ذهبوا والله من العار بِثَمِّه ورُمِّه[٣]، وخلُ السّوء يبدأ بأمّه . أفخراً بالحنيذ، والنَّبيذ، هلاَّ بقرَى الضيوفِ والسِّنونَ غُبْر، وعِزّةِ الجار والأسنّةُ حُمر، وكرمِ الوفاء إذا استؤثِر بالغدر، وكتمِ السِّرِّ حِينَ تجيش مراجلُ الصَّدر :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعُد فإنّك أنت الطاعم الكاسى[٤]

أيها الزارى علينا بشان، أبى غبْشان، وماذا على رجلٍ تخوَّف فصَرف على أربابها السِّدانة، ووفَى فأدَّى إلى أهلها الأمانة، دون خدعةٍ ولا خِلاب، وجَرىُ المذكِّيات غِلاب[٥] . بُجُح، رجح، لا تَطيش بهم الأحلام، ولا تساجلهم الأيام . فمَهْ أيُّها المتعاطِى لما لا يُدرك، المتشبع بما لا يملك، المُتَبجِّح فى دعواه، كالخصىِّ يَفخر بمتاع مولاه . إنَّ حظَّكم من الأسترلوميقى[٦] والأرتماطيقى،

---

(١) فى الأصل : « مجذور »، وهو تحريف سمعى .

(٢) أمشاج : مختلطة . وفى الأصل : « ذونطف » .

(٣) أى بقليله وكثيره . انظر ما سبق ص ٢٦٥ س ٢ .

(٤) للحطيئة يهجو الزبرقان . ديوانه ٥٤ .

(٥) المذكى من الخيل : المسن . والغلاب : المغالبة . والمثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل .

(٦) انظر لهذا وما بعده ما سبق فى ص ٢٥٢ .

والتعاليم المنطقية والموسيقى ، والفنون الفلسفية والجومطريقى — حظُّ الزمان من من الهرم⁽¹⁾ ، والحُمُر من تأليف النَّغَم ، لكنَّها والله أقوى منكم حَيا ، وأقومُ هَديا ، وأثقب خواطر ، وأصدق بصائر . تلك علومُ يونانٍ ، ومبادئُ كَلْدان ، ونتائجُ هِرمِسيَّة⁽²⁾ ، ونِسبٌ فيثاغورية ، لا ما أنتم بنو الأستاه منه متعاطون⁽³⁾ ، ٤٢ ب وفى عشوائه خابطون ، إنَّ العرب بأمِّيَّتها لأدركت بحلومها ، ما أدركته الأوائلُ بتعاليمها ، أهلُ البيان وأربابُه ، لهم فُتِحت أبوابه ، ورفعت باليَفَاع قِبابُه ؛ نزل القرآنُ بلسانها ، فدلَّ على إحسانها :

فلو أنَّ السماء دنتْ لمجدٍ ومكرُمةٍ دنت لهم السماء⁽⁴⁾

عُتُق صُدُق ، جعلَ الله لها الكعبةَ البيتَ الحرام قياما ، والحنيفيَّة السمحة قِواما ، وإنَّ بيتاً رفَعَ منه إبراهيمُ القواعدَ وإسماعيل ، ونطَقَ بفضله التنزيل ، وسفَرَ بين ساحَتِه جبريل ، لَمَظِنَّةُ خيرات ، ومصَبُّ بركات ، ومَنجم آياتٍ معجزات ؛ مشاعر معظَّمة ، ومناسك مكرَّمة ، وملتقى آدمَ وحوَّاء ، ومَهبط الوحى من السَّماء ، ذلك بيتُ الله لا بيوت نِيرانِكم ، وشعارُه لا شِعار صُلْبانكم ، ومدارس الذِّكر لا مدارس البُهتان ، ومعارج الملَك لا مدارج الشَّيطان ، إن القرآن ليس بديوانكم ، ولا الكعبة من زَخاريف إيوانكم :

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطوَلُ⁽⁵⁾

---

(١) أى ليس لهم حظ من تلك العلوم والفنون ، كما ليس للزمان حظ من الهرم ، فإن الزمان دائم الشباب .

(٢) انظر للكلام على « هرمس » ابن النديم ٤٩٤ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦ — ١٧ والقفطى ٢٢٧ حيث ذكر هرمس الثانى والثالث . وأما هرمس الأول ، وهو هرمس الهرامسة ، وهو إدريس عليه السلام فقد ذكره فى ٦ — ٧ . وراجع ما أسلفت فى حواشى الرسالة المصرية ص ٣٩ .

(٣) العرب تسمى بنى الأمة : بنى استها . وانظر ص ٢٧٦ س ١١ .

(٤) لأبى البرج القاسم بن حنبل ، فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٩ .

(٥) للفرزدق فى ديوانه ٧١٤ .

بيت فى كِسرِه اعتلج محمد صلى الله عليه وسلم ودَرَج، وفيه دبّ وإلى السماء عَرَج ، ثمرة دوحةٍ زكت فى مُضَر منابتُها ، ونَما فى النَّضر بن كِنانة نابتُها ، ووشَجت إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أعراقُها ، وتَولَّفت من هاشم أغصانُها وأوراقها ، سمت صُعُدا بين السَّنا والسناء، أصلها ثابتٌ وفرعها فى السماء، صلواتُ الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين ما فاهت الأفواه، ووُرِدت المياه، واستغفرَ اللهَ كلُّ منيب أوّاه، وعلى صحبه وعِتْرته نجوم الهُدى، ورُجوم العِدى ، الرُّكَّع السُّجود ، القُوَّام الهُجُود ، أصحاب الغُرَر والتَّحجيل[1]، وحملة التنزيل، والعَلَمة بالتأويل ، ﴿ذلك مَثَلهم فى التَّوراة ومَثَلُهم فى الإنجيل﴾ . إليكَ فقد بيَّن الصُّبحُ لذى عينين ، وطَبّقَ بين الخافقين . فلا تفغَرْ أيها الأثيم الأفَّاك ، بقديم ٤٣/١ بعدها فاك ، ولئن أوجعناك ، فَبِما قَدّمت يداك . أجلْ صديق المرء عقلُه ، وعدوُّه جهله ، ولا يحزنْك دمٌ هَراقَه أهلُه :

غَمزتَ قناتى غمزةً فوجدتَها   من العِزِّ يأبى عودُها أن يكسَّرا
فإنْ تغضبوا من قسمة الله بيننا   فلَلَّهُ إذْ لم يُرضِكم كان أبصرا

كملت الرسالة والحمد لله رب العالمين

---

(١) فى الحديث « أمتى الغر المحجلون » ، أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام . وكتب لإزاء الكلمة فى الجانب : « والحجول » . وانظر ماسبق فى ص ٢٦٢ س ٣ لتضمه إلى ما سبق فى ٢٣٧ من دلائل تعزيز نسبة الرسالة مشفوعا بما نبهت عليه فى الحاشية رقم (٥) من ص ٢٩٥ .

رسالة ثالثة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى

رسالة ثالثة فى الرد على ابن غرسية

أجابه بها الأديب أبو جعفر أحمد بن الدودين

اخسأ أيها الجهول المارق ، والمرذول المنافق ، أين أمك، ثـكلتك أمك . أو ما علمتَ أنك سُحِبت من عِقَالك لعُقّالك(٢) ، وقدّمتَ أوّلَ قدمك ، لسفكِ دمك ، وبسطتَ مكفوف كَفِّك ، لسلطان حَتْفك، وقلّمتَ شبا أقلامك، لاصطلامك، وحبّرتَ بحِبْرك ، لذهاب خُبْرك ، ومشّقتَ فى قرطاسك، لشقّ راسك، فما حقيقةُ جوابك ، على خَطَل خطابك، إلاّ سَلْبُك عن إهابك، وصَلْبك على بابك، ولو كان بالحضرة أقيال، وحضَرَك رجال ؟ ! لـكنّك بين هَمَج هامج، ورَعَاع مائج، مذبذبين بينَ ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء» . فأُقسم ببارئ النسم، وناشر الأمم مِن رفات الرِّمم، لا صيِّرنّ عليك أيها السَّخيف ، المضعوف ، على نذالتك ، وفسالتك، عَرضَ البَسَاط(٣)، أضْيَقَ من سَمّ الخِياط، ولأخلدنك سمراً غابرا(٤) ، ومثلا سائرا ، أو نُشوةً محيّاك ، وتُحلَق [سَبَتاً لك(٥)] من قَفاك ، وتحتزم بِزُنّاك ، وتلحق بأديارك . مالك، ومَقْراً لك(٦)، [و] أسرتك الأرذلين ، وعِترتك الأنْزَلين(٧) ، الصُّهب السِّبال ، مَن وُلّغ الدم وشُرِّب.

---

(١) انظر ماسبق فى التقديم ص ٢٣٨ . وفى الذخيرة : « فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها » .

(٢) عقل البعير : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعاً فى وسط الذراع، وذلك الحبل هو العقال . والعقال ، كرمان : ظلم فى قوائم الدابة . فى الذخيرة : « إنما سمحت » .

(٣) البساط ، بالفتح : الأرض الواسعة .

(٤) الغابر : الباقى .

(٥) التـكملة من الذخيرة . وفى أصلها : « سبالك » . والسبت : الحلق .

(٦) المقر : دق العنق .

(٧) فى الذخيرة : « الأنذلين » .

الأبوال ، أكلة الجيف ، وحلّة الكُنُف[1] ، و« الوُضُح ، الرُّجُح » رُجُح الأكفال ، وُضُح كذوات الأحجال، فلله أبوك لقد أجدتَ فى قومك الوَصْف ، وبسطتَ لنا منهم النَّصف ، وأنا الآن أُنصِف، وقدارك أقصِف . « عُلُم، حلم » ٤٣ ب بالتَّداوى من القرَم ، ومنافع القلم ، حُلُم عن كلِّ مجاوزِ الحُلُم . « جُمُح طُمُح » الآنَ صدقتَ ، وغلطك استدركت ، جُمُح فى الإحجام ، عن الإقدام ، طلبَ الفرار ، يوم الانتصار وإدراك الثار ، طُمُح إلى كلِّ رَمُوح طَموح ، يَطُول الشَّبْر ، ويُطِيل الشَّبْر ، مُعلَّف ، مغلّف[2] ، ذى خَلْقٍ مرصوص ، وهامةٍ كالفصوص[3] . إيَّاك ولُعابَك ، أن يمحوَ كتابَك .

« حماة السروح نماة الصُّروح[4] » ، النَّصَفة ، يا كُشاجم لا الأنفة[5] ، غُضَّ قليلاً من طرفك ، وأمسكْ عنانَ طِرفك ، ولننتحاكم فى ذلك إلى ظَرْفك ، هل يصحُّ فى التحصيل ، أو يجوز فى المعقول ، أن يحمى قومُك سروحَ شائهم ، وقد أباحوا فُروجَ نسائهم ، أليس هذا عينَ المحال ، ومغالطةَ الجُهّال . فهلاَّ توهَّمت يا فتى الجوابَ ، قبل الخطاب ، وأبصرت الوَرطة ، قبل السَّقطة .

وأمَّا ما قعقعت به ووعوعت ، من صواحب الرَّايات ، فهنَّ وأبيك بعضُ بنات ربَّة الإياة[6] ، إمائنا المسبيات الممتَهنات ، ملَكْناهنَّ ظُبا البيض الهنديّة ، وشَبَا السُّمر الرُّدينيَّة ، فما عُجْنا بهنَّ عما عوّدتموهنَّ من البغاء ، للاسترضاء ،

---

(١) حلة : جمع حال . انظر ماسبق فى ص ٢٤٦ . والكنف : جمع كنيف ، وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة .

(٢) المعلف : السمين . وهذه الكلمة ليست فى الأصل ، وبدلها فى الذخيرة « معلب » . المغلف : ذو الغلاف ، والمراد به الغلفة ، وهى الهنة تقطع عند الختان . وبدله فى الذخيرة : « ملغب » .

(٣) الفصوص من الفرس : مفاصل الركبتين والأرساغ .

(٤) فى الأصل : « بناة الصروح » ووجهه من الذخيرة مطابق لما مر فى ص ٢٤٧ .

(٥) انظر لكشاجم ما سبق فى ص ٢٧١ .

(٦) انظر ما مضى فى ص ٢٤٩ .

فيكثر معشَرَ العُربان، من ولد سارتكم الإُموانُ والعُبدان[١]، وفيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح برهان . فهلا يافتى ثقِفت، ودونَ هذا الفصل وَقفت .

« بُصُر صُبُر » ، بُصر بتركيب عُصَب أنابيبِ السُّرر ، ومنافعها بزعمهم للجسم والبصر ! صُبُر على إيغال، الغرَاميل الطِّوال .

« سُرُجٌ وهُجٌ » سُرج المَضاجع، لا يَطفأ وهَجانُ ذلك السُّعُر، إلا بدافقِ ماء الكَمَر .

«مُلْس الأُدُم، ماحا كُوا قَطُّ بُرودا، ولا لا كُوا عُرودا» . هذا وأبيك من التَّعريض الرَّقيق فى مقالك ، وآلك ، وذلك أنَّك وصفتَهم بامِّلاس الجلود، ٤٤/١ وقفَّيت بنَفْى لَوك العُرود ، وإيجابُ ذلك، لا يليق إلاَّ ببالك[٢] . فهذا لَعمرك من بديع التَّحقيق ، فافخرْ فهاتان صفتان سُلِّمتا لكم . وأما لَوْكُ العُرود فإن ذلك أوضح[٣] من السِّراج الوهَّاج ، فى اللَّيل الدَّاج[٤] . قد تُحُدِّث[٥] أنَّ وِلدانَكم عَطِّلوا فى وقتٍ سُوقَ نسائكم ، فنُمِى ذلك إلى مليككم[٦]، فحكَمَ، أكرِمْ به من حَكَمٍ[٧] ، أن يبيح النِّسوان ، من أنفسهنَّ ما أباحَ الوِلْدان ، وامتثلْن ذلك فاتَّسقَت الحالان ونَفَقت السُّوقان ، وما سُمِع فى الأزمان ، بأغربَ من هذا الشَّان ، فاشمَخْ بأنفك ، وافخر بنِصْفك[٨] .

---

(١) الإموان بكسر الهمزة وضمها : جمع أمة ، وهى المرأة المملوكة .
(٢) فى الأصل : « ألا يليق إلا ببالك » .
(٣) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « فأوضح » .
(٤) الداجى : المظلم .
(٥) الذخيرة : « قال المحدث » .
(٦) نمى : رفع وبلغ . يقال نموت الحديث أنموه وأنميه . وفى الأصل : « فنهى » تحريف ، صوابه من الذخيرة ، وإنما يقال منه أنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى .
(٧) الذخيرة : « من محكم » .
(٨) النصف : الإنصاف . الذخيرة : « بنصفك » .

وأما حَوْكُكم البرود ، فناهيك من الغِفارة الإفرنجية[١] إلى الديباجة الروميَّة ، والسبتان ، بذلك تشهدان .

وأمَّا فخرك بِرَبَّة الإياة فياليتَهاحيين ولدتكم ثَـكِلتكم ، فلقد سربلتموها عاراً مجدَّدا ، وعصبتم بها شَناراً مخلَّدا ، حين خِمْتم عن الكفاح ، حذَرَ الصَّوارم والرِّماح ، فأسلمتم لعُداتها ، من بناتها ، كلَّ طَفْلة رَدَاح[٢] ، جائلة الوِشاح ، ذاتِ ثغرٍ كالأقاح ، وغُرَّة كالصباح ، أُعجِلْن عن لَوث أُزُرهن ، واعتجار خُمُرهنَّ ، فعوِّضن من الإدلال بالإذلال ، ومن الحِجَال بالرجال :

خَلفَ العَضاريطِ لا يُوَقَّينَ فاحشةً مستمسكاتٍ بأقتابٍ وأكوارِ[٣]

وعيَّرتَ العربَ بالاغتذاء بالحيات ، لتَعذِّيكم بالدِّماء والمَيْتات ، فيمتاز الضدّ ، ويقع الحدّ ، بين من تناهت جُرأته ، وماتت هِمَّته . على أن لا افتخارَ فى مشرب ولا مطعم ، لعرب ولا لعجَم . وكذلك ما عيَّرتهم به من حرق الجِلَّة والبعر ، غرُّوا بإضرام النِّيران ، لإكرام الضِّيفان ، وإطعام المقرور الجوعان ، إلى أنْ عَدِموا الأرطَى والغضَى ، وموجودَ السَّمُر ، وسائر أنواع الشَّجر ، فلجؤوا إلى الجِلَّة والبعر .

وكذلك وصفُك قومَك بأن « ليسوا حفَرةَ أكَر ، ولا حَفَرة عَكَر » ، ٤٤ ب الله أجَلَّ الأكَرَ أن يحفِروها ، والعَكَر أن يحفِزوها ، لكنَّهم حفَرة جِحْشان وحفَرة كُهوفٍ وغيران ، اتخذوها مخبأً عن قبائل العُربان[٤] ، وملجأً من وقع

(١) الغفارة : مثل القلنسوة يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها ، وربما جعلت من ديباج وخز أسفل البيضة . والإفرنجية ، قال ياقوت : « هم فى شمالى الأندلس نحو الشرق إلى رومية » . وانظر الفهرست ٣٠ ، ٣٤ ومروج الذهب ٢ : ٣٤ والقاموس .

(٢) الطفلة ، بالفتح : المرأة الرخصة الناعمة . والرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق .

(٣) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٤٢ . العضاريط : الأتباع والأجراء .

(٤) الذخيرة : « عن حبائل » .

الصَّوارِم والمُرّان ، فِعل الخِزّان والبرابيع والجِرذان [1] .

وأمّا نخرك بعلمهم الشرائع ، فمن أبدع البدائع ، « استنّت الفِصالُ حتّى القَرعى [2] » ، وجهلُهم بذلك أوضح ، من أن يُشرَح ، وأبين ، من أن يبيَّن، لكن أنكتُ من ذلك نُكتة ، وأنبذُ منه نُبذة ، تصفعهم صفعا ، [و] تردُّ صُهب أدُمهم سُفعا . وأنّى يكون ذلك ، هُبلتَ لآلِك ، ولم يأخذوه عن نبيّ ، ولا نقلوه عن حَواريّ ، ولم يزالوا يتعاورون أصلَهم الإنجيلَ بالزيادة والنّقصان ، إلى أن أصاروه فى حَيّز الهذَيان . وحسبك بهم جهلاً أنّهم يعتقدون إلهًا نبيَّهم ، يسمّونه بالربِّ المعبود ، وصيّروه بعدُ مصلوبَ اليهود ، فأعجِبْ بجهلٍ يجمع بين هذين ، الطَّرفين ، وأعجَبُ من ذلك أنّهم يُجمِعون [3] أنّ عيسى ينزلُ إلى الأرض ، لحسابِ الخلائقِ يومَ العرض ، فما ظنُّك يفعل باليهوديّة [4] على ماقدّموه على زَعيمهم من صلبه ، فهل يصحّ بهذه الآراء الضعيفة ، والعقول السخيفة ، دين ، أو يثبت لهم معه يقين . ولولا أنّى أُجلّ قلمى ، وأنزّه كلى ، عن سخافاتهم ، فى ديّاناتهم ، وبِرسامهم ، فى أحكامهم ، لأوردت من ذلك ما لا يستجيزه إلّا مثلُ قومِكَ العَجَم ، عقولِ البُوم والرَّخَم .

وأمّا علم الطبائع فسلِّمْ بعضَها لهم ، لما تقدّم فى أثناء الرسالة ، من عِلْمهم بخواصّ تلك الآلة ، والصِّدقُ أزيَنُ ما به نُطِق ، وإليه سُبِق .

وما ذكرته من أبى رِغال ، فذلك جِدّ محتال ، إنّه غدا [5] علماً منه باستئصالهم

(١) الخزان : جمع خزز بضم ففتح ، وهو ولد الأرنب .

(٢) استنت : جرت فى نشاط . والقرعى : التى أصابها القرع ، وهو بثر . يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه فى قوم ليس منهم .

(٣) الذخيرة : « يجمعون » .

(٤) فى الأصل : « بفعل اليهودية » ، صوابه من الذخيرة .

(٥) بدله فى الذخيرة : « بأدواء عداه » .

عن اختيارهم إلى بَوَارهم ، فعجَّل الله بأرواحهم إلى نارهم .

وقضيَّة أبى غُبْشان التى عظَّمت ، ليس الأمر كما توهمت ، لأن الكعبة بيت الله لاشريكَ له وضَعَه تعالى للعباد ، وسَوَّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غُبْشان ٤٤/أ إنما باع خِدمتَه فى البيت . وهَهُنا قضية سفيهنا الغوىّ(١) ، أين تقع فى قضية إمامكم يَهُوذا الحوارىّ ، إذ باع نَبِيَّه روح القدُس ، من أعوانه بالأفلُس(٢) ، فكذَّب الله ظنَّه ، وأنجى نبيَّه ، فدونك ضعْ قضية سفيهنا فى كِفَّة وفى أخرى قضيةَ إمامك ، ورجِّح بينهما بفضِّ ختامك .

وأمَّا وصفُك قومَك أنَّهم « مُجُد ، نُجُد ، شُمخ ، بُذخ ، عرقٌ ، غرقٌ » ، فهيهات ذلك منهم ، تلك صفاتُ قومِنا العربِ ذوى الأنساب ، والأحساب ، والعلوم ، والحلوم ، أُولى الألسُن ، والبيان واللَّحَن(٣) ، والإسهاب ، فى الصواب ، والحكمةِ وفصل الخطاب ، فُرسانِ الإعراب ، وأرباب القِباب ، ومُعْمِلى الصوارم والحِراب ، أنديتهم عِراصُ المنيَّة(٤) ، وأرديتهم بيض المشرفيَّة ، ولَبوسهم مُضاعَفَة الماذية(٥) .

مُتَسربِلين من حديد كأنَّهم ... تحت السَّنَوَّر جِنَّـــةَ البَقَّارِ(٦)

مجالسهم السُّروج ، وريحانهم الوشيج ، ومُوسيقاهم رَنَّات الرُّدينيَّات ،

---

(١) الذخيرة : « وصمة سفيهنا العربى » .

(٢) كان لقاء ثلاثين من الفضة . متى ٢٦ : ١٥ . وقد ندم بعد ذلك ورد الثلاثين ثم مضى وخنق نفسه ٢٧ : ٢ — ٥ .

(٣) اللحن ، بالتحريك : الفطنة .

(٤) عراص : جمع عرصة ، وهى كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٥) الماذية : السهلة اللينة . والمضاعفة : الدروع التى نسجت حلقتين حلقتين .

(٦) للنابغة فى ديوانه ٣٥ والحيوان (٦ : ١٨٩ ، ٤٩٥) . البقار : موضع كثير الجن .

وطُو بيقاهم السُّرَيجيات(١) ، لم تكن قادتُهم النِّساء ، ولا رادَتُهم فى آجالهم النَّسَاء(٢) .

يَستعذِبون منـاياهم كأنَّهمُ لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلوا(٣)

عُنُوا بمدِّ أطناب الأبنية ، عزَّةً وأنفة عَن تشييد الأبنية ، مُحالفى الصَّحاصحِ والبيد ، فِعلَ الأساود والأسود ، قُصورهم المناهل ، ومَعاقلهم الذَّوابل ، صُبُرٌ ، وُقُر ، إذا ثارَ الغبار ، واسودَّ النهار ، وحسُنَ الفِرار ، وذُهِلت الأذهان ، وأبهم العِيان(٤) ، وتلجلج اللِّسان ، وتلاطمت السيوف ، وحَمِيت الحتوف ، وقلَصَت الشِّفاه ، وعصَبَ الرِّيقُ [بالأفواه(٥)]، وتعانَقَ الشُّجعان، وتشاجر المُرَّان، وبرِم الحِمام ، وفُلَّ الحسام، وحَمِيَ الوطيس، والتفَت الأقدام والرءوس، فلا ترى إلَّا حزَّ الغلاصم ، وشَيْمَ الصَّماصم فى الجماجم(٦) فهناك تلقاهم ، لا دَهِمكَ لِقاهُم ، أقيالَ الأقيال ، شَمِرَة الأذيال ، أُسود الأغيال ، حُماة الأشبال ، لامُلْس أُدُم ، ولاجررة الأذيال ، وهكذا فليكن أقيالُ الرجال ، يا مسلوب الحجال(٧) . ٤٥: ب

كُتِب القتلُ والقِتال علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيول(٨)

وما كان أغناكَ يا كَشاجِم ، عن كشف عَورات آلِكَ الأعاجم ، لكن ضَعْفُ نظَرِكَ ، حداكَ إلى هَذَرِكَ ، وسوءُ أدبِكَ ، وافَى بكَ على عطَبِكَ ، نسأل الله سِترًا يمتدّ ، ووجها لا يسوَدّ .

---

(١) الطوبيق ، سبقت فى ٢٥١ ، ٢٧٦ بلفظ « بوطيق » . والسريجيات : سيوف منسوبة إلى قين معروف .

(٢) رادة : جمع رائد . والنساء ، بالفتح : تأخير أداء الدين إلى أجل .

(٣) لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ديوانه ٢٢٩ .

(٤) الذخيرة : « وأبهم » . (٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) شام السيف : أغمده . والصماصم : جمع صمصام ، وهو السيف القاطع .

(٧) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب يكون له أزرار كبار . عنى أنه مهتوك الستر .

(٨) لعمر بن أبى ربيعة فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) والأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) .

رسالة رابعـــة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى الطيب بن منّ الله القروى

وعنوانها كما فى كتاب البلوى وكشف الظنون

حديقة البــلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية .

وممن ردَّ أيضاً عليه ، وأجادَ ما أراد (أبو الطيب بن منٍّ الله القروى) برسالة طويلة أثبتُ منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتَّثقيل ، قال فيها[1] ، وافتتحها بهذه الأبيات :

وذِى خطل فى القول يحسَب أنه ... مُصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائلُه[2]
نَهَدتُ له حتَّى ثَنَيتُ عِنــانَه ... عن الجهل واستولَتْ عليه مَعاقلُه
تعــالَ نخبِّرنى إعــلامَ تشدَّدت ... قُوَى العير حتَّى أحرزَتْكَ مجاهلُه

أيُّها الفاخر بزَعمه ، بل الفاجر برُغْمه ، ما هذه البَسالة ، فى الفسالة ، ما هذه الجسارة ، على الخسارة ، لقد تجرأْت ، ومن المِلَّة تبرأت ، أبالعرب تمرَّست ، وفى مجدها تفرَّست ، وعلى شَرَفها تمطَّيت ، وإلى سُودَدها تخطَّيت .

(وفى فصل): فأخبِرْنى عنكَ أما كانت للعرب يدٌ تشكرها ، أو مِنَّة تذكرها . أمَا جبَرَتْ نقيصتَك ، أما رفعت خسيستَك ، أما استنهضَتك من وهدتك ، أما أيقظتْكَ من [غفلتك و[3]] رقدتك ، ألم تُرَبِّك فيها وليدا[4] ، ألم تتَّخِذك لها تليداً[5] . ألم تُعْنَ بتخريجك[6] ، وتدريجك ، أما أنطقَتْك بعد العجمة ،

---

(١) إلى هنا ينتهى تطابق ما فى الأصل والذخيرة ، وما بعــده إلى نهاية الأبيات الثلاثة ليس فى الذخيرة وانفردت به نسخة الأصل . أما البلوى فى ألف باء فقال : « أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله :

وذى خطل فى القول يحسب أنه ... مصيب فما يهتف به فهو قائله »

ولم يعين ذلك الأحد . وانظر للــكلام على هذه الرسالة وعنوانها ما سبق فى ص ٢٣٩ .

(٢) البيت لزهير فى ديوانه ١٣٩ . والبيتان بعده لم يردا فى الديوان .

(٣) التــكملة من الذخيرة .

(٤) فى الأصل : « ألم نربك فينا وليدا » . تحريف سببه الحرص على نص الآية .

(٥) فى الأصل: « ألم نتخذك ». والتليد: الذى ولد ببلاد العجم وحمل فنشأ ببلاد العرب.

(٦) فى الأصل : « ألم تغن » ، وفى الذخيرة : « ألم تــكن » ، كلاهما محرف .

أما أسلقتك بعد اللُّـكْنة[١] ، حتى إذا اشتد كاهلك ، وعَلِم جاهلك ، وقَوِىَ ساعدُك ، ورَقِىَ صاعدُك ، كفرت نعمتَها لديك ، ونثرت عصمتَها من يديك ، وأخذت تطاولُها بأرسانها، وتقاولها بلسانها، وتُناضلها بسهامها، وتُهاطِلها برهامها[٢] أحين فـكَّتْ أمرَكَ من أُقذورة الغَلَف[٣] ، وأخذت بضَبْعك[٤] من أهوية التلف، وشدّت ظهرَك للمِتان[٥]، واعتمدت طُهرك بالختان[٦]،ناهضتَها بحُسامها ، ٤٦/١ وجاهَضتَها بكلامها ، ورميتَها [بسهامها[٧]] ، عن قوسٍ هى نبعتُها ، ومن هضبةٍ هى قلعتُها :

أعلِّمه الرِّمايةَ كلَّ يوم فلما اشتدَّ ساعدُه رمانى[٨]

([وفى فصل[٧]]) : وهاتِ أرِنا مفاخرَك ، نُرِك مَساخرك . أنت صاحب الشُّهْب ، الصُّهب، والسَّنة شهباء ، والجَهام صهباء . كذلك أنتم لا خَيْر ولا مَير، ولا عَمرو ولا عُمير ، ليس للسَّخاء بالرُّومية اسم ، و[لا[٨]] للوفاء فى العَجمية رسم. أين أنت عن السُّمر، القُمر، البيض غُرراً وصِفاحا،السُّود طُرراً وأوضاحا ، الدُّعْج عيونا ورِماحا ، البُلْج وجوهاً وسَماحا ، قِمَم فى العمائم ، وهِمَم فى الغمائم، سَعَروا عليكم نارَ الحرب، بتلك الأينُق الجُرْب، فـكسَروا كياسرتكم،وقصَروا

(١) السلق : رفع الصوت ، وبلاغة الخطيب . والمعروف « سلق » وأما « أسلق » التعدية فما لم يرد فى المعاجم المتداولة.

(٢) المهاطلة : مفاعلة من الهطل، وهو تتابع المطر وسيلانه . الذخيرة : « تطأ ظلها » ، تحريف . والرهام : جمع رهمة ، وهى المطرة أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا .

(٣) الغلف : مصدر الأغلف ، وهو الذى لم تقطع غلفته بالختان . فى الذخيرة : « القلف » بالقاف، وهما سيان .

(٤) الذخيرة : « بضبعيك » .

(٥) المتان : مصدر ماتنه ، أى باعده فى الغاية. والمتان أيضاً : جمع متن ، وهو الظهر .

(٦) فى الأصل : « ظهرك » ، صوابه فى الذخيرة .

(٧) التكملة من الذخيرة .

(٨) لمعن بن أوس فى البيان (٣ : ٢٣٢) واللسان (سدد) . وقد اتفقت النسختان هنا على رواية : « اشتد » ، وهى رواية مضعفة ، والأصح « فلما استد » بالسين المهملة .

قياصرتكم(١) . وأخمدوا نارَ صولتكم ، وتَمحوا آثارَ دولتكم(٢) ، وطهَّروا الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجدَ الأقصى من أرجاسكم ، الذين يَنجُون ولا يستنجون ، ويتجنَّبون ولا يتطيَّبون(٣) ، رُعاة الخنازير ، وأَكَلة السَّنانير ، أمَّا رجالكم فقُلْفٌ ، غُلْف ، وأما نساؤكم فقُذُرٌ ، بُظْر(٤) ، لا يعرفون الخِفاض ولا الخِتان ، ولا يألفون السِّنانَ ولا العِنان ، ويحك بما آثَرت ، وبمن كاثَرت ، أما استحييت ، مما انتحيت ، هل كانت العربُ إلاّ كَنْزَ عِزّ ، وذُخر ، فَخر ، وذخيرةً(٥) ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أُولو البِطنة ، ويرغب فيها ذَوُو الفطنة(٦) ، حفِظ فيها أحسابها ، وطهَّر بها أنسابها(٧) ، واختارها ليختار منها صفيَّه(٨) ، وميَّزها ليميز منها حَفيَّه ، ثم اختصَّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الذكيّة ، والأنفُس الأبيَّة ، إن جاورتَهم نَصَرُوك ، وإن حاورتَهم قَصَروك ، وإنْ فاضلتَهم فَضَلوك ، وإن ناضلتهم نَضَلوك ، وإن طاولتَهم طاولوك ، وإن استنلتَهم أنالوك ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتة وطأتُه ، فسيحةً خطوتُه ، ٤٦/ب
شديدةً سطوتُه ، جريئًا على الكُماة جَنانُه ، دربًا بتصريف القناة بنانُه(٩) ، بصيراً بمُهَج الدَّارعين سنانُه ، وأنتم كما وصفت مُلْس ، لُمْس ، لا تَغيرون ولا تَغارون

---

(١) في الذخيرة : « كياسركم » و « قياصركم » ، وجمع كسرى على « كياسر » أو « كياسرة » غير معروف ، وإنما يجمع على « أكاسر » و « أكاسرة » و « كساسرة » و « كسور » . وأما « قيصر » فجمعه على « قياصر » و « قياصرة » قياس صحيح .

(٢) هذا الوجه الأوفق من الذخيرة . وفي الأصل : « صولتهم » و « دولتهم » .

(٣) التجنب : أن يصير في حال جنابة ، يقال أجنب وتجنب ، وجنب ككرم وعلم . في الذخيرة : « ويجنبون ولا يتطهرون » .

(٤) البظراء : الطويلة البظر ، وهو ماتقطعه الخاتنة .

(٥) الذخيرة : « وخبيئة » .

(٦) في النسختين : « ذو الفطنة » .

(٧) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « وطهرها أدناسها » ، تحريف .

(٨) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « ليمتاز بها صفيه » .

(٩) دربا ، بدلها في الذخيرة : « لقنا » . وفي قول مالك بن الريب :

وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا

ولا تمنعون ولا تمتنعون ، قلوبكم قَوَاء ، وأفئدتكم هَوَاء ، وعقولكم سواء ، قد لانت جلودُكم ، ونَهَدت نهودُكم ، واحمرّت خدودكم ، تحلقون اللُّحَى والشّوارب(١) ، وتتهادَوْنَ القُبَل فى المشَارب(٢) . والعرب تذمُّ بالدَّعة ، وتَهجُو بالسِّمة ، وتفخَر ، بالجلادة ، وتتبجّح بالصَّلادة ، فإنْ فاخرتَها فبغير الطعام والشراب ، ولـكنْ بالطِّعان والضراب ، وما عليك من لَوك العُرود ، أخِفْتَ إعجازَها ، وخَشِيت إعوازَها ، أبِكَ حاجة إليها ، ألكَ حرصٌ عليها ، لشدَّ ما أدركَتْك الحمِيَّة فيها ، وحرَّكتك العصبية لها(٣) ، هذه نادرة لم تَقصِد قصدها . ومن الآيات ، ذكر صواحب الرايات ، والمباضَعة ، عندكم كالمراضعة ، ما فى الشُّكْر ، عندكم نُكْر ، تُبيحون وُلوج العلوج ، على بدور الخدور ، الزِّنا ، عندكم سَنَا ، والفِجار ، بينكم فَخار ، فكيف أنكرتَ ، ما ذكرت ، وأنت على سَنَن ، تلك السُّنن ، الحال قائمة ، والقِصّة دائمة ، « وأوّل راضٍ سيرةً من يسيرها(٤) » .

([وفى(٥)] فصل) : فساروا مُمرِقين ، وعَلَوا مشرِّقين ، لا تردُّهم رادّة ، ولا تصدّهم صادّة ، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خُراسان وماسان ، وسلكوا بالقَهر ، ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدُّروب ، وألزموكم الكُروب ، بجريدة خَيل ، وطَريدة ويل ، وأمضَوْا فيكم العزائم . وأرضَوْا منكم الهزائم ، حتّى أجحروكم رومِيَة(٦) الدَّفرا ، والقُسطنطينيَّة البخرا ، ونازَلوكم منها على ذراعَين ، وصرعوكم بين المِصراعَين .

---

(١) اللحى : جمع لحية . وهذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « اللحاء » ، وهذا إنما هو جمع لحى بالفتح ، وهو ما ينبت عليه العارض .

(٢) المشارب : جمع مشرب ، وهو الموضع الذى يشرب منه ، عنى بها الأفواه .

(٣) الذخيرة : « أدركت » و « حركت » .

(٤) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٥٧) . وصدره :

* فلا تجزعن من سنة أنت سرتها *

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « رومة » . ورومة هذه : أرض بالمدينة فيها بئر رومة التى ابتاعها عثمان وتصدق بها .

ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموده(١)، وخبر خالد بن يزيد فى أُخدوده؛ والرَّايةُ المعلمة، والآيةُ المحكمة، مسجد مَسْلَمة(٢). ٤٧/١

ثم كم قائظة، غائظة، وصائفة، عليكم طائفة. ثم عطفوا مغرِّبين، وللأرض مخرِّبين، فما تركوا من الأعاجم عاجماً، ولا ناجماً، ولا بقَّوا من البرابر غابراً، ولا عابرا، وساروا قُدُماً يذبحون البرّ ذبحا، ويَسبَحون البحر سبحا، حتَّى طرقكم طارقُهم فى هذا الطَّرَف، ورشقكم راشقُهم فى هذا الهدف، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها، وكأنما رموها بالحجارة فما أخطئوها، فملكوا أرضكم بساحتَيها، وأحاطوا بها من ناحيتَيها.

وضمُّوا جناحَيكم إلى القلبِ ضمَّةً تموت الخوافى تحتها والقوادمُ(٣)

فما تعرَّضك لقومٍ سلكوا بلادَكم، واستعبدوا أولادَكم. ثم إنَّهم حين قَدَروا، غفَروا، ووضعوا الإتاوة على جماجم الأعاجم، والرسوم فى براجم السَّلاجم(٤). فلا يحضُرون العَشَّار، إلا بالعِثار، ولا يشهدون الأسواق، إلا بالأطواق، فإن

---

(١) كان يزيد بن معاوية قد حاصر القسطنطينية وهو ولى عهد وذلك فى سنة ٤٩ أو ٥٠ وأبلى بلاء حسنا فى إغارته. ولعل ذكر « الضربة بالعمود » إشارة إلى حادثة تاريخية معينة فى تلك الحرب.

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بنى مسجد القسطنطينية فى أيام أخيه الوليد. وقد طالعنى الأخ الثقة الدكتور جمال الدين الشيال على نص هام لابن واصل فى (مفرج الكروب) الذى يقوم بتحقيقه ونشره : جاء فى الورقة ٤٠٢ من مخطوطة باريس رقم ١٧٠٢ : « وذكر أن سبب بناية هذا الجامع المذكور، فى كتاب تذكرة ابن حمدون، أنه بنى فى سنة ست وتسعين للهجرة، ووقع الصلح مع الروم على أن يبنى بالقسطنطينية جامع فبنى، فلما طالت مدته جعلوه حبسا. وقال غيره : إن الصلح تقرر بين المسلمين والروم على أن يبنى جامع على قدر جلد بعير، وتقررت الأيمان على ذلك، فلما استقر الحال عمد المسلمون إلى جلد بعير فقدوه نسورا ومدوها، فأنكر الروم ذلك، فقالوا المسلمون : إن هذا جلد بعير مازدنا عليه شيئاً وقع الاتفاق عليه، فسكتوا. وقيل إن بانيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فى أيام أخيه الوليد ». وانظر الروضتين لأبى شامة ٢ : ١٦٠ والسلوك تحقيق الدكتور زيادة ١ : ٤٧٢.

(٣) أصل البيت للمتنبى، ديوانه ٢ : ٢٧١. وقد غيره ليتساوق به الكلام. وإنشاده « ضممت جناحيهم على القلب ضمة ».

(٤) السلجم : الطويل من الرجال. فى الذخيرة : « العلاجم ».

دخلتم فى الدِّين قُطِعت أستاهكم(١)، وإن خرجتم منه أُخِذت التى فيها شفاهكم(٢). وكنتَ أنت من رذايا، تلك السَّبايا، ومن عَبايا، تلك الخبايا(٣)، ومن خطايا، تلك العطايا، فلا تحرِدْ حَرْدَ المقهور، ولا تضجرْ ضَجَر المبهور، ولا تحنق حَنَق الأسير [على القِدّ(٤)]، ولا تغضب غضب المستَقِى على العِدّ(٥)، ولا بأس عليك فقبلَك قَصَروا الأُمم، وهَصَروا القمم، وهم أبكار الزمان، وأفكار الأوان، لهم العرب العاربة، ومنهم عادٌ العالية، ذات(٦) الأحلام السِّداد، والأجسامِ الشِّداد، وإرمَ ذاتِ العماد، التى لم يُخلق مثلها فى البلاد، ومنهم لقمانُ صاحب النسور، وبانى القُصور، ومنهم ثمودُ الذين جابوا الصَّخرَ بالواد، ونحتوا البيوتَ فى الأطواد، والعمالقة والفراعنةُ أنتم لها أكّارون، وحَرَبة عكّارون، والتبابعة، والمرابعة(٧)، وذو القرنين صاحب السَّدِّ، وشِمِر مخرِّب سَمرقند،

٤٧ ب قال الله تعالى: ﴿أهم خيرٌ أم قومُ تُبَّعٍ﴾، فضرب بهم مثلا فى الجلالة. ولهم الملوك من حمير والمقاول [من كهلان(٨)]:

كانوا سماء الورى قبل النبىِّ وهم ... لما أتى الحقُّ فيهم أنجمٌ زُهُر(٩)

سموا بملكهمُ قبلَ الهدى وسَمَوا ... مع الهدى فهمُ آوَوْا وهُمْ نَصَروا

---

(١) كناية عن الختان.

(٢) كناية عن الرءوس. فى الأصل: «أخذت الذى فيه»، وفى الذخيرة: «أخذت التى فيه»، كلاهما محرف عما أثبت.

(٣) عبايا: جمع عبيئة، وهو الشىء المعبأ. وهــذا ما فى الذخيرة. وفى الأصل: «غبايا». والخبايا، جمع خبيئة وهو ما خبىء. فى الأصل: «الحايا»، صوابه فى الذخيرة.

(٤) التكملة من الذخيرة. والقد: السير يشد به الأسير.

(٥) هذا الصواب من الذخيرة. وفى الأصل: «غضب الأسير على القد». والعد، بالكسر: الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها، مثل ماء العين وماء البئر. وغضب المستق عليه غاية فى الحمق.

(٦) الذخيرة: «ذوات».

(٧) كذا وردت فى النسختين.

(٨) التكملة من الذخيرة.

(٩) فى الأصل: «لما أتى الخلق»:

ولاة، علاة، سماة، [حماة[١]]، لهم العلوّ والعَلاء[٢] وفيهم العَباهلة والأذواء.

هم الأنفُ فى وجه الزّمان ومَجدُهمْ   على صَفَحات الدّهر ليس بجلمد[٣]

وسدُّوا على يأجوجَ لما تتابعت   على العَين فى قُطر من الأَين مبعد

ترى كلّ ممطوف الوشاحين أخمصٍ   على كلّ مخطوف الجناحين أجرد

فمن أمردٍ فى السلم فى حِلم أشيب   ومن أشيبٍ فى الحرب فى جهل أمرد[٤]

بأيديهم البِيضُ الرّقاقُ كأنّها   جداول ماء الموت قيل لها اجمدى

فأين حَصاتك من جبالهم، أم أين سَفاتك من نبالهم[٥].

(وفى فصل)، وعلامَ جئثتَ أصلك من الأنباط، وأزحت فَصْلك عن الأقباط[٦]، ما كان ذنبهم إليك، وجنايتهم عليك، حتى أخرجتهم عن جملة الأعاجم، ونفيتَهم عن جُملة أصحاب التراجم[٧]، بسبب كريمتهم، ومن أجل شريفتهم، لتسبَّ العربَ بولادةٍ من تعلّق بك، وتشبُّث بنسبك. أمَا علمتَ أنّ أحمقَ أفعالِك، وأخرق أقوالك، سبُّك عدوَّك بولادةِ امرأةٍ من أهلك، أمَا هذا من جَهْلك.

---

(١) التكملة من الذخيرة.

(٢) الذخيرة: «الغلا والغلواء».

(٣) هذا مافى الذخيرة. وفى الأصل: «وهم على صفحات الدهر نفس تخلد».

(٤) هذا مافى الذخيرة. وفى الأصل: «فى ثوب أمرد».

(٥) السفاة: واحدة السفى، وهو الشوك. فى الأصل: «صفاتك»، وفى الذخيرة: «سماتك»، والوجه ما أثبت.

(٦) ناظر إلى قولهم: «لا أصل له ولا فصل»، أى لا حسب له ولا لسان. انظر اللسان (أصل). وفى الأصل: «نصلك»، وفى الذخيرة: «فضلك».

(٧) التراجم: جمع ترجمان، وكان لملوك الفرس والروم تراجم. فى الأصل: «البراجم»، وما أثبت من الذخيرة.

ولمـا قال ابن فَضالة[١] فى ابن الزُّبير :

وما لى حين أقطع ذاتَ عِرقٍ   إلى ابن الكاهليّة من مَعادِ[٢]

قال ابن الزُّبير : لو علم لى أمَّا هى شرٌّ من عَمَّته لسبَّنى بها ونسبنى إليها ! أفلا ترى كيف غلب عليه، وسقط[٣] شِعرُه فيه؟! وحاشا لمن كنّا فى ذِكره بل لها الشَّرف الأرتع ، والسَّناء الأمتع[٤] . هذا على اتِّصال نسبك برُومان ،
٤٨ ش / ١ فإن كنت من ولد كَنعان، فما أبعَدَ دارك، وأشحطَ مزارَك ، وأطمسَ آثارك .
وأمَّا الخيلُ فسامِح العربَ بركوبها وثوبها ، وخلِّ بينهم وبين عيوبها، فلا حظَّ لك ولا لأصحابك فيها . عليكم بالبراذين المحذَّفة[٥] ، والكوادن الموكَفة، الخيلُ حَرثُ العربِ وحَصادُها ، وعُدَّتها وأرصادها ، وإنَّك لتعلم أنَّ خيلَهم أشهر من ملوككم[٦] أسماء وألقابا ، وأظهر من نُسولكم أنسابا وأعقابا . قالوا : بنات أعوجَ ، وآل الوجيه ولاحق ، وبنات المسجدى ، وآل ذى العُقّال ، وداحس والغبراء ، والجرادة والخَنفاء[٧]، والنَّعامة والشَّمّاء، وحافل والشقراء، [والزَّعفران

---

(١) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدى . الأغانى (١٠ : ١٦٢) . على أن الشعر ينسب أيضاً إلى عبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) يقوله فى عبد الله بن الزبير (بضم الزاى) . زهر الآداب (٢ : ١٦٤) وخزانة الأدب (٢ : ١٠٠) .

(٢) الكاهلية هى زهراء بنت خنزاء ، من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى ، كما فى الخزانة والأغانى .

(٣) الذخيرة : « حتى سقط » .

(٤) يقال متع النهار متوعا : ارتفع وطال . الذخيرة : « الأمنع » بالنون .

(٥) المحذفة : المقطوعة الأذناب . فى الأصل : « المجدفة » ، وفى الذخيرة : « المخرقة » والوجه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « من أسماء ملوككم » .

(٧) الكلمة مبيض لها فى الأصل ، وهى فى الذخيرة : « الحيفان » ، والوجه ما أثبت . انظر القاموس واللسان (حنف) والخيل لابن الكلبى ٩ وابن الأعرابى ٧٠ والمخصص (٦ : ١٩٦) ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٣ : ١٨٢) . وهى أخت داحس لأبيه .

والحَرُون،ومَسكنون والبَطين والعصريح وقُرزُل،والعصا[1]] . وأسماؤها كثيرة وألقابها شهيرة ، ولعلّك أن تذكر لنا من خيل آبائك الأوّلين، وأفراس أفراقك الأقدمين[2]، فرساً مشهوراً، وفارساً مذكورا . ولو كنت فاخرت العرب بنَصْب الدّواليب ، وعطف الكلاليب ، وغرس الأشجار ، فى الأحجار، وقَطْع ماعظُم من العَيدان ، وعمل العَلَاة والسَّندان ، رضينا ، وسلّمنا. فأما نحر[3] الليل، بآذان الخيل ، وطئ الفلاة ، بأيدى اليَعمَلات ، وشنّ الغارات ، وطلب الثارات ، فلا عليكَ أن تخلِّيَ بينهم وبين شصائصهم[4]، وألاَّ تنازعهم فى خصائصهم، فإنّها إليهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهى بهم ألْيَق وأعلق ، [وهم إليها أسبق[5]] يركبون إلى الحرب ، فى ثياب الشَّرب ، ويعتنقون الفَوارس ، كما يعتنقون الأوانس .

(وفى فصل) : وما عِبت من قوم ينزلون البَرَاح ، ويشربون القَرَاح ، ويرفعون العِماد ، ويُعْظِمون الرَّماد :

الموقدون بنجــدٍ نار بادية ... لايَحضُرون وفقدُ العزِّ فى الحضَر[6]
إذا هَمَى القطر شبّتها عبيــدُهُم ... تحتَ الغمائم للسَّارين بالقُطُر

---

(١) التكملة من الذخيرة . على أنه ينقص الكلام تتمة هذه السجعة ولعلها « وتحجل». انظر اللسان والصحاح والقاموس (حجل) وديوان لبيد ٣٦ فينا ١٨٨١ . يقول لبيد :
تكاثر قرزل والجون فيها ... وتحجل والنعامة والخبال
وقرزل جاءت محرفة فى أصلها : « قرن »، والوجه ما أثبت . انظر الخيل لابن الكلبى ٢٧ وابن الأعرابى ٧٥ ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٢ : ١٨٢) والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٩٤ .

(٢) أفراق : جمع فرق ، وهذه جمع فرقة .

(٣) الذخيرة : « بحر » وهى صحيحة . والبحر : الشق .

(٤) فى الأصل : «فلا على» . الشصائص : الشدائد ، يقال : نفى الله عنك الشصائص .

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) الأبيات لأبى العلاء فى سقط الزند . انظر الشروح ١٤٢ .

وما أدرى من أين كان فَقْدُ الأحطاب لو فقدوها مَثلبةً [وليست معدودةً فى حسب ، ولا نسب(١)] . ولقد اهتديتَ إلى طريفة ، وانتهيتَ إلى لطيفة(٢) ، فسبحان الله ما أصدَقَ حِسَّك ، وأسبق حَدْسك ، تدقَّقت وترقَّقت، حتى توثَّقت وتحققت ، لا والكلك تعمَّقتَ حتى تحمَّقت . فإنْ كان الأمرُ كما ذكرت ، ٤٢١/ب فأين غَضَى نجدٍ وقُلاَّمه ، وأين رَنْدُه وبَشامُه ، وأين غَرَبه ونَبْعه ، وأين سَلَمه وسَلْمه ، وأين العَنَم والعَلَجان ، وأين الشَّاسَم والبان، وأين الشِّيزَى والأثْأَب، وأين الرَّنَف والشَّوحط(٣) ، وكيف عرَفوا دوحَ الكنهبل ، ومساويكَ الإسحل ، وكتابُ النَّبات يشهد عليك ، بما فيه من الأيك .

(وفى فصل) : وكيف استجزت على فَضْلِك الباهر، وشَرَفك — بزعمك — الظاهر ، أن تستعينَ على فخرك بخلاف الحقّ(٤) ، وتلجأ فى تهوُّرك إلى غير الصِّدق(٥) ، هل كان النُّعمانُ إلاَّ ملِكَ أملاك ، وشمسَ أفلاك ، أصلُه عريق ، وفرعُه وَرِيق ، نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهم ، من لدن مالك بن فهم، له سَقْيُ الفرات يجبِى خراجَه(٦) ، ويستعبد أعلاجَه، فكفا كم العربَ جمعاء، من جلَّق إلى صنعاء ، يذبُّ عنكم بماله ، واحتماله ، بعد عَقدٍ موكد ، وعهد منكم مؤبّد ، وأجارت العربُ من أجار . وأغارت على من أغار(٧) ، وحسُنَتْ حال الفُرس بمكانه ، وعزّت بسُلطانه ، فلمَّا شمخ على أعلاجكم ، وامتنع من زَواجكم،

---

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الكلام بعده إلى « كما ذكرت » ساقط من الذخيرة .

(٣) عدم اطراد السجع هنا يشعر بسقط . والكلام بعده الى نهاية هــذه الفقرة ساقط من الذخيرة .

(٤) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « بغير الحق » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « قهرك » .

(٦) هذا مافى الذخيرة . وفى الأصل : « سقيا » . و « يجنى » كذا وردت بالنون فى الأصل ، والأوفق « يجبى » بالباء ، وفى الذخيرة : « يسبى » .

(٧) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وأغارت ما أغار » .

وقال لباغي السَّواد، عليك ببقَر السَّواد، استنزرتموه، فغدَرتموه[1]، فكيف رأيتم غضبَ العربِ لثارها، وطلبَها لأوتارها، ألم تصدمكم بذى قار، صدمةَ ذى احتقار، فأدركَتْ فيكم رضَى الرحمن، وأخذت بثأر النُّعمان، وطحطحت بنى ساسان وآل كاسان، ولم تقم للفُرْس بعدها قائمة، ولا رعَتْ لها سائمة. ولم تزل فى قواصف تتقاذف، وعواصفَ تترادف، حتى تمم الله آفتَها، واستأصل الإسلام شأفتَها. وأمَّا آل غسَّان فالشرفُ الأقدم، والبناء الذى لا يُهدَم، سالت من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة، وساحَت من أرضها جافلة[2]، هاجرةً لأعطانها، نافرة عن أوطانها، وجاوَرَت الحجاز وهبطت الشَّام[3] فوجدت بلاداً ريفاً، خريفا[4]، ورجالا جُوفاً، عُجوفا[5]، لا يحمون، ولا يحتمون، فقالت: غنيمةٌ باردة، وبهيمةٌ فاردة، فنزلَت الزَّوراء، والغُوطة الزَّهراء.

وجالت على الجَوْلان ثم تصيَّدت مُناها بصَيداء الذى عند حارِبِ[6]
فألقتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ مسافرُ[7]

على رغم أنوفكم، وقَطْع شُنوفكم، وولَجُوا خدورَكم، على غيظ صدورِكم.

وما بُقيا علىَّ تركتمانى ولكنْ خفتُما صَرَدَ النِّبالِ[8]

فقلتم قضيَّة كريمة، ونعمة عميمة، وسورٌ له باب، [باطنُه[9]] فيه الرحمة

(١) يقال غدره وغدر به، إذا نقض عهده. الذخيرة: «شردتموه فقررتموه».
(٢) فى الأصل: «وساخت» والذخيرة: «سالت»، والوجه ما أثبت.
(٣) انظر العمدة (٢: ١٧٧ — ١٧٨).
(٤) الذخيرة: «حريفا».
(٥) هذه الكلمة ساقطة من الذخيرة.
(٦) حارب: موضع من أعمال دمشق.
(٧) البيت لمعقر بن حمار البارق، أو عبد ربه السلمى، أو سليم بن ثمامة الحنفى. اللسان (عصا). ونسبه الجاحظ فى البيان (٣: ٤٠) إلى المضرس الأسدى. الذخيرة: «استقر» و «المسافر».
(٨) للعين المنقرى يهجو جريرا والفرزدق. اللسان (صرد).
(٩) التكملة من الذخيرة.

وظاهره من قِبَله العذاب ، لايُستكَفُّ الغَرْب ، إلا بالغَرْب ، ولا يُقطَع الحديد إلا بالحديد ، ودفع الشّرّ بالشر أحزم . فمتى أدَّوا إليكم الإتاوة ، وحَملوا لكم الإداوة[١]، وهم يَحمونكم حِمَى القُروم أشوالَها، ويمنعونكم مَنْعَ الأسودِ أشبالَها. أم ترُاكم تركتم لهم الشامَ رعياً لذِمامهم ، وصِلةً لأرحامهم ! !

(وفى فصل): ونخرت بالرياضيَّة والأرضيَّة، صدقت ونُبْتَ عنّى فى الجواب . هى كالرياضِ سريعةُ الذبول ، كثيرة الُجفول ، زَهْر مشرق ، ونَور مطرِق ، لاثمر ، ولا كَثَرَ[٢] .

وهل فى الرياض لمستمتِعٍ سِوَى أن يَرَى حُسنَ أزهارِها

وكالأرض الأريضة ، ذات العَرصة العريضة ، لابناء فيُحَلّ ، ولا سماء فيُظِلّ[٣] ، يُدفن فيها الأموات ، وتخمد فيها الأصوات .

وأما الاسترلوميقى الهندسية[٤] فعلم عملى مبنى على التقاسيم ، والتراسيم ، وكله آلات ، للحالات ، وأدوات ، للذوات ، ومساحات، للساحات، وأمداد، للأعداد ، وفى أقانين ، القوانين ، ليس فيها معنًى من تحصيل دقائق الفصول ، ولا تفصيل حقائق الحصول ، فأهلها عُمّال ممتهنون ، وبأشكالها مرتَهَنون ، والعرب بعيدةٌ من المهنة ، نافرة من الخدمة . ومن قولكم أنَّ قسم العلم أفضل من قسم العمل فهى إذن أرذَل القِسمين ، وأسقَطُ العِلْمين .

٤٩ ب والُجومطريقَى علم الهيئات ، والطَّوالع وكَوْرِها ، وجنسها ذو نوعين[٥]، وبابه على مصراعين، القضايا ، وليست وصَايا[٦] . أما الأوَّلون فقسموها[٧] على

(١) الذخيرة : « وأملوا » .
(٢) الكثر ، بالفتح وبالتحريك : طلع النخل. وفى الحديث: « لا قطع فى ثمر ولا كثر» .
(٣) السماء مؤنثة، وإذا ذكرت عنوا بها السقف . اللسان (سما) .
(٤) انظر ماسبق فى ص ٢٥١ .
(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وجسمها فذو نوعين » .
(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل: « وليست برضايا » .
(٧) الذخيرة : « فبنوها » .

أنّ الطوالع مدبرة مقبلة، وهي أصولٌ فاسدة، وسوق كاسدة. وقال آخرون: هي كالعيافة، والزّجر والقيافة. وهذا باب مسلّمٌ للعرب لهم فيه اليدُ الطّولى، والمنزلة الأولى، لهم السّوانح والبوارح، والقواعد والنّواطح[(١)]، وعندهم الأيامن والأشائم، والأواقي والحواتم، وغير ذلك من التمائم والرتائم، وفيهم من لا يعتمده ولا يرتصده، وفي أشعارهم[(٢)] شواهد على ذلك. وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية، ولهم غاشية، وقد سمعت بِشِقّ وسَطيحٍ، وزرقاء اليمامة وطُلَيحة الأسدى، ومُسيلِمة الحنفي، والأسود العنسيّ، وزُهَير بن جناب الكلبي، وأفعى نجران، وحازى غَطَفان[(٣)] فلما جاءت الدّيانة، بطلت الكهانة، ولمّا نزل القرآن، زُجِر الشّيطان.

وكذلك الدّرجة الأخرى، فالعربُ بها أحقّ وأحرى، وهي معرفةُ الشهور والأيّام، وحساب الدّهور والأعوام، والأفلاكِ وأدراكها، والأبراج وأدراجها، والنيّرات وتماورها، والدّراري وتفاورها[(٤)]، عرفوا السّماء ومعائشها، والأرض وحشائشها، ووصفُوا الطّوالع والغوارب، ورتّبوا الثوابت وأنواءها، والنّوائب وأدواءها، والأزمنةَ وأهواءها، فلا ينجم نجم إلّا سمّته، ولا ينبت نَبْت إلا وَسَمَته، ولا عيشَ في سائر الأقطار، إلا بضامن الأمطار[(٥)]، كما لا ثبات للحيوان إلّا بالنبات، فقد عرفوا إذن طريقَيِ الحياة، ووصفوا فريقَيِ النّجاة، وما سوى ذلك فضلٌ، ليس فيه فضل.

---

(١) جمع قاعد وناطح، ويقال أيضاً قعيد ونطيح. فالقعيد: ما أتاك من ورائك من ظبي أو طائر، يتطير منه، بخلاف النطيح.

(٢) في الأصل: «ولا في أشعارهم»، وكلمة «لا» مقحمة. وهذه الجملة ساقطة من الذخيرة.

(٣) الحازى: الكاهن. وفي الأصل: «جازى»، صوابه في الذخيرة. وانظر حواشي الحيوان (٦: ٢٠٤) والبيان (١: ٢٨٩ — ٢٩٠).

(٤) بدله في الذخيرة: «الأعراب أدرى بها».

(٥) الذخيرة: «بعابر الأمطار».

وأما الطِّبُّ فجمعته العربُ فى كلمتين معلومتين ، ولفظتين محفوظتين ، على ٥٠ ب رأيها فى الاقتصار ، ومذهبها فى الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء ، والحِمْية رأسُ الدواء » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أصل كلِّ داء البَرَدة[1] » ، وقالوا : « كُلْ وأنتَ تشتهى ، ودَعْ وأنت تشتهى » ، فجمعوا الطبَّ بأظافيره ، والصلاحَ بحذافيره ، وإذا فتشت أصولَ سُقراط ، وتبيّنتَ فصول بُقراط ، لم تجد مُستزادا مستجادا ، ولا مستراداً مستفادا ، وليست هذه الأمورُ مما ينفرد بها أفرادُهم ، ولا يُختَصُّ بها آحادهم ، بل يَنطِق بها صغارُهم وكبارهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويَهتِف به إماؤهم ، وأشعارُهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تَلَوا فيه متلُوًّا ، ولا قَرَوا به مقرُوًّا[2] ، لكنّها الطِّباع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنّحائز الكريمة ، تلتقط الحِكَمُ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من محاوباتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة فى المحاورة ، والمشاورة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة فى المسالة ، والراغمة ، والمواجزة ، مع المناجزة ، ولا يتعلّمون ولا يتأمّلون ، بل يرسلون الحِكَم إرسالا ، ويبعثون الفِطَن أرسالا . والموسيقى علم اللّحون [فما[3]] بالعَجَم إليه حاجة مُجحِفة ، وضرورة مُعجِّفة ، لعجز[4] طباعِهم عن الأوزان ، وقلّة اتّساعهم فى الميدان[5] ، لأنّ لغاتهم قليلة ، وقُواهم كليلة ، لاتستجيب إلاّ بوسائط ، ولا تستقلّ إلا بوسائط ، ليس عندهم شِعر موزون ، ولا كلامٌ مرصون ، ولغة العربِ واسعةُ العبارات ، ناصعة الإشارات ، لها الشِّعر الموزون ، والنَّظْم المكنون ، والكلام المنثور ،

(١) البردة ، بالتحريك : التخمة ، لأنها تبرد المعدة فلا تنضج الطعام .

(٢) الذخيرة : « ولا قرءوا فيه مقروا » .

(٣) التكملة من الذخيرة .

(٤) الذخيرة : « لنبو » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « الميزان » .

والسَّجع المأثور، والرَّجَز المشطور، والمُزدوِج المبتور، ولعبيدها في ذلك كلِّه الأُحون الشجِيَّاتُ، المطربات، والمعامل والمامل[1]، والأهزاج والأرمال، وغير ذلك من الأعمال، كالرَّكباني والأعرابي، والنَّصْبِيِّ[2] والمدنيّ، والثقيل الثاني، وعمود المدني، والماخُوريُّ والسُّرَيجي[3]، وخفيف المدني، وهي كثيرة، أثيرة، ٥٠ ب
نُسِيَ معها الأَرغَن[4] والسلمان[5] والصَّنْج[6] والكنكلة[7] والمندورة[8] والقيثارة[9]، فلا يُعرفن ولا يؤلَفْن.

وما أظنُّ مَعبداً والغريضَ وأصحابهما قرءوا قطُّ موسيقى، ولا سمعوا منطيقاً.

---

(١) كذا بالإهمال في الأصل. وفي الذخيرة: « والتهاليل والتغاليل ».

(٢) النصبي: ضرب من الغناء. وفي الأغاني (٥: ١٧٣) في أخبار أحمد النصيبي: « النصيبي هو صاحب الأنصاب وأول من غنى بها، وعنه أخذ النصب في الغناء ». في الأصل: « المنصبي » مع إهمال النون والباء، صوابه في الذخيرة.

(٣) الماخوري هو خفيف الثقيل الثاني، وهو نقرتان خفيفتان ثم واحدة ثقيلة. مفاتيح العلوم ١٤١. وورد بكثرة في أغاني أبي الفرج. انظر منها (٥: ٢١، ٥٨) طبع دار الكتب. والسريجي: نسبة إلى سريج المغني. والكلام بعده إلى « الشليان » ساقط من الذخيرة.

(٤) الأرغن: آلة موسيقية هي باليونانية: «أرجن» Arghau أو أرجنون Arghanun معجم استينجاس ٣٨. وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٣٦ « الأرغانون: آلة لليونانيين والروم، تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس، يضم بعضها إلى بعض ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير، ثم يركب على هذا الزق أنابيب صفر، لها ثقب على نسب معلومة يخرج منها أصوات طيبة مطربة مشجية، على ما يريده المستعمل ». ونحوه في كشف الظنون في رسم (الموسيقى)، ونسب كاتب جلبي صنعته إلى « أرسطو ». وانظر ابن النديم ٣٧٧ حيث ذكر الأرغن البوق، والأرغن الزمري.

(٥) كذا. وفي مفاتيح العلوم ١٣٦: « الشلياق: آلة ذات أوتار لليونانيين والروم تشبه الجنك ».

(٦) الصنج: آلة وترية، وهي بالفارسية « چنگ ». مفاتيح العلوم ١٣٧ ومعجم استينجاس. وفي الأصل « الصلح » بدون إعجام. وفي الذخيرة: « الضبخ »، صوابه ما أثبت.

(٧) في معجم استينجاس أن « كنكر » اسم آلة موسيقية تستعمل في الهند. وفي الذخيرة: « الكيكلة ».

(٨) وردت الكلمة في الأصل مهملة. وفي الذخيرة: « الفيدورة ».

(٩) الكلمة مهملة في الأصل. وفي الذخيرة: « الفشارة ». والقيثارة: معرب من: Kithara اليونانية.

فاعرِضْ إن شئتَ ألحانَهم المطبوعة ، على أوزانكم المصنوعة ، فأظهِرْ غلطَهم في التنغُّم ، وخطأَهم في التَّرنُّم .

على أنَّه من العلم المذموم ؛ روى في الحديث : « إنَّ أول مَن غَنَّى وناح إبليس حينَ أكلَ آدمُ من الشجرة » . قيل : وهو أوَّلُ من عمِل الطنبور ، فلا مرحباً بعلمٍ إبليسُ اللعينُ فيه الأستاذ .

وقد كان منهم مَن إذا غنَّى مَدَّت الوحشُ أجيادها ، وفارقت اعتيادَها ، وعطفت خُدودَها ، وتركت شُرودَها ، مصغيةً إليه ، مقبلةً عليه ، فإذا قطع عاودَتْ نِفارها ، وطابت أوكارها . هذا فعلُ الأوابد ، والوحوش الشوارد ، فما ظنُّك بالقلوب الرقيقة ، والفِطَن الرّشيقة . ولقد ألّفَ الإسلاميُّون في الأغاني ، وما يتّصل بها من المعاني ، ما إنْ نظرْتَ بمَيْزٍ وحكمت بعدل ، وقفت[1] على الفضل ، في هذا الفصل ، ولم تُحوِجْك العصبية ، والنَّفسُ الغَضَبيّة ، إلى شهادة الزُّور ، والجَور المأزور .

وأما الأنوطيق واللوطيق[2] فهنالك جاءت الأحوقَى ، والأُخروقَى ، وظهر عجزُ القوم وبانَ أنّهم أغمار ، ليس فيهم إلّا حِمار[3] ، وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا لمّا وصلوا إلى حيثُ تنفرد العقولُ[4] بنظرها ، والبصائر بفِكرها ، فمنهم الدُّهرية أنكروا المعقول ، والعِلمَ المنقول ، والدّليلَ والمدلول ، وهم يُبصِرون تعاقب الأضداد وتعاوُرَ الكَون والفَساد ، ومنهم الطبيعيون وهم أيدى سبا[5] ، وفِرَقٌ شتّى ، قوم يقولون : العالم من أصلين : هوائيّ وأرضيّ ، فجمعوا بين الرّاسب والطافى ،

---

(١) في الأصل : « ووقفت » ، صوابه في الذخيرة .
(٢) في الذخيرة : « الأنلوطيقى والطوميقا » . وانظر ماسبق في ص ٢٥١ .
(٣) الذخيرة : « أنهم أعجاز ، ليس فيهم إلا مجاز » .
(٤) الكلام بعده إلى « العقول » التالية ساقط من الذخيرة .
(٥) الذخيرة : « أيادى سبا » .

والكَدِر والصافى[١] . ومنهم من قال إنّ العناصر أربعة هى بسائط المركّبات، فقضوا بائتلاف المتضادّات ، وتركيب المُتَحادّات[٢] . ٥١ / ١

فإن قيل: كيف صارت متظافرة، وهى متنافرة ، [وغدت متجاورة، وهى متغاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تتمازج[٣]] ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد، ويلتبس الحارّ بالبارد ؟ قالوا : جمعها جامع ، وقَمَعها قامع ، بطبعه لا باختياره ، وفعله لا باقتداره ، وهذا غايةُ المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنّه لابد أن يكون الخامس مثلَها أو مثلَ بعضها ، أو مخالفًا لكلّها . فإن كانَ مثلها أو مثلَ بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرها فلا بد من سادسٍ لتغايرها ، ثم كذلك إلى غير غاية .

قال صاحب الكتاب[٤] : وبيّن أبو الطيب بُطلانَ كلامهم[٥] فى احتجاجٍ طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل[٦] . ثم قال :

وأمّا أصحاب الطوالع ، وعُبّاد المطالع ، فاختلفوا فى الهيئة أيضاً على جهات، ووصَفوها بصفات ، لاسيّما المنجّمين ، وهم فنونٌ ، فى الجنون ، يقولون فَلَك الأفلاك ، ودَرَك الأدراك ، والفَلَك الأثير ، وهذَيان كثير ، وعبدوا الشّمس وسَجَدوا للنّار والكواكب وهم يرون آثار النّقصِ فيها ، ودلائلَ الحدث تعتريها ، من طُلوع وأفول ، ويزعمون أنّها تتغاير وتتمانع ، وتتكاسف

(١) بعده فى الذخيرة : « ذهب بقوله أبو الطيب :

تبخل أيدينا بأرواحنا   على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جنده   وهذه الأجسام من تربه».

(٢) التحاد: التخالف والتنازع .

(٣) التكملة من الذخيرة، وقد بيض لها فى الأصل . وفى نسخة الذخيرة: « متعاورة » وإنما هى « متغاورة » أى متعادية يغير بعضها على بعض .

(٤) هو ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة . انظر التقديم ص ٢٣١ .

(٥) الذخيرة : « قولهم » .

(٦) فى الذخيرة : « أضربنا عنه تركا وتخفيفا للتطويل » .

وتتخاسف ، وكِلٌ بصاعِ هذا التخابط ، من هذه الأغاليط ، لا يعرفون رُشْدا ، ولا يهتدون قصدا .

هذا مقدارُ عقول حكائك ، ونهاية آراء علمائك ، وهذا قليلٌ من كثيرِ هذيانهم ، وأوار من عُوار غليانهم . فإنْ قلت : فإنّ العرب أيضاً كانت تعبد الأصنام ؟ فنحن ما أحمَدْنا لك دينَها ، ولا رضينا يقينَها ، بل نعلم أنَّ من قال منها بالإشراك،فقد قصَّر فى الإدراك ، وهى على كلّ حال تذكُر الله تعالى ، كما قال عزّ وجل : ﴿ ولئن سَأَلتَهم مَنْ خَلَقَهمْ ليقولُنّ الله ﴾ وقالوا : ﴿ ما نَعْبُدُهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى ﴾ . وكثيرٌ من يقرُّ بالبعث والجزاء . ويعترف بالحشر واللقاء . وكان منهم من رغِب عن عبادة الأوثان . وتفرّقوا فى الأديان،فكانت ٥ ب حِمْيرُ على دين مُوسَى ، وكان بنو الدَّيّانِ وأهلُ نَجْران وتغلب وغَسّان على دينِ عيسى ، وكانت فيهم الملّة الحنيفية الإسلامية ، والشّريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قُسُّ بن ساعِدةَ الإيادىّ،وورَقة بن نوفل الأسدىّ،وزيد بن عمرو من بنى عدى[1] ، وقتلته الرُّومُ لذلك[2] . وقد قيل ، فى خالد بن سِنان ما قيل[3] .

وكان أبو كَرِب الحِميرىّ[4] أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله عليه السلام، قبلَ مبعثه بسبع مائة عام ، وقال :

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى . السيرة ١٤٣ جوتنجن .

(٢) الذى فى السيرة ١٤٩ أن بنى لخم الذين قتلوه . فقد يكون ذلك بإيعاز من الروم .

(٣) فى الحيوان (٤ : ٤٧٦) : « أحد بنى مخزوم ، من بنى قطيعة بن عبس . ولم يكن فى بنى إسماعيل نبى قبله ، وهو الذى أطفأ الله به نار الحرتين » . وانظر بقية خبره فى الحيوان وحواشيه ومروج الذهب (١ : ٦٧) :

(٤) سماه فى مروج الذهب « أسعد أبو كرب » . وفى التيجان ٢٩٤ أنه تبان أسعد أبو كرب . ومثله فى السيرة ١٢ . وفى العمدة (٢ : ١٧٦) « تبع بن كليكرب ، وهو أبو كرب تبع الأوسط » .

شهِدتُ على أحمــدٍ أنّه رسولٌ من الله بارِى النَّسَم[1]
فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره لـكنتُ وزيراً له وابن عم

وقد ذكر بعضُ أهلِ المقالاتِ أنَّ عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين فى الدِّين، واستدلّ بأنه أجيب لمّا سأل[2]، وسُقِىَ حين ابتهل، وذكرَ سيفَ ابنَ ذى يَزَن، وحزِنَ على فَوته أشدَّ الحزن، وأكّد له العهود، وحذّره عليه اليهود[3].

ولمّا دُعُوا دخَلوا فى الدِّين أفواجا، وأتوه أزواجا، إلّا من أدركَتْه النَّفاسة، وحبُّ الرياسة، وسبَقَت عليه الشِّقوة، وورِمَ أنفُه من النَّخوة، كأبى جهل ابن هشام، وعامرِ بن الطُّفَيل، وأُميَّةَ بن أبى الصلت وغيرهم.

وقال معاوية فى كلام له مشهور: فما كان إلا كغِرار العين حتّى جاء نبيٌّ لم يسمَع الأوّلون بمثله، ولا سَمِع الآخِرون به، ولقد كنّا نفخر بذكره على من نطرأ عليه[4] [ويطرأ علينا[5]] وإنا لنكذّب به، ونتبجح بذكره وإنا لنحاربه».

هــذه لمعٌ من أمور الجاهلية، وطُرَف من مفاخر الأوّليّة، إن أنصفتَ نفسك، أو صدّقت حسّك، عرفتَ أين يقع منها مُفاخِرُوها[6]، وهل يشقّ غبارَها مُجارُوها[7].

(١) البيتان فى المراجع المتقدمة. وزاد المسعودى — فى بعض نسخه:
وألزم طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم

(٢) سأل الله حماية البيت من الحبشان. السيرة ٣٤ — ٣٧.

(٣) يشير إلى قول سيف بن ذى يزن لعبد المطلب حين وفد عليه لتهنئته: « والبيت ذى الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب، لجده غير الكذب، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له عدى ... ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى آصير بيثرب دار مملكته». التيجان ٣٠٩.

(٤) فى الأصل: « يطرأ عليه »، والصواب من الذخيرة.

(٥) التكملة من الذخيرة.

(٦) فى الأصل: « مفاخرها »، صوابه فى الذخيرة.

(٧) فى الأصل: « مجاورها »، صوابه فى الذخيرة.

(وفى فصل). وما تصنع إذا نُشِرَت الكمائن، ونُثِرت الكنائن، ت٥٢/١ وقَرعتك القوارع، وفَرعتك الفوارع[1]، وماست راياتُ السّيادة، وخفقت ألوية السّعادة، وطلعت عليك طوالع النبوّة فى أُبَّهة الجلال والجمال، وسَماحة[2] العزّ والكمال، وقيل لك: هذا سيّد ولد آدم أوّلهم وآخِرهم، خاتم الأنبياء، وقاتل الأغبياء. أشهدُ أنَّ الله لم يجعل محمداً هاشمياً إلا وهاشمٌ خير قريش، ولا قرشياً إلا وهم خير مضر، ولا مضرياً إلا وهم خير العرب، ولا عربياً إلا وهم خير الأمم. لهم كعبةُ الله، وولادةُ إسماعيل، ودَعوة إبراهيم، وإليهم مُهاجَر هود وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين، وأشياعِهم من المُوقنين فيهم كان حِمامُهم، وعندهم دُفِنت رِمامُهم، لا كَتَنائك[3] الذى أسررت فيه حسواً فى ارتغاء، ودفعاً فى ابتغاء، وكشفتَ فيه ضَبابك، عن ضِبابك[4]، وهتكت أستارَك، عن ابتسارِك[5]، وظننتَ أنّ مَخالِطَك، تُخفِى مَعالطك[6]، وأنّ مدحك، يستر قَدْحك حين مدحتَ مدحاً بَجَليًّا[7]، وأثنيت ثناء دَخَليا[8]، ولم يُمدَح مَن ذُمّت

---

(١) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة.

(٢) فى الأصل: «شماخة»، وأثبت ما فى الذخيرة.

(٣) فى الأصل: «لا كتنائك»، وفى الذخيرة «لا كساءك»، والوجه فيهما ما أثبت.

(٤) فى الذخيرة: «وكشفت فيه ضحابك»، صوابه فى الأصل. والضباب، بالكسر: جمع ضب، وهو الحقد والعداوة. قال:

فما زالت رقاك تسل ضغنى　　وتخرج من مكامنها ضبابى

وفى الأصل: «نبائك»، صوابه فى الذخيرة.

(٥) الابتسار: أن يؤخذ الشىء غضا طريا. فى الأصل: «من استارك» وفى الذخيرة: «من ايتسارك»، ووجههما ما أثبت.

(٦) المعالط: جمع معلط، من العلطة، وهو السمة يوسم بها.

(٧) إشارة إلى قول عويف القوافى فى مدح جرير بن عبدالله البجلى:

لولا جرير هلكت بجيله　　نعم الفتى وبئست القبيله

انظر الأغانى (١٤: ١٠٧ / ١٩: ١٤).

(٨) الدخل، بالتحريك: العيب والغش والفساد. وفى الأصل: «وخليا»، والذخيرة: «وجليا»، صوابهما ما أثبت.

قباتله[١] ، ولم يثبت مَن جُذّت حبائله. أجملتَ ويلك تبره في الرّغام، بل الرّغام لأنفك ،والرُّعام لوجهك[٢] .لقد أخللتَ بنفسك وزلّت قدمُك، وأحللت بعقدك وقد حلّ دمُك . ولو صح اعتقادُك ، لصحّ انتقادك، ولو خلص باطنُك، لأقصرَ باطلك ، ولو اصطلُمِت ، ماظلُمِت ، ولو اخترُمْت ، ماوفي بما اجترمت[٣] .

سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعض كاتبيه، وعُيّر بنصرانية أبيه ، فضرب لنفسه مثلا يجلُّ عنه ،ويرتفع عن قدره ، فقال له عمر . أوَ قد قلتَها ،والله لا تشرب الباردَ بعدها! وأمر به فضربت عنقه .

فأمّا إذْ أغفل ولاةُ الأمر تأديبَك ،وتأديبَ الكافّة بك فأحلُّوا تأنيبك ، وتأنيب السُّفهاء مثلك ، فتُبْ إلى الله توبةً تَهديك ،وتُنْجيك .وعلى أنك خَلَفٌ، من ذلك السَّلف ، رأيك فيه رأى أهلك ، وفرعك جارٍ على أصلك ، إلاّ أنَّ السيفَ قَهرك ، والدِّين قسرك ، وأخذَك حكم الدّار ، وخوفُ البدِار ، فأنتَ ٥٢ ب تَشرَقُ بريقك ، وتَغصُّ برحيقك ، ولا بدَّ للمصدور أن ينفث ، وللمبهور أن يُغَوِّث[٤] :

ولا بدَّ للمــــاء في مِرجـل على النّار موقدةً أن يفورا[٥]

كمـل التقييد والحمد لله كثيرا[٦] .

---

(١) سبقه بنحو هذه العبارة محمد بن سلام . الأغانى ١٩ : ١٤ .

(٢) الرعام بالضم : المخاط .

(٣) هذا مافى الذخيرة . وفى الأصل : « لوفى بما اجترمت » .

(٤) غوث تغويثا : قال : واغوثاه .

(٥) الذخيرة : « مسعرة » .

(٦) هذه صورة ماورد فى ختام الأصل من مجموعة الإسكوريال .

نوادر المخطوطات

٤

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الرابعة

وقد ألحق بها (الفهارس العامة) للمجلد الأول

١٥ — رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، لابن بطلان .

١٦ — هداية المريد ، فى شراء العبيد ، لمحمد الغزالى .

الطبعة الثانية

١٣٩٣ ه = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الرابعة من (نوادر المخطوطات) ، وهى تضفى بيانا تاريخيا على ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية التى عاشتها أجيال شتى على جنبات هذه الدنيا . وهى وثيقة تاريخية للباحثين فى حضارة أسلافنا العرب وأسلافنا المصريين، نعرضها مبسوطة فى هذين الكتابين النادرين وقد اقتضانا موضوعهما أن نمهد لهما بكلمة فى تاريخ الرق فى العصور القديمة ، ثم فى العصور الحديثة .

كلمة فى الرق والرقيق

الرقيق كلمة مأخوذة من الرق، وهو الملك والعبودية، يقال رقّ العبدَ وأرقّه واسترقّه : فهو مرقوق ومُرقّ ، ورقيق ، ومرجع معناه إلى القدر المعنوى المشترك فى هذه المادة ، وهى الضعف والخفة . كما أن العبد مأخوذ من العبودية ، وهى الخضوع والطاعة . و « الرقيق » من الألفاظ التى تقال للواحد وللجميع ، فالعبد رقيق، والعبيد رقيق أيضاً .

الرق عند قدماء المصريين :

لم يكن نظام الرق مما ابتدع الإسلام ، وإنما كان نظاما يسود الأمم القديمة ، عرفه المصريون واستخدموا الرقيق ، ولا سيما فى قصور ملوكهم وبيوت كهانهم ورجال الحرب. وكانت الأَمَة ترفع أحيانا عندهم إلى مقام الزوجة، وكان من شريعتهم أن من قتل الرقيق يقتل فيه(١) .

(١) انظر الرق فى الإسلام لأحمد شفيق باشا بترجمة أحمد زكى باشا ص ٩ .

عند الأسيويين :

وكان كذلك عند الهنود، وكانوا يسومون الرقيق سوء العذاب، ووضعت شريعتهم القديمة عقابا قاسياً للجرائم التي ترتكبها طبقة (السودرا) التي يؤخذ منها الرقيق (دازا) .

وكذلك عرفه الأشوريون والإيرانيون والصينيون وكان الصيني يضطر أحيانا لبيع نفسه أو أولاده لكى يعيش .

عند الإسرائيليين :

وعرفه الإسرائيليون، فكانوا يبيعون الفقراء ويملكونهم[1] . وكما كان الفقر من مبررات الرق كانت السرقة كذلك من مبرراته ، فمن ثبتت عليه السرقة بيع بسرقته[2] .

ودينهم يوصى بحسن معاملة الرقيق، بل يضرب أجلا مقداره ست سنوات للعبد العبراني يقضيها في خدمة مولاه ثم يضحى بعدها حراً طليقاً[3] .

وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته يطلقه حراً عوضاً عن عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه[4] .

عند اليونان :

وأما اليونان فكانوا كذلك يقتنون العبيد والجوارى، وكان أرسطو يقول بأن الرق نظام مطابق للطبيعة[5] . وكان يعرّف الرقيق بأنه آلة ذات روح، أو متاع

---

(١) لاويين ٢٥ : ٣٩ ، ٤٠ و٤٧ – ٥٥ .
(٢) خروج ٢٢ : ١ — ٣ .
(٣) خروج ٢١ : ٢ وتثنية ١٥ : ١٢ .
(٤) خروج ٢١ : ٢٦ — ٢٧ .
(٥) القانون الروماني للدكتور محمد عبد المنعم بدر ص ٩ .

قائمة به الحياة[١] . وأرسطو نفسه كان له غلمان وقيان ، جاء فى وصيته عند ماحضرته الوفاة[٢] :

« . . . والعناية بما ينبغى أن يعنوا به من أمر أهل بيتى وأرباس خادمى ، وسائر جوارىّ وعبيدى » .

وهو يأمر بعتق بعض جواريه بعد موته : « . . . ولتعتق جاريتى أمارقيس ، وإن هى بعد العتق أقامت على الخدمة لابنتى إلى أن تتزوج فليدفع إليها خمسمائة درخمى[٣] وجاريتها ، ويدفع إلى ثاليس الصبية التى ملكناها قريباً غلام من مماليكنا وألف درخمى » .

ويرى الاحتفاظ بغلمانه فيقول فى وصيته : « ولا يباع أحد من غلمانى ولكن يقرّون فى الخدمة إلى أن يدركوا مدرك الرجال ، فإذا بلغوا فليعتقوا » .

عند الرومان :

أما الرومان فكانوا كذلك يؤيدون نظام الرقيق ، بل يعتبره الخطيب الرومانى شيشرون : (Cicero) نظاماضروريا . وكذلك يذهب سينيك : (Sénèdune) أحد فلاسفة الرومان إلى أن لاغضاضة فى الرق ، فإن الحرية إنما هى حالة نفسانية من حالات الضمير ، فالعبد إذا كان عاقلا يمكنه أن يعيش حراً فى الواقع ، إذ العبد الحقيقى هو من كان طوع شهواته[٤] .

(١) الرق فى الإسلام لأحمد شفيق ١٨ .

(٢) أخبار العلماء للقفطى ٢٥ — ٢٦ .

(٣) هى الكلمة اليونانية التى جعلت فى العربية « درهم » ، وقد اختلفت قيمة الدرهم الفضى باختلاف الأزمان والبلد ، فكان يعادل ما يقرب من أربعين مليما مصريا وأربعين فلساً عراقياً . وكلمة « دراخمة » معناها قبضة لأنها كانت مساوية لقيمة قبضة من النقود الحديدية والنحاسية التى كان يستعملها عامة الشعب . وكانت قيمة الدراخمة الشرائية عالية جدا ، حتى إن الرجل الذى يبلغ دخله خمسمائة دراخمة كان يعد من الأغنياء . النقود العربية للأب أنستاس ٢٤ ، ٨٨ . هذا ، وقد جرى العرف عند فقهائنا المحدثين أن يقدروا الدرهم بخمسة وعشرين مليما أو فلساً عراقيا .

(٤) انظر القانون الرومانى ص ٩ .

وأصل نشأة الرق عندهم مبنى على المبدإ الذى كان متبعاً فى الحروب القديمة التى وقعت فى العصور البدائية ، إذ كان الناس فى أول الأمر يقتلون أعداءهم إن ظفروا بهم ، إذ لم يكونوا يستطيعون استخدامهم بطريقة مأمونة منظمة، ولـكن بتحضر الإنسان، واستيطانه لأرض معينة يقوم بزراعتها ورعى ماشيتها، شعر بحاجته إلى استخدام هؤلاء الأعداء فى الزراعة والرعى بدلا من قتلهم ، مـكان الرق .

فالسبب الرئيسى للرق عند الرومان هو الأسر فى الحروب، وكذلك الولادة من المرأة المملوكة ولو كان رجلها حراً .

والرومانى لا يمـكن أن يصـير رقيقاً فى نفس البلدة التى عاش فيها حرا ، فالرومانى الذى يصير رقيقاً لا بد أن يكون تسليمه خارج روما ، إما بحـكم القاضى أو بوساطة الشخص الذى يخوله القانون حق بيعه . فللقاضى أن يبيع خارج روما الرومانى الذى لم يقيد اسمه فى قوائم التعداد، أو الذى يهرب من الحرب أو التجنيد . وللأب أن يبيع أولاده خارج روما باعتبارهم أرقاء . وللدائن أن يبيع مدينه المعسر خارج روما . وللمسروق منه إذا ضبط السارق متلبساً بالجريمة أن يبيعه كذلك . وللقاضى أن يسلم الرومانى الذى اعتدى على دولة أجنبية موالية لروما .

هذا ما كان متبعاً فى العصر الجمهورى . أما فى العصر الإمبراطورى فقد ألغى نظام استرقاق الشخص الرومانى بالمسوغات السابقة إلا فى حال السرقة واستبدل بها مسوغات أخرى ، هى أن يتواطأ الشخص مع غيره أن يبيعه على أنه رقيق حتى إذا تمت الصفقة استرد حريته وقاسم شريكه الثمن، ففى هذه الحالة يحرم حريته ويصير رقيقاً حقاً، وكذلك المحـكوم عليهم بالإعدام أو بالأشغال الشاقة أو بمنازلة الأسود، يضرب عليهم الرق وتظهر ثمرة ذلك بالنسبة لورثتهم فإنهم يحرمون من ميراثهم الذى أصبح ملـكا للامبراطورية . كما أجاز القانون أن يسترق المعتق معتوقه بعد عتقه، ولا عبرة بجحود هذا الأخير .

ومع ذلك أوصت القوانين الرومانية بحماية الرقيق من سوء معاملة السيد(١) .

---

(١) انظر القانون الرومانى ص ١٦ .

وكان هناك ضرب من العبيد يسمى «عبيد الحراثة» وهم عبيد الأرض ، وهؤلاء يعدون أحسن العبيد حالا عندهم ، يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها غيرهم [١] .

عند الأوربيين :

وكذلك كثر الرقيق في أوربا القديمة عند الأمم المتبربرة وعند الغاليين والجرمانيين الذين بلغ من ولوعهم بالميسر أن يقامروا على نسائهم وأولادهم ، بل على حريتهم الشخصية [٢] . وكذا الفرنج واللومبارديون والأنجلوسكسون .

ومما يجدر ذكره أن من أوائل الدول الأوربية التي حرمت الرقيق الدنمرك إذ صدر بها قانون سنة ١٧٩٣ يحرم تجارة الرقيق منذ سنة ١٨٠٢ وأصدر الإنجليز قانون تحريمه سنة ١٨٠٧ [٣] . وفرنسا ألغت نظامه بعد ثورتها في فبراير سنة ١٨٤٨ [٤] .

عند العرب :

وأما العرب في جاهليتهم فكانوا في أعقاب الغزو يستحوذ الغالب منهم على رجال المغلوب ونسائه ويتخذ منهم الرقيق . ونجد في الشعر الجاهلي العبد والعبيد والعبدان ، والأمة والإماء والإموان ، والسباء .

وفي أسد الغابة [٥] أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قضاعة وأمه من طيئ ، فأصابه في الجاهلية سباء ، لأن أمه خرجت تزور قومها بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر فأخذوا زيداً فقدموا به سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد . وقد وهبته خديجة لرسول الله فأعتقه .

وكان للعرب كذلك رقيق من الأمم الأخرى ممن حرره الإسلام فيما بعد ، ومن أشهر هؤلاء الموالي بلال الحبشي ، وسلمان الفارسي .

وأجاز الإسلام في أول الأمر استرقاق المسلمين للعرب الذين يؤسرون في

(١) انظر (أعجب ما كان ، في الرق عند الرومان) للزعيم مصطفى كامل ص١٨ — ١٩ .

(٢) الرق في الإسلام ص ٣١ .

(٣) انظر: The great encyclopedia of universal Knowledges

(٤) الرق في الإسلام ص٤٨ . (٥) أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .

الغزوات ، كالذى كان فى غزوة بنى المصطلق — وهم عرب من خزاعة — يروى ابن هشام(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قسمه بين المسلمين، وأن جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله كانت فيمن قد سبى، ووقعت فى القسمة فى سهم ثابت بن قيس بن الشماس أو ابن عم له، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله تستعينه فى ذلك فقال لها : هل لك فى خير من ذلك؟ أقضى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية . فقال الناس: أصهار رسول الله ! وأرسلوا ما بأيديهم . قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

ولكن ذلك لم يدم طويلا ، إذ حتم الإسلام فيما بعد ألا يقبل من عربى إلا إحدى اثنتين : إما الإسلام وإما القتل(٢) .

وبذلك اقتصر أمر الرقيق فى الإسلام على وقوع الكفار من غير العرب أسرى فى أيدى المسلمين عند الحرب، أو عند سقوط بلادهم المفتوحة عنوة فى أيدى المسلمين فيجوز للإمام أن يسترقهم ، ويجوز له أن يضع الجزية على رءوسهم(٣)، يختار من ذلك ما يراه فى مصلحة المسلمين .

وهذا الرقيق يعد فى جملة المغانم الحربية ، شأنه شأنها ، ينقلها الإمام إلى دار الإسلام ويقسمها أخماساً ، خمس للفقراء والمساكين وسائر وجوه البر ، وسائر الأخماس تقسم على المقاتلة ، للفارس سهمان أو ثلاثة — على خلاف بين الفقهاء(٤) — وللراجل سهم واحد .

وبانتشار الفتوح الإسلامية كثر الرقيق المجتاب من البلاد المفتوحة كثرة ظاهرة، وصار من الميسور أن تجد الرقيق فى كل بيت ، حتى كان الزبير بن العوام

(١) السيرة ٧٢٩ جوتنجن .

(٢) جاء فى حاشية ابن عابدين ٣ : ٣١٦ : الطبعة الأولى « إلا مشركى العرب والمرتدين فإنهم لا يسترقون ، ولا يكونون ذمة لنا ، بل إما الإسلام أو السيف » .

(٣) فتح القدير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ والدر المختار بهامش ابن عابدين ٣ : ٤١٦ الطبعة الأولى .

(٤) فتح القدير ٤ : ٣٢٠ الطبعة الأولى .

فيما يروى المسعودى[١] مستوليا على ألف عبد وأمة . ويبدو أن كثيراً من هذه المماليك قد آلت إلى ولده عبد الله الذى طالبه أعداؤه بأن يعتقهم فقال[٢] : «وأما عتق مماليكى فوالله لوددت أنه قد استتب لى أمرى ثم لم أملك مملوكا أبداً».

وهذا يفسّر لنا حرص كثير من الرؤساء على حيازة العبيد .

والرقيق متاع مملوك مثله مثل عروض التجارة، لمالكه أن يبيعه وأن يهبه ، وللسيد أن يستمتع بأمته ويستولدها، فإذا ولدت منه كان ابنها ولده ، وسميت هى أم ولد له ، وبقيت فى رقها ، ولكن لا يجوز له أن يبيعها ما دام حيا ، فإذا مات صارت حرة لا سلطان لأحد عليها ، وأبناؤها منه أحرار من يوم يولدون .

والسرارى حل للرجل بملك اليمين يتسرى منهن من شاء ولو بلغن ألفا أو أكثر فى العد ، ما كنّ صاحبات دين سماوى .

وللرجل أن يتزوج الجارية بعقد النكاح فى حدود الزوجات الأربع والدين السماوى ، إذا كانت مملوكة لغيره ، لا يمنع من ذلك العقد إلا أن يكون متزوجاً قبلها بحرة فى عصمته أو ما تزال فى عدة الطلاق ، فقد نهى الحديث أن تنكح الأمة على الحرة[٣] .

وليس للسيد أن يتزوج أمته، لأن ملك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع فلا يجتمع معه عقد أضعف منه[٤] .

فنظام الرق فى الإسلام نظام اختيارى يقابله نظام الجزية .

وقد وضع بجانب نظام الرق نظام آخر فى مصلحة الرقيق، هو نظام الكفارات التى من بينها عتق العبيد ، كما أوصى الإسلام فيما أوصى بحسن معاملة الرقيق .

ففى صحيح البخارى[٥] : «لا يقلْ أحدكم عبدى أمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى» .

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٤٢ . (٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٩٤ .
(٣) فتح القدير ٢ : ٢٧٧ الطبعة الأولى . (٤) المغنى لابن قدامة ٦ : ٦١٠ .
(٥) انظر فتح البارى ٥ : ١٣١ الطبعة الأولى .

وفيه أيضاً عن المعرور[١] قال: «لقيت أبا ذر بالرّبذة ـ وعليه حلة وعلى غلامه حلة ـ فسألته عن ذلك فقال: إنى سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر، أعيرته بأمه! إنك امرؤ فيك جاهلية، (إخوانكم خولكم) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

وقد زخرت كتب التشريع الإسلامى ببحث مسائل الرقيق ومشاكله الواقعية والافتراضية جميعاً.

الرقيق فى العصر الحديث:

وقد وجد العصر الحديث أن أمر الرقيق قد أسرف فيه، واعتراه كثير من الخلط والفوضى، وأن أبصار النخاسين قد اتجهت إلى اجتلابه بشتى الوسائل التى لا تمت إلى الشرع بسبب، فبيعت فى أسواق النخاسة بنات الأسر المسلمات واختطفت كريمة قومها لتنالها يد السرىّ القادر، فأحفظ ذلك بعض الولاة فى مصر وفى غيرها، ووافق ذلك تكاتف الدول الأوربية على أن تقضى على تجارة الرقيق فى بلادها ومستعمراتها الإفريقية والأسيوية، وبذل بعضها فى ذلك المال لتعويض ملاك الرقيق. يقول الرافعى[٢]: «اعتبر ذلك فى أن الحكومة الإنجليزية حينما قررت إبطال الرقيق فى أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيهات لتعويض موالى الأرقاء المحررين».

ويذكر الرافعى أن الاتجار بالرقيق منع من عهد محمد على، «ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسميا، وبقيت تجارة الرقيق فى السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا بعين الحكومة وبصرها، وبتأييد موظفيها، وكان يتولاها تجار أقوياء لهم بيوت تجارية كبيرة تتجر فى حاصلات السودان وفى الرقيق، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة، وكان تجار الرقيق لما لهم من النفوذ والسطوة والمال يقيمون فى مختلف

(١) انظر فتح البارى ١ : ٨٠ / ٥ : ١٢٦ .

(٢) عصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعى ١ : ١٣٦ .

الجهات معاقل حصينة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق، فلما تبوأ إسماعيل عرش مصر اعتزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء فى أنحاء العالم وأن يكسب ثناء الإنسانية فى مقاومة الرقيق، وبذل جهوداً كبيرة فى هذا السبيل[1] ».

وكان لاهتمام الوالى أثره فى ضبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة أطلق سراحهم، واعتقل التجار الذين جلبوهم ولم يفرج عنهم إلا بعد تعهد بعدم العودة إلى ذلك. كما كان لاحتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ أثر كبير فى سد طريق النيل فى وجه تجار الرقيق الذين كانوا يقتنصون الأرقاء فى جهات بحر الغزال وخط الاستواء ويشحنونهم فى السفن.

أما العبيد المملوكين قبل صدور هذا الأمر فقد وضع لهم تشريع يخولهم الحق فى التحرير إذا ثبت أن السيد أساء معاملتهم[2].

ويأخذ الرافعى على إسماعيل بعض الأخطاء فى تنفيذ هذا الأمر: منها أنه لم يفكر فى تعويض تجار الرقيق، وكانوا تجاراً أقوياء لهم أنصار لا يستهان بهم، فضلا عن أن الأيدى العاملة فى الزراعة ورعى الماشية وغير ذلك كان معظمها من الرقيق هذا إلى أن الخديوى قد جعل على رأسة مقاومة الرقيق جماعة من الأجانب منهم السير صمويل بيكر، وغردون الذى لم يقترن اسمه إلا بمحاربة الاتجار بالرقيق[3] فاستثار وجودهم عواطف الأهالين الدينية، فاستهدفت الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجاره، مما ظهر أثره فى نجاح دعوة المهدى فى أوائل عهد توفيق، إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق فى السودان[4].

هذا هو الرقيق فى موجز تاريخه، ومع ذلك فلا تزال تجارة الرقيق قائمة فى إفريقية. وفى العدد ١٥٣٠ من المصور الصادر فى أول جمادى الآخرة ١٣٧٣ خلاصة تقرير يقع فى ٢٠٠ صفحة لعالمين من علماء الاجتماع هما « جاك آلان » و « جورج هيرالد » قضيا فى تتبع عصابات الرقيق أربعة أعوام. وفيه من المآسى ما ينطق بقسوة الأوربيين من تجار الرقيق وفظائعهم التى يرتكبونها فى هذه القارة البائسة.

(١) عصر إسماعيل ١ : ١٣٤.
(٢) عصر إسماعيل ١ : ١٣٥.
(٣) عصر إسماعيل ١ : ١٦٣.
(٤) عصر إسماعيل ١ : ١٣٦.

وهذه عجالة لم نستطع فيها أن نستقصى القول فى الرقيق الذى كان فى بعض العصور نصف الدنيا ، وكان له فى الحياة العربية أثر بالغ فى النواحى الحضارية والعلمية والأدبية والفنية . وحفظ لنا أبو الفرج الأصفهانى فى تضاعيف أغانيه وثائق شتى فيما يتعلق بالرقيق ، كما زخرت كتب الأدب والتاريخ القديمة بذكر آثارهم وأخبارهم. وتناول الكتاب المحدثون فى أبحاثهم هؤلاء الرقيق من جوانب شتى أذكر منها فجر الإسلام وضحاه للدكتور أحمد أمين ، والرقيق فى الإسلام لأحمد شفيق (باشا) وضعه بالفرنسية وترجمه أحمد زكى (باشا)، ومنها الفصول التى كتبها الرافعى فى (عصر إسماعيل) ، وكتاب الدكتور محمد فؤاد شكرى (الخديو إسماعيل والرقيق فى السودان) وضعه باللغة الإنجليزية وكتبت دائرة المعارف البريطانية فصلا ضافيا فى الرق (Slavery) . وللزعيم المغفور له مصطفى كامل كتيب فى الرق ألفه عندما كان طالبا بمدرسة الحقوق ، سماه « أعجب ما كان فى الرق عند الرومان »، طبع بمطبعة المحروسة سنة ١٣١٠ فى عشرين صفحة .

ابن بطلان وكتابه

ابن بطلان :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادى المعروف بابن بطلان .

ويبدو أن اسمه الكنسى هو « يوانيس » كما ورد ذلك بخطه فى نص نقله ابن أبى أصيبعة[1] .

ويذكر القفطى[2] نظيرا لذلك فى ترجمة صاعد بن هبة الله، قال: « كان اسمه أيضا مارى ، وهو من أسماء الكنيسة عند النصارى؛ فإنهم يسمون أولادهم عند الولادة بأسماء فإذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من أسماء الصالحين » .

أخذ علمه فى العراق على أبى الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ٤٣٥ ،

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

(٢) إخبار العلماء ١٤٥ .

وكان عالماً بالمنطق والحـكمة والطب ، وفيه يقول ابن بطلان[1] : « وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقى عشرين سنة فى تفسير ما بعد الطبيعة، ومرض من الفـكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها » . وكان أبو الفرج يجل تلميذه ابن بطلان و يعظمه ، ويقدمه على تلاميذه ويكرمه[2] .

ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرانى الصابى المتوفى سنة ٣٦٩ وهو عم أبى إسحاق الصابى ، وكان من أكبر الأطباء الحاذقين فى بغداد فانتفع به ابن بطلان فى صناعة الطب، وفى مزاولة أعمالها . وكانت صناعة الطب هى المهنة التى كان يرتزق منها ابن بطلان .

وعاش ابن بطلان حياته للعلم لم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً. وفى ذلك يقول:

ولا أحد إن مت يبكى لميتتى سوى مجلسى فى الطب والكتب باكيا

رحلة ابن بطلان للقاء ابن رضوان :

كان ابن بطلان معاصراً لعلى بن رضوان الطبيب المصرى ، وكان بينهما — كما يقول ابن أبى أصيبعة — مراسلات عجيبة وكتب بديعة غريبة، ولم يكن أحد منهما يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد عليه الآخر ويسفه رأيه . قال : وقد رأيت أشياء من المراسلات التى كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم فى بعض .

فصح عزم ابن بطلان فى مستهل رمضان سنة ٤٤٠ أن يخرج إلى لقائه فى مصر، استجابة لما أملته عليه المنافسة ، فخرج عن بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر، ودخل (حلب) وأقام بها مدة أحسن إليه فيها معز الدولة ثمال بن صالح وأكرمه إكراماً كبيراً .

و يروى لنا القفطى حياته فى حلب ، أنه لما دخل إليها تقدم عند المستولى عليها وسأله رد أمر النصارى فى عبادتهم إليه، فولاه ذلك وأخذ فى إقامة القوانين

(١) القفطى فى إخبار العلماء ١٥١ ، ١٩٨ .
(٢) القفطى ١٩٢ .

الدينية على أصولهم وشروطهم فكرهوه . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصرانى يعرف بالحكيم أبى الخير بن شرارة، وكان إذا اجتمع به وناظره فى أمر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فيقطع فى يده ، وإذا خرج عنه حمله الغيظ على الوقيعة فيه، ويحمل عليه نصارى حلب الذين هجوه هجاء اضطره إلى فراقهم .

خرج ابن بطلان عن حلب إلى (أنطاكية) ، ثم إلى (اللاذقية)، وقد وصف هذه البلدان التى مر بها وصفاً ناقداً عجيباً فى كتاب كتبه إلى الرئيس هلال ابن المحسن[1] ثم أتم رحلته إلى مصر فدخل (الفسطاط) فى سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين ، وذلك فى دولة المستنصر بالله من الخلفاء الفاطميين، وجرت بين الرجلين وقائع كثيرة ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة . وقد ضمن ابن بطلان تلك الحوادث والمحاورات رسالة بعث بها إليه بعد خروجه من مصر . وقد حفظ لنا القفطى هذه الرسالة فى كتابه[2]، ونشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف سنة ١٩٣٧ .

وقد اتسع نطاق المناظرة بين الرجلين حينما تخرج من حدود المناظرة العلمية إلى حد المهاترات الشخصية ، فيذكر ابن أبى أصيبعة أن ابن رضوان كان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة، وكان يناضل عن نفسه من هذه الجهة حتى ألف مقالة يرد بها على من عيره بقبح الخلقة ، بين فيها « أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا » . فانتهزها ابن بطلان فرصة له فوقع فيه ، وكان يلقبه « تمساح الجن »، وقال فيه :

فلما تبدى للقوابل وجهه   نكصن على أعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الكلام تسترا   ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم !

ويعقد ابن أبى أصيبعة مقايسة علمية بينهما فيقول :

« كان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز فى الأدب وما يتعلق به،

(١) القفطى ١٩٣ — ١٩٥ .
(٢) القفطى ١٩٥ — ٢٠٧ .

ومما يدل على ذلك ماذكره فى رسالته التى وسمها بدعوة الأطباء . وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها » .

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة(١) أن ابن رضوان « كان فية سمة خلق عند بحثه » .

خاتمة ابن بطلان :

خرج ابن بطلان من مصر غاضباً على ابن رضوان ورجع إلى أنطاكية مرة أخرى فأقام بها ونزل بعض الديرة فيها وترهب منقطعاً إلى العبادة إلى أن توفى بها(٢) ودفن فى كنيستها .

فيذكر القفطى المتوفى سنة ٦٠٦ أنه توفى سنة ٤٤٤ وكذلك صنع ابن العبرى(٣) المتوفى سنة ٦٥٨ على حين يذكر ابن أبى أصيبعة أنه قد اطلع على مخطوطات شتى لابن بطلان وفيها من التواريخ مايشهد بأن حياته امتدت إلى سنة ٤٥٥ كما نقل عنه تسجيلات لوفيات أعيان العلماء الذين عاصروه ، منهم الشريف المرتضى (٤٣٦) والماوردى (٤٥٠) وأبو الطيب الطبرى (٤٥٠) ومهيار الديلمى (٤٢٨) وأبو العلاء المعرى (٤٤٩) . وهذا مما يحملنا نرجح أن وفاته كانت بعد التاريخ الذى ذكره القفطى بنحو عشر سنوات على الأقل .

آثاره العلمية :

يذكر المؤرخون له من الكتب غير كتابنا هذا :

١ — كناش الأديرة والرهبان ، ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان

---

(١) ابن تغرى بردى ٥ : ٦٩ .

(٢) هذه رواية القفطى . ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه سافر من مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة. ويبدو أن رحلته إلى القسطنطينية كانت بعد ذلك، أى فى أثناء إقامته بأنطاكية إذ يسجل ابن أبى أصيبعة أنه ألف كتاباً فى القسطنطينية سنة ٤٥٠ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ٣٥٦ طبع ١٩٦٣ .

الأديرة ومن بعد من المدينة ، كما جاء فى مقدمة كتاب الديارات للشابستى بتحقيق كوركيس عواد . ومنه نسخة بمكتبة الفاتيكان .

٢ — تقويم الصحة ، فى قوى الأغذية ودفع مضارها. نشرت ترجمة لاتينية له فى إستراسبورج سنة ١٩٣١ وترجمة ألمانية فى إستراسبورج أيضاً فى السنة التى تليها كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ، ومنه نسخة بالمتحف البريطانى وأخرى بالفاتيكان .

٣ — مقالة فى شرب الدواء المسهل .

٤ — مقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقى الأدوية المسهلة وتركيبها .

٥ — مقالة إلى على بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جواباً عما كتبه إليه ، وقد نشر فى (خمس رسائل) تحقيق يوسف شاخت وماكس مايرهوف ، مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٧م .

٦ — مقالة فى علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التى كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم فى ذلك لمسطور القدماء فى الكنانيش والأقرباذينات وتدرجهم فى ذلك بالعراق وماوالاها على استقبال سنة ٣٧٧ إلى سنة ٤٥٥. صنفها بأنطاكية وكان قد أهّل لبناء بيمارستان أنطاكية .

٧ — مقالة فى الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة سنة ٤٤١ . وقد نشر فى مجموع (خمس رسائل) .

٨ — كتاب المدخل إلى الطب .

٩ — كتاب دعوة الأطباء ، صنفه على غرار (كليلة ودمنة) ألفه للأمير نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣ كما فى النجوم الزاهرة .

قال ابن أبى أصيبعة: « ونقلت من خط ابن بطلان ، وهو يقول فى آخرها: فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون

بدير الملك المتفيح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى أواخر أيلول سنة ١٣٦٥ : هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى من سنة ٤٥٠ » .

وقد نشر هذا الكتاب الدكتور بشارة زلزل بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١ عن نسخة بمكتبته، وقد تصرف فيها بعض التصرف بحذف « عبارات لا يألفها ذوق الأدباء من أبناء هذا العصر ! ! » كما ذكر ذلك فى مقدمته .

١٠ — كتاب وقعة الأطباء . ١١ — كتاب دعوة القسوس .

١٢ — مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة .

علة تأليفه لهذا الكتاب :

باتساع الرقعة الإسلامية واتساع جلب العبيد تبعاً لذلك قامت تجارة الرقيق نافقة يتولاها النخاسون الذين سميت صناعتهم بالنخاسة[1] ويشرف على تجارتهم قيم يدعونه « قيم الرقيق »[2] .

والرقيق كسائر السلع يرى المشترى أن يختار لنفسه منه، وأن يأمن جانب الغش والخدعة فيه، فى عالم غص بأجناس شتى من الأمم من الترك والأرمن والصقالبة والهند والزنج والبربر وغيرهم، ولكن السوق قاسية، والبائع يحاول أن يتخلص مما فى يديه ولو سلك فى ذلك سبل الغش والخداع جميعاً، لذلك قامت إلى جانب النخاسة مهنة أخرى هى مهنة « الدلالة » التى تكفى المشترى مؤونة الخبرة وتكفى البائع من جهة أخرى أن يبالغ فى تزييف سلعته[3]. وقد ذكر ابن بطلان رجلاً اسمه « أبو عثمان » كان من هؤلاء الدلالين، ولكن الدلالة أو « السمسرة » بعبارة أخرى كان سلاحا ذا حدين نفاع وضرار .

---

(١) النخاس يطلق فى الأصل على بائع الدواب، سمى بذلك لنخسه إياها حتى تنشط وقد يسمى بائع الرقيق نخاسا . اللسان (نخس) .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٢٧ وضحى الإسلام ١ : ٨٧ .

(٣) يذكر أحمد شفيق (باشا) فى كتابه الرق فى الإسلام عند الكلام على رق الرومان: « وكانت العادة أن المشترى يطلب رؤية الأرقاء عراة تماما لأن بائعى الرقيق كانوا يستعملون وجوها كثيرة من المكر لإخفاء عيوب الرقيق الجثمانية » . ولا تزال تلك العادة قائمة إلى الآن كما أخبرنا بذلك من شهد أسواق الرقيق .

ثم إن الأغراض التى يقتنى لها العبيد والإماء مختلفة جداً، وهذه الأغراض لاتتحقق جميعها فى جنس واحد من أجناس العبيد ، فالخدمة والطهى ، والقيام على الخزائن والحراسة والقتال ، وطلب الولد والإرضاع ، والغناء والعزف ، والاستمتاع والجمال ، كلها أغراض يتحقق بعضها ممتازاً فى بعض الأجناس ولا يكون فى الأخرى .

ثم إن للعوامل النفسية كالرغبة العاجلة فى الشراء ، وهى رغبة تتجاوز عن كثير من السيئات ، والعوامل الاقتصادية كوفرة الرقيق فى المواسم واغتنام تلك الفرصة لاستعمال طرق الغش والخداع ، والعوامل الشخصية كأن يدس بين الرقيق من يتخذ من الأعداء عيناً على سيده المنتظر فيفسد عليه أمره فيما بعد ، وكذلك ما للعبد من ماض طيب أو سيئ ، أن لكل أولئك وأمثالها آثاراً شتى يجدر بالمشترى أن ينظر فيها طويلا وأن يحزم أمره بالتريث .

وهناك أخطاء كان يقع فيها السادة فيجنون مغباتها ، هى الأخطاء الصحية والنفسية التى لايتبينها إلا طبيب حاذق ، عالم بالطب وعالم بالفراسة التى تتأدى من النظر فى الظاهر إلى معرفة الباطن : الباطن البدنى والباطن النفسى أيضاً ، فقد يشترى عبداً معلول الجسم أو معلول النفس وظاهره لمن لايعرف بارع خداع .

كل أولئك حفز صاحبنا المتطبب « ابن بطلان » أن يضع كتابه هذا فى ذلك الموضوع الخطير فى تلك العهود التى كان الرقيق فيها جماً هائلا له حسابه وله ميزانه .

مواد الكتاب :

وأقصد بذلك المنابع التى استقى منها ابن بطلان معارفه فى هذا الكتاب . وهو قد صرح فى أول كتابه أنه اعتمد على رسائل معلم الإسكندر وغيره من العلماء والفلاسفة . وقد ظهر لى فى أثناء التحقيق أنه اعتمد فى باب الفراسة اعتماداً كلياً على ما ورد فى كتاب « جمل أحكام الفراسة » لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ يظهر ذلك من المطابقة التامة فى الألفاظ وفى نظام التأليف .

ولـكن صاحبنا لم يظهر اسمه اكتفاء بما ورد مبهماً فى قوله « من العلماء والفلاسفة » .

التنوقبوه فى شراء الرقيوه :

هو مخطوط قديم فى المكتبة التيمورية برقم ٤٨ فضائل ورذائل ، مجهول المؤلف ، خدم به مؤلفه اسم « الملك الصالح أبى المظفر أحمد بن الملك الظاهر أبى المظفر غازى بن الملك الناصر أبى المظفر يوسف بن أيوب بن شادى » .

وقد اعتمد هذا الكتاب فى بيان خصائص الأجناس اعتماداً ظاهراً على ما ورد فى كتابنا هذا ، وصرح فى بعض المواضع بالنقل عنه ، كما فى ص ٢٤٣ ، ٢٥٢ باسم ابن بطلان ، وفى ص ٣٩ ، ٤٤ باسم ابن عبدون ، وكان بذلك معيناً على تحقيق أو توضيح بعض ما ورد من نصوص كتابنا هذا محرفاً أو مبهمًا .

نسخة الأصل :

هى نسخة جامعة القاهرة رقم ٢٣٣٢٧ المصورة عن مخطوطة برلين رقم ٤٩٧٩ ومع أنها مجهولة التاريخ هى قديمة الخط ، ولم أعثر على نسخة أخرى من هذا الكتاب بعد بذل جهد طويل .

وإليك الكتاب فى ضوء التحقيق .

رسالة جامعة لفنون نافعة

فى شرى الرقيق وتقليب العبيد

تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة جامعة لفنون نافعة فى شِرَى الرقيق وتقليب العبيد

يعلم منها الراغبُ فى هذا الشأن الأعضاء السَّليمة من المَؤُوفة ، والأخلاقَ الطَّاهرة من الرديّة، وأىُّ الإماء يَصلُحن للخِدمة، وأيُّهن للمُتعة، وأىُّ الأجناسِ عبيدُ طاعة ووَلاء ، وأيُّهم ذَوِى أنفةٍ وحمية، وأيُّهم لا يُصلحه إلاّ الكدّ والعصا فيختارُ من كلّ جنسٍ ما يوافق غرضَه ، وينال به أَرَبه ، فإنّه يقال :

من أراد الجاريةَ للّذة فليتّخذها بربرية ، ومن أرادها خازنةً وحافظة فروميّة ، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزِنْجية، ومن أرادها للغناء فمكّية .

ومن أراد العبيد لحفظ النفوس والأموال فالهند والنُّوبة ، ومن أرادهم للكدّ والخدمة فالزِّنج والأرمن، ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالتُّرك والصقالبة.

هذا كلامٌ جمعنا متشتّته ونظَمنا منثوره من رسائل معلم الإسكندر[1] وغيره من العلماء والفلاسفة .

ومقالتنا هذه تشتمل على فنون خمسة :

الأول منها : فى وصايا ينتفع بها فى البيع والشِّرى .

الثانى منها : فيما يتفقّد من أعضاء الرقيق بحسب ما يراه الأطباء .

---

(١) يعنى أرسطو . قال القفطى فى أخبار العلماء : « وكان أرسطوطاليس معلم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وانقمع به الشرك فى بلاد اليونانيين ، وظهر الخير وفاض العدل . ولأرسطوطاليس إليه رسائل كثيرة معروفة مدونة » .

الثالث : فى معرفة أخلاق العبيد بقياس الفِراسة على مذهب الفلاسفة .

٣ الرابع : فى معرفة صور كلّ جنس وما يصلحون له من الأعمال بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

الخامس فى كشف تلبيسات يدلِّس بها النّخّاسون الرقيق على المشترِى ، يجرى مَجرى الحِسْبة

ومن بعد تعديدنا لهذه النُّوَب نعقد بها جملةً يَخْصِمُهَا[1] تفصيلها ، ليسهل على القارئ مأخذها فيحيط علمه بها .

والله ولى المعونةِ والعصمةِ للقوّة البشرية ، من كل خطَل وزَلّة ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

---

(١) كذا وردت الكلمة مضبوطة فى الأصل . ومعنى يخصمها يغلبها .

مبلغ ما يحتاجه إلى معرفته من أحوال العبيد والإماء عند ابتياعهم وَبيعهم، من وصايا يُنْتَفَع بها فى البيع والشِّرَى منتزعة من كلام الحكماء.

ومن تفقُّد أجسامهم وصحّة أعضائهم بحسب ما يراه الأطباء.

ومن تعرف أخلاقهم بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة.

ومن معرفة صور كل جنس وما يصلحون له من الأعمال، بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ.

ومن كشف تلبيسات يدلِّس بها النَّخّاسون الرقيق على المشترى، يجرى مجرى الحسبة على ما بُيِّن من أحوال ذلك.

وهى عن خمسة أشياء ما[1]:

[١]

منها الوصايا التى ينتفع بها فى شِرَى الرقيق على ماقاله الحكماء والفلاسفة، عشر وصايا، من ذلك ما يعم المماليك والإماء أربع وصايا: ٤

شرحها: (الوصية الأوّلة[2]) ما أمروا أن يكون عليه[3] المستعرض عند التّقليب للشِّرَى، وما نَهَوا عنه من القَطْع بأوّل نَظْرة، قالوا: إنّ المستعرِض لأمرٍ مّا يجب ألاّ يكون ذا فاقةٍ إليه، فإن الجائع يستجيد كلّ طعامٍ يُشبعه[4]، والعُرْيان يستوفِقُ كلّ طِمْرٍ يدفئُه ويستره، وبحسب هذا قالوا: لايَستعرضْ

---

(١) كذا وردت هذه العبارة.

(٢) فى اللسان (وأل): « حكى ثعلب هن الأولات دخولا، والآخرات خروجاً. واحدتها الأولة والآخرة. ثم قال: ليس هذا أصل الباب، وإنما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى». (٣) فى الأصل: « عليها ».

(٤) فى كتاب التحقيق ص ١٣: «وقال الحكيم: الجائع مستجيد لكل طعام يشبعه».

جاريةً شيِّق ، فليس لمنفظٍ(١) رأى ، لأنه يقطع بأوّل نظرَة ، وأوّل نظرة سِحر وللجديد وللغريب رَوعة ؛ فإذا صادف منه حاجةً داعية قَطع بما تكذّبه الحواسُّ عند الاستغناء . ولهذا قيل : تكرير اللَّحظ يُخلِق كلَّ جِدَّة ، ومعاودة التقليب يُظهِر التصنُّع ، ويُبهرج التدليس .

(الوصية الثانية) ما حذَّر منه القدماء قبل الشِّرَى . قالوا : كن على حذَرٍ من شِرَى الرّقيق فى المواسم، ففى مثل تلك الأسواق يتم للنخاسين الحِيل ، فكم من قَضيفة بيعت بخَصْبة(٢) ، وسمراء كَمِدة بيعت بصَفْراء مُذْهَبَة ، وممسوح العجز بثَقيل لروادف ، وبَطين بمجدول الحشا، وأبخر الفم بطيِّب النكهة، وكم صَفَّروا البياض الحادث عن القروح فى العين ، والبرص والبَهَق فى الجلد ، وجعلوا العين الزّرقاء كَحلاء ، وكم مِن مَرّةٍ حَمَّروا الخدود المصفَّرة ، وسمَّنوا الوجوه المقمقمة(٣) ، وكبَّروا القِقاح الهزيلة ، وأعدموا الخدودَ شَعر اللِّحى ، وأكسبوا الشُّعورَ الشُّقر حالكَ السواد ، وجَعَّدُوا الشُّعور السَّبْطة ، وبيَّضوا الوجوه المسمرَّة، ودَمْلَجُوا السِّيقان المعرَّقة(٤) ، ورطَّلوا الشُّعور المرَّطة، وأذهبوا آثار الجُدَرِيّ والوَشْم والنَّمَش والحِكَّة .

ولكلٍّ من هذه أسباب يعرفها الأطبّاء قد أوردناها فى مقالتنا فى الحسبة ، وسنورد منها فى الفن الخامس شَذْرَة بحسب الحاجة .

وكم مِن مريضٍ بيعَ بالصَّحيح ، وغلامٍ بجارية،هذا زائدٌ على ما يُوصَفُونَ

---

(١) فى الأصل : « لمتنبط » . وما أثبت من الصواب يوافق ما فى التحقيق س ١٤ .

(٢) القضيفة : النحيفة . فى الأصل « قصيفة » .

(٣) لعلها « المتقفمة » .

(٤) المعرقة : الضامرة القليلة اللحم . وفى اللسان : دملج جسمه دملجة ، أى طوى طياً حتى أكثر لحمه .

به الجواري من دَلّ ومَجانَة[1] على مُسافرِينَ شبابٍ قد أُحلّ لهم لحمُ المِيتة، سوى ما يفعلْنه من زينتهن بالخضاب والحِنّاء، والملابس المصبَّغة الناعمة.

سمعنا بعض النَّخاسين يقول: «ربع درهم حِنّاء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة!».

والتحرز من هذا لا يكون في موقف واحد، ولهذا قيل: اتَّهِم نظرَك فيما استحسنتَه حتّى يكون الاستحسان دائماً على صُورةٍ لاينقُصها تكرار النظر، وهذا لايتمّ إلا في دفَعات، وعلى صفاتٍ مختلفات.

(الوصية الثالثة) ما نُهِي عنه من القَطع بأوّل سمْعٍ من المماليك [و] الإماء. قالوا: لا تقطعْ بأوّلِ لفظٍ من غلامٍ أو جارية، فربّما جاءت بالاتفاق فوافقت منك قَبولًا لا يكون وراءها أمثالُها فيتدلّس عليك بذلك مقابحُ مستورة ربّما جرى الأمر على خلاف ذلك. لكن كنْ إلى الريبة أمْيَلَ منك في هذا الشأن إلى الثّقة، وخُذْ بسوء الظّن تَسلمْ.

(الوصية الرابعة) ماحُذِّر منه الرؤساء خاصّة. قالوا: ليحذر الرؤساء — ممن له عدوٌّ يَخشى منه غِيلةً، أو[2] يخاف أن يطلع له على سِرّ — شِرَى خادمٍ أو جارية خاصةً إن كانت كاتبةً خرجت من دار سلطان، إلاّ بعد خِبرته بها، ولا شِرَى جارية مولَّدة من تاجرٍ أو جَلاّب، فإنّ هذه حِيلةٌ قد هلك بها جماعةٌ من الملوك والرؤساء.

* * *

ومن ذلك مايختص بشِرَى المماليك خاصّة، ثلاث وصايا، شرحها:

(الأوّلة) ما حُظِر على المشتري من ابتياع مملوكٍ قد مَرَن على الضَّرب

---

(١) في الأصل: «ما يوصوا به الجواري من ذل ومجانة». والمجانة: مصدر مجن يمجن مجوناً ومجانة، وهو ألا يبالي ما صنع.

(٢) في الأصل: «أن».

والخصومة . قالوا : لاتشتر مملوكاً كان مولاه يُكثِر ضربَه ، ولا تترك المسألةَ
٧ب عن مالك المملوك ، وعن سبب بيعِهِ . واستعلِمْ ذلك قبلَ ابتياعه ، من المملوك وغيره ، ففى هذا الفحص فوائد كثيرة ، فى ارتباطه ، أو تسريحه وتركه .

(الثانية) مأخوذة من جُرأة المملوك على ذمّ مولاه ، وتنقّصِه له، أو امتعاضه من ذمِّه وقلّة احتفاله به ، وهل سببُ بيعه من جهته أو من جهة مالكه .

(الثالثة) ما وُصِّى به قبل استخدامه قالوا : المملوك على مايراه منك أوّلَ دخولِه دارك ، فإن أطمعتَه طمع ، وإن هذّبته انقمع ، وإن خالَطه مفسد من مماليك وغيرهم فسد .

* * *

ومن ذلك ما يختص بشراء الإماء ، وصيتان ، شرحهما :

(الأولّة) فيما تُعلم به براءة الجوارى من الحَبَل قبل الشراء . قالوا : تحرَّزْ فى استبراء الإماء من الحبَل قبل التملُّك لهن، واحذَرْ بهرجتهنّ بالسداد والدعاوى الكاذبة ، فإنّ كثيرا مايجمان فى فروجهن خرقاً بدماء غيرهن(١) . وليكن من يستبرى ذلك منها امرأةٌ تكره أن تُلْصِق بك ولَد غيرِك ، ومُرْها بتفقُّد ثديها وجَسِّ حشاها .

واعلمْ ذلك من شُحوب لونها وشهوتها للطعام المالح ، فإن ذلك دالٌّ على
٨ا توحمها . واستبر ذلك بتقدير الحشا وبخوراتٍ تذكر أخيراً كما وعدنا .

(الثانية) مايراعى بعد الشرى من الفِيلة فى الحمل من غير إرادة المولى . قالوا : راعِ أمراً ذا ركنين :

---

(١) فى الأصل : « مايجعلن فى فروجهن خرق بدماء غيرهم » .

إذا اشتريتَ جاريةً غير بالغة فربّما بلَغت فى ملكك وأنت لا تعلم، وكتمَتْ ذلك عَنْكَ رغبةً فى الولد .

احذر الجوارىَ اللواتى يوهِمنَ أنّهن عُقْم وهنَّ كارهات للحبَل ، فربّما خدَعْنَك بذلك .

ومن ذلك ما يختص بالبائع دون المشترى .

وصـــــية

قالوا : لا تُخْرِجْ جاريةً من ملكك إلى نخّاس إلاّ فى دم ، فربما تَمّ عليها فى الحجَر أن تحبل فادّعت أنه منك .

على أنّا قد شاهدنا فى زماننا مَن حاضت مُدّة زمانِ حملها . وهذا نادر .

[٢]

ومنها ما يتفقّد من أجسام الرقيق بحسب كلّ واحد من الأعضاء على مذهب الأطباء ، ثمانية وثلاثون فصلا .

من ذلك ما يعم جميع البدن ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من اللون ، وهو ألاّ يكون حائلا[1] إلى الصفرة الدّال على ضعف الكبد وغلبة الصفراء ، ولا إلى السّواد الدالّ على السّواد وضعف الطّحال ، لكن إنْ كان أبيضَ فليكن مُشربًا حمرة ، وإن كان أسمر فلتكن سمرته سمرةً صافية .

ومن البشرة بأن تكون لينة نقية خالية من بَهَق أو برص أو وشم أو قُوباء أو كَيّ أو صبغ أو ثآليل أو خِيلان أو أثر قُرحة ، لاسيّما إنْ كانت عن عَضّة كلبٍ كلِب .

ومن تناسب الأعضاء ، بأن تكون بعضها مناسبةً لبعض فى الطول والقصر والعظم والصغر ، فإنّ طول الأعضاء مع غير مناسبةٍ فى العرض جيّد فى مباشرة الأعمال العظيمة ، مع ضعف القوة . والقصرُ بالضدّ عن ذلك .

* * *

ومن ذلك ما يختص كل واحد من الأعضاء ، ثلاثون فصلا .

منها (مايختص بالرأس) أربعة أشياء ، وهى شكله ، بأن لا يكون مسفّطا[2]

---

(١) الحائل : المتغير اللون . وردت كذا بالحاء . وفى كتاب التحقيق ٦٨ : « اللون إذا كان حائلا دل على علة فى الكبد » .

(٢) المسفط : الذى شكله شكل السفط . فى القاموس : « رجل مسفط الرأس : رأسه كالسفط » . والسفط محركة كالجوالق أو كالقفة .

ولا مشوّها ، ولكن يكون ككرة شمع قد غُمِزت من جانبها فصار لها نتوء من خلف وقدام .

وشعره بأن لا يكون خفيفاً أو متفرقا ، ولا به داء الثّعلب والحيّة[1] ، ولا بعضُه أبيض مجتمع كالبلَق فى البهائم .

جلده بأن لا يكون قَحْلا ولا فيه سَعَفة[2] وبثور ، أو أثر جرحٍ غائر يدلُّ على عظمٍ .

فضلاته البارزة منه بأن لا يكون كثير المخاط والبصاق ، كثير النوم كدر العين والحواس ، فإن ذلك من أسباب الصَّرْع ، ولا سيّما إن ارتعشت بعض أعضائه .

(ما يختص بالعين) خمسة أشياء ، وهى من حركتهما بأن لا تكونا مضطربتين فإنّهما من علامات الوسواس لاسيا إن لم يكن الكلام منتظماً ، وهذا يعتبره العارف بلغة المملوك . ومن لونها بأن لا يكون بهما زُرقة فى السواد لم تكن من قَبل ، لأنّها من علامات الماء . ولا يكون بياضهما كدراً أو أصفر أو فيه عروق ، فإنّه من مقدمات السَّبَل[3] . ومن شكلها بأن لا يكون شكل العين مستديراً ، لاسيما إن كان الوجه متعجِّراً فإن ذلك من علامات الجُذَام . ولا يكون نَقْبا الحدقة سواداهما [غير[4]] متساويين ، ولا أحدهما أكبر من الآخر وكأنّه مشقوق بالطول[5] . وهذا يعتبر بأن يغمض كلّ واحدة منهما ويُرى

---

(١) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعالب يصيبها ذلك الداء ، كما فى اللسان (سعف) . وجاء فى كتاب التحقيق ص ٨٤ : « وآفات الشعر الحصة فإنها تشققه ، وداء الثعلب فإنه يمزقه ، وداء الحية فإنه يجرده » . وانظر الحيوان ٤ : ١٥٨ .

(٢) السعفة : قروح تخرج بالرأس تورث القرع .

(٣) السبل : داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر .

(٤) فى كتاب التحقيق ٩٦ — ٩٧ : « وإذا كان حرفا العينين غير متساويين وسواداهما غيرمتماثلين » .

(٥) فى التحقيق : « أو كان الحرفان قدشقا بالطول » .

أشكالا مختلفة . ومن المَأْقِ بأن لا يكون فى المأْقِ ظَفَرة[1] ولا لحمٌ زائد ولا ناصور[2] . وعلامته أنك إذا عصرت المأْق خرج منه مِدّة . ومن الأجفان بأن لا يكون شعرها منتثراً ولا منقلباً ، ولا تكون الأجفان غليظة .

(مايختص بالشم والسمع) ، وهو شىء واحدٌ : تنظرهما فى الضَّوء لئلا يكون فيهما لحمٌ زائد ، وتعرض عليه الكلام والروائح بعد سدٍّ أحد ثقبيها .

(مايختص باللسان) وهو شىء واحد ، أن يُستنطَق لئلا تكون به لثغة ،

١١ وهذا يكون من صِغَر اللسان وعظمه ، أو سقوط جزء منه ، أو لآفة فى عَصَبه ، أو لسقوط بعض الأسنان ، أو لالتصاقه من الجِبِلَّة ، أو لأثر قُرحة به ، فَسَلْ[3] عن جميع ذلك . فإن لم يكن فتسىءُ ظنَّك به فربما كان قد عَضَّ لسانه لصَرْع به وبخِّرْه بقَرن المِعزى، وأطعمه كَبِد تيسٍ مشوى فإنّهُ يُصرَع إن كان مصروعا .

(مايختص بالأسنان) شيئان : وهما : إن لم تكن موجودة بعد الثغر فإنها لاتعود[4] ، وإن وجدت تفقّدْ ألوانها وصلابتها وسلامتها من الحفور ، وبعدها من الضَّرَس بصبرها على الحامض . واجتماعُها أجود من تفرُّقها ، وإنْ كان الشَّنَب مذهباً محبوباً عند العرب[5] .

(مايختص باللِّثة) شىء واحد ، وهو أن لاتكون فيها قروح . واستنكِهْه لكيلا يكون به بَخَر . وهذا يكون من عفَن اللثة ، أو تأكُّل ضرس ، أو بلغم عفن فى المعدة .

---

(١) الظفرة ، بالتحريك : جليدة تغشى العين نابتة من الجانب الذى يلى الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٢) فى الصحاح : الناسور بالسين والصاد جميعاً : علة تحدث فى مأق العين يسقى فلا ينقطع . قال : وقد يحدث أيضاً فى حوالى المقعدة وفى اللثة ، وهو معرب .

(٣) وسمت فى الأصل « سل » مع إهمال النقط .

(٤) فى الأصل : « تعد » . وفى هداية المريد : « وإن وجد سقوطها من بعد إثناره فإنها لاتعود » .

(٥) الشنب : التفليج فى أحد معانيه .

(ما يختص باللَّهاة) شيء واحد ، وهو أن لا تكون مسترخِية ، فإن ذلك سبب اتِّصال السعال ، ولا نازلةً إلى أسفل ، فإنَّه يتبع ذلك الخُنَان[1] . فتتأمَّل ذلك في الضوء .

(مايختص بالنَّغانغ والأزبتين[2]) شيء واحد ، وهو أن لا يكون فيهما أثر خنازير .

(ما يختص بالصدر) شيء واحد ، وهو ألا يكون ضيِّقاً أو معوجاً أو قليل اللحم ، فإن ذلك [يكون] سبباً للرئة والسُّعال والنَّزلات ، ولا سيما إن كانت الأكتاف مجنَّحة . ١٢

(ما يختص باليدين) شيء واحد ، وهو ألا تكون إذا قدرتهما وجدت إحداهما أقصر من الأخرى ، أو هما قصيرتان ، فإن ذلك رديءٌ في الأعمال .

(ما يختص بالسواعد) شيء واحد ، وهو أن يكون تَنْى المرفق سهلاً بلا التواء ولا ورم ولا تشنُّج من جرح أو عرق مدنى[3] ، واسبُرْه أن يقبضَ على يديكَ بقوة .

(مايختص بالحشا) جميعه خمسة أشياء : منها ما يعمّ الحشا جميعها ، شيء واحد ، وهو أن لا تكون غايظةً جميعها أو بعضها . وهذا بأن تأمره أن يستلقى على ظهره وتَجُسّ حشاه من فَمِ المعدة إلى العانة ، فإن رأيت ثَمّ غلظاً أو ألماً فاقض به ، لا سيما إن وافق ذلك فساد لون وتهيج في المحاجر . ويحقق ذلك انقطاع نفَسه عند إحضاره وصياحه .

* * *

---

(١) الخنان : داء يأخذ في الأنف تسد منه الخياشيم .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . والنغانغ : لحمات تكون في الحلق عند اللهاة .

(٣) جاء في حواشي هداية المريد : «المديني بثرة تحدث في الساقين تنتفط . ثم يخرج منها شيء [كالدو] د ، ولايزال يطول ، وربما كان له حد ، لحدة مادته ، ومدة توجع ، وقطعه خطر .

ما يختص بواحد واحد من أعضائه ، أربعة أشياء . تفصيل ذلك :

(المعدة) بأن لا تكون جاسية[1] ، ولا بها سوء استمراء من سوء مزاج حارّ أو بارد ، ولا بها خلط داعٍ إلى أكل الطّين والفحم .

(الكلى والمثانة) بأن لا يكون فيها قُرحة أو حَصاة أو رَخاوة ، وهذا بأن يتبين فى البول رملاً أو مِدَّة ، ويراعى فى ليالٍ كثيرة فلا يبول فى الفراش .

(الأنثيين) بأن لا يكون فيهما دَوَالى[2] ، أو بأحدهما قَيْلة المِعا . ١٣

(القضيب) بأن لا يكون ثقب الكَمَرة معوجًا،وهذا يتأمّل عند البول .

مايختصّ (بالرّجلين) أربعة أشياء ، منها مايعم جميعها ، شىء واحد،وهو أن لا يكون بهما عَوَج أو تشنّج أو عِرقُ نسا أو خلع ورك . وهذا يتبيَّن إذا أمرته بالإحضار وإذا قدّرتهما فلم تنقُص إحداهما عن الأخرى .

مايختص بواحدٍ واحدٍ من أجزائها ، ثلاثة أشياء ، تفصيل ذلك : الركبة بأن لا يكون فيها ورم صُلْب أو شوكة . الساقان أن لا يكون بهما تقويس أو حَنَف أو فَجَج ، ولا فى باطنهما دوالى[3] . القدم والكعب بأن لا يكون فيهما داء الفيل .

(مايختص بالرحم) شيئان ، وهما ما يختصُّ بجِرمه بأن لا يكون ما بين السُّرّة والعانة غايظًا أو صلبا ، فإن ذلك دليلُ السَّرطان . وما يختص بأيام

---

(١) جاسية : صلبة . وفى الأصل « حاسية » .

(٢) إثبات الياء فى مثل هذا جائز ، بل رجحه يونس . التصريح ٢ : ٣٤٠ . وكذا جاءت بإثبات الياء فى كتاب التحقيق ص ١٤٧ .

(٣) أى لحم زائد متدل ، وفى التحقيق ١٤٥ : « ولا فى بطنهما دوالى »

الحيض لئلا يعرض لهن الغَشْي الشبيه بالسَّكتة ، فإنَّ ذلك دليل احتراق الرحم[1] الذى يتبعه موتُ الفُجاءة .

ومن ذلك ما يُتأمَّل من الأعضاء في زمان النَّوم خمسة أشياء ، شرحها : بأن لا يكون ممَّن يتبرَّز في الفراش ، أو يَهذِى في نومه، أو يمشى على غير علم منه أو يصر أسنانه ، أو ينام على وجهه ، فإنَّ هذه أشياء إذا علمها الأطباء انتفعوا بها ١٤ عند التماسهم صحة المرضى .

(١) في التحقيق ١٤٨ : « اختناق الرحم » .

[٣]

ومنها تعرُّف أخلاق العبيد والإماء بقياس الفراسة ، أحدٌ وتسعون فصلا . فمن ذلك أصولٌ نقدِّمها قبل الكلام فى الفراسة عددها أربعة ، شرحها :

حدّ الخُلق. والخلق داعية للنَّفسِ للإنسانِ إلى أن يفعل أفعالا بلا رويّة ، فإنَّ الجبان إذا فاجأه الصَّوتُ ارتاعَ بسرعة ، والماجن يضحك من أيسر تعجُّب، والنَّذْل(١) يرغب فى أدنى قيمة، والحر بالضد . ولهذه الأخلاق دليل من الفراسة.

كيف تعلم القياس الصحيح فى الفراسة ، يجرى بأن لا يتسرع الإنسان إلى الحكم فى الفراسة من دليلٍ واحد ، ولكن يجمع منها ما أمكن ثم تكون قضيته بحسب ذلك . ومتى اجتمعت الدلائل المتضادّة حَكم بأقواها ورجّح أظهرها ، بعد أن تعلم أنّ دلائل الوجه والعَين خاصة أقوى الدلائل وأصحُّها فى الحدّ الذى ينتهى إليه العلم بقياس الفراسة ، ويجرى هكذا من الإنصاف أن تعلم أن قياس الفراسة مقدّماته مأخوذةٌ من مشابهاتٍ موجودة بين أشخاص الناس ، أو من مشابهات موجودة بين الحيوان والإنسان. وسنُورد على ذلك مثالا من الشجاعة تراه مأخوذاً من صفات الأسد . فالاستدلال فى الفراسة على أفعال الصُّور من لازم الهيولى، ،إذا عرف القياس ذلك ... دَ ... قاس كالمطبوع(٢) .

مثال من الشجاعة على قياس الفراسة ، وهو أن يكون قوىَّ الشعر خشِنَه ،

(١) فى الأصل وكذا فى التحقيق ١٤٨ : « الندل » بالدال المهملة . والنذل : الخسيس المحتقر فى جميع أحواله .

(٢) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من نقص بيض له فى الأصل . وفى التحقيق ١٢ « فإذا عرف القائس ذلك قاس كالمطبوع » .

شديدَ العظام والأطراف والأصابع ، عظيم الصدر والأكتاف والرقبة ، عريض القَصّ ، ضامر الورِك ، معرَّق الجبهة[1] قويّ المفاصل ، منتصب القامة ، ممسوح الأليتين ، بعيدَ ما بين المنكِبين ، ممدودَ الحاجبين ، أزبَّ الصدر والكتف . والجبانُ بالضد .

ومن ذلك مايختص بأخلاق الذُّكور والإناث والخِصْيان شيئان. شرحها : الأنثى من كل جنسٍ أمْوتُ نفساً ، وأقلُّ جلَدا ، وأسهلُ انخداعا ، وأسرع غروراً وسكونا ، وأشدُّ مكرا ، وأصغر رأسا ، وألطف وجها ، وأدقُّ عنقا ، وأضيق أكتافاً وصدرا ، وأعظم بطنا وورِكا ، وألطف كفًّا وقدما ، وأسوأ أخلاقا من الذَّكَر فى كلّ جنس[2] .

أخلاق الخِصيان كالمشابِهة لأخلاق النِّساء ، ومن وُلِد بلا خُصيتين أو كانتا فيه صغيرتين كان أشَرّ .

ومن ذلك دلائل الشعر سبعة أشياء : تفصيلها : ١٦

اللين منه يدل على الحمق[3] . الخشن دليل الشجاعة . كثرته على البطن دليل شَبَق[4] . كثرته على الصُّلب دليل الشجاعة أيضاً . كثرته على العنق والكتفين دليل حمقٍ أيضاً . كثرته على الصدر دليل قِلّة الفطنة . قيام الشعر دليل جبن[5] .

---

(١) المعرق : القليل اللحم .

(٢) انظر سائر الفروق بينهما فى كتاب الفراسة لأفليمون ١٧ — ١٨ . على أن العبارة تكاد تكون مطابقة لما ورد فى كتاب الرازى ٩ — ١٠ .

(٣) فى جمل أحكام الفراسة لأبى بكر الرازى ص ٢ وكذا فى كتاب التحقيق ٨٣ : « على الجبن » .

(٤) فى الأصل : « سبق » تصحيف . وعند الرازى : « يدل على الشبق » . وعند أفليمون ٣٩ : « كثرة شعر جميع الجسد ولا سيما البطن والفخذين دليل الحق » .

(٥) عند الرازى : « الشعر القائم فى الرأس وعلى جميع البدن دليل على الحمق » . وعند أفليمون ٣٩ : « قيام شعر الجسد واستواؤه دليل على الحمق » .

ومن ذلك دلائل اللون ، أربع دلائل ، تفصيلها :

الأشقر والأحمر يدلّان على كثرة الدم والحرارة. اللون الناريّ دليلُ تأنٍّ . والأحمر دليل حياء . اللون الذى بين البياض والحمرة يدلان على الاعتدال . والأخضر اللون دليل سوء الخلق[(١)] .

ومن ذلك دلائل العين سبع عشرة دلالة :

عظمُهما دليل كسل غورهما دهاء وحسد[(٢)]، جحوظهما دليل هذر وقِحة . زُرقة إحداهما يدل على بلادة . شدّة سوادها دليل جبن . شبهها بعيون الأعنز دليل جهل[(٣)] . سرعة حركتهما بحدّة بصرها دليل مكرٍ وحيلة ، بطء حركتهما دليلُ مكر . عِظَمهما وارتعادهما دليل كسل وشبق . حمرتهما دليل شر وإقدام. سوادها دليل كسل وبلادة. الزُّرقة مع اصفرارٍ دليل رداءة الأخلاق جداً . فإن مالت إلى الصفرة كان صاحبها سفّاكا للدماء . البقرية تدل على الحمق . النقط ١٧ والشعب حوالى السواد يدل على هذر وحمق وحسد وشر . صغرها وجحوظهما دليل على الميل إلى الشهوات ، إذا برز السواد عن البياض دل على حمق .

ومن ذلك دلائل الحاجب ، ثلاث ، شرحها :

كثرة الشعر فيه دليلُ الهم . طوله إلى نحو الصدغ دليل التّيه والصلف . طولُه إلى نحو الأنف دليل على البله .

ومن ذلك دلائل الأنف ، أربعة دلائل ، تفصيلها :

دقّة طرفه دليل محبة الخصومة ، فإن كان مع ذلك طول دل على الحمق . غلظه دليل على قلة الفهم . الفَطَسة[(٤)] دليل الشبق . غلظ أرنبته دليل غضب .

---

(١) عند الرازى « من كان لونه أخضر أسود فهو سيء الخلق » .

(٢) الرازى : « من كانت عيناه غائرتين فهو داه خبيث » .

(٣) الرازى : « من كانت عيناه تشبه عيون البقر فى لونها فإنه جاهل » .

(٤) الفطسة : اسم من الفطس ، وهو عرض قصبة الأنف وطمأنينتها . ونحو هذا فى كتاب التحقيق ص ١٠٤ .

ومن ذلك دلائل الجبهة :

منها : المستطيلة التي لاغضون فيها دليل شغب وخصومة . كثرة غضونها دليل صلف . كبرها دليل كسل . صغرها دليل جهل .

ومن ذلك دلائل الفم والشفة واللسان والأسنان ، أربعة . شرحها :

سعة الفم دليل شجاعة . غلظ الشفة دليل حمق . ضعف الأسنان دليل ضعف البنية . طول الأنياب دليل شره وشر .

ومن ذلك دلائل الوجه والصدر ، ثمانية ، تفصيلها : ١٨

من كان كأنه سكران أو غضبان أو حَيِيّ[1] فحاله كذلك . قلة لحم الوجه دليل كسل وغِلَظ طبع ، وضدّه بالضد . الوجه المستدير دليل جهل . الصغير دليل جهل . الصغير دليل خِفّة وملل . العظيم دليل كسل . السمج الوجه رديءُ الخلق . طُولُه دليل القِحة . والأوداج البارزة دليل غضب .

ومن ذلك دلائل الأذن واحدة . عظمها دليل جهل ودَهاء وطولِ عمرٍ ، وبالضد .

ومن ذلك دلائل الصوت والنفس والكلام أربعة ، منها :

العظيم الصوت دليل شجاعة[2] . سُرعة الكلام دليل عجلة وبَلَهٍ . حُسن الصوت دليل رعونة . التنفُّس الطويل دليل رداءة الهمة .

ومن ذلك دلائل اللحم اثنتان ، وهما :

اللحم الكثير الصلب دليلُ غلظِ حسٍّ وفهم . اللّين بالضد .

ومن ذلك دلائل الضحك أربعة عشر شرحها :

---

(١) في الأصل : « جنى » ، تحريف . وعند الرازي : « وإذا كان صورة الإنسان كحال الخجل فهو حيي خجل » .

(٢) الرازي ٥ : « من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع » .

كثرته دليل دماثة ومساعَدة وقلّة اهتمام بالأمور ، وبالضد . علوّه دليل قحة . ومن عرّض له عندالضّحك سعالٌ وربْو فهو وَقّاح[(١)] . المتبسّم مستحيٍ .

ومن ذلك دلائل الحركات دلالتان[(٢)] وهما :

السّريعة دلالةٌ على الطيش . البطيئة دليلة البلادة .

١٩ ومن ذلك دلائل العنق ، ثلاثة . شرحها :

صغرها دليل مكر . طولُها دليل جبن . غلظُها دليل شجاعة .

ومن ذلك دلائل البطن دلالتان[(٢)] وهما :

كبرها دليل على البلادة . صغرها بالضد .

ومن ذلك دلائل الظهر ، ثلاثة ، تفصيلها :

عِرَضه يدل على القوة والغضب . استواؤه علامة العقل . انحناؤه علامة رداءة الخلق .

ومن ذلك دلائل الكتفين ، ثلاثة ، شرحها :

العريض دليل جودة العقل . الدقيق ضده . شُخوص رأسه دليل حمق .

ومن ذلك دلائل الذراع، دلالتان[(٢)]، وهما :

إذا بلغ منه الكفُّ الركْبةَ دلّ على نُبل النفس وحبّ الرياسة. قصره ضده .

ومن ذلك دلائل الكفّ دلالتان[(٢)] ، وهما :

الليّنة اللطيفة دليلُ سرعة العلم والفهم وبالضد . الطّويلة الدقيقة تدل على زَعارة الُخلق .

ومن ذلك دلائل الحقْو والساق والقدم ، خمسة دلائل ، تفصيلها .

القدم اللّحيم الصُّلب دليل بلادة . الصّغير الخشن دليل فُجور ومرح. غِلَظ

---

(١) الوقاح : القليل الحياء ، كالوقح . وعند الرازى ٦ ر : « من كان يقع عليه عند الضحك سعال فإنه سليط صخاب » .

(٢) فى الأصل : « دلالتين » .

العقِب دليلُ شِدّة ، وبالضد [دليلُ[1]] حبُّ النساء .

ومن ذلك دلائل الخطى ، واحدة ، وهى :

الخُطى الواسعة البطيئة دليلُ تأنٍّ ، وبالضدّ[2] .

وتخصُّ النساءَ فِراسةٌ تدلُّ على أحوالٍ من أخلاقهن وأعضائهن وشهواتهن أضربنا عن ذكرها تصوُّناً عن إثباتها ، لقباحة مخارج ألفاظها وإن كانت علماً نافعاً .

---

(١) مبيض لها فى الأصل .

(٢) كذا وردت العبارة مبتورة ، لعلها « والضد بالضد » .

ومنها ذكر أجناس الرقيق بحسب بلادهم ومنشئهم؛ ونحن نذكر ما انتهى إلينا خبره واشتهر أمره وتلقّطناه من الكتب، وسألنا السَّفَرة عنه من أجناس الرَّقيق على اختلافها فى الخَلْق والخُلق، لنَكفىَ الطالبَ لهذا الشأن مؤونة التَّجارب والامتحان، خمسة وعشرين فصلا :

من ذلك كشف ألفاظٍ يحتاج القارئ إلى معرفة دلالتها، فصل واحد :

- إذا سمعتنى أقول « فارسية » فاعلم أنها مولَّدة فارس، فإن اتفق أن يكون أبواها فارسيين، وإلا فيكفى أن يكون أبوها حَسْب. فولد الزنجية إذا تكرَّر فى النَّسل مع البيض ثلاثَ دَفعات صار بعد السَّوادِ أبيض، وبعد الفَطَس أقنى، ولانت أطرافه، وتطبَّعت أخلاقه.

ومثل ذلك أفهَمْ فى كلِّ الأجناس.

وإذا سمعتَنى أقول جارية « خُماسيَّة » فإنّى أريد بذلك أن طولها خمسة أشبار.

وإذا قلت « شَهْوارية » فليس بجنسٍ من الأجناس، لكنها لفظة فارسية
٢١ مشتقة من الشهوة الكاملة[1]

وإذا قلت « منصورية » فأريد المنصورة التى فيما وراء النهر، وهى المُلْتان، لا منصورة العرب.

---

(١) فى معجم استينجاس أن معنى « شهوار » أحسن شىء فى جنسه. فلعلها « من الشهرة الكاملة ».

ومن ذلك ما يتعلّق بالجهات الأربعة[1] ، أربعة فصول ، شرحها :

الأول ما يختص بالبلاد الشرقية ، وهذه ألوان أهلها بِيض مُشْربة حمرة وأجسامهم خَصْبة ، وأصواتهم صافية ، وأمراضهم قليلة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ، وأغنامهم كثيرة ، وأشجارهم عظيمة ، وما فيهم غضب ولا نجدة لاعتدال كيفياتهم ، لكنّهم أهل سكون ودعة ، كلُّ هذا لاعتدال كون الشمس فى هذه الجهة ، فأغذيتُهم معتدلة ، ومياههم صافية .

الثانى ما يختص بالبلاد الغربية ، وهؤلاء أحوالُهم تكاد تضادُّ جميع ما ذكرنا فى البلاد الشرقية ، لأن الشّمس لا تطلع عليهم بالغداءات .

الثالث ما يختص بالبلاد الشمالية ، وهى التى أهلُها يسكنون تحت بنات نَعْشٍ والجدى ، كالصّقالبة ، وهؤلاء عِرَاضُ الصُّدور شُجعان ، وَحْشُو[2] الأخلاق لكمون الحارّ ، دقاق السُّوق لهربه من الأطراف ، طويلو الأعمار لجودة الهضم ، نساؤهم عواقر لأنّهن لا ينقّين من دم الحيض .

الرابع ما يختص بالبلاد الجنوبية ، وهى التى أهلها سكان تحت القطب[3] الجنوبى كالحبشة ، وأحوالهم ضدُّ أحوال البلاد الشمالية ، وألوانهم سود ، ومياههم مالحة كدرة ، ومعدهم باردة ، وهضومهم ردية ، وأخلاقهم هادية ، وأعمارهم قصيرة ، بطونهم ليّنة لسوء الهضم . ٢٢

ومن ذلك ما يختص بواحدٍ واحد من البلاد ، عشرون فصلا ، تفصيله :

الهنديّات أول الجنوب على سَمت المشرق ، لهم حُسن القوام ، وسُمرة الألوان ،

---

(١) هذه عبارة صحيحة ، فإن المعدود إذا تقدم على عدده جاز فيه المطابقة وعدمها . حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى أوائل باب العدد .

(٢) كذا وردت الكلمة فى الأصل . ولها وجه من الوحش ، وهو القفر الخالى .

(٣) كذا فى الأصل .

وحظٌّ وافر من الجمال، مع صفرة وصفاء بشرة[1] وطيب نكهة، ولين ونَعمة، لكنّ الشيخوخة تسرع إليهم، وفيهم وفاء عهد ومودّة، وكثرة محافظة، وبعد غَور، وسلاطة، ونفوس عزيزة، لا يصبرون على الذلّ ولا يتألمون للقتل[2]، ركّابون للعظائم متى أحوجوا[3] وأغضبوا. نساؤهم يصلُحن للولد، ورجالهم لحفظ النفوس والأموال وعمل الصنائع الدقيقة، غير أن النّزلات تسرع إليهم.

(السنديات) بين المشرق والجنوب، وهم قريبو الشبه بالهند لمتاخمة بلادهم لبلادهم، غير أن نساءهم ينفردنَ بدقة الخصور وطول الشعر.

(المدنيات) سمر الألوان معتدلات القوام[4]، قد اجتمع فيهن حلاوة القول
٢٣ ونَعمة الجسم، ومَلاحةٌ ودَلّ وحسن شكل وبشر، ونساؤهم لا غيرة فيهنّ على الرجال، قَنوعات بالقليل، لا يغضبن ولا يصخَبن، ويوجد فيهنّ الزّنوج، ويصلحن للقيان.

(الطائفيات) سُمر مذهبات مجدولات، أخفّ خلْق الله أرواحا، وأحسنهم فكاهة ومزاحا، لسن بأمّهات أولاد، يكسلن في الحبل، ويهلكن عند الولادة، رجالهنّ أشدّ الناس تحبّبا وأدوَمهم عشرةً وأحسنهم غِناء.

(البربريات) من جزيرة بَربَرة[5]، وهي بين الغرب والجنوب. ألوانهم على الأكثر سُود، ويوجد فيهن الصُّفر، وإذا وجدت منهن الكُتامية الأم الصُّنهاجية الأب المصمودية المنشأ، فإنك تصادفها مطبوعةً على الطاعة والموافاة في كل

---

(١) في التحقيق ص ٤٢: «وصفاء يسير».
(٢) في التحقيق ٤٢: «ولا يألمون لقتل».
(٣) كذا جاءت «أحوجوا» بالواو بعد الحاء. وفي التحقيق: «متى أجْئوا».
(٤) في الأصل: «معتدلو القوام»، وجاء على الصواب في التحقيق ص ٣١.
(٥) جزيرة بربرة هذه من الجزائر التي تجاور سواحل اليمن، ذكرها ياقوت. وهذا وهم من ابن بطلان تبعه فيه صاحب كتاب التحقيق من ص ٤٤، فإن البربريات منسوبات إلى بلاد البربر التي في جبال المغرب.. وهي التي تقطن فيها قبائل كتامة وصنهاجة ومصمودة التي سيجري لها ذكرا فيما بعد.

أمورهن ، نشيطات للخدمه ، ويصلُحن للتَّوليد واللذة ، لأنّهنّ أحدب شيء على ولد .

وأبو عثمان — وهو من سماسرة هذا الشأن — يقول : إذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس أن تُجلَب وهى بنت تِسع حجج ثم كانت بالمدينة ثلاثَ حجج وبمكة ثلاث حجج ، ثم جاءت إلى العراق ابنة خمس عشرة فكانت بالعراق فى الأدب ، ثم مُلكت بنت خمس وعشرين سنة فتلك التى جمعت إلى جَودة الجنس شكل المدنيات[1] وخَنَث المكيات وآداب العراقيات ، واستحقّت أن ٢٤ تُخبَّأ فى الجفون ، وتوضع على العيون .

(اليمانيات) فى جنس المصريات ، وخَلْق البربريات ، وشَكْل المدنيات ، وخَنَث المكيات ، وهن أمّهات أولادٍ حسانُ الوجوه أشبه شيء بالأعراب .

(الزَّنجيات) من بلد يقال له زَنَج ، ذكر ابن خرداذبة أنّ من هذا البلد إلى مدينة المُلْتان مسيرة شهرين ـ والملتان وسط الهند ـ وخاصةُ هذا الجنس إذا بُوشِرن فعرِقْنَ بدا منهنّ عرَق كالمسك ، لكنهنّ لا يصلحن للولد .

(الزّنجيات) مساوِيهن كثيرة، وكلّما زاد سوادُهن قبحَتْ صُوَرهنّ وتحددت أسنانهنّ وقلّ الانتفاع بهن ، وخِيفت المضرّة منهن . والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب، وليس فى خُلقهن الغَمّ[2] ،والرّقصُ والإيقاع فطرةٌ لهنّ وطبع فيهن، ولِعُجُومَة[3] ألفاظهن عُدِلَ بهن إلى الزّمر والرقص . ويقال:لو وقع الزّنجى من السماء إلى الأرض ماوقع إلا بالإيقاع.وهم أنقَى النّاس ثغوراً لكثرة الريق ، وكثرةُ الريق لفساد الهضوم. وفيهن جلَد على الكد، فالزّنجى إذا شبِع

(١) الشكل، بالفتح ، والكسر : دل المرأة وغزلها .

(٢) كذا . وفى التحقيق ٤٦ : « والعلوم فيهم مفقودة ، وكذلك الصنائع اللطيفة» .

(٣) المعروف « العجمة » . ولكن ابن بطلان بعيد استعمال هذه الكلمة فى أواخر كتابه هذا ، فهى من لغته .

فصُبَّ العذابُ عليه صبًّا، فإنه لا يتألَّم له . وليس فيهن مُتعة، لصُغانهن وخُشونة أجسامهنّ .

٢٦ (الحبشيات) الغالب عليهن نَعمة الأجسام ولينُها وضعفها، يتعاهدهنّ السلّ والدِّقّ، ولا يصلُحْن للغناء ولا الرقص، دِقاق، لا يوافقهن غيرُ البلاد التى نشأن فيها، وفيهن خَيريَّة ومُياسَرة، وسلاسة انقياد، يصلُحْن للائتمان على النُّفوس يخُصُّهن قوةُ النفوس وضعف الأجسام، كما يخص النوبةَ قوةُ الأجسام على دِقّتها وضعف النفوس، قصارُ الأعمار لسوء الهَضْم .

(السكّيات) خِناث مؤنثات ليِّنات الأرساغ، ألوانهنّ البياض المشربُ بسمرة، قُدُودهن حسنة، وأجسامهن ملتفة، وثُغورهن نقية باردة، وشعورهن جَعدة، وعيونهن مِراضٌ فاترة .

(الزَّغاويات[١]) رديات الأخلاق ذوات دمدمة، يحملهنّ غلظُ الأكباد وشرُّ الطِّباع على عمل عظيم الأفعال، وهن شرٌّ من الزنج ومن جميع أجناس السُّودان، نساؤهن لا يصلحن لمتعة، والرجال لا يصلحون لخدمة .

(البَجاويات) بين الجنوب والغرب فى الأرض التى فيما بين الحَبَشَة والنُّوبة، مُذْهبات الألوان، حسَنات الوجوه، مُلْس الأجسام ناعمات البَشَرة، جوارى متعة إن جُلِبتْ صغيرة وقد سلمت من أن ينكَّل بها، فإنَّهن يقوِّرن ويمسح بالموسى بأعلى فُروجهنّ من اللحم كلّه حتّى يبدوَ العظم فيصرن شُهرةً من الشُّهر، وتُقطع أثداء الرجال، وتسلُّ الرَّضفة[٢] من رُكَبهن — زَعَم القائل — حتّى

(١) زغاوة، قال ياقوت : بلد فى جنوبى أفريقية بالمغرب، وهم جنس من السودان .

(٢) الرضفة، بالفتح وبالتحريك : عظم مطبق على رأس الساق ورأس الفخذ . فى الأصل : « وسعل الرضعة » .

لا يعيا السّاعى منهم . والشّجاعة والسرقة فيهم طبع وغريزة ، ولهذا لا يُؤمَنون على مال ولا يصلُح أن يكونوا خُزّانًا[١] .

(النُّوبيات) من جملة أجناس السودان ، ذوات ترَف ولطف وقَضَف ، وأبدانهن يابسة مع لين بشرة ، قوية مع دقّة وصلابة ، وهواء مصر يوافقهن ، لأنّ ماء النيل شَربهن ، وإذا انتقلن عن غير مصر تسلّطت عليهن العلل الدموية والأمراض الحادة . ويسير الأذَى يقدح فى أجسامهن ، وأخلاقهن طاهرة ، وصورهن مقبولة ، وفيهن دين وخَيرية وعفّة وتصوُّن ، وإذعان للمولى ، كأنهنّ فُطِرن على العبودية .

(القُندُهاريات) فى معنى الهنديات ، ولهن فضيلة على كل النساء ، فإن الثَّيِّب منهن تعود كالبكر . الصّفراء المولَّدةُ تُنسَب إلى أبيها وأمها ، وتمزج بينهما ، بأخلاقها مركّبة منهما[٢] .

(التُّركيات) قد جمَعن الحسن والبياض والنّعمة ، ووجوهن مائلة إلى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة ، وقُدُودهن ما بين الرَّبْع والقصير[٣] ، والطُّولُ فيهن قليل ، ومليحتهن غاية ، وقبيحتهن آية وهنّ كنوز الأولاد ، ومعادن النسل ، قلّ ما يتّفق فى أولادهن وحش ٢٧ ولا ردىّ التركيب ولا حان[٤] ، وفيهن نظافة ولباقة ، قدورُهم مِعَدهم[٥] يعوِّلون

---

(١) فى الأصل : « خزان » .

(٢) فى الأصل : « فيمتزج بينها فأخلاقها مركبة منها » .

(٣) فى التحقيق : « ما بين الربعة إلى القصير » .

(٤) كذا وردت فى الأصل .

(٥) فى الأصل : « قد وهم » وإنما المراد أن معدهم ، بمنزلة القدور ينضج فيها الطعام .

عليها فى الطّبخ والنضج والهضم ، لا يكاد يوجد فيهن نكهة متغيّرة ، ولا مَن له عجيزة عظيمة ، وفيهم أخلاقٌ سمجة وقلّة وفاء .

(الدّيلميات) حِسانُ المنظر، جميلات الخَبَر، غير أنّهن أسوأ الناس أخلاقا، وأغلظهن أكباداً ، وفيهن صبر على الشِّدّة ، شبه الطّبريات فى كل حال .

(اللانيات[1]) ألوان بيض محمّرة، ولحوم كثيرة[2]، وأمزجة يغلب عليها البرد. وهنّ للخدمة أصلح منهن للمتعة ، لأن فيهن خيرية طبع ، وثقةً واستقامةَ أخلاق ، وحرصا[3] على المحافظة والموافقة ، وهن بعيداتٌ عن الشَّبَق .

(الروميات) بيض شُقر ، سِباط الشعور ، زُرق العيون ، عبيدُ طاعةٍ وموافقة ، وخدمةٍ ومناصَحة ، ووفاء وأمانة ومحافظة، يصلُحْن للخزن، لضَبطهن وقلّة سماحتهن ، لا يخلو أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة .

(الأرمنيات) اللاحة للأرمن لولا ماخُصُّوا به من وحشة الأرجل[4]، مع صحة بنية وشدّة أسرٍ وقوّة، والعفّة فيهن قليلةٌ أو مفقودة، والسرقة فيهن فاشية، وقلّ مايوجد فيهن بخل ، وفيهن غِلَظ طبع ولفظ ، وليست النّظافةُ فى لغتهن ،

٢٨ وهن عبيدُ كدٍّ وخدمة ، متى نَهنَهْتَ العبدَ ساعةً بغير شُغل لم يدمْ خاطرُه إلى

(١) فى الأصل : « الأنيات » تحريف . وفى التحقيق ٤١ : « ذكر اللان . واعلم أن اللان جنس من الروم » . وقال ياقوت : « بلاد واسعة فى طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر . والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان ، وهم نصارى تجلب منهم عبيد » .

(٢) فى التحقيق ٤١ : « ألوانهم بيض محمرة ولحومهم مكتنزة » .

(٣) فى الأصل : « وحرص » .

(٤) فى التحقيق ٣٨ : « وحاشة الأرجل » .

خير . لا يصلحون إلا على العصا والمخافة ، وليس فيهم فضيلة غير تحمُّل العناء[1] والأعمال الثقيلة ، والواحد منهم إذا رأيته كسلانا فذاك لِعَلَّةٍ فيه[2] ليس عن عجز قوة ، فدونك والعصا ، وكن مع ضَربه وانقياده لما تريده منه على حذَر ، فإنّ هذا الجنْس غير مأمون عند الرضا فضلا عن الغضب ، نساؤهم لا يصلحن لمتعة .
وجملة الأمر أن الأرمن أشرُّ البيضان ، كما أن الزنج أشرُّ السودان ، وما أشبه بعضَهم ببعض في قوة الأجساد ، وكثرة الفساد ، وغلظ الأكباد .

---

(١) في الأصل : « عن عمل الغناء » . وفي التحقيق : « وليس فيهم فضيلة غير الأعمال الثقيلة ولا يصحون إلا على العناء » .

(٢) العله : خبث النفس . وفي الأصل : « لعبه فيه » .

[٥]

ومنها التحرُّز من تدليسات النخاسين التى يدلِّسون بها فى المواسم الرقيق على المشترى ، يَجرى مجرى الحِسبة ، ثمانية وعشرون فصلا .

من ذلك ما يفعلونه فى الألوان ، فتغيُّر البشرة بشيئين ، وهما : أمَّا السمراء فإنَّها تصير ذهبية إذا وضعت فى أَبْزَنٍ[1] فيه ماء الكراويا أربعَ ساعات[2] من النهار .

وأما الدُّرِّية اللون فتصير [بيضاء[3]] إذا غمر وجهها بباقلى قد نقع فى بطِّيخ سبعة أيام ، ونقل إلى لبن حليب سبعة أيام ، وغيِّر اللبن كل ليلة .

ومما يحمِّر الخدودَ المصفرة غَسولٌ صفته : دقيق الباقلى والكِرْسِنَّة خمسة
٢٩ أجزاء ، وعِرق الزَّعفران وبُورَق ، من كل واحد ربع جزء .

---

(١) كلمة « الأبزن » معربة عن الفارسية : آبزن ، وهو حوض من نحاس أو حديد يستنقع فيه الرجل ، ويعرف فى ألفاظنا الدخيلة باسم « البانيو » . وفسر فى معجم استينجاس ٨ بأنه حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبى يجلس فيه المريض أو يتمدد . وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث والجواليقى وابن دريد والزمخشرى . أما الليث فقد نص صاحب اللسان على إغفاله للكلمة ، وأما الجواليقى فلم يذكره فى المعرب ، وكذا ابن دريد فى الجمهرة ، والزمخشرى فى الفائق وأساس البلاغة . هذا مع أن الكلمة مستعملة قديما . جاء فى شعر أبى داود يصف فرسا وصفه بانتفاخ جنبيه :

أجوف الجوف فهو منه هواء   مثل ما جاف أبزنا نجار

اللسان ١٦ : ١٩٦ . ويفهم من هذا الشعر أنه كان يصنع أحيانا من الخشب . ويؤيده قول ابن برى : « الأبزن شىء يعمله النجار مثل التابوت » . وروى البخارى أن أنس بن مالك قال : « إن لى إبزنا أتقحم فيه وأنا صائم » . وقد فسر الأبزن فى هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شىء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش . عمدة القارى ١١ : ١٣ ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤ .

(٢) فى التحقيق ٢٥٢ : « ثلاث ساعات » .

(٣) التكملة من كتاب التحقيق ص ٢٥٣ .

فأما السُّودان منهن فمسح أطرافهنّ ووجوههن بالدُّهن الطيب . سمعنا بعض رَبَّات القصور تقول : كلكون[١] السودان دُهن البنفسَج .

ومن ذلك ما يتعلق بالشَّعر ثلاثة أشياء ، شرحها :

ما يكسِب الشُّعور الشُّقر السوادَ الحالك : دهن الآس ، ودهن قشور الجوز وغسله بالأملج[٢] ، ودهنه بدهن الشقائق وأشياء توجد فى (الزينة) لأفريطُن[٣] يطول شرحها .

ما يزيل الشعر من الوجه والأطراف : أخذه بالمنقاش ، أو طلاؤه بالنورة ومن بعد ذلك ببَيض النمل ، أو بدهن قد طبخ فيه ضفادع خُضْر ، أو عَظَاية[٤] بدم الأرنب ، دفعات كثيرة ، ويغسل بالشب والبُورق والعَفْص .

ما يجعِّد الشُّعور السبطة : غَلْفُه[٥] بالسدر والأزادرخت[٦] والآس .

ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطوِّلوا الشعور أن يوصلوا فى طرفه من جنْسه[٧] ، وإذا أرادوا الوضع من الإماء أن يُلصقوا فى الأصداغ شَعراً أبيض ليحثّ البيّع[٨] على قبض الثمن .

ومن ذلك فنون مختلفة ستة عشر فصلا ، شرحها :

---

(١) قال داود : « كلكون : غمرة من لك واسفيداج تحسن الوجه » . فى كتاب التحقيق : « أن يمسح أطرافهن ووجهن بالزيت الطيب أو دهن البنفسج » .

(٢) هو مايسمى فى مصر بالسنانير . تذكرة داود .

(٣) فى أخبار العلماء للقفطى ٤١ : « أفريطون المعروف بالمزين ، كان زمانه قبل جالينوس وبعد بقراط ، وله كتاب الزينة » .

(٤) العظاية : دابة على خلقة سام أبرص . فى الأصل : « عضاية » تحريف . وفى التحقيق : « اعطايه » تحريف أيضاً .

(٥) الغلف والتغليف : الطلاء واللطخ . فى الأصل : « غلفة » .

(٦) فارسى ، ويسمى فى مصر « الزنزلخت » . تذكرة داود .

(٧) كذا . وفى التحقيق : « أن يوصلوا فى ضفائرها شعراً من جنسها » .

(٨) فى الأصل : « لبحث » ، تحريف . والبيع : البائع والمشترى . وفى التحقيق : « ليحثوا به البائع على قبض الثمن » .

ما يسمّن الأعضاء المزيلة : الدّلك بالمناديل الخشنة والأدهان الحارة ، والطّلى بالعاقرقرحا ، والخراطيم المحرقة .

مايدمم[1] الأطراف الخشنة الدُّهن والشمع واللوز المر[2] وبخلخله[3] معمولة بماء الورد ودهن بنفسج ، وترك مباشرة الأجسام الخشنة كالخشب والحجارة ، وهجر المآكل المولِّدة[4] للمرة .

وما يذهب آثار الجُدرى والنمش والوشْم : غَسول معمول من عروق القصب واللوز المر[5] والكِرسنَّة والباقلى وحبّ البِطِّيخ معجون بعسل .

مايغسل به الخضاب من البرص : خل وأُشنان مُغْلًى وماء الباقلى أو ناطف وماء حار .

مايزيل الكلف من البشرة الشُّونيز[6] وأصل قِثَّاء الحمار وورق الخبازى وبزر الجرجير وأصل الكرم ، يُعجَن بعسل ويطلى .

مايزيل روائح الأنف : السَّعوط بدهن المَرْزَنْجُوش[7] والبنفسج والنِّيلوفر والنرجس والياسمين .

مايجلو الأسنان : السواك بالأُشْنان والسُّكَّر وسحيق الصينى ، أو الفحم والملح المدقوق .

ما يخضب البرص : القُلقَدِيس[8] والعفص والزنجار من كل واحد جزء

---

(١) فى الأصل : « مايعم » .

(٢) فى الأصل : « واللوز والمر » صوابه من التحقيق . وانظر ما يأتى فى ص ٣٨٢ س ٦ .

(٣) فى التحقيق : « ويخلخله » ، ولم أهتد إلى صوابها .

(٤) فى الأصل : « المولودة » .

(٥) فى الأصل : « واللوز والمر » ، صوابه فى التحقيق .

(٦) الشونيز : الحبة السوداء .

(٧) هو المردقوش ، معرب مرزنگوش الفارسية . وعربيته السمسق .

(٨) هـــذا مافى التحقيق ، وفى الأصل : « القاقل يس » تحريف . القلقديس هو الزاج ، كما فى تذكرة داود فى أول حرف الزاى من المفردات ، وكذا معجم استينجاس ٩٨٥ وذكر أنه من اليونانى : Kalkitys

يعجن بماء [و[١]] ابن التين ، ويغرز مواضعه بإبرة ويَطليه أربعة أيام فى الشمس ٣١ يبقى أربعين يوما ، أو يطلى بمرّ وخلٍّ .

ما يقتل القمل والصِّئبان من الشعر والبدن ، بالبُورق والميوبزج[٢] وماء السِّلق أو دُرديّ الشَّراب والصابون .

ما يزيل الشّعث الذى يكون فى أصول الأظفار : غَسْلها بالخل والعَسَل والمرتك ، أو دهن الورد واللوزِ المرّ ، ويعالج البرص منها بالزرنيخ والكبريت .

مايطيب الفم : مضغ العُود الرطب والكُسفرة والفوفل[٣] وقشور الأترجّ ، والمضمضة بالخل والماوَرد والعود المنقوع فى الشراب ، وأكل البنّ بعد الطعام وقبل الصَّحناة[٤] .

مايطيّب الجسد : الصَّندل والورد والمرتك المربّى بماء الورد ، والبخورات بالمثلثة المآخين[٥] وخلط الثياب بالعقبات والمعمولة من الرياحين على التفاح والفواكه المبخرة بالكافور .

ما يستعمل فى الثيب لتصيير كالبكر : قلوب الرمان الحامض وعَفص أخضر يُعجن بمرارة البقر ويتحمل فَرْزَجَة[٦] .

---

(١) التكملة من التحقيق .

(٢) داود : ميوبزج : زبيب الجبل ، ويطلق على ضرس العجوز أيضاً. وضرس العجوز هو الحسك .

(٣) الفوفل بضم الفاء وفتحها : نخلة كنخل النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر .

(٤) الصحنا والصحناة ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد لابن رسولا ١٩٧ . وقال داود : « لا تعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها مايعمل بمصر ويسمى : الملوحة » .

(٥) كذا فى أصله .

(٦) الفرزجة فارسية ، ومعناها ما تحمله المرأة من دواء .

٣٢ ما يصبغ البياض الذى فى سواد العين : لبن أتانٍ حارّ .

ما يغير زُرقة العين لتصير كحلاء : يقطر فيها ماء قشرِ الرمان الحلو .

ما يُخفى الحمل : وَصاة النخّاس الجارية أن تعتمد الشّدّاد وتُظهِر الدم الكاذبَ المصنوع من ماء الصمغ ودم الأخَوين . هذا إذا لم يمكنها إعداد دمٍ من حيوان .

ومن ذلك مايتعلق بالحمل : شيئان ، وهما : تحقُّق الحمل ليعلم صحته . ومعرفة ذلك يتم بأن يوضع تحت المرأة بَخورٌ كالعنبر ونحوه ويُمنع خروجه من أردانها أو فُرَج أثوابها فإنْ ظهرت الرائحةُ من فيها فليست حاملا ، وبالضد .

معرفة الحمل هو بذكر أو أنثى ، وهذا يتبين فى الذكر من سرعة الحامل وإشراق لونها ، وأن يقدَّر بخيط من وسط السُّرّة إلى وسط الفَقارة المحاذية لها من أحد الجوانب ويعلَّم المكان بمدادٍ وتديره إلى الجانب الآخر ، فإنْ نقص الخيطُ عن العلامة من الجانب الأيمن فهى حامل بذكر ، وإن طال فبأنثى .

ومن ذلك ما يُوصِى به النخاسون الجوارى ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من وصاياهم لهنّ أن يَصرِفن العناية كلَّها إلى النظافة والطِّيب ، والتبرج للمشترِى تارةً والاختفاء أخرى ، فإن هذا بابٌ من التحبب مالكٍ القلوب .

ومن وصاياهم لهنّ أن يُظهِرن أجملَ ما فيهنّ ، ويخفين أقبح ما فيهن .

٣٣ ومن وصاياهم أن يُدارين المشايخ والنافرِى الطباع ويستميلونهم، ويتجنّون على الشباب ويمتنعون عليهم ، ليتمكّنوا من قلوبهم .

ومن ذلك ما يأخذونهنّ به فى زينتهنّ شيئان، وهما : ما يُلزمونهن من تحمير

خدودهن بالنشاستج ، وغسل سواريهن بالحصر[١] ، وخضاب حواجبهن بالرّامك ، وأطرافهن إن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر ، وإن كانت سوداء بالذّهبي والأحمر ، وإن كانت صفراء بالأسود .

ما يفعلونه في ملابسهنّ ، فإنّهن يلبسن الأبدان البيض الخصبة[٢] الشفافة الثيابَ الخفيفة الكحالىّ والمورّدة ، والسودَ الغلائلَ الحمر والصُّفر ، ويُجرون الصّناعة مجرى الطبيعة في كشف الضدّ بالضّدّ في ألوان الزّهَر .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « الحصبة » .

وأضيف إلى ذلك مايعتبر به أرباب الصنائع[١] من العبيد والإماء ، ثلاثة عشر فصلا ، ومن ذلك فصول ينتفع بها فيما نحن بسبيله وعددها ثلاثة فصول ، شرحها :

(الأول) : فى فصل منبّه على مافضّل فيه النساء على الرجال ، ويجرى هكذا :

طُبِـع الرجالُ على جميع الصنائع ، واختصّ النساء بالغناء والغذاء ، فهنّ أطيب طبيخاً منهم لثباتهنّ فى العمل ، وأحسن غناء لأنّهن مطبوعات على النغم ،

٣٤ لكن فيهم دُرٌّ ومَشْخَلَب[٢] ، ولهذا يحتجن إلى جهابذة ينتقدونهنّ .

(الثانى) : فى الجيد من الغناء ، ويجرى هكذا :

إذا اجتمع للغناءأن يكون مطبوعاً سليما من الخروج والنفور ، وكانت الجارية شُحرورِيَّة الصوت ، جيدة الصنعة والضرب ، صحيحة التأدية للشعر ، قد أخذت عن الحُذَّاق وتزيَّدت من نفسها بجودة الطباع ، فهى الغاية القصوى فى هـذا الشأن ، فإن اتَّفق لها مستمعٌ عارف بالطرائق والضَّرب واللحن ومجرى الأصابع ، وقائل الشعر وما فيه من العَروض والنحو ، وما فى الصوت من ردَّات وترجيحات وشذرات ونَقَرات وتشييعات ، كان أوفر فى اللَّذَّة وأنفق للصناعة .

(١) وردت الكلمة قديماً فى التنبيه للمسعودى ٥ وإنباه الرواة للقفطى ١ :١٩٥ والدرر الكامنة لابن حجر ٢: ٤٢٠ .

(٢) فى اللسان (شخلب) : « قال الليث : مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شىء فى العربية ، وهى تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . قال : وهذا حديث فاش فى الناس : يا مشخلبة ، ماذا الجلبه ، تزوج حرملة ، بعجوز أرملة . قال : وقد تسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلى » : وانظر المعرب للجواليقى ٤١٥ . وقد جاء قديماً فى قول الوليد بن يزيد :

قد راح نحو العراق مشخلبه قصاره السجن بعده الخشبه

الأعانى ١ : ١٦٠ .

(الثالث) : فى الطيِّب من الطبيخ و اللذيذ من الغناء . اختلف الناس فى ذلك ثم اتَّفقوا على أنَّ هذا أُمر يقال بالقياس إلى السَّمع والذوق ، وكلَّما كانت هاتان الحاسَّتانِ سليمتين فى جوهرهما ، معتدلتين فى مزاجهما ذكيتين فى حسهما كان ما يدركانه لذيذا فى نفسه وعندهما[1] ، ومتى خرجت عن طباعها ــ وهذا بلانهاية عندنا ــ كان اللذيذ بقياسِنا لافى نفسه . ولهذا بعض الناس يَستَفْزه نقرةً فيقول: الغناء ما أطرب . وآخر لاهٍ عن تلك النقرة ، وواحد يشتهى لونًا ، وآخر عنده ذلك اللون غير شهِىّ .

* * *

ومن ذلك اعتبارات الصنائع على اختلافها فى العبيد والإماء ، أربعة ٣٥ فصول ، منها .

الطباخات : عمدة الطبيخ على طِيب المرق وجودة المزاج ، فإن اتَّفق للطبَّاخة مع هذا جودةُ الصنعة وسرعةُ العمل فذاك غاية الأمل . وقلَّ ما يتَّفق أن تكون كاملةً فى البوارد[2] والشّواء والطبيخ والحلواء على أصنافها الثلاثة ، فهذا مما يعجز عنه قدر النساء . والذى يمتحَنون[3] به الإسفيدباج[4] ، والدَّيكبراكة[5]

---

(١) فى الأصل : « سليمة فى جوهرها معتدلة فى مزاجها ذكية فى حسهما كان ما يدركه لذيذاً فى نفسه وعندها » .

(٢) فى حواشى كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادى بتحقيق الدكتور داود الجلبى ص ٥٦ : « هى البقول المطبوخة الموضوعة فى الأشياء الحامضة كالخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس والماست . كتاب الأغذية والأشربة من الخمسة النجيبية ، لنجيب الدين السمرقندى» .

(٣) فى الأصل : « يمتحنوا » .

(٤) ضرب من الطعام يصنع من اللحم والبصل والحمص والأبازير . انظر صنعته فى كتاب الطبيخ للبغدادى ٢٣ . ويقال له أيضاً « إسفيدبا » كما فى معجم استينجاس ٥٨ . ومعنى كلمة « إسفيد » فى الفارسية الأبيض ، واللامع .

(٥) جاءت فى كتاب الطبيخ ١٢ : « ديكبريكة » . ووجد الدكتور داود جلبى ضبطها فى أصل نسخته بفتح الكاف الأولى وسكون الباء وكسر الراء ، قال : « وأظنها من الآرامية : « ديكابريكا » ، ومعناها الديك المبارك » . وصنعة هذا اللون قريبة من صنعة سابقه .

أما الإسفيدباج فلأنّ الأبازير مطيِّبة لها ، وكثرتها يسوِّد مرقها ، وأتقنها بياضُها⁽¹⁾ فلهذا يتعذّر سلامتها . وأما الديكبراكة فلأنها لون سهل يقبين فى التلطُّف فى منع سهوكتها .

الُخزّان : يختار لحفظ الأموال الروم ، لأنّ السخاء ليس فى لغتهم⁽²⁾ . واعتبارهنّ يكون بإمراجهن⁽³⁾ فى مالٍ معلوم الوزن وإهمال مراعاتهنّ والتصفُّح له من بُعدٍ بغتة .

الحواضن والدايات: يختار لتربية الأطفال النُّوبة لأنهن من جنس فيه رحمة وحنينٌ على الولد، وليس يلقّنّ الطفلَ لغةً بَشِعة، ويُختار للرّضاع الظُّئر الصحيحة الجسم ، الحديثة السن المعتدلة المزاج ، المائلة إلى البياض المشربِ حمرة ، الصحيح الولد واللبن . واعتبار اللّبن أن تقطر على ظفرك منه فإذا صار كالعدسة لا غليظاً
٣٦ مقبّباً ولا مائعاً سيّالا ، وكان طيّبا فى رائحته ، أبيض فى لونه ، كان جيدا . وبعض الأطباء اختار الزّنج للرضاع ، لأنّ حرارتهنّ البارزةَ نحو الأثداء مُنضِجة للبن ، ولأنّهن لغلَظِه أكثر غذاء . وقال قوم : إنّ قياسه قياسُ لبن الأُتن فى اللّطافة ، لغلظ أجسامهن .

رجال الحرب والنجدة : يُختار لذلك التُّرك والصقالبة ، لحرارة قلوبهم . واعتبارُهم يكون بإيراد الأشياء المفزِّعة بغتة ، كإلقاء الحيات الخرق⁽⁴⁾ أو طرح الأشياء التى لها صوت عظيم من علو بين أيديهم .

---

(١) فى التحقيق ٢٥١ : « وحسنها بياضها » .

(٢) فى التحقيق ٢٥٢ : « ليس فى طباعهم ولا أخلاقهم » .

(٣) كذا . وفى التحقيق: «فمن أراد أن يجعل خازناً غلاماً أوجارية فليعتبرهما بإمراجهما» وفى الأصل « بإمراجهن » تحريف . يقال أمرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت .

(٤) فى الأصل: « الحرت » . وفى التحقيق ٢٥٢ : « كإلقاء حيات الخرق » .

ومن ذلك ما يتعلق بالقيان ستة فصول ، شرحها :

العوّادات : يعتبرن بالعشرة الأصوات المعيّن عليها من المائة المختارة، وخاصة بالثانى ثقيل ، وعموده ثلاث عشرة نقرة .

الرقّاصات : يحتاج الرقّاص أن يكون طريًّا فى طبعه ، مجوَّدا فى صنعته، معتدلا فى جسمه وقامته ، عريض الصَّدر[1] ليمتد نفسه ، مجدول الحشا لتخف حركته . وهذا يعرف من إحضاره وصياحه ، ويكون قيّما بالبابات[2] جميعها لا سيما الشّيرازية منها .

الكَرّاعات[3] يعتبرن بالأرمال والأهزاج والنَّصبى[4] والكاكانى[5] .

الزوامر : يختار لهن الزنج لأنهن مطبوعات على الإيقاع . ولما يمنعهن عجومة[6] ألفاظهن عن الغناء عدل بهن إلى الزمر والرقص . ٣٧

الطنبوريات : ذوات الطنبور البغدادى، يعتبرن بالزريقى والحجفى وخفيف رمَل ابن طَرخان . ومن آدابهن على الإجمال إصلاح آلاتهن قبل حضورهن

---

(١) فى الأصل : « الصلب » ، وصوابه فى كتاب التحقيق ص ٢٤٩ .

(٢) البابات : الوجوه والطرق ، أى طرق الرقص . فى الأصل : « بالنايات » ، صوابه فيما أرى من كتاب التحقيق ٢٤٩ .

(٣) الكراعة : كلمة مولدة كما فى اللسان (كرع) . وفى شفاء الغليل للخفاجى : « كراعة : مغنية تغنى على طبل صغير . قال ابن الرومى :

ألق إليها أذناً واستمع أبرد ما غنته كراعه » .

(٤) فى الأصل : « المصبى » وفى التحقيق : « النفى » بإهمال الحروف ما عدا الفاء . وقد سبق الكلام على « النصبى » فى حواشى ٣٢٤ من المجموعة الثالثة .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) انظر ماسبق فى ص ٣٧٤ س ١٥ .

للغناء ، واستصحابها إذا نهضن لاسيما إذا كن بارزات دون الستائر .

الدف بالزرفن[1] .

[صورة ما ورد فى ختام الأصل]

تمت الرسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغـــدادى المتطبب .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

---

(١) كذا . وفى كتاب التحقيق ٢٤٩ : « والدفافات يعتبرن بالزفن » . والدفافة : الضاربة بالدف . والزفن : الرقص .

هداية المريد في تقليب العبيد

صنيع غريق الذنوب ، غريق بحر العيوب

راجى عفو مولاه ، والدخول ساحة حماه

فقير ربه المتعالى ، محمد الغزالى ، لطف الله به

مقدمة

وهذا كتاب آخر ، موضوعه مشابه لكتاب ابن بطلان ، يتناول الكلام على اختيار الرقيق ، وكأنه صدى لكتاب ابن بطلان .

ومؤلف هذا الكتاب رجل مغمور من رجال العصر العثمانى فى مصر الذى امتد ثلاثة قرون . بين سنتى ٩٢٣ و ١٢١٢ ، هو « محمد الغزالى » الذى لم أستطع أن أعثر له على ترجمة ، ولكنه فى مقدمة كتابه يهدى كتابه إلى أحد الرجال الرسميين فى مصر ، هو « أحمد بن محمد ، أفندى الديار المصرية »، يقول المؤلف فى شأنه « فاجتمعت بمولانا فى خلوة الأنس والمدام ، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن فى الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير، وجبراً منه للقلب الكسير » .

ونسخة الكتاب لم أهتد إلى أخت لها فيما أدانى إليه البحث ، وهى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٤٠ فراسة) كتب على الصفحة الأولى منها : « أمانة سيدى عبد الله شبراوى ولله الحمد فى ٣ من صفر الخير سنة ١١٢٦ عند كاتبه حسن على محفوظ » . وفى آخرها : « عند كاتبه حسن على محفوظ لسيدى عبد الله شبراوى حفظه الله تعالى فى ٣ من صفر الخير شهور سنة ١١٢٦ » .

ولعل هذا المالك هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهرى الشافعى الشهير بالشبراوى ، تلميذ الخرشى . وكان الشبراوى شيخاً للجامع الأزهر ولد سنة ١٠٩١ وتوفى سنة ١١٧٢ وترجمته فى سلك الدرر[1] .

وفى الصفحة الأولى من النسخة تمليك نصه « من نعم الله على عبده الفقير محمد الشربينى الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفاء فى سنة ٩٩ » . ويحتمل أن تكون سنة ١١٩٩ ، أو ١٢٩٩ .

والنسخة فى ١٢ ورقة صغيرة بهامشها حواش وتعليقات حرصت أن أنقل المهم منها، لما له من قيمة علمية تاريخية لا لأنه ذو فائدة محققة ، فنحن إنما نعرض هذه المنشورات للتاريخ ولبسط الثقافات العربية القديمة وتقديمها لجمهرة الباحثين .

---

(١) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لمحمد خليل المرادى ٣ : ١٠٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي وكفى

حمداً لك يا من أبدع نوعَ الإنسان فى أحسن نظام ، وركَّبه من أعصابٍ وشراسيف وأوردة ولحم وعظام ، وجعل هيكله معرضاً للصحَّة والأسقام ، ورُوحه مركزاً لكمال الإنعام ، وصلاة وسلاما على خلاصة العناصر ، قُطب دائرة الوجود محطِّ المآثر ، وعلى آله وصحبه ما استدلَّ الآسى على اعتدال المزاج ، واستعمل قانون التدبير فى كيفية العلاج .

وبعد فلمَّا استولى على أرض الخلَد ، حليفُ التواضعِ موقعُ الاعتقاد والمدد ، سقَتها هامعة الغَمام من لطافته ، فاهتزَّت وربَت من ظَرافته ، وأنبتت حبة المحبة فالتقطها الأماثل ، وتناولها فضا الأفاضل(١) ، فعادت غذاء الأشباح ، وحياةَ روح الأرواح . وكيف وهى حبّة محبَّة مَن

دعا فأجابته المعانى مطيعةً ... وقد كان منها مَنعةٌ وإباء
وشُرِّفت الدُّنيا بأوصافه التى ... تقاصَرَ عن إدراكها القدماء
وألقت له العَليا زمام انقيادها ... فمنها له ما يبتغى ويشاء

مولانا مالكِ زمام شريعة سيد المرسلين أحمد ، أحمد بن محمد ، أفندى الديار المصرية ، صاحب الأخلاق المرضية ، لا زال اقترانُ الاسعين عائداً بصلة السِّرِّ الربانى عليه ، مشيرا بسَوْق يَعمَلات السَّعادة لديه ، ولا برحَ ابنُ بوجه البزيعُ فاتقاً لرتْق أبكار المعانى ، محرزاً لقَصَبات السَّبق فى مضمار حَلِّ رموز المبانى ،

---

(١) كذا وردت العبارة . ولعلها « فضلاء الأفاضل » .

ما غرّدت بناتُ الأيك على غصون الأشجار ، وفاحت مِسكيّةُ عَرْفِ النَّسيم فى غُصُون الأسحار ؛ وكان الفقير الخمول ممن له تَرداد على مجلس مولانا أفندى الموما إليه ، لمزيد حبه للفقراء وحسن تودُّده إليهم، وشدة اعتقاده فيهم — دعانى الخاطر أن أجمع رسالة فى العلامات الدالة على صحة أبدان الأعبُد ، والعلامات الدّالة على ضعفها، وذلك لأنّه ممّا يَحتاج إليه الإنسان عند شرائهم، وأن أرتبها على سبعة فصول وخاتمة ، وأن أقدّمها لمولانا المشار إليه فاتّهمت الخاطرَ أيّاما فوجدته صحيحاً ، لصحَّة علّته الحاملة، فاجتمعت بمولانا فى خلوة الأنس والمُدام، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن فى الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير .

وها أنا أشرع فى التّرجمة ثم فى المقصود فأقول :

الفصل الأول : فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه .

الفصل الثانى : فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق .

الفصل الثالث : العلامات الدالة من جهة الصدر واليدين .

الفصل الرابع : فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة .

الفصل الخامس : فى العلامات الدالة من جهة الرجلين وخصوص الركبة والساقين .

الفصل السادس : فى العلامات الدالة من جهة السمن والهزال، والطول والقصر .

الفصل السابع : فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطاق البدن وطبعه .

الخاتمة : فيما يناسب العبد إذا اشتراه من الرياضة والراحة والدعة .

الفصل الأول

فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن
ولونه وهيئة تركيبه وسطحه، أى بشرته

ليُعلَمْ يا إنسانَ عين الزمان[١] أنه من أراد شراء عبد أبيضَ كان أو أسود، ذكراً كان أو أنثى، ينبغى له أن ينظر إلى لون بدنه، فإن وجده حائلاً كالأصفر دلّ ذلك على غلَبة الصفراء، وعلى سوء مزاج حارّ مطلقاً، أو على سوء مزاج حارّ فى خُصوص الكبد. وإن وجده أبيضَ جِصِّيًّا دلّ على سوء مزاجٍ بارد، أو على برد الكبد ورطوبتها وغلبة البلغم. وإن وجده أسود كَدِراً يشبه لونَ الرّصاص دلّ على سوء مزاجٍ بارد يابس، وعلى برد مزاج الكبد ويبسها، وعلى غلبة السوداء وضعف الطِّحال. وإن وجده أبيضَ تعلوه حمرةٌ قليلة أو أسمر سمرتُه صافية، أو أسود سوادُه حالك برّاق مع حمرة الشفتَين دلّ على حُسنِ المزاج وصحة البدن.

وأن ينظر إلى هيئة بدنه، فإن وجد أعضاءه بعضها أكبر من بعض، كأنْ وجدَ رأسَه كبيراً، ورقبته دقيقة، وصدره ضيقاً؛ أو وجد رأسه صغيراً، ورقبته غليظة، وصدره مخالفا لذلك؛ أو وجد رأسَه صغيرا، وبدنه كبيرا، ورجليه قصيرتين، دلّ على رداءة الطبع وقبح المنظر. وإن وجدَها حسنةَ الشكل جيدة التركيب متناسبةً متشابهة بعضها ببعض فى العظم والصغر، والسمن والهزال، والطول والقصر، دلّ على جَودة الهيئة وصحة التركيب.

وأن ينظر إلى سطح بدنه، أى بشرته، فإن وجده قضيفاً جداً دلّ على

---

(١) انظر ما سيأتى فى أول « الخاتمة ».

شدّة الحرارة واليبس ، والاستعداد لحدوث بعض الأمراض . وإنْ وجده سميناً جداً دلّ على كثرة البرودة والرطوبة والبلغم، ولا يأمن صاحبُه من موت الفجاءة وحدوث المرض البطيء البُرء كالسَّكتة والفالج، واللَّقوة والصَّرْع، وما يجرى هذا المجرى . وإن وجد فى بدنه موضعا مضيئاً فقد يكون برصاً أو قوباء أو بهقاً أبيضَ أو أسود ، وإن وجد فيه كيّا أو صَبْغا فليتفقّد ذلك تفقداً جيداً ، لاحتمال أنّه فعل ذلك بسبب برص ، وإن وجد موضعًا مغايراً للونِ البدن، فلينظره نظراً شافيًا ، لاحتمال أنّه برص صبغه بالشيطرج(١) أو غيره، فيغسله المشترى بالأشنان والخل ، ويدلكه بخرقة خشنة دلكا جيداً، فإن كان برصا ظهر واتّضح . وإن وجد فى بدنه آثارَ قروح فليسألْ بائعه هل عضّه كلب ؟ فإنْ قال نعم كان ذلك فلا يشتريه، فإنه لا يأمن من أن يكون ذلك الكلب كلِبًا فيؤولَ الأمرُ بصاحبه إلى الخوف من الماء ثمّ الموت . وإن وجد البدن خاليًا عن جميع ذلك سالماً منه دلّ على صحته .

الفصل الثانى

فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق

وينبغى أيضا أن ينظر إلى رأسه ، فإنْ وجده خفيفا ممرّطا ، ونباتَه متفرقا متباعداً ، دلّ على فساد جلد الرأس ، ورداءة مزاج الدماغ . وإن وجده ليناً ، دل على الجبن ، وإن وجده منتفضا متساقطا بكثرة دلّ على يبس الدماغ . وإن وجد به داء الثعلب أو داء الحية(٢) دلّ على أخلاط ردية مفسدة للشعر . وإن وجده سالمًا من ذلك وخشنا دلّ على جودة مزاج الدّماغ والشجاعة .

---

(١) نبات ينبت كثيراً فى القبور والحيطان القديمة والمواضع التى لا تحرث ، له زهر أحمر يطول نحواً من ذراع .

(٢) انظر ما سبق فى كتاب ابن بطلان ص ٣٨١ .

وأن ينظر إلى جلدة الرأس فإنْ وجد بها حَزَازاً(١) ، أو شطفة(٢) وبثراً ، أو أثر قروح وجرح غائر ، دلّ على عظمٍ قد سقط من القِحف . وهذا ردئٌ لا يؤمن أن يقع بهذا الموضع صدمة أخرى من شيء حادّ فيبلغ الدماغ فيخرجه ، أو من شيء ثقيل يرضّه فيتلفه .

وأن ينظر إلى شكل القِحف ، فإن وجده مسفَّطا جدًّا(٣) دلّ على الرداءة من جهتين : أحدهما : سرعة الصَّرْع ، وثانيهما قبح المنظر .

قال صاحب لقط المنافع(٤) : أما صغر الرأس وكبره فسببه المادة النُّطْفية ؛ إن قلّت قلّ ، وإن كثرت عظم .

وإذا كان الرأس صغيراً حسن الشكل، كان أقلّ رداءة من الصغير الرديء الشكل ، على أنه لا يخلو من رداءة هيئة الدماغ ، وضعف من قواه . ولهذا قال أصحاب الفراسة : يكون هذا الإنسان لجوجاً سريع الغضب متحيِّراً فى الأمور .

قال جالينوس : لا يخلو صِغر الرأس البتة عن دلالةٍ على رداءة هيئة . وكبر الرأس ليس دليلاً فى كلّ وقت على جودة الدماغ مالم يقترن به جودةُ الشكل وغِلَظ العنق وسعةُ الصدر ، فإنها تابعة لِعِظَم الصُّلب والأضلاع التابعَين لعظم النخاع وقوّته، التابعَين لقوة الدماغ .

وإذا كان الرأس مستديراً دلّ على بُعده عن الخير إذا كانت الجبهة مستديرة، والوجه طويلا والرقبة غليظة ، وفى العين بلادة .

---

(١) فى حاشيه الأصل : « الحزاز وهو النخالة التى تكون فى الرأس ، سببها مادة حادة بورقية أوسوداوية أو دم سوداوى أو أبخرة حادة أو يبس » . وفى اللسان : « والحزاز : هبرية فى الرأس كأنه نخالة ، واحدته حزازة »

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « السعفة »، وهى قروح تخرج بالرأس .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥٩.

(٤) هو ابن الجوزى . ولقط المنافع : كتاب له فى الطب جعله على سبعين باباً ، ثم اختصره وسماه مختار المنافع . كشف الظنون .

وأن ينظر إلى عينه ، فإن وجدها عظُمت فهو قبيح كسلان ، وإن وجدها غارت فيه داء خبيث ، وإن جحظت فهو وقح مهذار ، وإن وجدها ذاهبةً فى طُول بدنِه فهو مكَّار خبيث، وإن وجدها كأنها نائتة[١] وسائر العين لاطٍ[٢] فهو أحمق . وإن وجدها صغيرةً غائرة فهو مكار حسود . وإن وجدها نائتة[٣] صغيرة كعين السرطان فهو جهولٌ ميّال إلى الشهوات. وإن وجدها كبيرة ترعد فهو شرّير إن صغرت حدقتها. وإن وجدها عظيمة فهو قليل الشر عظيم الحمق[٤]. وإن وجد حدقتها شديدة السَّواد فهو جبان . وإن وجدها زرقاء صغيرةً فهو كسلانُ بطَّالٌ كثير المحبّة للنساء . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة كالزَّعفران فهو رديء الأخلاق جدًّا . وإن وجدها زرقاء وهو أشقر اللون فهو رديء جداً . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة وخضرة كالفيروزج فهو أردأ الناس . وإن وجد فيها نُقطاً حُمراً أو بيضاً فهو شر الناس وأرداهم. وإن وجدها بيضاء بياضُها كدر فهو غير جيِّد الحدقة. وإن وجدها مع ذلك مستديرة كعين الأسد، والوجه متعجِّر ، فهو ممن حدث له الجُذَام. وإن وجدها شهلاء فهو جيِّد العين. وإذا لم يكن شَهَلها شديد البريق ، ولا مشوباً بصفرة ولا حمرةٍ فهو شديد جودة العين. وإن وجد فى عينه عُروقاً حمراء دلَّ على حصول السَّبَل له[٥]، وإن وجد حاجبَها

---

(١) فى الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جمل أحكام الفراسة ص ٣ . والناتئة : المرتفعة .

(٢) اللاطئ : اللازق .

(٣) فى الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جمل أحكام الفراسة .

(٤) نص الرازى : « صاحب العين الكثيرة الرعدة شرير إن كانت صغيرة ، وإن كانت عظيمة نقص من الشر وزاد فى الحمق » .

(٥) جاء فى حواشى الأصل : « السبل : عروق تمتلئ دماً وتسود وتحمر ، وأكثره مع سيلان دم وحمرة وحكة . وهو ثلاثة أنواع : أحدها يعرف بالسبل الرطب ، كأنه نسيج العنكبوت بعروق حمر دقاق ويكون معه رطوبة عظيمة فى العين . والثانى يعرف بالسبل اليابس وتكون معه العين ناشفة كأنها صحيحة غير أن العبا (؟) يكون مسبلا. والثالث المستحكم الذى قد غلظ ومنع البصر وبيض الحدقة » .

كثير الشعر فهو كثير الهم والحزن غثُّ الكلام، وإن وجد مُأْقها الذى يلى الأَنف تسيل منه رطوبةٌ فليعصِره فإن خرج منه زيادةُ رطوبةٍ دلّ على مرض الناصور[١] ، وإن وجد فى هذه المآقى زيادةَ لحمّية ناتئة منبسطة نحو الحدقة فهى ظَفرة[٢] ، وإن وجد جفنها منتثرة[٣] ، دلّ على مادّة حادّة تصل إلى أصول الأجفان فتمنعها من جودة البصر وتسقطها، وإن وجد الجفن ثقيلا مسبلا دلّ على غلظ أو جربٍ أو شَعرة . وإن وجده منكسراً أو مكبوباً من غير علة فهو ما كرٌ أحمق كذّاب .

وينبغى له أن يمتحن بصرَه قوّة وضعفاً، بأن يريَه أجساما مختلفة الأشكال فإنْ كان لا ينظرها نظرًا جيِّدًا، أو كان ينظر إلى القريب منها نظرًا جيِّدًا دون البعيد أو بخلاف ذلك فبصرُه ردىء ، ودلّت العلامة على آفةٍ قد نالت الدّماغ والرُّوح الباصر .

وأن ينظر إلى سمعه ، فإن وجدَه ثقيلاً بأن يكلّمه فلا يجيبه ، دلّ على أنّ بسمعه آفةً ، إما من شدّةٍ عارضة فى ثَقب الأذن ، والشدة إما من لحم نابتٍ أو ثالول[٤] ، أو من قبل شىء عارض . فإن كانت من شىء عارض ، كحصاةٍ أو فُولة أو شعيرة أو وسخ ، فإنها تزول بالآلة التى يُخرج بها ما يَسقُط فى الأذن. وإن كانت من غير ذلك فبرؤه عسر . وإن وجده كبيرَ الأذُن جاهلٌ بايدٌ طويل العمر .

وأن ينظر إلى أنفه ، فإن وجد غِلَظًا [أو] جَسَّا[٥] ، دلّ على أن هناك لحما

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٣٦١ .

(٢) انظر مامضى فى حواشى ص ٣٦١ .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) هذه لغة عامية فى « الثؤلول » نص عليها ابن الجوزى فى تقويم اللسان . والثؤلول : واحد الثآليل ، وهو الخراج يخرج فى الجلد .

(٥) فى الأصل : « فإن وجده غليظا جشا » تحريف انظر له ما سيأتى فى أول الفصل الرابع . والجسا : اليبس.

زائداً وقروحاً فى المنخرين، فينبغى أن ينظرَ إليه فى موضعٍ مضىءٍ مقابلٍ للشمس ليظهرَ له ذلك .

قال صاحب لقط المنافع (١) : من كان طرفُ أنفه دقيقاً فإنّه يحب الخصومة، ومن كان أنفه غليظاً ممتلئاً فهو قليل الفهم ، ومن كان غليظَ الشَّفَة فهو أحمق غليظ الطبع، ومن كان قليلَ صبغ الشَّفَة فهو ممراض، ومن كان كثير لحم الخدّين فهو غليظ الطبع .

وأن ينظر إلى لسانه فإن وجده ثقيلا أو ألثغ أو ليس بيِّن الكلام دلّ على صِغَر اللسان أو غِلَظه أو قصره ، أو قَطْعِ جزء منه ، أو آفةٍ للعصَب اللسانى ، أو غير ذلك من الآفات ، أو من سنٍّ قد انقلعت . وإن وجد فيه آثارَ قُروح قد اندملت ، فليسألْ صاحبَه عن السبب ، فإن قال سببه قُرحةٌ عرضت فى لسانه ، أو ورمٌ انفجر واندمل ، فلا يشتريه حتى يفحص عن ذلك فحصاً جيداً ، لاحتمال أن انصرَعَ فعضّ لسانَه فتورّم وتقرّح ، وأن يسمع صوتَه فإن وجده أبحّ حاداً دلّ على أنّ هناك جُذاماً سيظهر .

وقال بعض الأفاضل من العلماء : حُسن الصوت دليلٌ على الحمق وقِلّة الفطنة .

وأن ينظرَ إلى أسنانه ، فإن وجدها ساقطةً ، ولا سيما الثنايا والأنياب والأضراس ، دلّ على القبيح ، والمنع من بيان الكلام والمنع من جودة المضغ ، وإن وجد سقوطها من قبل أن يُثغر فإنه إذا ثُغِرت عادت أجود مما كانت ، وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لا تعود . وأن ينظر إلى لون أسنانه ، فإن وجده أبيضَ أو أسودَ فهو عيبٌ قبيح إلاّ [أن] يكونَ قبلَ إثغاره فإنّ الإنسان إذا ثُغِر عادت أسنانه ولونُها إلى أحسنَ ما كانا وأجوَد وأقوى .

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ٣٩٧ .

قال أبو الفرج بن الجوزى[1] رحمه الله : وتفريق الأسنان وضعفها ورقتها دليل على ضعف الجسد[2] وقصر العمر. واللحم الكثير الصُّلب دليلٌ على غِلَظ الحسّ والفهم . ومن وقَعَ عليه عند الضّحك سُعال أو ربو فإنّه وقِحٌ سليط .

وقال فى موضع آخر : وأن يتفقّد أسنانه ، فإن القويّة طويلةُ البقاء ، والرّفيعة[3] سريعة السّقوط ، والضعيفة المتفرقة تدلّ على قصَر العمر .

وأن ينظر إلى لَثاة أسنانه،فإنْ وجدها متشعّبة أو مسترخية أو فيها قروح[4] دلّ على الرداءة .وأن يشمّ نكهته،فإن وجدها متغيّرة، فتغيُّرها إمّا من عُفونةِ اللّثاة أو من ضِرس متآكل أو من بلغمٍ عفنٍ فى المعدة .فإنْ كان من الأوّل فيزول بتقوية اللّثة بالأدوية القابضة ، واستعمال الأدوية الحارّة . وإن كان من الثانى فيزول بقلع الضرس المتآكل ، أو بتنقيته أو بكَيّه . وإن كان من الثالث فلا يسهل برؤه .

وأن ينظر إلى لَهاته،فإنْ وجدها نازلةً إلى السُّفل كثيراً دلّ على الرّداءة ، من جهة أنه متى عرض لها ورمٌ تبعه الخُناق . وإن وجدها مسترخيةً دلّ على الرّداءة من جهة أنّ صاحبه يَعرِض له السُّعال كثيراً .

وأن ينظر إلى حلقه من خارج،ويمسّ الغدد التى هناك ، فإن وجدها ظاهرةً

(١) يعنى ، فى كتابه « لقط المنافع » .

(٢) فى حواشى الأصل : « قال السموأل : واجتماعها أجود من تفرقها ، وإن كان الشنب مذهباً محبوباً عند العرب » : قلت : السموأل هذا هو السموأل بن يهوذا المغربى ، من العلماء الذين قدموا إلى المشرق ، وأقام بمدينة المراغة مراغة أذربيجان ،وأولد أولاداً سلكوا طريقته فى الطب ، وأسلم فحسن إسلامه، وصنف كتابا فى إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم فى التوراة ، ومات قريباً من سنة ٥٧٠ . القفطى ١٤٢ .

(٣) الرفيعة هنا بمعنى الرقيقة . وهى صحيحة . جاء فى شرح درة الغواص للحريرى ص ١١٨ : « والناس يقولون ثوب رفيع بمعنى رقيق ، كذا فى أدب الكاتب ، وهو مجاز ، ولذلك أهملوه فى كتب اللغة » .

(٤) فى الأصل : « قروحاً » .

تحت الملمس مع صلابة كان ذلك دليلاً على الخَنَازير[1] .

وأن ينظر إلى لون وجهه ، فإن وجده مثل لهب النّار فهو عجول مجنون ، وإن وجده رقيقاً فهو مستحي ، وإن وجده أخضر أسود فهو سيّئ الخلق . وأن ينظر إلى استدارة وجهه ، وإلى نحافته ، وإلى صغره وطُوله ، فإن وجده شديد الاستدارة فهو جاهل ، وإن وجده نحيفاً فهو مهتمٌّ بالأمور ، وإن وجده صغيراً فهو دنىء خَبيثٌ مَلاّقٌ ، وإن وجده طويلا فهو وقح . وأن ينظر إلى عنقه ، فإن وجده قصيراً جداً فهو مكّار خبيث ، وإن وجده طويلا دقيقاً فهو صَيَّاح أحمق جبان . وإن وجدة كثير الشعر فهو أحمق شديد الحرارة .

الفصل الثالث

فى العلامات الدّالّة من جهة الصدر والإبطين واليدين

وينبغى له أيضاً أن ينظر إلى صدره ، فإن وجده ضيقاً والكتفان مرتفعان كأنّ له جناحين والظهر منحنياً دلّ على مرض السلّ ، لاسيّما إن كان فى سنّ الحداثة والشباب وكانت النزلات تعرض له كثيراً[2] .

وأن ينظر إلى باطنه ، فإن وجد فيها غُدَداً دلّ على حدوث خنازير هناك .

وأن ينظر إلى يديه بعد أن يجمعهما ، ويقيس إحداهما بالأخرى ، فإن وجدهما

(١) فى القاموس أن الخنازير قروح تحدث فى الرقبة . وفى حواشى الأصل : «الخنازير ورم صلب شبيه بالغدد ، إما فى اللحم الرخو الذى هو فى العنق أو الذى فى الأربيتين أو الذى تحت الإبطين ، وأكثر ما يكون هذا الورم فى مقدم العنق وفى جوانبه . ويكون إما غدة أو غدتين أو ثلاثا وأكثر ، وكل واحدة لها صفات خاصة كالسلع . وإنما سمى هذا الصنف خنازير لأن هذه الغدد تكون فى أرقاب الخنازير . [وقال] قوم : لأن الخنازير [تمرض به أيضاً] » .

(٢) فى حواشى الأصل : « النزلة هى تحلب فضول رطبة من بطنى الدماغ المقدمين إلى المنخرين » .

قصيرتين ، أو إحداهما قصيرة والأخرى طويلة دلّ على الرداءة والقبح ، والمنع من جودة الأعمال .

وأن ينظر إلى ساعده فإن وجده ملتويًا لعلة عرضت فهو عيب ردىء ، وإن وجده ينقص عند ليّه عما يحتاج إليه دلّ على آفة عرضت للزّند الأعلى . وإن وجد مَفصِل مرفقه ينقص عند النواية عما يحتاج إليه دل على آفة عرضت للزند الأسفل .

وأن ينظر إلى معصَميه، فإن وجد بهما شبه ورم صغير وإذا لمسه وجد تحت الملمس ما يشبه العِرق أو الدُّود ، فإن ذلك يدل على وجود العِرق المدينى[1] .

وأن ينظر إلى كفه، فإن وجده عسر الحركة عند قبضها أو بسطها فهى رديئة. والدّليل على قوّة يده وضعفِها أن يأمره المشترى أن يقبض على بعض أعضائه قبضًا شديداً ، فيظهر بذلك قوةُ اليد وضعفُها[2] .

الفصل الرابع

فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكُليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة

وينبغى له أيضًا أن يتفقد أحشاءه[3]، فإن وجد فى الناحية اليمنى أو اليسرى غِلظًا أو جَسًا[4] بعد أن يأمره أن يستلقى[5] على ظهره ، ويكون رأسه غير

(١) فى حواشى النسخة : « المدينى بثرة تحدث فى الساقين تتنفط . . ثم يخرج منها شىء [كالدو] د ، ولا يزال يطول ، وربما كان له حد لحدة مادته ومدة توجع ، قطعه خطر » .

(٢) فى حواشى النسخة : « قال السموأل : وينبغى أن ينظر إلى أكل الجارية وعملها للأشغال فربما كانت الجارية تأكل بيـــدها اليسرى وتعمل بها أكثر أعمالها ، وذلك من العيوب » .

(٣) فى حواشى الأصل : « إنما عدلنا فى هذا الفصل عن التعبير بالنظر إلى التعبير بالتفقد لأن هذه المواضع لايجوز النظر إليها » .

(٤) الجسا : اليبس ، يقال جسيت اليد وغيرها جسواً وجساً: يبست .

(٥) فى الأصل : « يلتقى » .

مرتفع ، ويبسط يديه نحو رجليه ويَشيل ركبتيه إلى فوق ، ويصفّ قدميه ، ويلمس مَرَاقّ بطنه[1] من موضع فم المعدة وما دُونَ الشَّراسيف إلى أن ينتهى إلى العانة ، ويمرّ بيده على ذلك مروراً شافيًا — دلّ ذلك الغلظ أو الجَسَا[2] على أن فى الكبد أو الطحال ورمًا رديئًا يؤدى إلى الاستسقاء ، لاسيَّما إن رأى مع ذلك لونَ البدن رديئًا مائلا إلى البياض ، وأسفل الجفن الأسفل متهيِّجا .

وينبغى له إذا أراد شراء جارية أن يتفقّدها ، فربما يجد منها فيما بين السُّرة إلى العانة غلظًا أو صلابة ، فإن وجد ذلك دلّ على سرطان فى رحمها[3] ، وليتفقّدها أيضًا إذا هى حاضت ، لاحتمال أن يعرض لها الغشى الشّبيه بالسَّكتة، فإن وجدَ بها ذلك ، دلّ على أن بها اختناق الرحم ، وهذا ربَّما أوجد موتَ الفُجاءة .

وأن يتفقّد كُليتيه ومثانته ،فإن وجد فيهما أو فى أحدهما الحصاة ، دلّ على العيب الردىء ، ويعرف ذلك من وجود رمل فى بوله .

قال بعض الحكماء : لطافة البطن تدلّ على جودة العقل ، ودقة الأضلاع ورقّتها تدلّ على ضعف القلب .

وأن يتفقّد أنثييه ،فإنْ وجد عروقَهما أخذت فى الاتِّساع ، دلّ على حدوث العِرق المسمَّى بالدالية ، وهو لا يظهر فى أوّل الأمر ، بل يبدو شيئًا فشيئا على طول المدّة ، ثم يعقبه آفة قويّة شديدة . وأن يتفقد قضيبه ، فإن وجد النقث[4] الذى فى جانب الكمرة الموجب لعدم استقامة البول مع جريانه إلى أسفل ، دلّ

(١) مَراق البطن : أسفله وما حوله مما يسترق منه ، وهى المواضع التى ترق جلودها، قال الهروى : واحدها مرق ، وقال الجوهرى : لا واحد لها .

(٢) فى الأصل : « الجس » تحريف . انظر ماسبق فى الحاشية (٤) من الصفحة السابقة.

(٣) فى حواشى الأصل : « السرطان مرض سوداوى علامته أن يكون صلباً شديد الصلابة بمنزلة الحجارة متمدداً ، ويكون شكله شبيهاً بالسرطان » .

(٤) كذا فى الأصل .

على الرداءة فى التوليد ، لأنّ المنىّ يحتاج إلى الاستقامة عند مروره فى الرّحم كى يصل لأقصاه .

وأن يتفقّد مقعدته ، فإن وجد بها بواسير أو توثا[١] أو نواصير ، دلّ على الرداءة .

الفصل الخامس

فى العلامات الدالة من جهة الرجلين مطلقا ، وخصوص الركبة والساقين

وينبغى له أيضًا أن ينظر إلى رجليه بعد أن يأمره المشترى أن يجمعَ رجلَيه ، ويصفّ قدمَيه فى موضع مستوٍ ، فإنْ وجد إحداهما أقصرَ من الأخرى فذلك عيبٌ ردىء ، دل على تشنُّج أو عرج نالَه من قِبَل عرق النَّسا ويأمره بالمشى فإنْ يكن فى خطاه تقصير دلّ على قوّة العصب ، وسلامة المفاصل ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك دلّ على آفةٍ قد نالت العصب أو مَفصِل الورك أو غيره من مفاصل الرّجل .

وأن ينظر إلى خصوص الرُّكبة ، فإن وجد بها ورمًا صلبًا ، أو الورم المعروف بالشَّوكة[٢] ، فإنّه ربّما لم يبرأ ، ويؤدّى بصاحبه إلى دقّة الساقين والزّمانة ، وإن وجد فيها اعوجاجا أو مَيَلا فهو داء قبيح .

وأن ينظر إلى خصوص السّاقين ، فإن وجدهما متقوّسين أو منقلبين[٣] إلى خارج ، فهو عَرَض ردىء يضرّ بالمشى مَضرّة قوية . وإن وجد عُروق باطن السّاقين أخذت فى الاتّساع فهو سببٌ لحدوث العروق المسمّاة بالدالية . وإن وجد فى الساقين غِلظًا وصلابةً وامتلاء فى موضع الكعبين إلى فوق فذلك يدلُّ على حدوث العِلة المسمّاة بداء الفيل .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) فى اللسان : « الشوكة : داء كالطاعون » .
(٣) كذا ، والساق مؤنثة .

الفصل السادس

فى العلامات الدالة من جهة السِّمن والهزال ، والطول والقصر

وينبغى له أيضًا أن ينظر إلى جسمه ، فإن وجده سمينًا فلا يشتريه ، لأنّ السُّمنة[1] رديئة جداً ، لاسيَّما السّمنة بالطبع ، فإنَّها مستعدة لحدوث أمراض رديئة لأن الحرارة الغريزية تكون فيها ضعيفة لضِيق عروقها ، وضيقُ العروق فيها لشيئين : أحدهما برد المزاج . ثانيهما ضعف الأعضاء السمينة لها ، فأصحابها لذلك أقل أعماراً ، لأن ضيق العروق يتبعه ضعف الحرارة الغريزية ونقصانُها ، وهذان يتبعان نقصان الروح ، وهم معرضون للسكتة والفالج وعسر النفس .

ومن أفرط سمنه وكان مُراضاً ، فهو على خطر . وإن وجده قضيفاً مهزولاً نحيفاً فلا يشتريه ، لأن النحيف ردىء لِمَا يغلب على مزاجه من اليُبس ، فهو لا يقدر على الرياضة والأعمال الكثيرة ، لأن ذلك مما يسخّنه ويجففّه فيزداد نحافة . وصاحب النحافة لايقدر على الحرّ والبرد ، لأنهما يصلان إلى أعضائه الباطنة بسرعة فيعرّيانها من اللحم . وإسهال النحيف خَطر .

وإن وجده معتدلاً ليس بالسمين ولا بالهزيل ، فليشتريه[2] فإنه من أحسن العبيد بدناً ، وأدومهم صحة ، وأصبرهم على الأعمال ، وأبعدِهم عن الأمراض ، لأن الحرارة الغريزية متوفرة فيه ، والهضم جيِّد ، والأعضاء قوية لذلك .

وإن وجده طويلاً دلّ ذلك على غباوته وغفلته وقلة عقله . وإن وجده قصيراً دل ذلك على خُبثه وخداعه ومكره .

---

(١) هذه الكلمة بمعنى السمن مما لم يذكر فى المعاجم المتداولة . وقد وردت بهذا المعنى أيضاً فى شرح الحماسة للمرزوقى ١٢٦٢ ، ١٤٣٦ .

(٢) كذا جاءت بالأصل . وإثبات حرف العلة مع الجازم لغة لبعض العرب ، كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

قال الجاحظ: الغباوة والغفلة فى الطِّوال أكثر، والخُبث والخداع فى القصار أبيَن، واللُّطف فى النِّحاف والقِضاف أظهر، والغِلظة والجفاء فى السِّمان أكثر، وما سوى ذلك نادر.

قال صاحب لقط المنافع: قالوا: والطِّوال من الناس فى الشبيبة أحسن، وفى الكبر أقبح، لسرعة الانحناء إليهم. والمعتدلون فى الطُّول صالحو الحال.

قال الجاحظ: أجمعَ الناسُ على أنْ ليس فى الدنيا أثقلُ من أعمى، ولا أبغض من أعوَر، ولا أخفُّ روحاً من أحوَل، ولا أقوَدُ من أجدَب.

قال بعض الحكماء: لا تبتاعنَّ مملوكا قويَّ الشهوةِ فإنَّ له مولًى غيرك، ولا قويَّ الرأى فيستعمل الحيلةَ عليك. لكن اطلبْ من العبيد مَن كان حسن الانقياد، قويَّ الجسم، شديد الحياء. واعلم أنه ما من شىء تنتفع به إلاَّ وفيه مضرّة، فإن الخادم الذكىَّ الفطن الذى يُريحك من كدِّ الإفهام ويُقنعه منك الإشارةُ فى تبايغ الأغراض، لا تقدر أن تستر عنه شيئاً من أمرك، فسرُّك معه شائع، وهو قادر لفطنته على الاحتيال عليك فى كل ما تريد. وإن كان الخادم غبيًّا وقفت أمورُك، وانكسرت أغراضك، ولا يفى كتمانُ سرِّك بوقوف أغراضك. فينبغى أن تستخدم الفطناء فى الأمور الخارجة عن المنزل، وتستخدم البُلْه فى الأمور الداخلة. وكذلك الأصدقاء فى معاملتهم والمعامَلون.

الفصل السابع

فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه

فعلامات رطوبة مزاج بدنه كثرة الشحم، واعتدال اللحم، ولين الجسد، ورخاوة الجلد، وضَعف العصب، واسترخاء المفاصل، وعدم الشَّعر، وكثرة النوم.

وعلامات يبس مزاجه، قضافة البدن، وصلابة الملمس، وقلة الشحم.

وعلامات حرارة مزاجه سخونة الملمس ، وحمرة اللون ، وسرعة نبات الشعر وكثرة خشونته وسواده ، ويكون صاحبه ذكيًّا فطنًا سريع الحركة والغضب ، عجولاً مبادراً ، غير متثبت ، شجاعاً بطلا مقدامًا متهوّراً[1] قليل التهيب الأمور العظام ، ويكون نبضه سريعاً متواتراً ، ويكون هو سريعَ النموّ والنشوّ ، قويَّ الشهوة ، جيِّد الهضم ، كثير الباه ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، جهش الصوت[2] .

وعلامات برودة مزاجه برودة الملمس ، وبياض اللون ، وقلة الشعر وبياضه وبطء إنباته ، ويكون صاحبه بطيء المشى ، بليداً قليل الفهم ، ثقيل اللسان ، بطيئًا فى الحركات ، متوقفًا فى الأمور ، جبانًا فزِعًا خائفًا قليل الغضب .

وعلامات حرارة ورطوبة[3] مزاجه كون الشعر أسود رَجلاً سبطا ، وكثرة اللحم وقلة الشحم وحرارة الملمس ولينه ، فإن غلبت الرُّطوبة كان البدن مراضًا لحصول التعفُّن ، وإن غلبت الحرارة كان البدنُ أصحّ . وإن كانا معتدلين كان اللون مختلطًا فى الحمرة والبياض .

وعلامات حرارة ويبوسة مِزاجه : كثرةُ الشعر وجعودته وسواده ، لأنَّ مادة الشَّعر هو البخار الحارّ اليابس الذى يخرج من مسامّ البدن ، ويدفع بعضه بعضا إلى خارج ولا ينقطع خروجه — وقضافة البدن ، وحرارة الملمس ، وأُدمة اللون ، والذّكاء والذهن والشجاعة وقوّة الشهوة ، وجودة هضم الأغذية الغليظة والحرص على الباه .

وعلامات برودة ورطوبة مزاجه سبُوطَة الشعر[4] وشُقرته وبياض اللون ،

---

(١) فى الأصل : « مهوراً » .
(٢) كذا ، وإنما يقال أجش الصوت ، أى غليظ .
(٣) فى الأصل : « وبرودة » .
(٤) سبوطة الشعر ، أى انبساطه واسترساله . وفى الأصل « شوطة الشعر » .

وسمن البدن من كثرة الشحم، ويكون صاحبه بليداً كثير النسيان، قليل الفهم، جبانا ، ضعيف الشهوة ، بطىء الهضم ، قليل الباه .

وعلامة برودة ويبوسة مزاجه بياض اللون الذى يضرب إلى الكمودة ، وقضافته ، وبرودة الملمس وشقرة الشعر الذى يضرب إلى الصُّفرة ، مع قلته ، وامتناع الباه .

وعلامات مزاج البدن المعتدل: أن يكون متوسِّطا فى الهزال والسِّمَن ، وأن يكون لونه مختلطا ببياض وحمرة ، أشقر إلى الحمرة مادام صبيًّا ، فإذا صار إلى سنّ الشباب صار الشَّعر أسود ، ويكون ملمسه معتدلا فى الحرارة والبرودة ، والصَّلابة واللِّين ، بمنزلة جلد بطن الراحة ، ويكون فهِمًا فطِنا عاقلا ، شجاعًا غير أهوجَ ولا جبان ، بَيْنَ الرحيم والقاسى ، عفيفاً متوسطا فى العلامات .

الخاتمـــــة

فيما يناسب العبد إذا اشتراه ، من الرياضة والراحة والدعة

لِيُعْلَم يا مِغناطيسَ الفؤاد[1] ، أنّ من اشترى عبداً ينبغى له أن يستعملَه فى الرياضة ، وهى عند الأطبّاء عبارةٌ عن الحركات البدنية ، ولها وقتٌ وفوائدُ وغاية تنتهى إليها .

فوقتها قبل الغِذاء ، حين يكون البدنُ نقيًا ويكون طعامُ أمسٍ قد انحدر وانهضم، وحضر وقتُ طعامٍ آخر. ولا تجوز الرياضة فى وقت الجوع. واستعمالُها قبل انحدار الطعام مولِّد للسُّدَد فى العروق التى بين الكبد والمعا .

قال جالينوس: رياضة قبل الطعام خير عظيم، وسببٌ وكيدٌ فى حفظ الصحة

---

(١) انظر ماسبق فى مبدأ الفصل الأول ص ٣٩٥ .

ومن فوائدها: تنبيه الحرارة الغريزية التى فى البدن ليَتقوّى بذلك على جذب الغذاء وسرعة هضمه وقَبولِ الأعضاء له، وتنظيفُ فضُول البدن وتحاليلها، وتنقية المنافذ، وتوسيع المسام، وتصليب أعضاء البدن(١)، وتنضيج الطعام الغير النضيج.

والرّياضة بعد الغِذاء خطأ، لأنها توجب انحدار الطعام وهو غير منهضم، فإنْ كان لزِجًا وصادف مجارىَ ضيِّقة أحدث سُدَدًا، وإلاّ أوجب أمراضا مختلفة.

وغايتها أن يحس الإنسانُ بالعِىّ والتّعب.

ومن أنواع الرياضة الرُّكوب لمن اعتاده، والمَشْىُ السريع، والقراءةُ بصوتٍ عال، والرَّمى بالنِّبال، والثِّقاف والصِّراع(٢)، واللّعب بالأُكرة(٣)، والصعود والقعود فى المراجيح، والمباطشة، وشَيل الأحجارِ والأعمدة، والتّصفيق والشِّباك، وتحريك أوتار العيدان، وضرْب الطبول، وتحريك الرِّجلين بسَعة الخُطَى وغيرها، والانحناء والاستلقاء، وبَسط القامة(٤)، والدّلك بالأيدى والمناديل.

وأما الراحة والدعة، فهما ضدُّ الرياضة، ويخشى منهما إذا داما أن تنطفئ البرودة والحرارة الغريزية، فإنهما يحدثان فى البدن البرودة والرطوبة، وكثرةَ البلغم والفضول، ويفسدان المزاج، وقد يُحدثان حرارة لاحتقان البخار الحارّ.

قال جالينوس: السكون الدائم يخاف منه أن يُطفئ الحرارةَ الغريزية.

فينبغى لمن أراد حِفظ صحته أن يتجنب الدّعة، إلا أن يكون البدن متخلخلا.

وليتعهّد صاحبُ الدّعه نفسه كلّ قليلٍ بالتنقية.

نقّى الله نفوسَنا من درَن الذنوب، وغفر لنا العيوب،
بجاه تَرجمان لسان الغيوب. آمين

---

(١) فى الأصل: «توسم» و«تصلب»، بدل «توسيع» و«تصليب».
(٢) الثقاف والثقافة بالكسر فيهما: المجالدة بالسيوف.
(٣) فى اللسان (أكر): «ومن العرب من يقول للكرة التى يلعب بها أكرة» واللغة الجيدة الكرة». وفى القاموس: «الأكرة بالضم: لغية فى الكرة».
(٤) سابقة سافجة لما يسمى اليوم «الألعاب السويدية».

الفهارس العامة
للمجلد الأول
من نوادر المخطوطات

١ ـ فهرس الأعلام (*)

(*) ماقرن من الأعلام بنجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

٢ — فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٣ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٤ — فهرس الأشعار

(١) ولجرير أيضا .

٥ ــ فهرس الأرجاز

٦ ــ فهرس الأمثال

٧ — فهرس الكتب

التي وردت في أثناء نصوص النوادر

مراجع الشرح والتحقيق

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطمية الخلفاء ، للمقريزى ، تحقيق الدكتور الشيال ، دار الفكر ١٣٦٧ :

الإحاطة ، فى أخبار غرناطة . طبع الموسوعات ١٣١٩ .

أخبار عبيد بن شرية الجرهمى ، حيدر أباد ١٣٤٧ .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦ .

أدبيات اللغة العربية ، للجنة من رجال نظارة المعارف . بولاق ١٩٠٦م .

أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب ١٣٤١ .

أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٦ .

الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وستنفلد . جوتنجن ١٨٥٣م .

الإصابة ، فى أسماء الصحابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .

الأصمعيات ، اختيار الأصمعى . ليبسك ١٩٠٢ م .

الاعتبار ، لأسامة بن منقذ . نشرة فيليب حتى . جامعة برنستون ١٩٣٠م :

إعجاز القرآن ، للباقلانى . السلفية ١٣٤٩ .

أعجب ماكان ، فى الرق عند الرومان ، لمصطفى كامل . المحروسة ١٣١٠ ؟

الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى : الساسى ١٣٢٣ .

ألف باء ، للبلوى . الوهبية ١٢٨٧ .

الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ م .

الأمالى ، لأبى على القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .

الأناجيل الأربعة .

إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى ، بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم دار الكتب ١٣٦٩ .

الأنساب ، للسمعانى ليدن ١٩١٢ .

الإنصاف والتحرى ، لابن العديم . ضمن تعريف القدماء . دار الكتب ١٣٦٤ .

بدائع البدائه ، لابن ظافر الأزدى . بولاق ١٢٧٨ .

بغية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٨ .

البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، بلجنة التأليف ١٣٦٩ .

تاج العروس ، للزبيدى . الخيرية ١٣٠٦ .
تاريخ الإسلام ، للذهبى . مخطوط دار الكتب رقم ٤٢ تاريخ .
» » ، للذهبى . القدسى من سنة ١٣٦٧ .
» الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطى . المقتطف ١٩٢٥ م .
» بغداد ، للخطيب البغدادى . القاهرة ١٣٤٩ .
» دمشق ، لابن عساكر . مخطوطة المكتبة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ .
» الطبرى . الحسينية ١٣٢٦ .
» طرابلس الغرب ، لابن غلبون . السلفية ١٣٤٩ .
» قضاة الأندلس ، للنباهى . تحقيق بروفنسال . دار الكاتب المصرى ١٩٤٨ م .
» مختصر الدول ، لابن العبرى . أكسفورد ١٦٦٣م.
التبصر بالتجارة ، للجاحظ ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب . الرحمانية ١٣٥٤ .
التحقيق فى شراء الرقيق ، لمؤلف مجهول . مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ٤٨ فضائل ورذائل .
تذكرة أولى الألباب ، لداود الأنطاكى . الشرفية ١٣٢٧ .
تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبى . حيدر أباد ١٣٣٤ .
تذكرة الطالب النبيه ، بمن نسب إلى أمه دون أبيه . لأحمد بن خليل اللبودى . مخطوط بالتيمورية رقم ١٤٠٧ تاريخ .
التصريح ، بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى . الأزهرية ١٣٤٤ .
تعريف القدماء ، بأبى العلاء ، للجنة من رجال وزارة المعارف . دار الكتب ١٣٦٣ .
تفسير أبى حيان ، وهو البحر المحيط . السعادة ١٣٢٨ .
» الطبرى . بولاق ١٣٣٠ .
تكملة التكملة . طبع مدريد ١٩١٥م.
تكملة الصلة ، لابن الأبار ، تحقيق كوديرا . مدريد ١٨٨٧م.
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٥ .
التنبيه والإشراف ، للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧ .
التنبيه على أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى . دار الكتب ١٣٤٤ .
التيجان : فى ملوك حمير ، لوهب بن منبه . حيدر أباد ١٣٤٧ .
ثمار القلوب ، فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦ .

جذوة المقتبس ، للحميدى . تحقيق محمد بن تاويت . السعادة ١٩٥٣م .
جمل أحكام الفراسة ، لأبى بكر الرازى . حلب ١٣٤٧ .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . تحقيق بروفنسال . دار المعارف ١٩٤٨م .
جمهرة خطب العرب ، لأحمد زكى صفوت . الحلبى ١٣٥٢ .
حاشية ابن عابدين : بولاق ١٢٩٩ .
حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٤ .
الحلة السيراء ، لابن الأبار . ليدن ١٨٥١ م .
حلية الفرسان : لعلى بن عبد الرحمن الأندلسى : تحقيق محمد عبد الغنى حسن . دار المعارف ١٣٦٩ .
الحماسة ، لأبى تمام . السعادة ١٣٣١ .
الحماسة للبحترى الرحمانية ١٩٢٩م
الحماسة لابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥ .
الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٥٧ — ١٣٦٤ .
خاص الخاص ، للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .
خريدة القصر ، للعماد الأصفهانى ، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس . لجنة التأليف ١٩٥١ م .
خزانة الأدب ، للبغدادى . بولاق ١٢٩٩ .
خطط المقريزى ، وهو المواعظ والاعتبار . مطبعة النيل ١٣٢٤ .
خلاصة الأثر ، فى أعيان القرن الحادى عشر ، للمولى المحبى . الوهبية ١٢٨٤ .
الخيل ، لابن الأعرابى . ليدن ١٩٢٨ م .
» ، لابن الكلبى . ليدن ١٩٢٨ م .
دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية .
» » البريطانية .
الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٥٠ .
درة الغواص ، للحريرى . الجوائب ١٢٩٩ .
الديارات للشابشتى ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١م .
ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١م .
» الأرجانى . بيروت .

ديوان أسامة بن منقذ . نسخة دار الكتب رقم ١٦٨٧٧ ز .
» الأعشى ، بتحقيق جاير . ڤينا ١٩٢٧م.
» امرئ القيس . هندية ١٣٢٤ .
» البحترى . هندية ١٣٢٩ .
» بشار ، بشرح ابن عاشور . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
» أبي تمام ، نشرة محيى الدين الخياط . بيروت ١٣٢٣ .
» تميم بن المعز . مخطوط دار الكتب رقم ١٦٠٢٥ ز .
» جرير . الصاوى ١٣٤٥ .
» حاتم الطائى . الوهبية ١٢٩٣ .
» حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .
» الحطيئة . التقدم ، بالقاهرة .
» الخنساء . بيروت ١٨٨٨م.
» ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧ .
» زهير بن أبي سلمى . دار الكتب ١٣٦٣ .
» سلامة بن جندل . بيروت ١٩١٠م .
» أبي طالب . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب رقم ٣٨ ش .
» طرفة بن العبد. قازان ١٩٠٩م.
» العباس بن الأحنف . الجوائب ١٢٩٨ .
» عمر بن أبي ربيعة . الميمنية ١٣١١ .
» الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤ .
» ابن قيس الرقيات . ڤينا ١٩٠٢م.
» لبيد . ڤينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١ م .
» المتنبى ، بشرح العكبرى . الشرفية ١٣٠٨ .
» أبي محجن . الأزهار .
» المعانى ، لأبي هلال العسكرى . القاهرة ١٣٥٢ .
» ابن المعتز . المحروسة ١٨٩١ م .
» معن بن أوس . ليبسك ١٩٠٣ م .
» مهيار الديلمى . دار الكتب ١٣٤٠ .

ديوان النابغة. من مجموع خمسة دواوين .
« أبي نواس . العمومية ١٨٩٨م
« الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩ .
الذخيرة، لابن بسام مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
الرق فى الإسلام ، لأحمد شفيق ، ترجمة أحمد زكى . بولاق ١٣٠٩ .
روضات الجنات ، فى أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوى . العجم ١٣٠٤ .
الروضتين، فى أخبار الدولتين ، لأبى شامة . وادى النيل ١٢٨٨ .
زهر الآداب ، للحصرى : الرحمانية ١٩٢٥م.
سفر التكوين .
سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لمحمد خليل المرادى . بولاق ١٣٠١ .
سمط اللآلى ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤ .
سير النبلاء ، للذهبى . مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح .
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى . القدسى ١٣٥١ .
شرح الحماسة ، للتبريزى . بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م .
« « للمرزوقى بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
« شواهد شروح الألفية، للعينى . بهامش خزانة الأدب .
« « المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢ .
« المضنون به على غير أهله ، لعبيد الله بن عبد الكافى . السعادة ١٣٣١ .
« المفصل . لابن يعيش . محمد منير .
شرح المفضليات لابن الأنبارى ، تحقيق ليال بيروت ١٩٢٠م.
« نهج البلاغة. لابن أبى الحديد . الميمنية ١٣٢٩ .
شروح سقط الزند ، للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى . دار الكتب ١٣٦١ .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . بتحقيق أحمد شاكر . الحلبى ١٣٧٠ .
شفاء الغليل ، للخفاجى . السعادة ١٣٢٥ .
الشقائق النعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية . بهامش وفيات الأعيان .
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصلة ، لابن بشكوال . مدريد ١٨٨٢ م .

الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للأدفوى . الجمالية ١٣٣٢ .
طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعة ، وهو عيون الأنباء . الوهبية ١٢٩٩ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة .
الطبيخ ، للبغدادى . الموصل ١٣٥٣ .
عصر إسماعيل (من تاريخ الحركة القومية) للرافعى . مطبعة النهضة ١٩٣٢م .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ، للعينى . محمد منير ١٣٤٨ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
عيون التواريخ ، لابن شاكر الكتبى . مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .
غرر الخصائص ، للوطواط . بولاق ١٢٨٤ .
الفائق ، للزمخشرى . حيدر أباد ١٣١٤ .
فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
فتح القدير ، للكمال بن الهمام . بولاق ١٣١٨ .
الفراسة ، لأفليمون . حلب ١٣٤٧ .
الفصل ، فى الملل والأهواء والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
الفصول والغايات ، لأبى العلاء المعرى . حجازى ١٣٥٦ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٢٨٣ .
فيض الخاطر ، للدكتور أحمد أمين . لجنة التأليف .
القانون الرومانى ، للدكتور محمد عبد المنعم بدر . لجنة التأليف ١٩٣٧ م .
قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤م .
الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .
كتاب : حرب بكر وتغلب . الهند ١٣٠٥ .
الكتاب المقدس الأمريكانية ١٩٠٦م .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة . تركيا ١٣١٠ .
الكنايات للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنايات ، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .
كنى الشعراء لابن حبيب ، ملحق بكتابه أسماء المغتالين. مخطوط دار الكتب ٢٦٠٦ تاريخ
لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ ، أحمد شاكر . الرحمانية ١٣٥٤ .
لسان الميزان ، لابن حجر حيدر أباد ١٣٣٠ .
مجالس ثعلب ، بتحقيق عبد السلام هارون : دار المعارف ١٣٦٩ .
مجلة الجمعية الألمانية الشرقية : (Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft)
مجمع الأمثال ، للميدانى . البهية ١٣٤٢ .
مجموع خمسة دواوين . الوهبية ١٢٩٣ .
مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول . الجوائب ١٣٠١ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣
مختارات ابن الشجرى . العامرة ١٣٠٦ .
مختصر تاريخ دمشق ، لابن بدران . روضة الشام ١٣٣٢ .
المخصص ، لابن سيدة ، بولاق ١٣١٨ .
مخطوطات الموصل ، للدكتور داود جلبى . الفرات ببغداد ١٩٢٧م.
مروج الذهب ، للمسعودى . السعادة ١٣٦٧ .
مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمرى . مصورة دار الكتب ٢٥٦٨ تاريخ .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض. السعادة ١٣٣٢.
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
معاهد التنصيص ، للعباسى . البهية ١٣١٦
المعتمد ، فى الأدوية المفردة ، لابن رسولا . الحلبى ١٣٢٧ .
المعجب ، للمراكشى . السعادة ١٣٢٤ .
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الشعراء ، للمرزبانى . القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى : (Persian English Dictionary by F. Steingass)
معجم المجمع العلمى الأسبانى : (Dictionario de La lingua Espanola)

المعرب ، للجواليقي . بتحقيق أحمد شاكر . دار الكتب ١٣٦١ .
المعلمة الكبيرة للمعارف العامة : (The Great encyclopedia of universal knawlages)
المعمرين ، للسجستاني : السعادة ١٣٢٣ .
المغرب لابن سعيد . مخطوطتي دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ و١٠٣ تاريخ م .
» » » ، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف ١٩٥٣ م .
المغني ، لابن قدامة الحنبلي : دار المنار ١٣٦٧ :
مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢ .
مفتاح الأفكار ، في النثر المختار ، للشيخ أحمد مفتاح : مطبعة جريدة الإسلام ١٣١٤ :
مفرج الكروب ، لابن واصل . مخطوطة مكتبة باريس رقم ١٧٠٢ .
المفضليات ، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦١ .
مقاييس اللغة ، لابن فارس ، بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٦ — ١٣٧١ .
مقدمة ابن خلدون : البهية ١٩٢٨ م .
المؤتلف والمختلف للآمدي . القدسي ١٣٥٤
النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي . دار الكتب من سنة ١٣٤٨ .
نزهة الألباء ، لابن الأنباري . القاهرة ١٢٩٤ .
نفح الطيب ، للمقري . نشرة محمد محيي الدين : السعادة ١٣٦٩ :
النقائض ، رواية أبي عبيدة . ليدن ١٩٠٥ .
النقود العربية وعلم النميات ، نشر الأب أنستاس ماري الكرملي . العصرية ١٩٣٩ م .
النهاية ، لابن الأثير . العثمانية ١٣١١ .
نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢ .
الوزراء والكتاب ، للجهشياري . الحلبي ١٣٥٧ .
الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني . صيدا ١٣٣١ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
يتيمة الدهر ، للثعالبي . دمشق ١٣٠٣ .

استدراك وتذييل

١ — ص ٢٢ س ٥ العبارة بكمالها كما ورد فى الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء » .

٢ — ص ٢٣ س ٢ — ٣ البيتان كما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج وصفو اللجين به ذوبا
إذا جمشته الصبا بالضحى توهمته زرداً مذهبا

انظر ص ١١٦ من نوادر المخطوطات .

٣ — ص ٣٤ س ٧ - ٨ البيتان رواهما العماد فى الخريدة ٢ : ١٢٠ منسوبين إلى العينى المصرى، ثم قال : « ووجدت هذين البيتين فى رسالة أبى الصلت منسوبين إلى ظافر الحداد »

٤ — ص ٣٧ س١٢ إلى ص٤١ س ١٢ . هذا الكلام ورد فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٥٩ .

٥ — ص ١٤١ س ١٢ انظرهذا البيت نهاية الأرب ٤ : ٢٧١ .

٦ — ص ١٤٢ س ١٦ وقع فى الحاشية سقط ، وتمامها كما فى الكامل : « وقد فضل نصيب على الفرزدق فى موقفه عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق : أنشدنى » . إلخ

٧ — ص ١٤٧ س ٨ نسب ابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن المهلب) هذا البيت إلى بشر بن قطبة الأسدى .

٨ — ص ١٦٨ س ٢ البيت ليزيد بن الجهم الهلالى ، كما فى الحماسة ١٧٣٠ س ١ بشرح المرزوقى .

٩ — ص ٢٨٨ س ٦ « أبى عبيد المختار » كذا فى الأصل، وصوابه «ابن أبى عبيد المختار» وهو المختار بن أبى عبيد .

١٠ — ص ٢٣٤ س ٤ « الماخورى » . جاء فى مروج الذهب ٤ : ٢٢٤ : « وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى . وإنما سمى بذلك لأن إبراهيم بن ميمون الموصلى — وكان من أبناء فارس وسكن الموصل — كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة » .

١١ — ص ٣٢٤ س ٥ « السلمان » جاء فى مروج الذهب ٤ : ٢٢١ : « والسلبان ، وله أربعة وعشرون وترا ، وتفسيره ألف صوت » .

١٢ — ص ٣٢٤ س ٥ « الصنج » ، وهى فى الأصل « الصلح » بدون إعجام . ورد فى مروج الذهب ٤ : ٢٢١ : « ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل » .

١٣ — ص ٣٢٤ س ٥ « الكنكلة » فى مروج الذهب : « وللهند الكنكلة ، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج » .

١٤ — ص ٣٨١ س ٣ « خلخلة » صوابها « خلخة » ، وهى فارسية ، ومعناها ضرب من الطيوب مركب من العود والعنبر والمسك واللادن والكافور. انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ١٤١ واستينجاس ١١٢٠ .

١٥ — سيضم (فهرس اللغة) الخاص بهذ المجلد إلى نهاية المجلد الثانى ليكون فهرساً للمجلدين معاً بعون الله .

فهرس مضامين المجلد

الفهارس العامة


